موسوعة العروج إلي

الحقيقة المحمدية

الجزء الثاني

في النور الأحمدي

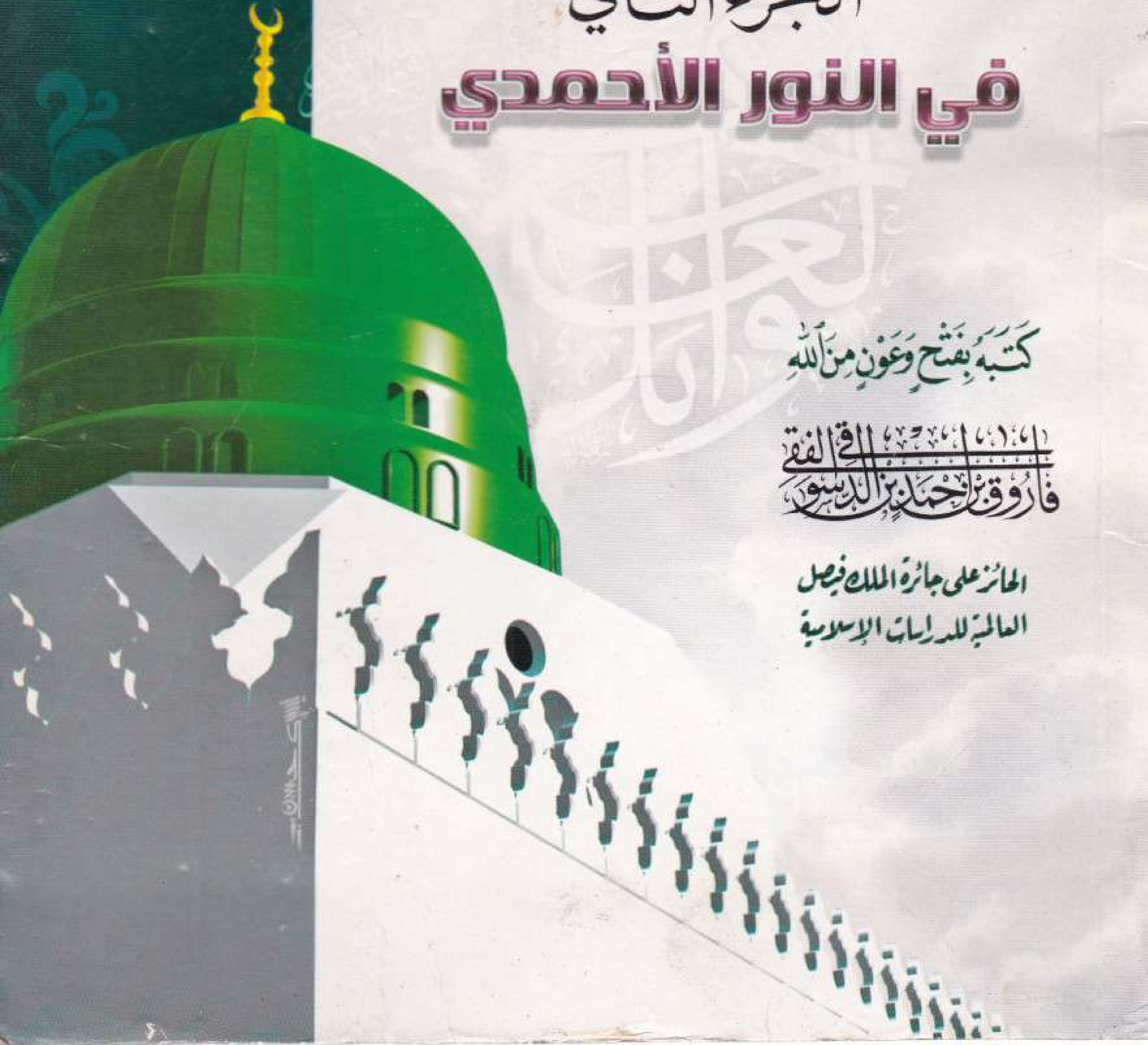

كتبه بفتح وعون من الله

فاروق بن أحمد بن الدسوقي الفقي

الحائز على جائزة الملك فيصل
العالمية للدراسات الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ فاروق أحمد الدسوقى الفـقى .

- من مواليد الإسكندرية عام ١٩٣٨ م.
- ماجيستير فى الفلسفة الإسلامية من جامعة الإسكندرية ،بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع و تبادل الرسائل .
- دكتوراه فى العلوم الإسلامية قسم الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .
- حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
- أستاذ العقيدة بجامعتى الملك سعود و أم القرى سابقا .

هذه الموسوعة

ليست كتابا فى السيرة ، و إنما هى محاولة لإدراك الحقيقة المحمدية من خلال نصوص القرآن الكريم و السنة الشريفة ، لإن كتب السيرة لم تتحدث عنه صلى الله عليه و سلم إلا من خلال وجوده البشرى فى هذه الحياة الدنيا فقط ، و الحقيقة المحمدية سابقة على هذه المرحلة البشرية و لاحقة لها . و من ثم فالجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة يتناول حقيقة النبوة بعامة ، بتفصيل أصل الإيمان بالنبيين و صلته بالإيمان بالله عز و جل ،و تفصيل عناصر النبوة . أما الجزء الثانى فموضوعه النور الأحمدى و هو الحقيقة المحمدية قبل الحياة الدنيا و السابقة على خلق آدم عليه السلام ، و هو أهم أجزاء الموسوعة ، و قد تشتمل على مجلدين أو أكثر . أما الجزء الثالث فهو فى النور المحمدى الذى أنار الله تعالى هذه الحياة الدنيا بمولده صلى الله عليه و سلم و الجزء الرابع فى نوره صلى الله عليه و سلم فى البرزخ و الذى هو نور و رحمة و بركة و سلام و سعادة لأهل البرزخ من المؤمنين .أما الجزء الخامس فموضوعه النور المحمودي المتمثل فى بعثه صلى الله عليه و سلم مقاما محمودا و إشراق الأرض بنوره و فى الشفاعة العظمى و نيله الدرجة العالية الرفيعة من الجنة التى لا تنبغى إلا لعبد واحد من عباد الله تعالى ، و لم لا ؟ و هو صلى الله عليه و سلم عبد الله الأول المتفرد بالعبودية التامة للخالق عز و جل بقدر ما تطيقه طاقة المخلوق ، و ليس بقدر استحقاق الخالق سبحانه .

فاروق بن أحمد بن الدسوقي الفقي

موسوعة العروج إلى الحقيقة المحمدية

الجزء الثاني

في

النور الأحمدي

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع ٣٩٥١ / ٢٠٠٩

تحـذيـر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف وكل من يحاول الاقتباس أو النقل من الكتاب نشراً أو إذاعة من غير ذكر المصدر سوف يعرض نفسه للمساءلة القانونية

عبد الرحمن فاروق دسوقى

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة العروج إلى الحقيقة المحمدية

الجزء الثاني

في

النور الأحمدي

كتبه بفتح وعون من الله

الأستاذ الدكتور

فاروق بن أحمد بن الدسوقي الفقي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رحمته تعالى للعالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وعترته وصحابته أجمعين .

ثم أما بعد ....؛

فقد صدر الجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة بعنوان (الحقيقة المحمدية / الجزء الأول / فى نور النبوة) حيث كان موضوع هذا الجزء حقائق النبوة بعامه أى أنه كان شرحا للركنين الثالث والرابع من أركان الإيمان ، وهما: الإيمان بالكتب والرسل ، وهذا هو الجزء الثانى وموضوعه النور الأحمدى .

ولكن لما بدأتُ ، بفضل الله تعالى وفتحه وتوفيقه ، البحث فى الحقيقة الأحمدية ، أدركتُ أن نورها مطلب عال تعجز عن بلوغ سمائه حتى الملائكة العظام ، كما تعجز عن ذلك القلوب المحبة المتعلقة ، مهما كان حبها وتعلقها ، وكذا العقول الطامحة ، مهما كان طموحها ، عن إدراك آفاق وقوة هذا النور ، ومن ثم أحسستُ بمدى جهلى حين تطاولتُ وجعلتُ عنوان الموسوعة (**الحقيقة المحمدية**)، بل وجرأتى وسوء أدبى معه ﷺ ، وبادرتُ بالتوبة إلى الله ﷻ والإستغفار ، وطلبتُ السماح والعفو من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، ومِنْ ثَمَّ استبدلتُ بهذا العنوان عنوان (موسوعة العروج إلى الحقيقة المحمدية) ، سائلا الله ﷻ ومستشفعا بسيدي ومولاي رسوله ﷺ أن أبلغ بعروجي الآفاق العالية التى وصل إليها العارفون والأفراد المقربون ، وإن كنتُ ، وأنا خُوَيْدِم مذنب مُقَصِّرٌ غير جدير لبلوغ هذه الآفاق الربانية النبوية العالية ، إلا أن رجائى فى سابقة الحسنى من الله ﷻ ، إذ الفضل كل الفضل له سبحانه ، فلستُ أعَوِّلُ معه ﷻ على عمل ، لأننا من خلقه سبحانه وما هو منسوب للعبد من طاعات هو أيضاً من خلقه ﷻ ، ومَنْ عَوَّل على عمله ولو غلبت فيه الطاعة والإحسان على المعصية والذنب ، عند مقابلة ربه خاسر ، وإنما المُعوَّل عليه هو فقط حسن الظن به سبحانه وتعالى .

فما كان من عملي حسنا فمن الله تعالى وحده وبه وله ﷻ ، وما لي أو لأحد من خلقه عنده سبحانه من نعمة نستحق عليها جزاء إلا ابتغاء وجهه ﷻ ، وأما سوء عملي فليس له إلاَّ رجائي في عفوه سبحانه أو غفرانه بشفاعة حبيبه ﷺ .

فياعلَّام الغيوب وياستَّار العيوب ، ويا غفَّار الذنوب ، ويا فتَّاح القلوب : أستر عيوبي وأغفر ذنوبي وأفض على قلبي من لطائف حكمتك ، وعلمني من مكنونات علمك بأسرار حقيقة حبيبك العليا ، وخذ يا رب ، فضلا منك وكرما بروحي وصولا لآفاق برزخيته القاب قوسيَّة .

ويا رب العالمين : ياحق يا نور يا عليم يا حكيم يا خبير يا قدير يا فعَّال لما تُريد ، كما كتبتَ التوراة في الألواح لكليمك موسى ﷺ ، فَخُذْ بيدي لكتابة ما مَنَنْتَ به على قلبي من الأنوار الأحمدية : كتابةً مُفَصَّلَةً واضِحَةً جَلِيَّةُ ، حتى تكون مُبَيّنة ومُيَسِّرة لفهم حقائقها العليَّة القدسيَّة لعبادك المؤمنين ... آمين يارب العالمين .

وحيث إن المعرفة الإلهامية لا تصير علما ملزما للغير إلاَّ إذا كانت مُدعَّمة بالأدلة النقلية الصحيحة ، وبالبراهين العقلية الصريحة المنبثقة من كتابك وسنة نَبيّك ، صلواتُك وتسليماتُك عليه ، فإني أسألك يا رب العالمين : التوفيق إلى الانتقال بهذه المعرفة من كونها مُصَاغةً ، حتى اليوم فيما أعلم ، في مواجيد الشيوخ العارفين ، ومَتْلُوَّة أورادًا في صلوات المريدين والعابدين على خير المرسلين في عبارات مُوجزة تُشير ولا تُفصح ، وتُجْمِلُ ولا تُفصِّل ، فهي صياغةٌ مكنونةُ الأسرار ، ضنينة بالإعلام والإخبار ، أسألك يا ربنا التوفيق إلى الانتقال بها إلى الصياغة العلمية المتميِّزة بالتفصيل والتوضيح ، المدعمة بالأدلة والبراهين المقيمة للحُجَّة البالغة في الدنيا ويوم الدين على الشَّانئين حبيبك عليه أكمل صلاة وأتم تسليم ، والمُلجمة المُفحِمة المُسْكَتة أيضا للمتنطعين الهالكين المنتقصين من قدره عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والطامسين لفضله وفضل آله وعترته عليهم السلام أجمعين ، آمين يا رب العالمين .

فمن هم شَانئوه ﷺ ؟

ومن هم المتنّطِعون ؟ .

أما الشانئون فهم ملاحدة العصر ، السائرون فى ركب المسيح الدجال وأتباعه أحفاد القردة والخنازير عَبَدُ الجبت والطاغوت ، الذين أفسدوا فى الأرض مرتين ، وعَلَوْا عُلُوًّا كبيرا فى هذه المرة المعاصرة ، أَشَدُّ الناس عداوة له ولأمته ﷺ ، المغتصبون لفلسطين ، الذين وراء كل شر وعدوان وظلم وجريمة فى الأرض ، وأخيراً هم المالكون للإعلام فى العالم والمسيطرون عليه والمخطَّطون لما أقدم عليه الأشقياء فى إسرائيل ثم فى أمريكا وأوربا بها أُطلق عليه الرسوم والعبادات المُسيئة لرسول الله ﷺ وللمصحف الشريف ، حتى من البابا الكاثوليكى المُتَصَهْيِن .

حدث هذا مرارا منهم وتكراراً ، فانطلقت على إثرها فى كل مرة مظاهرات وصرخات جماهير الأمة الإسلامية : كلنا فداك يا رسول الله ، وأقولها معهم : نفسى فداك يا رسول الله ، وخسر وشقى من أساء أو يسىء إليك ويؤذيك ، خسر خسرانا أبديًا فى الآخرة وخسرانا عاجلا فى هذه الحياة الدنيا .

فهؤلاء الأشقياء الخاسرون يُعَجِّلون بنزول العذاب الإستئصالى عليهم قريبا بإذن الله تعالى ، تحقيقاً لوعيده سبحانه وتعالى لهم ولأمثالهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ (الكوثر/ ٣) والأبتر مقطوع الدابر ، فهو لابد أن يهلك فى الدنيا هو وذريته وأهله وينقطع أثره فيها ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ (الأنفال/ ٧ – ٨) والله تعالى فعال لما يريد ، ومن ثم فسيتحقق استئصال الكافرين من كل الأرض لا محالة .

لقد جهل هؤلاء الأشقياء أن النبى ﷺ حبيبُ الرحمن ﷻ ، وأن إيذاءه أذى له سبحانه وتعالى ، وجهلوا أن الله ﷻ قد أذن الذين يؤذون أولياءه بالحرب ، فما بال الذين يؤذون أحب أوليائه إليه ﷺ ؟

لذا فإنى أُبَشِّر خير الأمم المُسْتَمِدَّة خَيْرِيَّتَها من أنها أمة خير الرسل وخير البرايا ، أبشرها بالنصر القريب ، والغلبة النهائية العاجلة ـ وظهور الإسلام على الدين كله .

لقد تكرر فى تاريخ الفتوحات الإسلامية أن حدث أن الحصن أو البلد الذى كان يصعب على المجاهدين فتحه ويطول حصاره ، أن يخرج عليهم من أعلى الحصن الذين يجاهرون بأعلى أصواتهم ساخرين من المسلمين متطاولين بالسب والأذى لرسولهم ﷺ ، فيكبر المسلمون على الفور مُسْتبشرين بالنصر ، فما هى إلاَّ أيام حتى ينصرهم الله تعالى ويقتحمون الحصن ، فَسَبُّ الشانئين للنبى ﷺ دائما هو العلة المباشرة لهزيمتهم .

واليوم فى عصرنا الذى يسمونه عصر العولمة الذى تحولت فيه البشرية دولة واحدة خاضعة لسلطان واحد ، هو سلطان المسيح الدجال فخضع الجميع له ما عدا الشعوب الإسلامية الذين وحدهم يقتلون بالحروب وبأسلحة الدمار الشامل ويُشَرَّدون من بيوتهم بالملايين ولا يحدث شئ من هذا فى الأرض كلها إلا للمسلمين فقط ، كما هو معلوم ، ولم يكتفوا بهذا ، بل سَلَّطوا سفهاءهم لينالوا من رسول الله ﷺ فى إسرائيل وأوربا وأمريكا والبلاد التابعة لهم . ومن ثم فإن الحرب من الله تعالى ستكون شاملة على أكثر أهل الأرض وهذا ما نترقب حدوثه ووقوع العذاب على أمريكا وبريطانيا وأوربا وغيرهم من الشانئين فى القريب العاجل بإذن الله تعالى (١) .

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك ، فإنا نحب حبيبك ويؤذينا ما يؤذية ويؤلمنا عجزُنا عن منع هذا الأذى عنه ؟ آمين يا رب العالمين .

والآن جاء دور السؤال عن المتنطّعين ، فمن هم ؟!

هم أحفاد الذى قال لرسول الله ﷺ بعد أن وزَّع بعض الغنائم ولم يعطه : "أعدل يا محمد ، فما أراك اليوم قد عدلت " فَحذَّر النبى ﷺ الأمة مِمَّن سيأتون وينتهجون نهجه ، يشهدون أنه رسول الله ، ويؤذونه بالانتقاص من قدره ، والتقليل من فضله الذى خصَّه به ربه سبحانه وتعالى ، وكذلك يفعلون أيضا بالنسبة لوالديه الكريمين وآله وعترته . فمن هم الذين انتهجوا نهجه ؟

---

(١) أقرأ تفاصيل هذا بموسوعة اشراط الساعة للمؤلف وهى بعنوان القيامة الصغرى على الأبواب وصدر منها سبعة أجزاء .

هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ **« إن من بعدى من أمتى قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حلا قيمهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتُهم لأقتلنهم قتل عاد »** (١) وقال فيهم أيضا ﷺ **« أن ناسا من أمتى سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز حلا قيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون إليه هم شر الخلق والخليقة »** (٢) .

أما قتلهم أهل الإسلام ، فلأنهم فى نظرهم كفروا بارتكاب الكبائر ، ولكن قد يقول قائل : هؤلاء صاروا حدثا تاريخيا ، وانتهت منهم الأمة ، فلماذا نعطيهم هذه الأهمية ، أليسوا هم الذين خرجوا على سيدنا على بن أبى طالب ﷺ وكرم الله وجهه وانتهى أمرهم ؟!

والإجابة هي : أن الأمة لا ولم تنته منْهم بعد ، بدليل ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : سيخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قُطِعَ حتى عدها النبى ﷺ زيادة على عشر مرات ، كلما خرج قرن قطع ، حتى يخرج الدجال فى بقيتهم) وفى رواية لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول **« كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج فى عراضهم الدجال »** (٣) .

فهل فى آخر الزمان الذى نعيش فيه قرن خرج على الأمة من هذه القرون العشرين ؟ أم أنها كلها مضت من قبل هذه الأجيال المعاصرة ؟!

الإجابة : لا لم تنقض قرون الخوارج كلها بعد ، وقد خرج هذا القرن الأخير الذى ربما سيخرج الدجال فى بقيتهم .

فعن سيدنا على بن أبى طالب ﷺ وكرم الله وجهه عن النبى ﷺ قال **«يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقرأون القرآن لا يجاوز**

---

(١) أخرجه أبو داود / ك الأدب / باب قتال الخوارج عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) أخرجه مسلم عن أبى ذر ﷺ .

(٣) كنز العمال للمتقى الهندى / ج ١١ / حديث رقم ٣١٦٠٩ .

تراقيهم ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فمن لقيهم فليقتلهم فإن في قتلهم أجرا عظيما عند الله لمن قتلهم» (١) .

وبلا شك فنحن فى آخر الزمان ومن أراد أدلة على هذا فليرجع لموسوعة أشراط الساعة التى صدر منها حتى اليوم سبعة أجزاء وهى مليئة بمئات الأدلة من الكتاب والسنة على أن الأحداث التى تعيشها البشرية اليوم تقع فى آخر الزمان .(٢)

وهؤلاء الخوارج من المشرق ويحكمون على سائر الأمة ممن ليسوا على عقيدتهم بالشرك ، فى حين كان أسلافهم الأوَّلون يُكَفِّرُونْ المذنب ، أما هؤلاء فيغلب عليهم أنهم حدثاء الأسنان أى فى عمر الشباب وهم يُشَرِّكُون الأمة ، كما أنهم يزيدون على أسلا فهم بأنهم (يقولون من قول خير البرية) أى يتشدقون بحديث رسول الله ﷺ .

أمَّا ما هى الحكمة التى قال رسول الله ﷺ عن نفسه أنه " خير البرية " فهى أنه قول حق أولا ، وثانيا لأن هذا الجيل من الخوارج يتجرأون على رسول الله ﷺ وينتقصون من قدره وينفون عنه ما خَصَّه الله تعالى به من فضل على المرسلين جميعا ، وهم يحاولون أن يجعلوه مجرد نبى كسائر الأنبياء فقال ﷺ بأنه خير البرية أى خير خلق الله ﷺ ردًّا عليهم فلا يساويه نبى مرسل أو ملك مقرب أو رسول من أولى العزم ؛ ولا نِدَّ له في العالمين.

وهذا القرن المعاصر من الخوارج ينتسب زوراً إلى السلف ، ويزعمون – ضالين أو مُضلين – أنهم يعتقدون عقيدة السلف ، ومع هذا فهم ينتقصون من قدره ﷺ فيمنعون إطراءه ﷺ ، ويحرمون على المسلمين التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى ويمنعون المسلمين بفتاوى مضللة من زيارة قبره ﷺ زاعمين أن فى هذا شركاً وخرقاً للتوحيد ، وغير ذلك كثير لا يتسع المجال لذكره .

---

(١) أخرجه الترمذى / كتاب الفتن / باب صفة المارقة رقم (٢١٨٨) وقال : حسن صحيح ، مأخوذ عن كنز العمال رقم ٣٠٩٥٤ .

(٢) هي للمؤلف وعنوانها « القيامة الصغرى على الأبواب » وتطلب من المؤلف .

وهم قبل هذا مُشَبِّهه ومُجسِّمة ، انتقصوا من قدر الله تعالى ، فلا عجب بعد هذا أن ينتقصوا من قدر رسوله ﷺ فليس العجب إذن ، من الكفار إذا جهلوا قدره ﷺ، وإنما العجب ممَّن يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويجهلون قدره وينتقصون منه ، ويسيئون إلى والديه الكريمين وإلى آله وعترته ، ويتجاهلون حقوقهم على الأمة ، وغير هذا كثير .

فهؤلاء قد آذوه حقا ، وإن كان أذاهم له مضمرا غير صريح ، ولكن ، أليس طمس الفضل ، وانتقاص القدر أذى حقيقيا ؟! وأيًّا كان الأذى صريحا معلنا من الخاسرين ، أو خفيا مُضمراً مِنَ المتنطِّعين الخارجين ، وأيًّا كان حجمه أو مصدره ، فإن الله تعالى يصرفه عنه ﷺ ، فلا يُصيبه من أذاهم له شئ ، حسب قانون امتناع الجمع بين النَّقيضيْن ، إذ سمَّاه الله تعالى فى هذه الحياة الدنيا محمداً ، فيمتنع وصفه بمقتضى هذا القانون أو السنة الكونية العامة بأى وصف مذموم . وهذا هو ما أخبر به رسول الله ﷺ السيدة خديجة عليها السلام بقوله لها (أتدرين كيف صرف الله تعالى عنى أذى قريش ؟ لقد سمانى محمَّدا وهم إنما يسبون مُذَمَّما) .

فالأحمدية فى عالم الملكوت لأنه ليس فى عالم الملكوت من البرايا إلاَّ الحامدون لله ﷻ ، وهو ﷺ أعظمهم حمدا لله ﷻ ، أى أنه أحمد البرايا بل أحمد الخلق أجمعين لله ﷻ ، فى حين أن المحمدية هى المرحلة الوجودية البشرية فى عالم الملك له ﷺ الذى به الابتلاء والخطايا والذنوب وحدوث الأذى من شانئيه له وغيرهم ، ومن ثم سمَّاه الله تعالى محمداً تنزيها له ﷺ أن يصيبه أذى الشانئين وتطاول المتنطعين .

أما الأحمدية فهى الوجود الروحانى له ﷺ فى الملكوت الأعلى ، ومن ثم لما بَشَّر عيسى عليه السلام قومه بأنه ﷺ سيأتى بعده ذكره بالأحمدية ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ (الصف/ ٦) فما هى الحكمة من ذكر عيسى له صلى الله عليهما وسلم باسم أحمد ولم يذكره باسم محمد ؟

لأنه ﷺ لم يكن قد أتى إلى الحياة الدنيا بعد وعيسى يقول فى هذا النص (برسول يأتى من بعدى) فهو موجود وقت إخبار عيسى عليه السلام بنى إسرائيل به ،

ووقت هذا الإخبار كان أسمه أحمد لأن وجوده كان فى عالم الملكوت ولم يكن موجودا فى عالم الملك بعد .

يؤكد هذا قول عيسى عليه السلام عن رسول الله ﷺ (... ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم ، صَدِّقونى إنى رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبى ، لأن الله يعطيهم روحه نبوة / إنجيل برنابا / الفصل ٤٤ / العدد ٢٧ – ٣٠) .

فإذا علمنا أن عيسى عليه السلام قد بُعث وعمره ثلاثون عاما ورفعه الله إليه وعمره ثلاث وثلاثون ، أى أنه قال هذا للحواريين عام ٣٣ ميلادية على الأكثر ، فأين ومتى إذن كان لقاؤه برسول الله ﷺ ؟ ! وكذلك أين ومتى كان لقاء كل نبى به ﷺ أجمعين لكى يتلقى كل نبى وكل رسول نور النبوة عطاء من الله له من روحه ﷺ ؟!

الإجابة القطعية : أن هذا اللقاء وهذا التلقى فى عالم الملكوت أى فى المرحلة الأحمدية من وجوده ﷺ ، ومن ثم قال عيسى عليه السلام (إسمه أحمد) .

هذا هو الجزء الثانى الذى موضوعه الرئيسي النور الأحمدى ، وهو يَتَضَمنُ بيانا لأصل هذا النور ، وسيليه أجزاء أخرى فى النوُر الأحمدى أيضا قبل أن ننتقل بعون الله تعالى وفتحه ومنِّهِ إلى أنوار أخرى لرسول الله ﷺ فى أجزاء أخرى كالنور المحمدى والنور المحمودى ، أسأل الله ﷻ أن يتم علينا هذه النعمة الكبرى ، آمين يا رب العالمين .

وحيث أن أول شكر النعمة هو الاعتراف بها أى ذكرها وتحديث الآخرين بها مع الإقرار بأنها فضل خالص من الله تعالى على المُنْعَم عليه ، فإني عُبَيْد الله تعالى الفقير إليه أقول لربى ﷻ : سبحانك ربى لا علم لى إلاَّ ما علَّمْتِنيه من غير حول منى ولا قوة ، سبحانك يا مَنْ أخرجتنى من بطن أُمى لا أعلم شيئا ، فلك الحمد على ما علَّمْتنى ، ولك الشكر على ما عرَّفْتَنِي ، ولك وحدك المِنَّة بما أنعمت علىَّ هذه النعمة العظمى ألا وهى أن هذا المُدَوَّن فى صفحات هذا الكتاب عن جانب من جوانب الحقيقة الأحمدية لم يكتبه أحد من قبل، فيما أعلم، عن هذا الجانب الأحمدي من الحقيقة المحمدية بالصياغة العلمية المدعمة بالأدلة القرآنية والحديثية الملزمة لكل مسلم .

فيارب يا مَنْ غمرتنى من آلائك التى لا تُعد ، وأسبغتَ علىَّ من نعمك الظاهرة التى لا تُحصى ، والباطنة التى لا تُحد : لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الشكر الموازى لهذه النعم ما ظهر منها وما بطن ، وهو ما أعجز عنه ، ولك المنَّ المكافئ لمزيدها .

وأدعوك يا رب أن تتمها علىَّ إلهاما وبيانا وتدوينا ونشرا ، إعلاماً لإخوانى المسلمين ببعض جوانب عظمة حبيبك ﷺ ، وإفحاما وإلجاما للمتنطعين المنتقصين من قدر حبيبك المصطفى المنكرين لِقدْره ومقداره العظيم عندك ، المُهوِّنين من جاهه العظيم لديك .. آمين يا رب العالمين .

ولستُ أزعم العصمة أو الحفظ من الخطأ فى الاستنباط أو النّسْيَان ، لذا فإنى أتمنى على الله تعالى أن يكون من قرائى الكرام الذين يستدركون علىَّ خطأ فى الاستنباط أو غفلة عن آية فى كتاب الله تعالى أو عن حديث نبوى صحيح يخصُّ موضوُعا من موضوْعات الكتاب وأكون شاكرا له التكرم باخبارى بها هاتفيا ، وله علىَّ أن صح استدراكه ، أن أصحح الخطأ مُنوّهاً بفضله شاكراً له وذلك فى الطبعات التالية لهذه الطبعة ، وإن رأيتُ أن استدراكه ليس صحيحا ، فسأبين له هذا بأدلته بإذن الله تعالى .

ويزيد عجزى عن أداء الشكر لله ﷻ أن نعمة إتمام هذا الكتاب المبارك ، قد تُوِّجَتْ ببركة عظيمةٍ وفألٍ طيب ، ألا وهما أن فراغى من كتابة هذه المقدمة وكتابة هذه الأسطر الأخيرة كان خلال قراءة القرآن من محطة القرآن الكريم القاهرية لفجر يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول لهذا العام ١٤٣٠هـ الموافق للتاسع من مارس ٢٠٠٩ م .

فالحمد لله ﷻ على إتمام هذه النعمة علىَّ وتمام مولد هذا الكتاب فى يوم مولده ﷺ فى نفس الساعة من اليوم (الفجر) وفى نفس اليوم من الأسبوع (الاثنين) ونفس الشهر من السنة ربيع أول ، وفى نفس اليوم من الشهر الثانى عشر، حمداً طيبا مباركا فيه كما تُحِبُّ ربنا وترضى .

وأسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل مني ويغفر به ذنبى ويمُنَّ على برضائه وبرضاء حبيبه ﷺ ويرزقنى سبحانه حُبَّهُ الخالص لوجهه الكريم بلا شوب

يشوبه وقربا يمحق ما بيني وبينه من البيْن حتى تقع العين على العـين ، وجـازى اللهم عنى أستاذي وشيخي الإمام محمد ماضى أبا العزائم خير الجزاء برضـوان منك وجنات عاليات .

وصلى اللهم وسلم وبارك على خـير خلقـك سـيدنا ومولانـا محمـد وآلـه وسلم ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عُبَيْدُ الله الفقـير إليه
فاروق بن أحمد بن الدسوقى الفقى

غرب الإسكندرية فى :
فجر الاثنين ١٢ ربيع أول/ ١٤٣٠هـ
٩ مارس / ٢٠٠٩م

الباب الأول

الروح سر الإنسانية

الفصل الأول: نفخة الروح فى الجسد البشرى هى سر التقويم الأحسن للإنسان.
من صـ١٩ - ٢٩

الفصل الثانى: الإنسان ومكوناته الثلاث:
الروح والنفس والجسد وأشرفهم الروح .
من صـ٣١ - ٥١

الفصل الثالث: ما هى الأمانة التى حملها الإنسان وحده؟
من صـ ٥٣ - ٧٥

الفصل الرابع: النبى ﷺ هو أكرم وأحب الخلق للخالق عز وجل،
فأين هو من الروح؟!
من صـ ٧٧ - ٩٤

الفصل الأول

نفخة الروح فى الجسد البشرى هى سر التقويم الأحسن للإنسان

علمنا من الجزء الأول أن الوجود وجودان متغايران غير متماثلين هما وجود الخالق جل جلاله الذى ليس كمثله شىء ثم وجود المخلوقات التى هى فعل الخالق جل جلاله. ولأنه هو وحده الخالق فهو وحده الإله، ولأن كل ما سواه من خلقه فكل ما سواه عبيد له سبحانه.

وذلك لأن الخالقية تعنى الألوهية، والمخلوقية تعنى العبودية، ولأن الله عز وجل هو وحده الخالق وليس له شريك فى الخلق، فهو وحده الإله جل جلاله، أى أنه لا إله إلا الله، ولأن كل ما سواه من خلقه، فكل ما سواه عبيد له وهذا يؤكد أنه لا إله إلا الله، لأن إثبات العبودية لكل ما سواه يستتبع إفراده تعالى بالألوهية.

وحيث أن سيدنا محمد ﷺ خير مَنْ عبدالله تعالى، وخير من عرف ربه، وهو ﷺ وحده الذى تمثلت فيه العبودية الخالصة التامة الكاملة لله عز وجل، وحيث أن التفسير الإسلامى للوجود يتمثل فى إفراد الله عز وجل بالألوهية لا إله إلا الله، فإن هذا يستتبع ويستلزم أيضا إثبات وجود العبودية الخالصة التامة لله عز وجل وهى المتمثلة فى الحقيقة المحمدية سيدنا محمد عبد الله ورسوله ﷺ.

فالحقيقة المحمدية حقيقة كونية ربانية إنسانية ولم يكن رسول الله ﷺ مجرد نبى

مبعوث لقومه،إنما هو حقيقة كونية، قرن الله عز وجل اسمه بإسمه فصارت شهادة أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله هى مختصر تفسير الحقيقة الوجودية أو الكونية فى سبع كلمات مباركات.

وهذا الكتاب هو محاولة لمعرفة الحقيقة المحمدية والعلم بها من القرآن والسنة الصحيحة لا غير.

خلق الله عز وجل الإنسان بيديه، فكان عطاؤه له عطاءين، عطاء الجلال وعطاء الإكرام (فتبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)، فنال الإنسان عطية الله العظمى عطية الجلال من السماء إذ نفخ الله تعالى فيه من روحه ونال نعمة الإكرام من الأرض إذ خلقه الله سبحانه من طين الأرض، فلم يخلق الله عز وجل بيديه خلقا آخر بعطائى الجلال والإكرام سوى الإنسان قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص : ٧١-٧٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة ٧-٩]

فالروح هو عطاء الله تعالى للإنسان بيد الجلال والجسد الطينى هو عطاؤه سبحانه بيد الإكرام.

قال تعالى: ﴿...وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس :٥-١٠].

فقوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها﴾ بعد ذكر السماء والأرض دليل على أنه سواها سبحانه منهما أى من السماء والأرض، لأن الروح من السماء والجسد من الأرض، ثم قال ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾

لأن الروح مصدر التقوى والجسد الطينى مصدر الفجور، ومن ثم فمن اتقى فقد

أعلى من ذاته وَزكَّاهَا بتغليب أحواله الروحيـة على أحواله الطينية ومن غَلَّبَ أحواله الطينية على أحواله الروحية، فإنه يكون قدْ دَسَّاهَا أى ارتد بها إلى أسفل سافلين.

ومن ثم فإن الآدمى مـخلوق من روح وجسد، وقـد علمنا أن الجسـد مخلوق من الأرض وبصفة خاصة من طينها أى من مائهـا وترابها، هذا بالنسبة لآدم عليه السلام، أما بالـنسبة لذريـته فقـد خلقهـا الله تعالى من سـلالة منه لقوله تـعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون :١٢ـ١٤].

فـمراحل خلق الإنسـان فى رحم أُمـه ابتداء من النطفـة ثم العلقـة إلى أن تكسى العظام لحـمـا، كلها من طين الأرض لقـوله تعـالى: ﴿...مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ...﴾ أما دخول الروح على الجنين فـجاءت الإشارة إليه فى قـوله تعالى: ﴿...ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾ أى رفعناه إلى أحسن تقويم حتى صار نـوعا آخر، لأنه بالجسد الطينى صار بشرا وبالروح صار إنسانا فى أحسن تقويم لقوله تعالى: ﴿...إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ...﴾ فالطين هو أصل البشريـة فى الذات الآدمية أو فى الآدميين، أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فيدل على أن الله تعالى قد سواه من طين ثم لما نفخ فـيه من روحه عز وجل رفعه بهذه النفـخة الروحية إلى أحسـن تقويم، هو تقـويم الإنسانيـة الذى استـحق به هذا التكريم الذى تمثل فى تعليمه الأسماء وإسكانه الجنة وجعله الله له خليفة فى الأرض، واسجاد الملائكة له..

والسؤال الذى يفرض نـفسه علينا الآن هو: إذا كان أصل البـشرية فى آدم وذريته هو الطين، فما هو أصل الإنسانية فيه؟

الإجـابة الواضحـة من الآيات الكريمة السـابقة هى أن النفـخـة الإلهيـة الروحيـة الكريمة فى الجسد البشرى، بعد أن سواه الله عز وجل، هى أصل الإنسانية فيه.

فالروح المنـفوخ فى آدم البشـر هو الذى منحه الإرادة المخـتارة والسمـو والتكريم

والتقوى والعلم والبيان، وهو الذى رفعه إلى أن يصبح أكرم أنواع الخلق وأقربهم إلى الخالق سبحانه، فما هو مصدر الروح المنفوخ فى كل آدمى؟

إنه ما ورد فى الآيات الكريمة عن خلق الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾..وقوله تعالى: ﴿....ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ...﴾ أى روح الله عز وجل فليست الروح مصدر حياة الجسد الآدمى كما يظن بغير دليل كثير من الناس، وإنما مصدر حياة الجسد الآدمى هو النفس، والنفس ليست هى الروح.

هذه النفس مصاحبة للجنين منذ بدء تكونه من نطفة، ومن ثم فهو حى منذ لحظة التكوين الأولى المتمثلة فى البويضة الأنثوية الملقحة بالحيوان المنوى من الذكر، وبعد هذا تعلق هذه الخلية بجدار رحم الأم، ليبدأ مراحل التسوية، هذا الكائن الجديد حى منذ اللحظة الأولى، ودلالة حياته التغذى والنمو، حتى أنه بعد أن كان خلية حية لا ترى بالعين المجردة، يصبح فى شكل المضغة أى قطعة اللحم التى خرجت من بين الاضراس بعد مضغها، ثم يخلقه الله تعالى طورا من بعد طور حتى يأخذ هيئة الآدمى الجسدية بعد أن يكسو الله تعالى العظام لحما.

ثم بعد هذه المرحلة يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

ولا يملك المرء إلا أن يسأل ماذا كان؟ثم ماذا صار؟إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا عن هذه المرحلة أنه أنشأ من هذا المخلوق أو من هذا النوع نوعا آخر يختلف عن النوع الأول تماما، هذا واضح من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ﴾ ومن قوله تعالى: ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾.

فإذا سألنا:ماذا كان الجنين الآدمى قبل الإنشاء الجديد، ثم ماذا صار بعده، وبماذا أنشأه الله تعالى إلى ما صار إليه؟

فليس أمامنا سوى القول بأنه كان بشرا بالتسوية التى بدأت بالنطفة وانتهت بكسوة العظام باللحم، وهى المرحلة الأولى التى صار بها آدم كائنا حيا فقط أى بشرا ليس إلا، ثم صار إنسانا أو بتعبير أدق ارتفع من مستوى البشرية إلى مستوى

الإنسانية الأفضل والأكرم والأرقى والأسمى، أى إلى أحسن تقويم، فكان بشرا فقط ثم صار بشرا إنسانا، وهذا هو الإنشاء الجديد الذى نقله به الله من خلق إلى خلق آخر.

وبماذا نقله الله عز وجل هذه النقلة العظيمة، وبم رفعه الله تعالى إلى هذا المستوى الأكرم؟

هنا يأتى حديث رسول الله ﷺ ليجيب على هذا السؤال بقوله: «إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح».(١)

فبعد الأربعين الثالثة أى بعد عشرين يوما ومائة من بدء تكوين الجنين، وبعد أن تكون العظام قد كُسيَت لحما فى آخر الأربعين الثالثة (يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح) فالنفخة الإلَهية الكريمة من الروح فى الجنين لا تكون إلا بعد التسوية فهى بلاشك ـ أى النفخة ـ تدخل على جسد الجنين وهو حى، أى أنه يكون حيا قبل نفخ الروح فيه. وعلى هذا فليست الروح هى مصدر حياة الجسد الآدمى المخلوق من طين، ولم ينفخها الملك بأمر الله عز وجل لكى يُعطى بها الجنين الحياة الجسدية، فهو حى بالنفس من قبل النفخ فيه، وإنما نفخها فيه لكى يُعطيه الله تعالى شيئا آخر هو سر الانسانية رقيا وسموا ورفعة.

وهذا يدل على أن آدم عليه السلام عندما سواه الله تعالى بشرا من طين كان بشرا حيا قبل نفخ الروح فيه، كما أن الجنين يكون حيا أيضا قبل نفخ الروح فيه.

فالروح أمر ينفرد به الإنسان ولا يشاركه فيه كائن حى آخر لا الملائكة ولا الجن وهى سر تكريم بنى آدم.

أى أن بنى آدم يتلقون أرواحهم وهم أحياء، ومن ثم فمن يُضَيّعها منهم فإنه لا يموت بل يظل حيّا، فهى بهذا وديعة مستردة قابلة للمحافظة عليها أو لتضييعها، وحيث أنها سر التكريم فإن الذى يضيعها يرتد أسفل سافلين، بعد أن كان فى أحسن تقويم.

---

(١) رواه الأمام أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن مسعود.

ومن ثم يحق لنا أن نفسر الأمانة التى عرضها الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب/ ٧٢) بأنها الروح، ولما كانت الروح سر تكريم الآدميين كان مضيعها فاقدا لسر التكريم ومن ثم يرتد أسفل سافلين، فيصير كالأنعام بل أضل. أما الذى يحافظ عليها فإنه يظل فى أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]

وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. [الأعراف: ١٧٩]

أى أنه لم يصبح بعد كفره بنفس التقويم الأحسن وبنفس الدرجة الوجودية التى إكتسبها بالروح، ثم لما ضيع سر هذا التقويم الأحسن ارتد إلى ما كان عليه أسفل سافلين.

الروح بالنسبة للإنسان الفرد المؤمن هى مصدر النور الإلهى فى قلبه، وهى منبع رؤية الحقيقة وأساس المعرفة واليقين.

فالروح هى النور وسر الإنسانية ومصدر التقوى والخير وأصل الإيمان بالله تعالى واحدا لا شريك له، إذ هى أساس الفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها. وبهذا يتوحد أصل الإيمان والخير فى الإسلام، إذ أن الروح التى تنزل فى جذر قلوب الرجال بالنفخة من روح الله عز وجل﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ تتطابق مع الروح التى يلقيها الله تعالى على من يشاء من عباده الذين اصطفاهم للنبوة والرسالة فهذه الروح الخاصة بكل مؤمن فى قلبه إذا تلقى الوحى المنزل على رسل الله عز وجل، وهو روح لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا.....﴾ أى أنهما روح على روح أى نور على نور، فهما نوران يتطابقان فى قلب العبد المؤمن.

وقال عن الكافرين أيضا ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[الفرقان:٤٤] وبذلك يتضح لنا معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[التين ٤ :٦].

فعندما يفقد الإنسان الروح يرتد أسفل سافلين، هذا يدل على أن ابن آدم لم يبدأ حياته الجنينية إنسانا بل كان كائنا حيا بشرا فقط، ثم رفعه الله إلى أحسن تقويم بالروح، فإذا كفر أو أشرك ضيع سر التقويم الأحسن فارتد مرة ثانية أسفل سافلين، ولو لم يكن الأمر كذلك لما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ ولكان الأنسب لفظا آخر مثل:ثم حططناه أو سَفَّلْنَاه أو أنزلناه، لأن لفظ رددناه يعنى أعدناه إلى ما كان عليه من درجة وجودية أدنى هى التى كان عليها قبل نفخ الروح فيه.

إذا كان هذا هو شأن الروح فى الناس بعامة وفى الرسل والأنبياء بخاصة فإن هذا الشأن يستلزم منا تفصيلا عنها بحسب ورودها فى آيات الذكر الحكيم.

ورد لفظ الروح مطلقا ومقيدا ومنسوبا لله عز وجل عشرين مرة فى القرآن الكريم

فأما المطلق فقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الاسراء:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤]، وقوله عز وجل أيضا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨]، وقوله سبحانه أيضا﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٤]، وهكذاقد ورد فى هذه الآيات الأربع ذكر الروح معرفا بالألف واللام مثبتا عروجه مع الملائكة إليه سبحانه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أى أنه مع الملائكة يقطعون فى عروجهم إليه فى يوم واحد مسافة يقطعها الإنسان فى خمسين ألف سنة..وكذلك مثبتا تنزل الروح مع الملائكة إلى الأرض ليلة القدر فتبيت الأرض فى سلام حتى مطلع الفجر، وهذا الروح يخصه الله تعالى بالذكر عن الملائكة عندما يقفون يوم القيامة صفا لا يتكلمون رهبة من الله تعالى إلا من أذن له وقال صوابا.

وهذا الروح أيضا هو الذى سأل عنه اليهود النبى ﷺ فجاءت الإجابة بأنه من أمر الله عز وجل، وأنهم بالرغم من أن عندهم التوراة فيها هدى ونور لم يأتهم من العلم إلا قليل.

هذا الروح المذكور مع الملائكة قد إختلف المفسرون فيه، فذهب بعضهم إلى أنه كائن عظيم على صورة الإنسان يتم خلق كل إنسان بالنفخ منه فيه وهو جنين.

وذهب البعض إلى أنه جبريل عليه السلام، والذى أرجحه أنه ليس جبريل عليه السلام لقوله تعالى أنه من أمر الله عز وجل ردا على سؤال اليهود عنه..ومعنى (من أمر ربى) يُقرِّبُ دلالته لنا قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[النحل: ٢]، فالروح هنا كلام الله عز وجل، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾[غافر: ١٥] وهذا يرفع الروح الذى هو من أمر الله عز وجل إلى أن يكون هو الاقرب إلى الله تعالى والأكرم والأعلى بين الكائنات لانتسابه لأمره عز وجل، وتسميته الوحى روحا إنما يكون بالاشارة أو بالنظر إلى النبع الذى جعله الله تعالى مصدرا للمعرفة والعلم بالله تعالى، أى نبعا للإيمان به عز وجل ودافعا قلبيا للتقوى عند المؤمنين قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾[الشورى: ٥١ - ٥٣].

فالقرآن الكريم روح من أمر الله قد جعله الله تعالى نورا، فالروح الذى هو من أمر الله عز وجل نور من الله سبحانه وتعالى يهدى به من يشاء من عباده، ومن ثم يمكن القول أن الروح المعرَّف بالألف واللام والنور مصدران للهدى يهدى بهما الله عز وجل عباده المؤمنين، قال تعالى عن هؤلاء العباد: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة:٢٢]، أى بنور من عنده يثبتهم به على الإيمان، فالروح أو النور، هما شيء واحد فى حالَيْن متباينين ، هو أو هما سر الايمان الذى يكتبه الله تعالى فى قلوب المؤمنين.

والملاحظ أننا هنا أمام روح جزئى زائد هذا الذى يؤيد الله تعالى به المؤمنين لقوله تعالى ﴿بروح منه﴾ وهو بالضرورة غير الروح المعرف بالألف واللام، الذى يمد الله

تعالى المؤمنين منه بهذا الروح الجزئى، فهذا الروح المعرف بالألف واللام فى أربع آيات هو الروح الكلى الذى يمد الله تعالى منه جميع المؤمنين منذ آدم إلى قيام الساعة. ولا يمنع هذا أن نفسر قوله تعالى (منه) أى من الله عز وجل ويكون أيضا من (الروح) الكلى المعرف بالألف واللام لأن هذا الروح هو من أمر الله عز وجل؛ فيكون تفسير من الله تعالى أي من أمره، وليس من ذاته سبحانه وتعالى.

هذا التأييد الذى جعله الله تعالى بروح منه للمؤمنين الصادقين كافة هو أيضا على نحو خاص للأنبياء ومنهم عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾[النساء:١٧١].

فكما أن كل مخلوقات الله تعالى هى كلماته عز وجل إذ تتم بكلمة التكوين الإلهية كن، فإن عيسى بن مريم عليهما السلام مخلوق أيضا بكلمة: كن، بيد أن الناس جميعا مخلوقون بكلمة «كن الإلهية» التى تمت بها السنة الربانية المتمثلة فى خلق كل نفس آدمية من ذكر وأنثى، أما عيسى عليه السلام فقد خلقه الله تعالى بكلمة خاصة، لأن كيفية خلقه مخالفه لكيفية خلق سائر الناس فهو من هذا الوجه كلمة منه هى «كن» التى خص الله تعالى بها ـ بعد آدم ـ عيسى ﷺ وحده، وشأنه فى هذا شأن آدم عليه السلام إذ خلقه الله تعالى بكيفية خاصة أيضا قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩]. هذا بالنسبة لخلق جسد ونفس عيسى عليه السلام من أم وبدون أب، أما بالنسبة للذات الإنسانية النبوية لعيسى بل ولآدم عليهما السلام فإنهما مثل سائر الناس بعامة والانبياء بخاصة مخلوقون جميعا بنفخة من روح الله عز وجل، كل واحد منهم مخلوق بنفخة تخصه بدءً من آدم عليه السلام إلى آخر من سيولد على ظهر الأرض من ذريته، فهذه سنة ربانية عامة لكل الآدميين، وهى أن الله تعالى ينفخ فى كل منهم من روحه، وذلك بإرسال الملك إليه، وهو جنين بعد بدء تكوينه.

وحيث أن آدم والمسيح لهما كيفية خاصة بالنسبة لخلق جسد كل منهما، فإن الله عز وجل، جعل لكل منهما كلمة خاصة بالجسد والنفس التى صار بها الجسد حيا،

أما الروح فقد نفخها الله تعالى فى آدم كما تم نفخها فى كل فرد من ذريته.هذا الروح الجزئى المنفوخ هو من الروح الكلى الذى ينسبه الله تعالى إلى نفسه بصيغتين:

الأولى: بقوله تعالى﴿....ونفخت فيه من روحى...﴾

والثانية: بقوله تعالى﴿....ثم سواه ونفخ فيه من روحه ...﴾الروح هنا معَرَّف بنسبته إلى الخالق عز وجل.وكما علمنا أن كل جنين من بنى آدم يخلقه الله تعالى بمرحلتين: مرحلة التسوية ثم مرحلة النفخة، وكذلك بالنسبة لآدم حيث سواه الله عز وجل أيضا من طين ثم نفخ فيه من روحه عز وجل، وكذلك بالنسبة لعيسى عليه السلام حيث سواه الله عز وجل أيضا بكلمة كن خاصة به كما سوى آدم بكلمة كن خاصة به، أيضا، بيد أن النفخة الروحية فى كل من آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام، كنفخة الملك الروح فى كل جنين آدمى.إلا أن الأنبياء والمرسلين يتميزون بقوة أرواحهم الجزئية التى يمدهم الله تعالى بها من روحه الكلى الذى يمد الله تعالى منه المؤمنين والنبيين.

كما يتميز الأنبياء عن سائر المؤمنين بأن مددهم من روح القدس أكثر وأكبر من مدد سائر المؤمنين وهو تأييد لهم.

وقد فسر ابن كثير روح القدس بجبريل، معتمدا على أقوال ابن مسعود وابن عباس قال ابن كثير (والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما ينص عليه ابن مسعود فى تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس وآخرون..

أما قوله تعالى:﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين...﴾فيفسره ما أخرجه البخارى بسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ فقال: (اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك).

لكن هذا ليس هو القول الوحيد فى تفسير روح القدس، فقد عرض ابن كثير أيضا قولا لابن عباس بسنده، كما أخرجه ابن أبى حاتم فى قوله تعالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ قال هو الإسم الأعظم الذى كان يحيى به الموتى، كما نقل هذا القول

كل من ابن جرير والقرطبى أيضـا .كما حكى القرطبى عن مجاهد والحسن البصرى أنهما قالا أن القدس هو الله تعالى وروحه جبريل.

وفى قول آخر قال: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أى أيد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القـرآن روحا كـلاهما روح من أمر الله كـما قـال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ثم قال ابن جرير: وأولى التأويـلات فى ذلك بالصواب قول من قال: الروح فى هذا الموضع جبرائيل.

فالروح الأمـين هو جبريل عـليه السلام بـلا خلاف لقوله تـعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ...﴾[الشعـراء:١٩٣] أمـا قــوله تعـالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ فسواء أكان جبـريل أم غيره، فإنه مما لاشك فيه أن الروح أو روح الله عـز وجل الوارد ذكره فى نفخ الأرواح فى الأجنـة ليس هو جبـريل وإنما هو كـائن آخر يخـصه الله تعـالى بالذكـر عن الملائكة بما فيـهم جـبريل، وإنه سـر تكريم الإنسانية التى أسجد الله تعالى لها الملائكة. وإن جبريل عليه السلام هو رئيس ملائكة نفخ الأرواح فى الأجنة ومـلائكة الوحى والإلهام ومـلائكة التأييـد بروح منه وكتـابة الإيمان فى القلوب.

فمن يكون إذا هذا الروح الكلى؟!

هذا هو ما سنبحـثه فى الفصل التالى عن الحـقيقة المحمـدية بإذن الله تعالى وعونه ومدده وتأييده وتوفيقه.

الفصل الثانى

الإنسان ومكوناته الثلاثة: الروح والنفس والجسد

ما هى المكوّنات الجوهرية للحقيقة الإنسانية؟

الإجابة هى: الروح والنفس والجسد، وهذا الترتيب هو بحسب درجة العلو أو السمو للعنصر: ولبيان هذه الحقيقة تفصيلا أقول:

إنتهينا فى الفصل السابق إلى أن الروح الجزئى الذى ينفخه الله عز وجل فى الجنين هو من الروح الكلى الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿...وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ...﴾ [السجدة/ ٩] وقوله تعالى: ﴿...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي....﴾ [الحجر/ ٢٩][ص/ ٧٢] هذا الروح الذى نسبه الله تعالى لنفسه نسبة التشريف والمنفوخ منه فينا هو الذى ورد ذكره فى قوله تعالى: ﴿....وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي....﴾ [الاسراء/ ٨٥] وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج/ ٤] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ/ ٣٨] وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر/ ٤]

وتوصلنا فيما انتهينا إليه أن لكل إنسان روح خاص به هو المنفوخ من الروح

المنسوب تشريفا لله عز وجل، هذا الروح الأخير المعرف بألف ولام التعريف الاستغراقية فى هذه الآيات الأربع هو أصل الارواح الإنسانية الخاصة أو الجزئية ومصدرها، وبالتالى جاز لنا أن نطلق عليه إسم الروح العام والروح الكلى فى مقابل الأرواح الخاصة، حيث الروح الخاص هو الروح الذى هو خويصة كل فرد من أفراد الانسانية، وحيث أنه ما مِن انسان إلا ويخلقه الله تعالى بتسويته بشرا ثم بالنفخ فيه من هذا الروح الكلى الشريف لقوله تعالى عنه ﴿من روحى..﴾ و﴿...روحنا..﴾ و﴿..من روحه..﴾.

فمن هو هذا الروح الكلى؟

لقد علمنا أنه من أمر الله عز وجل، وأن الله تعالى لم يؤت الإنسان من العلم إلا قليلا، ومن ثم فإن محاولة معرفة حقيقة الروح هى محاولة غير مشروعة أصلا، لأن الانسان عاجز عن الإحاطة بكنه الشئ، أو عن إدراك حقيقة أى شىء، فما بالنا بحقيقة الروح؟.

لكن المحاولة التى نبذلها ليست لمعرفة حقيقة الروح الكلى، أو حتى الروح الجزئى الساكن فى جذر قلب كل آدمى، وإنما هى محاولة لمعرفة العلاقة أو الصلة بينه وبين النفس، ثم العلاقة أو الصلة بينهما من ناحية وبين الجسد البشرى من ناحية أخرى.

وحيث أن الروح أمر غيبى، والجسد من عالم الشهادة المحسوس، والنفس برزخ بين الاثنين، فإن إدراك هذا البناء الآدمى الإنسانى البشرى بما يحتويه من عنصر غيبى محض هو الروح، وآخر شبه غيبى وهو النفس، فإن إدراك هذه الجواهر الغيبية لا يمكن ولا يتم معرفتها إلا من القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة، لأنهما المصدر الوحيد الصحيح لمعرفة عالم الغيب.

ومن المعلوم عند أهل العلم بالكتاب والسنة، أن منهج القرآن الكريم فى تعريف المؤمنين بالأمور الغيبية هو ضرب الأمثال، أى تعريف الأمر الغيبى بأمر محسوس يماثله في عالم الشهادة المحسوس.

فما هو المثل الذى ضربه الله تعالى لتوضيح نفخ الروح فى الانسان من الروح

الكلى؟وبصيغة أوضح أقول ما هو المثل القرآنى الذى يوضح لنا حقيقة الذات الإنسانية التى هى روح منفوخة فى نفس مبثوثة فى جسد؟هذا بالنسبة للروح الخاص.

وما هو الذى يماثل الروح الكلى فى هذا المثل؟

إنه المثل الذى ضربه الله تعالى لنوره فى سورة النور، وبالتحديد فى آية النور، والآيات الثلاث التى بعدها فى سورة النور، قال تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(١)

موضوع آية النور والآيات الثلاث التى تليها هو الذات الإنسانية صاحبة القلب السليم أو النفس المؤمنة التى تثبت على الفطرة الموحدة التى فطرها الله ـ تعالى ـ عليها.

والآيتان التاليتان لهذه الآيات تتحدثان عن الذات الإنسانية فى حال انحرافها عن الفطرة، الذات صاحبة القلب الميت التى اختارت سبل الضلال والكفر وتحولت من التوحيد الفطرى إلى الشرك ومن النور إلى الظلمات.

إن الذات الإنسانية المؤمنه بالله وحده هى التى حافظت على نورها، هذا النور الذى به تعرف وبه تعلم، وبه تصل إلى اليقين فيما تعلم، وبه تمشى بين الناس.

(١) النور: ٣٥ ـ ٤٠.

حقيقة الذات الإنسانية فى تفسير آيات النور:

مَثَّلَ الله ـ تعالى ـ نوره، الذى هو هداية لكل ما فى السماوات والأرض بنور المؤمن فى قلبه، قال الطبرى ذاكراً تفسير ابن عباس ومجاهد لقوله ـ تعالى ـ: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أى: ﴿هادى أهل السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون﴾(١)

إن الله ـ تعالى ـ أودع فى كل شىء من مخلوقاته فى السماوات والأرض ما يهتدى به هذا الشىء لتحقيق الحكمة من خلقه والهدف من وجوده سواء أكان ملاكاً أم نجماً أم شمساً أم قمراً أم شجراً أم سحاباً أم نَهْراً أم حيواناً أم نباتاً وهكذا، قال ـ تعالى ـ حاكياً سؤال فرعون لموسى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٢) فمعنى قوله ـ تعالى ـ إذاً: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ يهتدى بنوره ـ عز وجل ـ كل ما فى السماوات والأرض أى كل شىء بما فى ذلك الأرض باعتبار أنها كوكب يسبح فى فلكه وأدائه لمهمته التى من أجلها خلقه الله تعالى.

وإذا كان هذا النور لكل مخلوقات الله ـ عز وجل ـ بلا استثناء، فإنه أظهر ما يكون وأجلى ما يكون بالنسبة للإنسان الذى اصطفاه الله ـ تعالى ـ على سائر خلقه بالخلافة: الدرجة الوجودية التى تعلو درجات المخلوقات جميعاً.

ومن ثم جعل الله ـ نوره فى قلب الإنسان مثلا للنور الذى يهتدى به كل مخلوق فى السماوات والأرض. فإذا كانت الحكمة الإلهية من خلق الإنسان هى الإبتلاء!، والهدف من وجود الإنسان هو تحقيق خلافته لله ـ تعالى ـ فى الأرض!، فإن الله ـ تعالى ـ قد جعل للإنسان نوراً يهتدى به فى حياته لتحقيق الهدف من وجوده، هذا النور الذى كان من أثره وجود فطرة الله التى فطر الله ـ تعالى ـ الناس عليها، ومن ثم يستقيم هذا المعنى مع تفسير وفهم النور الذى نسبه الله ـ تعالى لنفسه وللإنسان حسب تفسير ابن عباس ومجاهد، وهو الذى اختاره الطبرى، وهو تفسير للنور قائم

(١) تفسير الطبرى: جـ١٨، ص١٠٥

(٢) طه ٤٩ ـ ٥٠

على تأويل معنى النور الحقيقى إلى نور مجازى معنوى غير النور الذى تدركه الأبصار وهو الهدى، أى أنه تفسير يقوم على صرف كلمة النور من معناها اللغوى إلى معنى آخر هو الهداية.

أما ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ فيفسر النور المنسوب لله ـ تعالى ـ فى الآية، وهو المنسوب للمؤمن فى المثل - يفسره بالنور الحقيقى، وليس بمعنى الهداية إذ لا يلجأ لتأويل الكلمة إلى معنى الهداية: ﴿قال ابن مسعود: ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه﴾(1).

وقال ابن القيم فى محاسن التأويل ذاهباً مذهب ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ:«سمى الله سبحانه نفسه نوراً وجعل كتابه نوراً ورسوله نوراً واحتجب عن خلقه بالنور وقد فسرت الآية بأنه منوِّر السماوات والأرض وهادى أهل السماوات والأرض، وما قال ابن مسعود أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادى أهل السماوات والأرض، وأما من فسرها بأنه منَوِّر أهل السماوات والأرض فلا تنافى بينه وبين قول ابن مسعود»(2).

والذى أرجحه ـ والله تعالى أعلم ـ أنه يمكن الجمع بين القولين، لأن أهل القول الأول الذين فسروا النور بالهداية نظروا إلى نتيجة النور الإلهى على الخلق وإلى وصفه نفسه ـ سبحانه ـ بأنه نور، وبأنه الهادى وبوصفه رسول الله ـ ﷺ ـ بأنه نور، وبأنه الهادى إلى صراط مستقيم، وبوصفه القرآن الكريم بأنه نور يهدى به الله من يشاء إلى صراط مستقيم، ومن ثم فسروا النور بأثره على الخلق وهو الهداية.

كذلك ربما لجأ أصحاب هذا المذهب إلى تفسير النور بالهداية خوفاً من أن يقال إن الله ـ تعالى ـ هو نور السماوات والأرض، فيفهم من هذا التفسير أن نور الشمس والقمر والنجوم هو من نور الذات الإلهية وقد أخبرنا الله ـ تعالى ـ أنه: ﴿يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار﴾ ومن ثم فالأبصار لا تدرك نور ذاته، كما لا تدرك ذاته.وهكذا نجد لأصحاب هذا المذهب ما يبرر صرفهم كلمة النور من المعنى الذى يقابل الظلمة، أى الأشعة الصادرة من الأجسام المضيئة كا لشمس والنجوم والمصباح إلى معنى الهداية، أى إلى ما يحصل لكل شىء بما فى ذلك الإنسان من النور الإلهى الذى له أثره على استقامة حياته وسلوكه.

---

(1) ،(2) ابن القيم/ محاس التأويل

أما قول ابن مسعود الذى أثبت معنى كلمة النور منسوبة لله تعالى، فهو الأرجح عندى إلى التعبير الدقيق عن معنى النور فى الآية، وإن كان لا يخالف أو لا ينقض المعنى الذى ورد عن ابن عباس ومجاهد ـ رضى الله عنهما ـ فيه. إذ أن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ لا ينسب لله ـ عز وجل ـ نوراً كصفة لذاته سبحانه هو من قبيل نور الشمس والقمر الذى تدركه الأبصار لعلمه ـ رضى الله تعالى عنه ـ ان نور الذات الإلهية لا تدركه الأبصار، ولعلمه أيضا أن الله ـ تعالى ـ لو كشف الحجب عن وجهه سبحانه ـ وتعالى ـ لأحرقت سبحات وجهه، أى نور ذاته، كل ما امتد إليه بصره من خلقه.

وعلى هذا يمكن القول أن لله ـ سبحانه وتعالى ـ حُجُباً من نور يحجب بها نور وجهه ـ عز وجل ـ عن خلقه حتى لا يصيروا دكاً كما حدث للجبل. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(١).

فالنصوص القرآنية والسنية تنسب لله ـ تعالى ـ نوراً ذاتياً ليس كمثله نور مما هو معروف من نور خلقه كنور الشمس أو القمر فلا تدركه الأبصار التى تدرك نور الشمس والقمر، لكن هذا النور هو الذى يهدى به الله ـ تعالى ـ كل شىء لتحقيق الحكمة من خلقه والهدف من وجوده. هو نور حقيقى جعله الله تعالى سبباً يهدى به الإنسان إلى معرفته ومعرفة الحق، فليس النور هو الهدى لأنه سبب الهدى.

هذا النور الإلهى له فى قلب المؤمن مثل يتلقاه العبد بفؤاده وليس ببصره وهو سبب الهدى والإيمان، فهو نور حقيقى فى قلب العبد المؤمن ليس مما تدركه الأبصار ولكن تدركه الأفئدة والقلوب، والهدى والإيمان والفطرة أثر لهذا النور وليس واحداً منها هو هذا النور.

ومن ثم يجتمع القولان: قول ابن عباس وابن مسعود فى قول واحد وما يهمنا هنا من جمع القولين هو فهم المثل الذى ضربه الله ـ تعالى ـ لنوره من خلال القول بأن ثَمَّ نور حقيقى أودعه الله ـ تعالى ـ قلب الإنسان، ليس من قبيل نور الأبصار، ولكنه نور تهتدى به النفوس وترى به الأفئدة وتفقه به القلوب إذ هو لب الذات الإنسانية العارفة العالمة بربها ـ عز وجل ـ.

(١) ١٤٣/ الأعراف

فهو نور حقيقى ولكن لا تراه العيون وإنما تحيا به القلوب وتبصر به الأفئدة ولا غنى للإنسان عنه لتحقيق الحكمة من خلقه، والهدف من وجوده، وبهذا النور القلبى الباطنى يصل الإنسان إلى غايته النهائية فى الآخرة. وأصل هذا كله ومبدؤه معرفة الله عزوجل.

وهذا النور، وإن كان لكل إنسان بمقتضى خلقته وطبيعته التى خلقه الله ـ تعالى ـ عليها، إلا أنه للرسول الأعظم ـ ﷺ ـ الإنسان الكامل والعبد الأوحد أوضح وأجلى وأظهر ما يكون. لأن نوره نور للبشرية جمعاء وهدايته النابعة من نوره هداية للبشرية جمعاء، بينما آثار أنوار سائر المؤمنين خاصة بكل منهم ولها هداية لهم ولمن حولهم مع تفاوت فى آثار هذه الأنوار من الهداية حسب درجات الإيمان وقوة ما رزقهم الله ـ تعالى منه ـ فكل هذه الأنوار من نوره ﷺ .

تتناول آيات النور بعد ذلك تفصيلا موضع النور فى الذات الإنسانية المؤمنة وعلاقة هذا النور بالموضع وعلاقة الموضع بما حوله من خلال المثل الذى ضربه الله ـ تعالى ـ بالمصباح.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مثل نوره﴾ أى مثل نور الله ـ تعالى ـ فى قلب عبده المؤمن، قال ابن عباس: «مثل نوره الذى أعطى المؤمن»(١).

﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ المشكاة هى الكوة التى كانت تُتَّخَذْ كتجويف فى الحائط بلا منفذ خلفى، ومن ثم يكون ضوء المصباح إذا وضع فى هذه الكوة محصوراً فيها، فيكون مُرَكَّزاً وساطعاً فيها على أحسن ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، مع انتشاره إلى سائر أرجاء الغرفة.

. والمشكاة فى المثل تقابل صدر المؤمن، وهى شبيهة به. والجدار أو الحجرة جسده

﴿المصباح فى زجاجة﴾ المصباح الذى فى المشكاة يكون داخل زجاجة، ومعنى المصباح هو النور الصادر من الفتيلة المشتعلة، أو هو الفتيلة المشتعلة المضيئة التى ينبعث منها الضوء أول ما ينبعث، وهذه الفتيلة المشتعلة، (المصباح) داخل زجاجة

---

(١) تفسير ابن كثير وغيره.

شفافة صافية متلألئة لامعة تسمح بخروج الضوء إلى المشكاة وإلى جميع الأرجاء المحيطة والمجاورة.

﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ فى صفائها ولمعانها وتلألئها وحسنها فماذا تقابل الزجاجة هذه فى ذات المؤمن؟

إن وصف أو تشبيه الزجاجة بأنها كوكب درى، قيل: شديد اللمعان، وقيل: دَفَّاع، إذْ قرئت دُرِّيءْ بالهمزة فى آخر الكلمة، أى دفَّاع، وهذا يعنى أن الزجاجة فى المثل تقابل قلب المؤمن الذى مهمته الفسيولوجية دفع الدم إلى أرجاء الجسد. فالزجاجة قلب المؤمن.

وإذا كانت المشكاة صدر المؤمن، والزجاجة التى كالكوكب الدرى قلبه، فماذا يكون المصباح؟

المصباح فى المثل يقابل الفؤاد عند المؤمن. وأكثر المفسرين فسروا الأفئدة بأعماق القلوب.

لأنه إذا كان القلب هو باطن الإنسان فى صدره فإن الفؤاد هو باطن القلب. ولما كان الفؤاد داخل القلب، والمصباح داخل الزجاجة (القلب) كان المصباح هو فؤاد المؤمن.

لكن هذا المصباح (الفؤاد) لا تشتعل فتيلته ولا يدوم اشتعالها ويستمر النور المنبعث منه، إلا إذا كان ثَمَّ مَدَدُ دائم بوقود يكون مصدراً لهذا الاشتعال، ومن ثم يكون مصدراً لهذا النور.

فمن أين هذا الوقود الذى يوقد منه المصباح؟ وما الذى يقابل هذا الوقود فى ذات المؤمن؟

إنه من شجرة مباركة زيتونة: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ كونها مباركة أى لا تنضب فلا خوف من انقطاع الوقود ومن ثم فلا خوف من انطفاء المصباح. قال الكلبى عن الشجرة: «أنها شجرة المعرفة يكاد زيتها يضىء أى نور المعرفة يشرق فى قلب المؤمن ولو لم تمسسه نار»(١).

(١) الخازن: لباب التأويل فى معانى التنزيل المعروف بتفسير الخازن جـ٥ ص٧٧.

أما كـونها زيتونة فـهو يعنى أن النور المنبـعث من المصبـاح لابد أن يضىء أفضل أنواع الإضاءة، لأنه من المعلوم أن الإضاءة بزيت الزيتون كانت أفضل أنواع الإضاءة حيث النور الصافى الأزهر الخالى من الدخان.

وكونها لا شرقـية ولا غربية أى لا يحجب عنها ضوء الشـمس، ولا يظلها شجر، ولا جبل، ولا كهف، وهـذا أجود لزيتها، هذا مما قـيل فى معنى لا شرقيـة ولا غربية، والأرجح أنهـا شجرة لـيست أرضـية[1] بل هى سمـاوية لأن أى شىء على الأرض لابد أن يكون إما شرقياً وإما غـربياً بالنسبة للمتحدث، فالجهة نسـبية، فهى شجرة فى الأرض، ولكن أصلهـا ليس من الأرض، وإن كـانت غصـونها فى الأرض، كـذلك أصل النور فى المصباح سـماوى، وإن كان فى جسد من طين الأرض. فـالشجرة، أى الأغصان المتشابكة فى الأرض، لكن جذورها التى تمدها بالغذاء سماوية.

فالمشكاة تقـابل صدر المؤمن، والزجاجـة قلبه والمصبـاح فؤاده، وهذا الزيت الذى هو سماوى هو لبه قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[الرعد/ ١٩]

فقلب الإنسان وحـده هو الذى يعرف الحقيقـة الكلية العامة للكون، وهى حقـيقة «لا إله إلا الله» فيكاد، إذاً، الإنسان بلبـه وحده أن يعلم، هذا الزيت الذى يكاد يضىء ولو لم تمسـسه نار إذاً هو لـب الإنسان وقـوله ـ تعالـى ـ:﴿يكاد زيتهـا يضىء﴾ لأن المعرفة التى يدركها الإنسـان بلبه معرفة بالله ـ تعالى ـ إجماليـة، وليست كما يأتى بها الوحى، فـإذا جـاء الوحى وهو نور، ودخل نوره إلـى الذات الإنسـانيـة تـطابق نور الوحى على نور المصـباح الذاتى فصـار الحال «نور على نور». ومن ثمَّ يـضئ بعد أن كاد يضيئ.

فالقلـب فى الصدر كالزجـاجة فى المشكاة، والمصباح فى الزجـاجة كـالفؤاد فى القلب، واللب فى الفؤاد، كالزيت فى المصباح، أى كالزيت فى فتيلة المصباح.

ما ذكرناه هو تـفسير لآية النور، فعلـى من ينطبق هذا المثل وعلى من يصدق أى ـ بلغة المناطقة ـ ما هو «ما صدق» هذا المثل؟

---

(١) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

ورد كلام عن أُبَىّ بن كعبٍ يختلف عن قول إبن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار رضى الله عنهم بهذا الصدد؟قال الخازن فى تفسيره:«قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرنى عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ قال كعب:«هذا مثل ضربه الله لنبيه ـ ﷺ ـ،فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة، يكاد نور محمد ـ ﷺ ـ يتبيَّن للناس، ولو لم يتكلم به أنه نبى، كما يكاد ذلك الزيت يضىء، ولو لم تمسسه نار»(١).

ونسب الخازن فى تفسيره أيضاً لابن عمر قوله:«المشكاة جوف محمد ـ ﷺ ـ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية، لا يهودى ولا نصرانى، توقد من شجرة مباركة: إبراهيم، نور على نور، نبى من نسل نبى نور محمد على نور إبراهيم»(٢).

ومن الواضح أن كلام ابن عمر يكاد يتفق مع كلام كعب الأحبار.

أما أبى بن كعب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فيرى أن التمثيل وقع فى الآية لنور قلب المؤمن بعامة وليس مقصوراً على نور الرسول ـ ﷺ ـ قال أبى بن كعب:«هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الإيمان والقرآن يوقد من شجرة مباركة، هى شجرة الإخلاص لله وحده، فمثله مثل شجرة إلْتفٍّ حولها الشجر فهى خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شىء من الفتن، فهو بين أربع خلال: إن أعطى شكر وإن ابتلى صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق ﴿يكاد زيتها يضىء﴾ أى يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه ﴿نور على نور﴾ قال أبى: أى فهو يتقلب فى خمسة أنوار: قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة»(٣).

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر الصفحة.

(٣) نفس المصدر الصفحة.

وفى رواية لابن عبّاس ـ رضـى الله عنهما ـ فى تفسيـر المثل:(هذا مثل نور الله. أى مثل نور الله الذى خَصَّ به المؤمن من بنى آدم).

وسواء كـان المثل مضرُوبا للمـؤمن أو للنبى ﷺ، فإنه يصدق على المؤمنين بعـامة وعلى النبى بـخاصـة بـاعتـبـار أنه أول المسـلمين وأول العـابدين، ولا تضـارب ولا تعارض أن يصدق على الإثنين معـاً فى آن واحد، بيد أن الذى خص النبى ﷺ وحده فى هذا المثل هو الشجرة المباركة التى ليست شرقية وليست غربية، أى أنها ليست فى الأرض، لأنها فى السماء وإن كان مددها يصل إلى مصابيح قلوب المؤمنين الذين فى بيـوت أذن الله أن ترفع فى الأرض ويذكر فـيهـا اسمـه حيث يسـبح له فـيهـا بالـغدو والآصال هؤلاء الرجال الذين ترتبط أفـئدتهم بالوصلة التى عن طريقها يسـتمر المدد الذى يستمـر به نور مصابيح القلوب، فهذه الشـجرة السماوية أو أصولهـا السماوية هى فى هذا المثل تقابل الروح الكلى الذى ينفخ منه فى بنى آدم. ومن ثم كانت أهمية السؤال عن الشجرة المباركـة التى إذا علمنا ما هى، أو عرفناها، سنعرف الروح الكلى الذى تستـمد منه النفـوس الآدميـة أرواحهـا الجزئية، والتى منـها يأتيهـا المدد بالزيت المبارك الذى تزدهر به مصابيح قلوب المؤمنين من الآدميين.

إن قـول الله عـز وجل عن الروح الجـزئى أو المصبـاح المزهر بالـنور فى قلب كل مؤمن بأنه (يوقد مـن شجرة مباركـة زيتونة) يذكرنا بالشجرة الكهـربائية التى تضىء مدينة من المدن والتى تتكون من مولد كهربائى ضـخم يخرج منه التيار الكهربائى فى موصلات رئيسية تتفرع فروعا أصغر وأصغر كلما إمتدت تشعبت شعبا حتى تضىء المصابيح ومن خلال موصلات دقيقـة تماما، كما تمتد الأوردة من القلب ثم تتفرع إلى أصغر وأصغـر حتى تصبح أوردة دقيقة جـدا كالشعيرات تغذى وتمد الخـلايا الدقيقة جداً بالدم الحامل للغذاء والأكسجين ومقومات الحياة، فالشجرة تشمل الأصل الذى ينبع منه النور والموُصّـلات المتفـرعة منها ثم المصـابيح المضاءة، فـيكون الروح الكلى بمثابة جـذور الشجرة وجـذعها أى أصلهـا.أما المصابيح المضـاءة فى قلوب المؤمنين، فتكون بمثابة فروع الشجرة وأغصـانها وأوراقها وثمارها.أى أن شجرة النور تمثل كل المؤمنين خـلال الزمـان الممتـد من أول الخلق إلى قيـام الساعـة، فـهم ليسوا أفـراداً

منفصلين، وإنما هم كيان واحد كالجسد الواحد أو كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا، لكن هذا البنيان على هيئة الشجرة التى لها جذور وجذع أو ساق وفروع وأغصان وأوراق وثمار. قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[ابراهيم: ٢٤] وأصحاب الكلمة الطيبة وهى كلمة الإيمان «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هم الذين ضرب الله تعالى مثلا لنوره فى قلوبهم بالشجرة المباركة الزيتونة السماوية، أى أن هذه الشجرة الطيبة هى المثل القرآنى لحزب الله، قال تعالى عن المؤمنين ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢] والشاهد فى هذه الآية على ما أقول هو قوله تعالى عن المؤمنين إنه سبحانه ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أى أمدهم من شجرة النور، وأنهم حزب الله والروح الذى هو منه هو «روحه» سبحانه وهو «الروح»، وهو القائل عنه رب العالمين (من روحى).

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لابد أن يكون فى هذه الحياة وما بعدها شجرة للكافرين المغضوب عليهم والضالين يتمثل فيها حزب الشيطان، وأعضاء هذا الحزب هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المجادلة: ١٩].

لأنه إذا كانت شجرة الإيمان التى يتمثل فيها حزب الله هى شجرة النور، فإن هذه الشجرة النقيضة لها لابد أن تكون هى شجرة الظلمات. وإذا كانت شجرة النور مباركة سماوية فلابد أن تكون شجرة الظلمات أرضية مبتورة إذ هى التى قال تعالى فيها ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[ابراهيم: ٢٦].

فهى إذاً مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار، أى بتراء، فهى غير مباركة. فهل ورد فى كتاب الله تعالى ذكر لهذه الشجرة الخبيثة؟

نعم، والدليل على كونها خبيثة ظلماتية هى قوله تعالى عن هذه الشجرة التى يتمثل فيها حزب الشيطان ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[الاسراء:٦٠ـ٦٥] فماذا تكون الشجرة الملعونة فى القرآن؟! إن قوله تعالى قبل ذكر هذه الشجرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أى كل الناس: مؤمنهم وكافرهم يدل على أن إحاطته سبحانه بهم إحاطة علم وإحاطة سلطان وهيمنة، وحيث أن المؤمنين حزب واحد، فهم بمثابة الشجرة المباركة النورانية، وحيث أن الكافرين حزب واحد فهم أيضا الشجرة الظلماتية الملعونة فإحاطة الله تعالى علما وهيمنة وسيطرة على هاتين الشجرتين هى إحاطة بالناس جميعا.ومن ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بعد ذكر إحاطته بالناس رسوله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج أنه سبحانه قد جعلها فتنة للناس، والفتنة هى الابتلاء بالشر والخير معا لقوله تعالى:﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الانبياء:٣٥] ومن ثم فالرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ ، والتى جعلها فتنة للناس، تلك الفتنة التى يميز الله تعالى بها بين الأخيار والاشرار كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:١ـ٣] فما هى الرؤيا التى أُريها رسول الله ﷺ وتثبت تميز الناس إلى حزبين متمثلين فى شجرتين؟!

يخبرنا عن هذه الرؤيا الحديث الذى أخرجه البيهقى فى الدلائل بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال «بينما أنا نائم فى المسجد الحرام..» وأخذ يقص حادثة الاسراء والمعراج إلى قوله ﷺ «..فاستفتح جبريل باب السماء، قيل من

هذا؟قال جبريل، قيل ومن معك؟قال: محمد، قيل أو قد بعث قال: نعم فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين..» إلى آخر الحديث.

فأرواح ذريته من المؤمنين هم حزب الله وهم فى مجموعهم الشجرة المباركة النورانية.ونفوس ذريته الكافرين هم الشجرة الخبيثة الظلمانية، فهم فى مجموعهم نصف الشجرة الملعونة في القرآن، ونصفها الآخر كفرة الجن. يؤكد هذا المعنى ما جاء عن آدم عليه الصلاة والسلام فى حديث الإسراء والمعراج الذى أخرجه البيهقى أيضاً بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه وجاء فيه .

(..ثم صعدبه إلى السماء فاستفتح، قيل من؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد.. قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم قالُوا: حياه الله منْ أخٍ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجئ جاء، فدخل فإذا هو برجل تام الخلقة لم ينقص من خلقه شئ كما ينقص من خلق الناس، فعن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثه، إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذى عن يساره بكى وحزن، فقال: من هذا الشيخ؟وما هذان البابان؟

قال: هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، وهذا الباب الذى عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن)(١).

يدل هذا النص من حديث أبى هريرة عن المعراج أن سيدنا آدم صار أصلا لشجرتين من البشر تفرعت إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله، الأولى طيبة والثانية خبيثة.

فنفوس الآدميين الخبيثة هى نصف الشجرة الملعونة فى القرآن، فما هى الشجرة الملعونة فى القرآن؟فسرها مفسرون بأنها شجرة الزقوم التى ورد ذكرها فى كتاب الله بقوله عز وجل ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا

(١) (رواه البيهقى فى دلائل النبوة ج٢ ص٤٠٣) ورواه البزار فى كشف الاستار ج١ ص٤٤ وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد كما أخرجه الحاكم وغيره.

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الصافات:٦٢-٧١] فشجرة الزقوم هى التى سيأكل منها الكافرون فى جهنم، بيد أن أصلها يكون فى أصل الجحيم.

فهل هى الشجرة الملعونة فى القرآن؟؟

الإجابة بالنفى، لا، لأن الله عز وجل لم يلعن شجرة الزقوم فى القرآن كما قرأنا السياق الوارد فيه ذكرها آنفا. كما أن قوله تعالى: ﴿الشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم...﴾ يمنع أن يكون المقصود فى آية الاسراء بالشجرة الملعونة شجرة الزقوم لأن التخويف بها بعد الأكل منها فى جهنم، والعياذ بالله، لا يفيد ولا يجدى، لذا فالأرجح أن الشجرة الملعونة فى القرآن هى فى الدنيا، وهى شجرة لأنها بيان للعلاقات والصلات التى تربط بين كل الملعونين أى أنها التشبيه الربانى فى القرآن الكريم للملعونين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

فمن هم الملعونون الذين يشكلون فى مجموعهم شجرة واحدة باعتبار أنهم حزب واحد لهم أصل واحد وأهداف واحدة وثمار واحدة؟أليسوا هم الطواغيت من الإنس والجن، والأبالسة من الإنس والجن، والشياطين من الجنة والناس، والكافرين والمشركين منهما؟!فكل هؤلاء قد لعنهم الله تعالى فى القرآن الكريم، وليس لهم فى القرآن الكريم إلا اللعن فى الدنيا والآخرة، والدليل على هذا قوله تعالى بعد ذكر الشجرة الملعونة فى القرآن مبينا أصل هذه الشجرة وجذورها الممتدة من أول الزمان ﴿..فسجدوا إلا إبليس..﴾ إلى قوله تعالى ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ لأن عباد الرحمن فروع فى الشجرة الطيبة والشيطان الإنسى أو الجنى أى الطاغوت(١) ليس له سلطان إلا على شجرته الخبيثة.

من أجل ذلك ذكر الله تعالى بعد آيات النور فى سورة النور الظلمات التى عليها أهل الشجرة الخبيثة بقوله تعالى بعد ذكر أحوال أهل الشجرة الطيبة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) راجع كتاب «المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت وهو الجزء الخامس من موسوعة أشراط الساعة للمؤلف.

أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[النور:٣٩ـ٤٠].

إن الطاغـوت الذى هو حالة الجمـع، بل التوحد، الرجسى الخبيث بين الإبليس الجنى الأول والابليس الإنسى الأول قـابيل اللـعـينين، هذا الطاغـوت هـو مـصـدر الظلمـات والشرور والخبـائث فى الأرض(١)، ومن ثم سيكونان معا هما فى أصل شجرة الزقـوم التى ستخرج فى أصل الجحيم فى الآخـرة قال تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾[فصلت:٢٧ـ٢٩] فـهـما اثنـان إذا اللذان أضـلا الإنس والجن أحدهـما جنـى وهو ابليس الذى رفض السجود لآدم عليه السلام، والآخر إنسى وهو اللعين قابيل قاتل أخيه، وهما مُنْظَران، وهما اللذان أضلا أهل جهنم من أول الخلق إلى قـيام الساعة(٢)، ومن ثم استحقا أن يكونا تحت أقدام أهل جهنم ليكونا فى أصل شجرة أهل الجـحيم كما كانوا فى الدنيا أصلاً لشـجرة الظلمـات الطاغوتية الـشركيـة والجزاء من جنس العـمل وعلى قدره، وعلى هذا فـالشـجرة الملعـونة فى القـرآن هى كل الذين لعنهم الله تعـالى فى القـرآن الكريم من أجل هذا ورد عند بعض المفسرين أنها شـجرة الزقوم فى قول، وأنها أبناء الحكم بن العاص الأمـوى فى قول آخر. وقـد رفض ابن جرير وابن كثـير وغيـرهما القول الثانى ورجـحوا القول الأول بالرغم من أن ما أورداه فى الـقولين.من أحاديث بنفس الدرجـة من الصـحة، الأمـر الذى يلزمنا بأن نتـوصل إلى تفـسـير يجـمع بين القولين.

---

(١) انظر تفصيل أخبار الطاغوت فى الجزء الخامس والسادس من موسوعة أشراط الساعة للمؤلف.

(٢) وقابيل هو المسيح الدجال،وتفصيل هذا فى الجزء الخامس والسادس من موسوعة أشراط الساعة.

أورد السيوطى رحمه الله تعالى فى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ عن مجاهد رضى الله عنه قال (فهم فى قبضته) وهذا التفسير يتوافق مع النظر إلى الناس جميعا باعتبار أنهم حزبان متمثلان فى شجرتين، أى أن علاقات الهيئة الجماعية لكل حزب منهما تتخذ شكل الشجرة، أى أصل وفروع وشعب وأوراق. وأنهما فى قبضته تعالى محيط بهم أو بهما جميعا.

أما تفسير قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك...﴾ فقد أورد السيوطى قول بعض السلف بأنها ﴿ما أُرِى فى طريقه إلى بيت المقدس﴾ أى ليلة الاسراء والمعراج، وهذا القول منسوب لإبن عباس رضى الله عنهما، وحيث ورد قوله تعالى: ﴿...والشجرة الملعونة فى القرآن﴾ مفعول به ثان بمعنى والشجرة التى أريناك إياها تلك الملعونة فى القرآن وقد وردت رؤيته ﷺ لكافرين فى جهنم على شمال آدم ﷺ ينظر إليهم حزينا باكيا، كما ورد فى السنة والاحاديث التى أثبتت رؤية النبى ﷺ شجرة الزقوم أيضا فى جهنم الأمر الذى يوضح أن الشجرة الملعونة هى جميع الكافرين أهل جهنم المخلدين فيها، حيث سيكونون على هيئة شجرة ملعونة فيها كما كانوا فى الدنيا حزب الشيطان على هيئة الشجرة الخبيثة والملعونة.

ومن ثم فقد أورد السيوطى فى تفسير هذه الآية ما أخرجه ابن جرير عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال رأى رسول الله ﷺ بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾ وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال أُرِيتُ ولد الحكم بن أبى العاص على المنابر كأنهم القردة، وأنزل الله فى ذلك ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة﴾ يعنى الحكم وولده هم الشجرة الملعونة التى رآها فتنة للناس. وحسب هذه الرواية تكون الرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ هى رؤية أبناء الحكم بن العاص على منبره ﷺ وقد أولها بأنهم سيملكون ويحكمون الأمة من بعده وقد حدث هذا، ومن ثم يكون هؤلاء من الشجرة الملعونة، إلا من رحم الله تعالى منهم، وليسوا كل الشجرة.

ومن ثم يمكن التوفيق بين هذا القول وبين تفسير الرؤيا بأنها ما رآه ليلة المعراج من الشجـرة الملعونة على شـمال آدم عليـه السلام وأيضـا الشجرة التى تـخرج فى أصل الجحيم وفـرع منها الكافرون من أبناء الحكم بن العاص لأن مطابقة الخبر العام على الخاص يـدخلهم فى الحكم دون اختـلاف أو تعارض، ويثبت هذا ويؤكده الحـديث الذى أخرجـه أبو يعلى والطبـرانى فى الكبيـر والحـاكم وغيـرهم عن عمـرو بن مرة الجهنى قال: ﴿استأذن الحكم بن أبى العاص عـلى النبى ﷺ فعرف صوته فقال إئذنوا له، حيـة أو ولد حيـة، عليه لعنـة الله وعلى كل من يخرج من صلبـه إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم يشرفـون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة، ذوو مكـر وخـديعة يعظمون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق﴾[1] وهذا يعنى أن الذين لعنهم النبى ﷺ من أبناء الحكم بن العـاص فرع من فـروع الشجـرة الملعـونة فى القرآن. فـمن هم الذين لعنهم الله تعالى في القرآن الكريم؟

قـال تعالـى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾[الاحـزاب:٦٤] وأول الذين لعنهم الله تعالى هو ابليس الجنى قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[ص:٧٧ـ٧٨] وكذلك لعن الله تعالى الظالمين أى المشركين قال تعـالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[غافـر:٥٢] وكذلك من الشجـرة الملعونة فى القرآن الذين يكتمـون ما أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩].

وكذلك من الشـجرة الملعونة المفسدون فـى الأرض.قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥].

فالذيـن لعنهم الله تعالى فى القـرآن هم الطواغيت والأبالسـة والشيـاطين والذين اتبعـوهم من الكافرين.هـؤلاء جميـعا هم حـزب الشيطان على هيئة الشـجرة التى

(١) حديث رقم ٣١٧٢٩ بكتاب كنز العمال للمتقى الهندى.

جذورها الطواغيت وجذعها الابالسة وفروعها الرئيسية الشياطين وفروعها الصغيرة الكافرين.

وشجرة الزقوم طعامهم وليست هي الملعونة بل هم الملعونون وبهذا تبين لنا مصدر الظلمات وأصلها في الأرض، ومن ثم يتعين علينا البحث عن مصدر النور.

أليس التاريخ البشرى، بل كل أحداث الحياة الدنيا، صراعا بين حزب الله وحزب الشيطان أي بين الإيمان بالله تعالى والكفر به، أو بين الإيمان بالطاغوت وبين الكفر به أو بين الظلمات والنور؟ !بلى قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥٦-٢٥٧].

إذاً الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان مستمر منذ كفر إبليس وقابيل اللعينان إلى قيام الساعة أو إلى يوم الوقت المعلوم فما هو ميدان هذا الصراع؟

إنه القلوب، قلوب الإنس والجن وهذا الصراع الذى شاءه الخالق جل وعلا فتنة للناس وإبتلاء لهم حتى يميز الخبيث من الطيب وهو الذى يعلل لنا وجود المتناقضات فى الحياة الدنيا، ومن ثم جعل الذات الإنسانية متقلبة بين النور والظلمات، أى بين الإيمان بالله واحدا لا شريك له وبين أديان الشرك والكفر والإلحاد.هذه الأديان الظلماتية التى خرقها الطاغوت ليخرج الناس من النور الذى خلقهم الله تعالى به إلى ظلماته.

إن الآدمى ـ كما سبق أن ذكرنا - قد خلقه الله تعالى بشرا من طين وفى هذه البشرية الطينية تكمن الشهوات الثلاث: البطن والفرج والغضب وهى جميعا مصدر الفجور عنده، لكن الآدمى ليس بشرا فقط، بل هو بشر انسان بالنَّفخة الالهية الكريمة من الروح الكلى، فالروح الجزئى الذى هو سر التقوى عند الآدمى هو سر الإنسانية فالبشرية طينية ظلماتية والإنسانية روحية نورانية، وقد أفلح من زكى نفسه بإعلاء

الروح على الجسد، وقد خاب من دساها بإعلاء الجسد على الروح، هذا الأخير خرج من نور الإنسانية الروحى إلى ظلمات الشهوات فتسفل أسفل سافلين كالانعام بل أضل. أما الاول فقد حافظ على الأمانة أى المنحة الروحية .

فالذى غرق فى فجور الشهوات الثلاث هو الذى غرق فى ظلمات البحر اللجى ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠].

فإذا كان الطاغوت هو أصل الظلمات فما يكون أصل النور المضاد أو النقيض له؟

أول ما يتبادر إلى الذهن هو القول بأن الله عز وجل هو أصل النور النقيض للطاغوت أصل الظلمات.

وهذا خطأ فادح بل هو شرك صريح وخرق للتوحيد الاسلامى.

لقد أخطأ بعض المفكرين هذا الخطأ الفادح الخطير حين قالوا إن الشيطان أو الطاغوت نقيض أو ضد للإله(١).

وحاشا لله تعالى أن يكون له ضد او نقيض لأن الأضداد مخلوقة، وماله نقيض أو ضد فهو بالضرورة مخلوق.

أما التوحيد الاسلامى فيقرر أن كل ما سوى الله من خلق الله عز وجل فهو وحده الخالق سبحانه، والشيطان الانسى قابيل مخلوق وعبد لله عز وجل بالعبودية الكرهية وإبليس الجنى مخلوق وعبد لله عز وجل بالعبودية الكرهية، والطاغوت الذى هو حالة الجمع بينهما هو أيضا من خلق الله عز وجل وهو عبد لله تعالى بالعبودية الكرهية، ومن ثم فهو مصدر للظلمات والشر فى الأرض ولابد أن يكون نقيضه أو ضده مصدراً للنور ومخلوقاً أيضا.

فمن هو مصدر النور المخلوق؟

---

(١) ذكر هذا عبّاس العقاد فى كتابه «إبليس».

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الانعام:١].

إن نور الله عز وجل فى قلوب المؤمنين هو روح منه وهو السراج المنير، وإن كان منسوبا لله عز وجل، فهو منسوب لله عز وجل نسبة تشريف وليس نسبة إلى ذاته عز وجل إذ من مبادىء التوحيد الاسلامى أن الله تعالى فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد فليس فيه شىء من خلقه وليست ذاته العلية المقدسة فى شىء من خلقه فلا حلول ولا اتحاد ولا توحد بينه وبين أحد من خلقه سبحانه وتعالى تقدست ذاته وعز جاهه وتنزهت صفاته وتعالى جده سبحانه، أما النور المذكور فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ فهو النور الذى جعله الله تعالى فى مقابل ظلمات الطاغوت بقوله ﴿..وجعل الظلمات والنور﴾ هذا النور هو الذى ضرب الله تعالى مثلا له بآية النور فى سورة النور، والذى مصدره الشجرة المباركة الزيتونة والذى علمنا أنه يضىء مصباح قلب المؤمن بنفخ الروح فيه، إن مصدر النور الذى يقابل الظلمات الطاغوتية إذن هو الروح الكلى.

ولنفخة الروح فى الآدمى أثره الإنسانى المهم.

الفصل الثالث

ما هى الأمانة التى حملها الإنسان وحده؟

انتهينا فى الفصل السابق إلى أن نور الله عز وجل فى قلوب المؤمنين هو من نور الروح الكلِّى، هذا النور هو الذى ضرب الله تعالى له مثلا بآية النور فى سورة النور، والذى مصدره الشجرة المباركة الزيتونة والذى علمنا أنه يضىء مصباح قلب المؤمن بنفخ الروح فيه، إن مصدر النور الذى يقابل الظلمات الطاغوتية، إذن الروح الكلى، ولنفخة الروح فى الآدمى أثره الإنسانى المهم:

إذ أن هذه النفخة هى التى ترفعه إلى مستوى الإنسانية، فهى سر الإنسانية وسر التكريم الآدمى حتى على الملائكة والأمانة هى المميز الجوهرى للإنسان على سائر الخلق، وكذلك الروح، فإن الصلة بين الأمانة والروح وثيقة، فما هى الأمانة؟

قال الله ـ عز وجل ـ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[الأحزاب:٧٢]. فإن هذه الأمانة لابد أن تكون هى النفخة، أو على الأقل، فإن الصلة وثيقة جداً» بين الأمانة وبين الروح المنفوخ فى الآدمى، لذا نستعرض أولا المعانى العامة للآية ثم نبحث بإذن الله فى معنى الأمانة، أما المعانى العامة التى يمكن استنباطها من الآية فهى:

أولا: المقصود بالسموات والأرض والجبال أى السموات ومن فيها والأرض وما فيها بما فى ذلك الجبال، أى العالمين أو المخلوقات جميعا، وإنما خص الله الجبال بالذكر رغم أنها على الأرض لأنها تمثل أعظم المخلوقات وأقواها فى حس الإنسان فى كل زمان ومكان، ومن ثم يتضح لنا عظم الأمر الذى قبله الإنسان كأمانة حيث أشفقت من حمله السموات والأرض والجبال على عظمها وهولها.(١)

ثانيا: إباء المخلوقات ورفضهن حمل الأمانة ليس معصية لله - عز وجل - لأن الله خيرها، بخلاف إباء ابليس السجود لآدم لأن الله - عز وجل - أمره بالسجود ولم يعرضه عليه كما يختلف إباء المخلوقات حمل الأمانة عن إباء ابليس السجود بأن الأول كان استصغارا بينما الثانى كان استكبار.

ثالثا: قبول الإنسان حمل الأمانة التى رفضتها المخلوقات العظيمة كان تهورا منه واندفاعا وظلما لنفسه وجهالة منه.

رابعا: تفيد كلمة ﴿عَرَضْنَا﴾ أن الله - عز وجل - خير السموات والأرض والجبال بين حمل الأمانة وبين رفضها.وتوحى صياغة الآية بأن العرض والتخيير كان فى الوجود الغيبى الأول للإنسان حيث جمع الله عز وجل المخلوقات كلها ومنحها لحظة تخيير وجودية، وعرض حملها عليها جميعا بلا استثناء.وهذا يستتبع أن الأمانة أمر غيبى.

خامسا: النتيجة المهمة المستنبطة من الآية أن كل المخلوقات باستثناء الإنسان أبت حمل الأمانة، ومن ثم يكون الإنسان هو الكائن المنفرد بحمل الأمانة.

وينبنى على هذه النتيجة نتيجة أخرى، وهى أن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات جميعا بحمل الأمانة..

---

(١) بل إن آية الأمانة تثبت بإفراد ذكر الجبال بعد ذكر الأرض أن الجبال ليست من الأرض، بل هى وافدة عليها من السماء وهذا ما يقرره العلم الحديث وذكره الله تعالى أيضاً فى كتابه صراحة بقوله تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها راوسى....﴾ فالقاء الرواسى فى الأرض بعد خلقها يثبت أن الجبال ليست من الأرض بل وافده عليها.

فإذا تساءلنا عن حقيقة الإنسانية أو سر الإنسانية، فإننا نقول أن الإنسانية هى مجموعة الخصائص أو الخاصية التى يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات. وذلك لأن الإنسانية هى ما ينفرد به الإنسان من خصائص فهى لا توجد عند غيره من المخلوقات الأخرى، فيستبعد من ذلك الخصائص والأحوال المشتركة بينه وبين الكائنات الأخرى.

وحيث أنه قد ثبت لنا أن الإنسان ينفرد عن سائر المخلوقات بحمل الأمانة، فإن الأمانة تكون هى جوهر الإنسانية أو فيها يكمن سر الإنسانية.

فإذا قلنا ما هى الأمانة؟

فكأننا نقول ما هو سر الإنسانية؟ والعكس فى ذلك صحيح والآن إذا أردنا أن نعرف ما هى الأمانة أو ما هو سر الإنسانية، فعلينا أن نبحث عن خاصية آدمية تتوفر فيها الشروط الآتية:

أولا: أن تكون هذه الخاصية مُكوِّناً أساسياً وجوهرياً فى حقيقة الإنسانية وليست عرضا من أعراضها.

ثانيا: أن تكون خاصة بالإنسانية فلا يشاركه فيها غيره من مخلوقات الله ـ عز وجل ـ حيث أنه المخلوق الوحيد الذى حملها.

ثالثا: أن تكون هذه الخاصية أو هذا الجوهر شيئا قابلا للضياع كما يكون فى استطاعة بنى آدم المحافظة عليه. وأساس هذا الشرط يكمن فى اختيار الخلاق العليم ـ سبحانه وتعالى ـ لفظ الأمانة للدلالة على الشىء الذى عرضه وحمله الإنسان. لأن المفهوم من الآية أن الله ـ عز وجل ـ عرض شيئا على المخلوقات. وهذا الشىء أمر غيبى، وهو ذو شأن خطير بالنسبة لمن يحمله فى حاضره ومستقبله، وبالرغم من كونه غيبيا، فإنه لابد أن يتصف بالمعنى الخاص للأمانة فى الأرض ونعنى به الوديعة المستردة التى يحاسب حاملها على الإفراط فيها كما يجازى بالمدح والثناء وغير ذلك على المحافظة عليها وتأديتها.

ومن ثم فهـذا الشيء الذى قبل الإنسان حملـه قابل للضياع أو التلف أو التـبديل والتغيير، وفى إمكان حامله أيضا أن يحافظ عليه.

رابعـا: أن يكون صالحـا لتـفسـير المعـرفـة والعلم والتفـقه والـتعلم عند الإنسـان باعتبارها خصائص ذاتية يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات.

ولقد اخـتلف المفسـرون منذ عهـد الصحـابة حتى الآن حول تحـديد الشيء الذى عرضه الله ـ عز وجل ـ على المخلوقات كأمانة وقبله الإنسان وحده.

ومن أبرز ما قيل عن الأمانة قديما أنها:

الصلاة: العبادة ـ الطاعة ـ التكليف ـ الرسالة السماوية. وهذه كلها أمور متداخلة، فالصلاة من العبـادة، والطاعة هى جوهر العبادة كما أن الـعبادة جزء من التكليف أو هى القيام بالتكليف والرسالات السماوية وهى ما كلف الله به الإنسان.

وقيل أنها الشهوة أى الغريزة الجنسية.

وفى العصر الحديث نجـد اتجاها جديدا ينحو إلى تفسير الأمانة بالحـرية والاختيار والمسئولية، وكلها خصائص متلازمة فقد خلق الله الإنسان لابتلائه ومن ثم جعله حرا مختارا، وهذه الصفة يترتب عليها المسئولية والجزاء فى الآخرة.

وإذا ما حاولنا إضافـة خصائص إنسانية ينفرد بها الإنسـان. نضيف إلى ما سبق أن قرره المفـسرون ـ القـدماء منهم والمحـدثون ـ عن الأمانة مـا قرره علمـاء الدراسات الإنسانيـة، حيث يرى المؤرخون أن الإنـسان كائن مـتميـز بالحضارة والتـقدم والرقى المطرد بينما يرى علماء الاجـتماع أن الإنسان كائن متـميز بالاجتماعـية. وقبل هؤلاء وأولئك فسر دارون الإنسان بأنه حيوان متطور، وليس هذا التفسير جديدا على الفكر الغربى المادى بل هو قديم قـدم الفلسفة اليونانية الوثنية التى فـسرت الإنسان على يد أرسطو بأنه حيوان عاقل أو حيوان ناطق.

ومن ثم يرى كـثير من الناس أن العـقل هو المميـز الجوهرى لـلإنسان وهو سـر الإنسانية ومن ثم يكون هو الأمانة فى مذهبهم.

وقد يرى البعض أن الخلافة هى الأمانة من حيث أن الإنسان ينفرد بها.

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعيد ذكر الخصائص المحتملة التى قيلت قديما وحديثا فى تفسير الأمانة وهى:

الصلاة، العبادة، الطاعة، التكليف، الرسالة السماوية، ثم الشهوة.ثم الحرية والاختيار والمسئولية.ثم العقل والنطق والاجتماعية والحضارة والخلافة.

علينا أن نختبر هذه الخصائص واحدة واحدة لنستبعد منها الخاصية التى لا تصلح أن تكون وديعة مستردة، أو التى لا تعتبر مكونا جوهريا فى الذات الإنسانية.أى التى لا تتوفر فيها الشروط الثلاثة المذكورة آنفا.حتى إذا استبعدنا كل الخصائص وبقيت عندنا خاصية واحدة تنطبق عليها الشروط المذكورة علمنا أنها الأمانة.

أما بالنسبة للصلاة والعبادة والطاعة والتكليف فإن القرآن الكريم يقرر أن كل المخلوقات مصلية مسبحة عابدة مطيعة لله ـ عز وجل.

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤].

وقال ـ تعالى ـ أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج:١٨].

أما بالنسبة للعقل والاجتماعية والنطق فإن القرآن الكريم يقرر أن الحيوانات اجتماعية عاقلة ناطقة.

قال ـ تعالى ـ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ إلى أن يقول ـ سبحانه وتعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:١٧ـ٢٦]، ويمضى الهدهد فى حديثه متعجبا من سجود البشر للشمس وعدم اهتدائهم إلى السجود ﴿لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض..﴾ وهكذا

يبدو منطق الطير أكثر استقامة من منطق الإنسان المشرك.ولاشك أن للطير وغيره من الدواب منطقا حيث قال سليمان: ﴿ياأيها الناس علمنا منطق الطير﴾.

ويؤكد اجتماعية الحيوانات وعقلانيتها ولغتها قول الله ـ عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ {الأنعام:٣٨}.

أما بالنسبة لخصائص: الحرية والاختيار والمسئولية وكلها مقومات لحقيقة الابتلاء.فليس الإنسان هو الكائن المبتلى والمحاسب وحده، ذلك لأن الجن حسب ما جاء عنه فى القرآن والسنة مخلوق مبتلى وحر ومختار فهو يفعل المعصية ويفعل الطاعة وهو يحاسب يوم القيامة على أفعاله كالإنسان ويدخل الصالحون منهم الجنة ويدخل الكافرون منهم النار.

ومن ثم فليس الابتلاء أو الحرية أو المسئولية أمر ينفرد به الإنسان ومن ثم فليس أحدها هو الأمانة.

يبقى بعد ذلك الشهوة وهو رأى قال به بعض المفسرين القدماء ولكنه رأى متهافت ومرفوض لأن الحيوانات مزودة بالغريزة الجنسية، ويتمثل سخف هذا الرأى فى أنه يجعل المميز الجوهرى للإنسان أمرا حيوانيا فينتهى بمساواة الإنسان بالحيوان.

أما الخلافة فهى أمر ينفرد به الإنسان فى الأرض، ولكنها ليست الأمانة حيث أنها لا تدخل فى الذات الإنسانية كمكون جوهرى بل هى مركز الإنسان الوجودى ووظيفته فى الكون والعلاقة بين الخلافة والأمانة كالعلاقة بين الوظيفة والمؤهل والدليل على ذلك أن الله ـ عز وجل ـ جعل الإنسان خليفة والجعل يفيد الجبر، أى أنه نصبه فيه تنصيبا، بينما خَيَّره فى قبول حمل الأمانة وديعة مستردة.

ولكن قد يقول قائل إذا كانت الحيوانات عاقلة ناطقة اجتماعية فما الفرق إذن بينها وبين الإنسان؟ إننا نرى الإنسان ذا حضارة متطورة نامية يوما بعد يوم وعلومه ومعارفه تنمو وتتعاظم سنة بعد أخرى بينما الحيوانات هى هى منذ أن خلقها الله ـ عز وجل ـ لا تقدم ولا تطور ولا تغير.أى أنها ثابتة وجامدة حضاريا ومدنيا مما دعا البعض إلى القول بأنها تأتى أعمالها بالغريزة بينما الإنسان يستخدم العقل؟

وللرد على هذا السؤال نقول: إن الله ـ عز وجل ـ خلق المخلوقات الحية فى الأرض وجعل لكل منها مجالا محدودا من السيادة فى الأرض فالطيور تسود الفضاء والحيتان والأسماك تسود المحيطات والبحار والوحوش تسود الغابات والنمل والحشرات تسود باطن الأرض، وتبرع النحلة مثلا فى صنع العسل بما يعجز الإنسان عن صنع مثله، وتغزل دودة القز من خيوط الحرير ما لم تصل صناعة الغزل البشرية إلى مستواه حتى الآن..وهكذا.ولكن سيادة الإنسان عامة شاملة جعل الله له ذلك فى كل الأرض فضاء وبحرا ويابسة فوق الأرض الصحارى والغابات وتحت الثرى أيضا.فبالعلم غاص الإنسان أعظم مما تغوص الحيتان، وطار أعظم مما تطير الطيور واخترق طبقات الأرض واستخرج من جوفها كنوزها وسخر ذلك لحياته فبينما أعطى الله ـ عز وجل ـ كل شىء خلقه ثم هداه إلى فعله أى أعطاه من الفهم والمواهب والملكات والامكانات ما يحقق به الدرجة المقسومة له من السيادة وفى المجال الذى حدده له الله ـ عز وجل ـ بمشيئته، فإنه ـ عز وجل ـ قد أعطى الإنسان وزوده بالعلم والاستطاعة اللازمين لتحقيق سيادته الشاملة الكلية فى الأرض حين علمه الأسماء وحين سخر له كل شىء فى الأرض وهذا هو الفارق الأساسى بين الإنسان وبين الحيوانات الأخرى.السيادة الشاملة فالحيوانات عاقلة ولها منطق ولغة وهى اجتماعية كذلك ولكنها تبدو بالنظرة السطحية غير ذلك لأن الله زودها بمقدار محدود من الفهم والعلم يتناسبان مع درجة سيادة كل منها.ولما كانت سيادة الإنسان أشمل وأكمل كان فهمه أوسع وأكمل وعلمه أوسع وأكثر، إنه العلم بكل الأسماء ومن ثم ظن كثير من الناس أن الإنسان هو وحده المخلوق العاقل وهذا خطأ وباطل بنص آيات القرآن الكريم.

بناء على ما تقدم فإن خاصية من الخصائص المذكورة لا تصلح أن تكون هى الأمانة لعدم توفر الشروط كاملة فى كل منها.

وهكذا أمامنا معرفتها بالوحى.ومن ثم علينا أن نعود إلى آيات القرآن الكريم التى تحدثنا عن خلق الإنسان لعلنا نجد فيها خاصية يتفرد بها الإنسان وتتوفر فيها الشروط الأربعة، ومن ثَمَّ تكون هى الأمانة.

نجد فى القرآن الكريم ثلاث آيات ونستعين بما ورد فى السنة الصحيحة بحديث شريف.

أما الآية الأولى فهى قوله ـ تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[ص: ٧١].

والثانية يقول ـ تعالى ـ فيها: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[السجدة: ٩].

ويقول ـ تعالى ـ فى آيات سورة المؤمنون التى تتحدث عن خلق الإنسان ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[المؤمنون: ١٢ـ١٤].

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ فى الحديث الشريف: «إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغه مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح»(١)

ولكى نتمكن بإذن الله ـ تعالى ـ من معرفة الأمانة أو جوهر الإنسانية من هذه النصوص الكريمة يتعين علينا أولا أن نعرف حقيقتين قرآنيتين:

الأولى: خاصة بمصدر الحياة فى الكائن الحى بعامة وفى الإنسان بخاصة.

الثانية: الفرق بين الإنسانية والبشرية كمصطلحين قرآنيين.

وبالنسبة للحقيقة الأولى فإنها تتبيَّن لنا من خلال الإجابة على هذا السؤال:

هل الروح هى مصدر حياة الجسد؟

أما عن الحقيقة الأولى فإنها تصحيح لخطأ شائع بين عامة المسلمين وخاصتهم، وهو اعتقاد كثير من المسلمين بأن الروح هى مصدر حياة الجسد، فإذا عرضنا هذا

(١) رواه الأمام أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن مسعود.

المعتقد على آيات الله ـ عز وجل ـ لتبين لنا كلمة الروح قد وردت فى القرآن الكريم بعدة دلالات هى على سبيل الحصر:

١ـ كاسم أو وصف لجبريل ـ عليه السلام ـ فى قوله ـ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء:١٩١].

٢ـ وردت كلمة الروح أيضا للدلالة على كلام الله أو كوصف له قال ـ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى:٥٢]، وليس القرآن فقط هو الذى أسماه الله ﴿روحا من أمره﴾ ولكن كل الآيات المنزلة من عنده على رسله هى روح من أمره ـ تعالى ـ قال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[غافر:١٥].

٣ـ كذلك وردت كلمة الروح معرفة بالألف واللام دون إضافة ﴿القدس﴾ أو ﴿الأمين﴾ إليها وهى تدل على كائن عظيم يخصه الله بالذكر عن الملائكة فى مثل قوله ـ تعالى ـ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[النبأ:٣٨] وقوله ـ تعالى ـ أيضا: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[المعارج:٤] وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر:٤]. وقوله عز وجل :﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

٤ـ وأخيرا وردت كلمة الروح مضافة إلى الله ـ عز وجل ـ إضافة ملكية (وليست للتعبير عن ذات الله كما يظن البعض خطأ) فى موضعين فى القرآن يتحدث فيهما الله ـ عز وجل ـ عن خلق الإنسان هما قوله ـ تعالى ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر:٢٩]، و ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾[السجدة:٩]، فالروح هنا منسوب إلى الله ـ عز وجل ـ نسبة ملكية لأنه كائن مملوك لله ككل شىء فى الكون وليس المنسوب إلى الإنسان ـ حسب دلالة هاتين الآيتين ـ سوى النفخة الإلهية الكريمة. لكن هذه النسبة نسبة تشريف وتكريم علاوة على أنها نسبة ملكية لله عز وجل، وتشريف لهذا الروح بنسبته له سبحانه.

٥ـ وردت مضافة «للقدس» فى قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: [النحل:١٠٢] وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧] ومثلها قوله تعالى بالنسبة لتأييد المؤمنين بعامة: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] وروح القدس هو روح منه ومن ثم فهو قدس، والدليل على أنهما كائن واحد هو أن التأييد بنور النبوة ورد منسوباً لروح القدس وللروح الذى هو منه. (١)

مما تقدم يتبين لنا أن الروح ليست منسوبة للإنسان، وإنما المنسوب للإنسان هو النفخة الإلهية الكريمة، وإذا نسبنا للإنسان روحا ـ تجاوزا ـ فإنما يكون ذلك باعتبار أنه الشيء الغيبى الذى يتلقاه ابن آدم بالنفخة الإلهية الكريمة من الروح المكرم المشرف المعظم الأقدس الكلى.

أما نصيب كل آدمى من الروح بالنفخة فهو روح جزئى خاص بكل آدمى، وهو سر نور مصباح قلبه.

والنتيجة الأهم هى أن النفخة الإلهية الكريمة فى الإنسان من روح الله ليست هى مصدر حياة الإنسان. حيث ليس فى الآيات السابقة ما يدل على هذا المعنى إطلاقا، حيث أن كل ما تثبته الآيات هو أن الله ـ عز وجل ـ يسوى الإنسان وينفخ فيه من روحه. فإذا قال قائل ينفخ فيه من روحه يعنى يحييه أو يعطيه مصدر الحياة، قلنا: أن هذا تأويل عقلى لا يدل عليه سياق الآية أو معانى ألفاظها فالذى يستنبط هذه النتيجة من الآيات السابقة متزيد ومخطىء فى استنباطه.

فإذا كانت الروح ليست مصدر حياة الإنسان فما هو إذن مصدر حياة الإنسان كما يدل عليه القرآن؟.

إذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الموت والحياة أو عن الأمانة والإحياء للأجساد لوجدنا أن مصدر حياة الكائن الحى الجسدية هو النفس، وأن سبب موت الإنسان جسديا هو خروج هذه النفس من جسده، وليس خروج الروح.

(١) سنعلم فى باب لاحق دلالة عبارة من الله عز وجل فى القرآن الكريم وأنها لا تعنى أنها من ذات الله سبحانه وتعالى وعز وجل عن أن يكون من ذاته شئ أو يتوحد مع ذاته شئ أو يحل بذاته فى شئ.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة نأخذ منها: ﴿..أنه من قتل نفسا بغير نفس أو ساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾[المائدة:١٣٢] وقوله ـ تعالى: ﴿إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[الطارق:٤].

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦] وقوله أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف:١٨٩]، فالآيات السابقة تدل على أن سبب حياة الإنسان ومصدر حياته هو النفس.

وفى بيان سبب الموت نجد آيات كثيرة تدل على أن السبب هو خروج هذه النفس ومفارقتها للجسد فالنفس هى مصدر النشاط الإنسانى الحيوى، وهى التى يقع عليها الموت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤] وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢] أى حين نومها.فالذى يتوفاه الله هو النفس وليست الأرواح.وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨].

وقوله ـ تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧]..فالذى يرجع إلى الجسد عند البعث هو النفس، وليس رجوعها إليه أمرا خاصا بالمؤمن فقط.وإنما هو أيضا واقع بالنسبة للكافر، قال ـ تعالى ـ مبينا خروج نفس الكافر ساعة الوفاة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] فملائكة الموت تقول لهم أخرجوا أنفسكم فلا تخرج فيخرجونها عنوة وقسرا.

وفى ذلك دلالة واضحة صريحة على أن الذى يخرج من الجسد ويسبب الموت هو النفس، ولم ترد آية واحدة تذكر خروج الروح كسبب للموت، مما يدل على أن مصدر حياة الإنسان هو النفس.

فإذا أضفنا ما استنبطناه من آيات الروح إلى هذا الاستنباط الأخير قررنا باطمئنان أن النفس لا الروح هى مصدر حياة الإنسان الجسدية.ومن ثم فالروح أمر آخر غير الحياة الجسدية عند الإنسان، بخلاف ما هو شائع في معتقدات عامة المسلمين.

والآن نعود لآيات خلق الإنسان الثلاث فى محاولة لاستنباط أو معرفة مصدر الإنسانية منها، بالاستعانة بالحقيقتين السابقتين، ونعنى بهما حقيقة مصدر الحياة الجسدية والتمييز بين حقيقتىْ البشرية والإنسانية، حيث علمنا أن البشرية هى الخصائص الحيوية الجسدية وأن الإنسانية هى الخصائص العليا لبنى آدم كالإرادة والاختيار والمعرفة والبيان والعلم.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢] فى هذه الآية بين الله - عزوجل - أنه سيخلق آدم أولاً بشراً حيث لم يقل: ﴿إنّى خَالقٌ إنساناً﴾ مع أن النتيجة النهائية لعملية الخلق هى آدم الإنسان وليس آدم البشر فقط، ولما كانت البشرية غير الإنسانية - كما علمنا - فإن ورود لفظ ﴿بشر﴾ له دلالته بل له دلالاته: منها أن الطين هو مصدر البشرية عند بنى آدم وأن الله- عز وجل - خلق آدم على مرحلتين.

الأولى : هى تسويته بشراً حيا بقوله للطين كن فكان قال سبحانه: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

الثانية: نفخ فيه من روحه فأنشأه خلقاً آخر فصار بهذه المرحلة بشراً إنساناً.

وقد شاء سبحانه وتعالى أن يخلقه هكذا للتكريم بمرحلتين، لأن من دلالة أن الله قد خلقه بيريه سبحانه، أي بعطائين: الأول هو الجسد البشري من طين، والعطاء الثاني هو نفخ الروح فيه من السماء ويدل على الأول في قوله (فإذا سويته) والثاني قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي).

المرحلة الأولى لخلق آدم البشر: والسؤال المهم الآن هو ماذا صار آدم بعد المرحلة الأولى، أي بعد أن سوَّاهُ الله تعالى؟ اليعض يظن ان آدم أصبح بالتسوية تمثالاً من طين لا حياة ولا حركة فيه، وهذا خطأ لتفسيرها التسوية بالمخالفة لدلالة اللفظ اللغوية إذ ينطلق أصحاب هذا التفسير من فكرة مسبقة خاطئة وهي ان الروح بالنفخة الإلهية الكريمة هي مصدر الحياة، فاعتبروا آدم قبل النفخ مجرد تمثال من طين.

وهذا التفسير مرفوض للأسباب الآتية:

١- التسوية فى اللغة تعنى تمام صنع الشئ أو تمام الفعل..

٢- الضمير الغائب فى سويتـه (الهاء) عائد على قوله تعالى (بشرا؟) فى الآية. مما يجعل المخلوق بالتسوية آدم البشر وليس آدم الإنسان.

٣- ليست الروح مـصدر حياة الـبشر وقد ثبت لنا بـطلان هذا القول، وثبت لنا أن النفس هى مصدر حياة الآدمى البشرية الجسدية.

٤- قولـه تعالى: ﴿...خلقـه من تراب..﴾ أى كونّه وصـوره فى الطين، أما قـوله تعالى ﴿..ثم قال له كن فيكون..﴾ يعنى بشراً.

وعلى ذلك فـإن قوله تعـالى:﴿فإذا سويتـه﴾ «يعنى فإذا أتممـت خلقه بشـراً سوياً كامل الحياة فيه قلب ينبض ورئة تتنفس وعين ترى وأذن تسمع».

ومصدر هذا كله عند آدم البشـر فى المرحلة الأولى من خلقه هو النفس. ثم النفخة الروحـية هى العطاء الإلهـى الثانى الذى صـار به آدم إنسانـاً وخلقاً آخـر، فكل الخلق بكلمة كن الإلهـية والإنسان بكلمـة كن وبالنفخـة الإلهيتين، وهذا فـضله تعالى على الإنسان أنه تعالى خلقه بيديه أى بعطائين.

المرحلة الثانية لخلق آدم الإنسان:

فإذا تبين لنا هذا فإنه يتحـتم علينا أن نسأل عن المرحلة الثانية فى خلق آدم، أى عن النفخة الإلهـية الكريمة، ماذا أعطى الله بها لآدم، إذ كان حيـاً قبل أن يتلقاها؟ وهنا تجئ الإجابـة الواضحـة بأن النفخـة الإليهـة الكريمة هى التى رفع الله عز وجل بهـا آدم من مسـتوى البـشرية الذى كان فـيه مجـرد كائن حى إلى مـستوى الإنـسان الذى هو فى أحسن تقويم. قـال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤] ولنتدبَّر قوله تعـالى فى هذه الآية: (.. خَلَقْنَا الإِنسَانَ..) ولم يقل (خلقنا الـبشـر...) وعلى ذلك تكون النفخـة الإلهية الكريمة أو الروح هى سـر الإنسانية، وهى جـوهر الإنسان، وحيث أن آدم تلقاها وهو حى، فإنه يمكن أن تضيع منه وهو حى.

فإذا اختـبرنا الروح بالشروط الأربعة التى اشترطـناها لتكون هى الأمانة، وجدنا أن هذه الشروط تنطبق عليها.

فهى أولاً: تدخل كجزء جوهرى فى الكينونة الإنسانية بل هى أساس ما هية الإنسانية ومصدر الإنسانية.

وهى ثانياً: شئ قابل للضياع وللمحافظة عليه لأن الإنسان تلقاها وهو حى بشرياً ومن ثم فهو يفقدها إذا فقدها، أو ضيعها ويظل حياً بشرياً،

وهى ثالثاً: أمر غيبى ﴿قل الروح من أمر ربى﴾.

وهى رابعاً: تخص الإنسان وحده ولا يشاركه فيها غيره من المخلوقات حتى الملائكة فلم يخلق الله مخلوقاً بالنفخة الإلهية من الروح سوى الإنسان.

ومن ثم يمكن القول بأن الأمانة هى الروح، وقد يعترض معترض بأن الأمانة أمر فردى يتلقاها كل فرد من أبناء آدم حيث أن الحساب والجزاء فردى من أبنائه على شئ لم يجوز أن يحمل آدم الأمانة وحده، ثم يحاسب كل فرد من أبنائه على شئ لم يحمله، وهذه الآية السابقة تتحدث عن الروح كأمانة حملها آدم وارتفعت به من مستوى البشرية إلى مستوى الإنسانية.

وهذا الاعتراض مرفوض حيث أن القرآن يثبت أن الأمانة أمر فردى، حملها كل فرد من أبناء آدم. وحدثنا القرآن الكريم عن خلق أبناء آدم بمرحلتى التسوية ومرحلة النفخة الإلهية الكريمة كآدم سواء بسواء.

مراحل تسوية كل إنسان من ذرية آدم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة: ٧،٨،٩].

فقوله: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ دليل على أن الآية تتحدث عن خلق أبناء آدم ثم قال: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾. فالتسوية والنفخة الإلهية الكريمة مرحلتان يخلق بهما الله ابن آدم فى رحم أمه. وليس كما يرى البعض أنهما مرحلة واحدة، ويستدلون على هذا بقوله تعالى: ﴿ونفختُ﴾ ولم يقل: ﴿ثم نفخت﴾ حيث - كما يقول أصحاب هذا الرأى (ثم تفيد التعاقب والتراخى فى

الزمن بين التسوية والنفـخة) وبعكس حرف الواو الذى يفيـد المعية. ولكن للرد على ذلك نعود للقرآن الكريم ونسأل عن كيفية ﴿تسويته﴾ حيث يأتى هذا المعنى كما تأتى مراحل التسوية تفصـيلاً فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون ١٢:١٤] هذه المراحل تنتـهى بأن تكسى العـظام لحـماً. وإلى هنا وتـتـمـاثل مـراحل تـكون أجنة الحـيـوانات الـعليـا (الثدييات) مع مراحل تكون أجنة بنى آدم عليه السلام.

ومنذ بدء تكوين الجنين أي منذ مرحلة النطفـة (البويضة الأنثوية الملقحـة بالحيوان المنوى للذكـر) وبعـد تعلق هذه الخلية بجـدار رحم الأم، أقـول أنه منذ البـدء وهذا المخلوق كائن حى ودلالة حـياته التغـذى والنمو، حتى أنه بعـد أن كان خلية حـية لا تُرى بالعين المجردة، أصبح فى حجم المضغـة، أى قطعة اللحم الصالحة للمضغ والتى تم مضغـها بين الأضراس فعلاً، ثـم يخلقه الله طوراً بعد طور حتى يأخـذ هيئة والديه الجسدية بعد أن يكسو الله تعالى العظام لحماً.

ثم بعد ذلـك يقول الله عز وجل: ﴿ثم أنـشأناه خلقاً آخـر﴾. ولا يملك المرء إلا أن يسأل: مـاذا كان، ثم مـاذا صار؟ إن الله - سـبحانه وتعـالى - يقرر أنه أنشـأ من هذا المخلوق أو من هذا النوع نوعـاً آخـر، يخـتلف عن النوع الأول اخـتلافـاً تامـاً، وهذا واضح من قوله: ﴿خلقاً آخر﴾. فإذا سألنا ماذا كان الجنين قبل الإنشاء الجديد، ثم ماذا صار بعده؟ وبماذا أنشأه الله إلى ما صار إليه؟

فليس أمـامنا سوى القـول بأنه كـان بشراً بالتـسوية التـى بدأت بالنطفة وانتـهت باكـتساء العـظام باللحم. وهى المرحلة الأولى التى صـار بها آدم كائـناً حيا فـقط أى بشراً، ثم صار إنسـاناً أو بتعبير أدق ارتفع من مسـتوى البشرية إلى مسـتـوى الإنسانية الأفضل والأكـرم والأرقى والأسمى، أى إلى أحـسن تقويم. كان بشـراً فقط فـصار بشراً إنساناً وهذا هو الإنشاء الجديد الذى نقله به الله عز وجل من خلق إلى خلق آخر أسمى وأعلى.

وبماذا نقله الله هذه النقلة العظيمة وبم رفعه الله إلى هذا المستوى الأكرم؟

هنا يأتى حديث رسول الله ﷺ - الصحيح ليجيب على هذا السؤال: «إن أحدكم ليجمع فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح». (١)

فبعد الأربعين الثالثة أى بعد عشرين يوماً بعد المائة من بدء تكوُّن الجنين تكُون العظام قد كُسِيَتْ لحماً فى آخر الأربعين الثالثة، ﴿ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح﴾ فالنفخة الإلهية الكريمة من الروح فى الجنين هى بعد التسوية وهى بلا شك تدخل عليه وهو حى، حيث هو حى منذ بدء تكوينه كجنين.

وعلى ذلك فليست الروح هى مصدر الحياة ولم ينفخها الملك بأمر الله - عز وجل - لكى تعطى الحياة فهو حى من قبل ولكن نفخها فيه لكى تعطيه شيئاً آخر هو الإنسانية، أى لكى ينشئه الله بها خلقاً آخر أى لكى ينقله من مستوى البشرية إلى مستوى الإنسانية، الذى هو أحسن تقويم.

وهكذا يثبت لنا أن النفخة الإلهية الكريمة تأتى فى مرحلة تالية فى الزمان بعد التسوية، حيث أن التسوية تتم خلال مائة وعشرين يوماً. وهذا يرد على الأعتراض القائل بأن النفخة مصاحبة للتسوية فى الزمان بدليل ورود حرف الواو وعدم ورود حرف ثم فى قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾. وفات أصحاب هذا الاعتراض أن الله تعالى قال ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر..﴾ وثم هذه هى التى تفيد التعقيب.

وهذا أيضاً يدل على أن آدم عندما سواه الله تعالى كان بشراً حيا قبل أن ينفخ فيه الروح كما أن الجنين كان حياً قبل أن ينفخ فيه الله عز وجل الروح.

فإذا اختبرنا الروح بالشروط التى اشترطناها فى الخصائص التى تصلح أن نحكم بها بأنها الأمانة لوجدنا الآتى:

أولاً: أنها أمر ينفرد به الإنسان ولا يشاركه فيه غيره حيث أن الله لا ينفخ الروح فى أجنة الحيوانات ولم يرد ما يثبت ذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

ثانياً: أن بنى آدم يتلقون الروح وهم أحياء ومن ثم إذا فقدها أو ضيعها بعضهم فإنهم لا يموتون بل يظلون أحياء، فهى بذلك وديعة مستردة قابلة للضياع أو للمحافظة عليها.

ثالثاً: تدخل الروح كقوة جوهرية فى الكينونة الآدمية الأمر الذي يُثبت أنها سر الإنسانية ومصدرها.

رابعاً: والأمانة كما قلنا وديعة مستردة. قبل الإنسان حملها فى لحظة تخيير فى مرحلة وجودية غيبية فهى أمانة غيبية والروح أمر غيبى.

خامساً: إذا حافظ ابن آدم الفرد على الأمانة (الروح) ظل إنساناً فى أحسن تقويم. وإذا فقدها ارتد إلى مستوى البشرية الذى هو فى مستوى الحيوانية أو إلى مستوى أدنى وأسفل من ذلك كل حسب عمله. فالأمانة يحملها كل فرد من بنى آدم.

هذا كله يثبت أن الروح هى الأمانة، وأنها سر الإنسانية ومصدرها.

وهنا نسأل كيف يحافظ الإنسان على الأمانة وكيف يضيعها؟

يحافظ عليها بتحقيق عبوديته لله وإقامة التكليف والقيام برسالته التى خلقه الله من أجلها، وهى إقامة خلافته لله فى الأرض، وكل ذلك يتم بطاعة الله ويضيعها بالكفر والشرك واستحلال وارتكاب المعاصى والكبائر وتحقيق عبوديته وخلافته لغير الله -عز وجل- فإذا ضيع ابن آدم روحه أو مصدر الإنسانية، فإنه لا يموت ككائن حى، حيث مصدر حياته ككائن حى هو النفس، بل يظل حياً، وإنما يموت فيه الإنسان. ومن ثم يَرْتَدُّ مرة ثانية إلى البشرية التى رفعه الله منها إلى الإنسانية عندما نفخ فيه من روحه. أى أنه لا يصبح بعد تضييعه الروح إنساناً، بل يصبح بشراً فقط، أى فى مستوى الحيوان. ولذلك وصفهم الله - عز وجل - فى القرآن بقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]: وقال تعالى أيضاً: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقال عن الكافريم أيضاً: ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

وبذلك يتضح لنا معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

[التين: ٤-٦]. وبصدق ذلك فى الواقع على الذين قال لهم الله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:٦٥] وقال عنهم أيضاً ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] لأنهم لما خسروا ذواتهم وسر إنسانيتهم أرتدُّوا كالأنعام إلى أقل من مستوى الإنسانية.

فعندما يفقد الإنسان سر الإنسانية فإنه يرتد أسفل سافلين، وهذا يدل على أن ابن آدم لم يبدأ حياته إنساناً بل كان كائناً حياً فقط، ثم رفعه الله إلى أحسن تقويم، فإذا كفر أو أشرك ضاع منه سر التقويم الأحسن، فارتد مرة ثانية أسفل سافلين، ولو لم يكن الأمر كذلك لما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ ولكان الأنسب استخدام لفظ، آخر مثل: ثم حططناه أو سَفَّلْنَاه أو أنزلناه، لأن رددناه يعنى أعدناه إلى ما كان عليه من درجة وجودية هابطة متسفلة أحط من الدرجة التى رفعناه إليها أى إلى أحسن تقويم.

موتى القلوب مع حياة أجسادهم هم الكافرون حقا:

كما يصف الله - عز وجل - الكافرين بأنهم موتى القلوب، لأن النفس هى مصدر حياة جسد الإنسان، أما الروح فهى مصدر حياة قلبه، ومضيع الروح ميت القلب قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠] والله هو محيى القلوب. كما هو محيى الأجساد ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]. فمعنى (..لا تسمع الموتى..) أى لا تسمع موتى القلوب.

وساعة وفاة العبد هى ساعة تسليم الأمانة، وبذلك فإن المؤمن هو الذى يحافظ على روحه ومن ثم تصعد نفسه تنيرها الروح وترجع إلى ربها راضية مرضية، أما الكافر الذى ضيع الأمانة وفقد الروح فإنه عندما يموت فإن نفسه فقط تخرج من جسدة مظلمة معتمة خبيثة ليلقى جزاءه على إفساد ذاته والإفراط فى أمانته وتضييعها.

والخلاصة أن الأمانة هى الروح، والروح هى سر الإنسانية، فى النفس الآدمية وهى حضور وجودى إيمانى ومعرفى فى آن واحد وهى أساس للعلم ونبعه والسؤال الآن: كيف تكون الروح معرفة أو نبعاً للمعرفة والعلم؟

الأمانة أو الروح الخاص سر تكريم الإنسان الفرد، والروح الكلى سر تكريم الإنسانية:

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن زيد بن وهب: «حدثنا حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة.

وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت. ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شئ، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة، فيقال : إن فى بنى فلان رجلاً أميناً. ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علىَّ زمان وما أبالى أيكم بايعتُ، لئن كان مسلماً رده علىَّ الإسلام، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه. فأما اليوم ما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا».

هذا الحديث الشريف يتناول نزول الأمانة فى جذر قلوب الرجال. كما يتناول رفع الأمانة أو قبضها من القلوب ولهذا الحديث عدة دلالات مستنبطة هى:

أولاً: أن الأمانة تنزل من السماء لأنه لا نزول إلى الأرض إلا من السماء، ومن ثم فهى أمر غيبى أو شئ غير مَادِّى وغير محسوس ومشاهد.

ثانيا: أن الأمانة تنزل فى جذر القلوب، وجذر الشئ أصله، أى أنها تنزل فى أعماق القلوب، وقد وجدنا أن الفؤاد داخل القلب واللب له صلته الوثيقة بالفؤاد وهو بمثابة الزيت الذى يوقد به المصباح، ومن ثم فالأمانة هى بالدرجة الأولى اللب الذى هو بمثابة زيت المصباح، وهذا يوافق وصف القرآن الكريم للشجرة مصدر الزيت بأنها لا شرقية ولا غربية أى سماوية. تلك التى منها المدد الذى يوقد منه المصباح.

وإن كان نفع اللب أو الزيت لا يتم إلا بسلامة المصباح أى الفؤاد ومن ثم سلامة القلب.

ثالثاً: إذا كان لب الشئ هو جوهره وحقيقته فإن الأمانة هى اللب الذى فى الفؤاد ومن ثم تكون هى حقيقة الإنسان وجوهره وسر إنسانيته.

رابعاً: توافق حديث نزول الملك بالروح لنفخها فى الجنين مع حديث نزول الأمانة فى جذر قلوب الرجال مع آيات النور التى تثبت نور الله - تعالى - فى قلب العبد المؤمن، هذا التوافق يؤكد أن الأمانة هى الروح حيث لم يرد أى نص يثبت نزول أى شئ على الجنين أو فى قلب الإنسان إلا الروح والأمانة. فالشجرة السماوية هى الروح الكلى الأقدس الأعلى، والمدد الذى يأتى منها للعبد هى روحه الخاص الذى يُوقِد مصباح فؤاده.

خامساً: قوله - عليه الصلاة والسلام - إن نزول الأمانة فى جذر القلوب معناه أن الأمانة تنزل بعد تكوين الجسد والقلب داخل الصدر فى الجسد، فهى تنزل على جسد حى به قلب ينبض وهو ما يوافق مجئ الملك بعد أربعة أشهر من بدء تكوين الجنين، هذا يؤكد أن الأمانة أو الروح ليست مصدر حياة الجسد، وإنما هى سر الإنسانية وجوداً ومعرفة وإيماناً، فهى مصدر حياة القلب.

سادساً: قوله ﷺ (ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة) معناه أن الأمانة سر الوجود الإنسانى كما أنها - وهى الروح - سر المعرفة الإنسانية معاً، فالروح مصدر معرفة أول، والوحى مصدر معرفة ثان، والوحى روح أيضاً كما سنرى بعد.

سابعاً: نزول الروح فى أصل القلب يفيد وحدة الذات الإنسانية روحاً ونفساً وجسداً لأن القلب جزء عضوى فى الجسد الإنسانى، وهذا الجسد هو مصدر البشرية التى هى أساس الفجور والشهوات والأهواء والخضوع الجبرى للضرورات الحيوية، وهو، أى الجسد، فى نفس ا لوقت وعاء الصدر والقلب والفؤاد ومن ثم فإننا نكون بإزاء ذات إنسانية بشرية واحدة لا تجزئة فيها بين بشرية وإنسانية أو قلب ونفس أو جسد وروح، بل الكل يصبح نفساً واحدة هى التى تعرف وتعلم وتعقل وتريد وتؤمن أو تكفر وتَتَّقى أو تفجر، ذات واحدة بقوى متعددة، لكن بعض هذه القوى

ينتمي من حيث الأصل فقط إلى العنصر ا لطيني، وبعضها الآخر ينتمي إلى العنصر الروحي النوراني الرباني في القلب، أي بعضها بشري الأصل وبعضها إنساني الأصل وبعضها إنساني الأصل - قال تعالى عن وحدة النفس الآدمية: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب:٤].

أي أن الفعل الذي يصدر عن النفس هو إنساني بشري في آن واحد، لكن من حيث طبيعة هذه الأفعال الخلقية، ومن حيث تصنيفها إلى خير وشر، فإن الفعل إذا صدر من النفس طاعة لله - تعالى - فإنه يكون نابعاً من القوى الإنسانية الروحية في النفس من معرفة وفقه وعلم وتقوى وإرادة، إذ يكون هذا الفعل بسبب غلبة هذه القوى الإنسانية في النفس على القوى البشرية المتمثلة في الفجور والهوى والنوازع الشهوانية. ومن ثمَّ فهو تزكية للنفس.

وإن جاء الفعل معصية لله - تعالى - فمعناه أن قوى البشرية غلبت قوى الإنسانية في النفس، ومن ثم يكون العاصي قد دَّساها أي تَسفَّل بنفسه نحو مستوى الأنعام والمرجع لغلبة الإنسانية على البشرية أو البشرية على الإنسائية هو النفس الآدمية المختارة، أي أن علة الترجيح ذاتية.

ثامناً: هذه الأعمال الاختيارية التي هي استجابات سلوكية في المواقف الابتلائية، هي العامل الحاسم في التغير النفسي أي في حالة النفس الآدمية المتردِّدَة بين أحسن تقويم وأسفل سافلين، إذ تتحدد درجة إيمان العبد أو دركه كفره بما تنتهي عليه حياته، أي عند المؤشر الذي يشير إلى درجة إيمانه أو كفره حسب خواتيم عمله.

أما العبد الذي كان مؤشر الإيمان عنده قريب من درجة الصفر، فإن الله - تعالى - يدخله من المواقف الابتلائية ما يكشف اختياره النهائي، إما إلى إيمان ولو قلت درجته، وإما إلى كفر أو نفاق تام لا إيمان فيه، أما إذا ما انتهى به حاله إلى نزول مؤشره إلى ما دون الصفر، فإنه من ثم يدخل في طور قبض الأمانة التي تسبب موت القلب واطفاء المصباح الرباني في قلبه، ويختم به على قلبه، فلا يؤمن بعد ذلك أبداً، وإن كان له بقية من عمر ومواقف ابتلائية أخرى، فالحكمة منها هي إستدراجه في دركات التسفل، لكي تتحدد درجة فجوره ودركته في النار، بحسب ما يتجرأ عليه من شر وبحسب ما يقترف من فجور، وذلك كله بعد قبض الأمانة.

تاسعـاً: القلب الأسود المرباد كالكوز مجـخياً هو هذا القلب الذى مال فـفرغ من الإيمان بعد أن قـبضت منه الأمانة لذلـك قال حذيفة - رضـى الله عنه - «وحدثنا عن رفعها» أى رفع الأمـانة من القلوب تلك التى نزلت من السماء فى القلوب. ذلك أن المداومـة على المعاصى تؤدى إلى أمـراض تنتهى بـتغليف القلب وتغـيره فـلا يصلح كَسكَنٍ للروح فيموت القلب ومن ثَّم فترفع منه.

قال حذيفة بن اليمان: «سـمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها، نكت فى قلبه نكته سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصيـر القلب على قلبين: أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُـجَخَياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا مـا أُشرب من هواه» إن القلب عندمـا يكون كالكوز مُـجَخَّـياً أى مائلاً أو مـقلوباً، فإنه يَفْرُغَ ممـا كان فيه، ولـم يعد صالـحاً أن يحتفظ فـيه بشئ وهذا يتوافق مع حديث رفع الأمانة وقبضها.

عاشراً: وكـما أن نزول الأمانة أو الروح فى جذر قلوب الرجـال يقوم به ملك من الملائكة، فـإنه من الأرجح أن رفعهـا يكون بملك أيضاً يقـبضـها أثناء نوم العـبد لأننا بإزاء حـدث غيـبى يحدث للإنسـان، ومن ثم لا يناسب رفع الأمـانة وقبـضهـا أثناء اليقظة، بل يكـون النوم هو الحالة المناسبـة لهذا الحدث لأن النوم فى حـياة البشـر أمر غيـبى أو هو شبـه غيـبى حيث هو الموتة الصـغرى أو هو الوفـاة المؤقتة ومـن ثم قال رسـول الله ﷺ : «ينام الرجل النومـة فـتـقـبض الأمـانة من قلبـه فـيظل أثرها مـثل أثر الوكت».

فـقبض الأمـانة فعل الله - تعـالى - فى قلب العـبد، وليس فـعلاً منسـوباً للنفس الإنسانيـة، ولكنه يتم بناء على أفعال العـباد السيـئة ووقوعـهم فى الشرك. لذلك يتم أثناء النوم، لكى لا تقبض الأمانة هذه القبضـة الأولى من القلب فيكون أثرها فيه مثل أى سلوك عملى فى فتنة أو ابـتلاء يتجرأ العبد فـيه ويرتكب معصيـة ويخون أمانة مما وكل إليه من أمانات، سواء كـان فعلاً من أفعال الفجور، أو كـبيرة من الكبائر، ومثل هذه الأعمـال لا يؤدى فعلها إلى قـبض الأمانة قبـضاً تاماً ورفـعها من القلب نهـائياً ولكن جزئياً، فـإذا تمادى فى فجوره وركن إلى الهوى وآثر الحيـاة الدنيا مرة تلو المرة،

حتى يصل العبد إلى مرحلة الكفر تقبض الأمانة منه للمرة الأخيرة، التي يكون فى قبضتها منه نهائياً ظلام القلب التام وضياع النور وفقد الإيمان نهائياً ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كَجَمْرٍ دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شئ».

أى ينام النومة بعد الإثم العظيم الذى كفر به صاحبه فتقبض منه الأمانة قبضاً نهائياً، فيكون أثر القبض فى هذه المرة الأخيرة كأثر الجمر الذى دحرجته على جلد الرجل فأحرقه فانتفخ الجزء المحروق، «فتراه منتبراً»، أى منتفخاً وليس فيه شئ أى يكون فارغاً. ويُفهم من هذا أن الأمانة لا ترفع من قبضة واحدة بل ربما تكون متكررة بحسب عدد الآثام العظيمة.

ورفع الأمانة نهائياً يعنى هلاك الذات الإنسانية فى النفس الآدمية فقبض الروح أو الأمانة معناه هلاك هذه الذات بموت القلب وظلام الفؤاد، مع استمرار حياة الجسد.

فالذات الإنسانية تنعدم بقبض الأمانة أو الروح نهائياً، والإنسان أو النفس الآدمية لا تحتفظ بالإنسانية إلا بالمحافظة على الإمانة أو الروح أو النور الإلهى فى القلب، وأنعدامها أو بقاؤها يكون مع حياة الجسد فلا يعنى قبض الأمانة موت الجسد، لأن الأمانة نزلت على الجسد وهو حى، ومن ثم تقبض الأمانة ويظل الجسد حياً، والدليل على هذا قول الرسول ﷺ : عن قبضها أنه يتم أثناء النوم. ثم قوله بعد ذلك: «ويصبح الناس يتبايعون..» دليل على استمرار الحياة البشرية.

حادى عشر: قوله ﷺ : «فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة» سواء كانت مادية أو معنوية والتبايع هنا ليس مقصوداً علي ما يتم فى الأسواق فحسب بل هو مثل قوله ﷺ : «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» فكل ما يتم بين الناس من أعمال ومعاملات وأشغال ومعاهدات واتفاقات كلها مبايعات، فلا يكاد يؤدى أحد الأمانة فيما يعمل أى بعد أن فرغت قلوبهم من الأمانات الغيبية يكون أول ما يظهر على حياة الناس هو خيانة الأمانات والعهود والمواثيق والغش فى البيع والرشوة فى الأعمال والوظائف حتى يكون صاحب الأمانة في قوم من الأقوام أو قبيلة من القبائل واحداً يشار إليه بالبنان..

الفصل الرابع

النبىّ ﷺ هو أكرم الخلق وأحبهم للخالق عز وجل فأين هو من الروح الذى هو سر التقويم الأحسن للإنسان؟

انتهينا فيما سبق إلى أن مصباح القلب الإنسانى يوقد من الشجرة الربانية المباركة، كما توصلنا أيضاً إلى أن النفخة الإلهية الكريمة للروح فى الجنين تكون من الروح الكلى، وأنها أيضاً التى بها يوقد مصباح قلب الإنسان. وعلمنا أيضاً أن هذا الروح الذى هو مدد متصل ومتواصل وموسل بين الروح الكلى وبين المصباح هو اللب الذى فى الفؤاد، والذى يظل به القلب حيا بنور المصباح. وعلمنا كذلك أن هذا الروح الجزئى أو الطاقة أو الزيت أو اللب هو الأمانة التى يمكن أن يحافظ عليها العبد، ويمكن أيضاً أن يُضيّعّها فينطفئ مصباح فؤاده ويموت قلبه ويرتد أسفل سافلين مع بقاء جسده حيا.

ومن ثيم تأكد لنا أن حركة الذات الإنسانية حركة ترددُيَّه بين أحسن تقويم وأسفل سافلين أو العكس بناءً على إختيارات الإنسان الإعتقادية والسلوكية، أى الاختيار بين الإيمان بالله تعالى واحدا لا شريك له وبين الشرك أو بين الطاعات والمعاصى، فإذا داوم العبد على المعاصى أو إستحلها وكفر بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، فإنه يكون قد إرتد أسفل سافلين، أى إلى المستوى البشرى البهيمى الذى كان عليه قبل نفخ الروح فيه، وقبل رفعه إلى مستوى الإنسانية بإنشائه خلقاً آخر، وهو مستوى البشرية المجردة من الإنسانية، والبشرية المجردة من الروحانية إن هى إلا نظيرة للانعام وربما أضل.

والآن: عودة إلى السؤال عن الروح الكلى الذى هو، كما علمنا، أصل الشجرة الربانية المباركة، من يكون هذا الروح؟ للإجابة على هذا السؤال المهم والخطير، من حيث كون الروح الكلى هو أصل الإنسانية ومصدرها، لابد أن نوضح حقيقة مهمة عن سنة مهمة من سنن الله تعالى العامة فى الخلق، ألا وهى سنة التفاضل بين الخلائق، فالله عز وجل رب العالمين، والعالمين جمع عالم، ولفظ عالم مشتق من العلامة، لأن العالم، من حيث كونه مخلوقاً، دليل وآية وعلامة على الخالق عز وجل.

بيد أن الله عز وجل لم يخلق عالما واحداً، وإنما خلق من العالمين ما لا يحصى عدده إلا هو سبحانه وتعالى، لأنه عز وجل الغنى الكريم المعطى الفعال لما يريد الذى على كل شئ قدير، وخزائنه سبحانه لا تنفذ.

وهو عز وجل لا يخلق لحاجة تعود إليه، لأنه هو الغنى، وإنما يخلق عطاء وكرما وجوداً، فخلقه عطاء، وعطاؤه سبحانه خلق، وعطاؤه سبحانه بمقتضى أسمائه الحسنى، ومن ثم فأسماؤه الحسنى مفاتيح خزائنه التى لا تنفذ. قال القرطبى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ⦗١⦘ عٓسٓقٓ ⦗٢⦘ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى:١،٣].

«أُخْتُلِفَ فى معناه، فقال عكرمة، قال النبىّ ﷺ «حم. اسم من أسماء الله تعالى، وهى مفاتيح خزائن ربك» أى أسماء الله الحسنى هى مفاتيح الخزائن الربانية، ومن ثم أمرنا الله عز وجل أن ندعوه بها، أى نطلب بها عطاياه الربانية قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويفسر أكثر المفسّرين «العالمين» بأنواع الخلائق: فالملائكة عالم والجن عالم والإنس عالم والطير عالم والثدييات العليا عالم والزواحف عالم والحشرات عالم والنبات عالم وهذه جميعاً عوالم الأحياء البرية، وثَمَّ ما يقابلها من عوالم الأحياء البحرية، وهكذا.

هذه العوالم ليست متجانسة، وليست متساوية فى الدرجة الوجودية، لأنها خاضعة لسنة الله تعالى العامة فى الخلق، وهى سنة التفاضل بين العوالم وبين

الأجناس وبين الأنواع بل وبين الفصائل، وحتى بين الأفراد فى النوع الواحد. فلا يوجد بين الخلق عالمان متساويان ولا نوعان متساويان ولا فردان متساويان.

ومن ثم يمكن علمياً وضع العالمين جميعاً على درجات سلم وجودى متصاعد، يحتل كل عالم درجة فيكون فيها ما هو أعلى وما هو وسط وما هو أدنى. وكذلك يمكن ترتيب الأنواع داخل العالم الواحد فى مثل هذا السلم، وكذلك يمكن ترتيب الأفراد فى النوع الواحد على سلم وجودى صاعد فيكون فيهم الأعلى مطلقاً والعالى والأوسط والأدنى والأسفل.

وحيث أن عوالم الأحياء خير وأفضل وأعلى من غير الأحياء، فإن من المسلم به أن ا لملائكة والجن والإنس ينفردون بالدرجات الثلاث العليا بين أنواع الخلائق جميعاً.

فأى هذه الثلاث هو الذى يحتل الدرجة الأعلى؟! إن الذى يحتل الدرجة الأعلى من هذه الأنواع الثلاث يكون بلا شك هو أكرم الأنواع على الله عز وجل وأفضل الخلائق قاطبة.

ولكى نتوصل إلى الإجابة القرآنية الدقيقة عل هذا السؤال يجب أن نبرز حقيقة مهمة أخرى من حقائق التفاضل بين الخلائق، ألا وهى أن كل نوع من أنواع الخلائق يكون مُسَخَّراً للأنواع التى تعلوه فى الدرجات الوجودية، ومن ثم تكون المواد الأربعة التراب والماء والنار والهواء مسخرة جميعاً للنبات، وهذا الأخير الذى يتكون من أجناس وأنواع وأصناف متفاضلة يكون الأدنى منه مسخر لما هو أعلى منه، ثم إن كل عالم النبات مسخر في مَجْمُوعِه لعالم الحيوان، وما فوقه من عوالم، وهذا النوع الحيوانى تتفاضل أجناسه وأنواعه وأصنافه إبتداء من الأدنى وهو الحشرات متدرجة صعوداً إلى الثدييات، حيث يكون كل نوع مسخراً لما فوقه، حتى يصبح أعلاها ومعها الأنعام التى أنزلها الله تعالى من السماء للإنسان مسخرة جميعاً للإنسان ركوباً ورزقاً له بأمر الله تعالى.

ومن ثم يصبح جميع ما في الأرض من تراب وماء ونار وهواء ومعادن وبحار وأنهار ونبات وحشرات وحيوانات وطيور وثدييات وأنعام كلها مسخرة للإنسان، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٢-٤] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤] فكل ما خلق الله تعالى فى الأرض والشمس والقمر مسخر للإنسان مع تسخير الأعلى فيها الأدنى.

ولا شك أن الملائكة والجن يشاركان الإنسان فى العقلانية والمعرفة، فمن يكون منهم مسخراً للآخر؟! وأى هذه الثلاثة يحتل الدرجة العليا فى سلم الخلائق التصاعدى التسخيرى؟

كثير من الناس يظنون أن الملائكة هى الأكرم على الله تعالى والأفضل من الجن والإنس، ومن ثم فهى الأحب إلى الخلائق عز وجل.

ومن هؤلاء فرقة المعتزلة التى قرر بعض شيوخها أن الملائكة أفضل من الجن والإنس بسبب طهرها وتنزهها عن الذنوب والمعاصى.

بيد أن المعتزلة ليسوا من أهل السنة والجماعة، لأنهم خالفوا أهل السنة فى مسائل إعتقادية أصولية وفرعية، ومنها هذه المسألة، ومع هذا فإن الإنصاف يلزمنا بأن نقرر أن المعتزلة من أقرب المخالفين لأهل السنة والجماعة والذى عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة هو تفضيل الإنس على الملائكة.

فحسب سنة الله تعالى العامة في الخلق بتسخير الأدنى للأعلى، وأن يكون عمل الأدنى وأثره وإنتاجه لصالح حياة الأعلى منه، فإن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً وجنوداً للإنس والجن قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] وقال عز وجل: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى:٥] وقال الرؤوف الرحيم سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وكما علمنا أن الله تعالى يرسل الملك لينفخ الروح فى الجنين فى نهاية الأربعين الثالثة، ومن ثم فإن للملائكة دوراً فى عملية خلق الإنسان بأمر الله تعالى وكذلك يثبت القرآن الكريم أن لهم دوراً فى وفاته قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

لقد جعل الله تعالى ملائكة للرعد والمطر والنبات وللأرزاق، وجعل على رأسهم ميكائيل، وملائكة لكل أحداث الكون التى تصب جميعاً فى استمرار حياة البشر والجان.

وفى أحداث الصراع بين المؤمنين والكافرين جعل الله تعالى ملائكة يحاربون مع المؤمنين ويطيحون برقاب الكافرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ

آلاف مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣:١٢٥].

كل هذا يثبت أن الملائكة مأمورة من الله تعالى ومكلفة بأن تكون فى ولاية الإنسان، وهذا يمنع أن تكون أفضل من الإنس وأكرم على الله تعالى منها.

ومن ثم يتبقى لدينا الدرجة الأعلى فى السلم التفاضلى للخلائق يتنافس عليها إثنان: الإنس والجن، فلمن يا ترى فيهما تكون هذه الدرجة الأعلى؟ إن النوع الأفضل منهما سيكون هو بلا شك سيد الخلائق جميعاً، والأعلى على كل الأنواع.

ومن ثم يكون كل ما تحته مسخر له، وهو ليس مسخراً لمخلوق غيره، وبالتالى لا يكون خاضعاً إلا للخالق عز وجل ولا يكون مخلوقاً لأجل شئ من الخلائق بل يكون مخلوقاً لعبادة الله وحده، ويكون جميع الخلائق مخلوقين له.

بينما كل نوع من الخلائق مخلوق لعبادة الله تعالى وتسبيحه والسجود له، وفى نفس الوقت يكُون مُسَخَّراً من أجل ما فوقه من خلائق.

وبناء على هذا يكون هذا الكائن هو الأكرم على الله قاطبة وهو الأحب إليه، وهو الأفضل بين الخلائق بلا استثناء.

فأى الثقلين أفضل: الإنس أم الجن؟

لقد حسم إخبار الله تعالى الملائكة بأنه جاعل فى الأرض خليفة، هذا الإخبار: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فعلم جميع الخلائق وعلى رأسهم الملائكة والجن أن الله تعالى اصطفى الإنسان ممثلا فى آدم عليه السلام على كل الخلائق، فصار هو النوع الأعلى مَنْصِباً على أعلى درجات سلم التفاضل الوجودى للخلائق جميعاً.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٩: ٣٠].

جاء فى الأثر «أنَّ الله تعالى فضل آدم على سائر خلقه بخمس:

١- خلقه بيديه.

٢- ونفخ فيه من روحه.

٣- وعلمه الأسماء.

٤- وأسجد له ملائكته.

٥- وأسكنه جنته.»

وهذه الخمس لم تكن لا للملائكة ولا للجن، والذى يقطع بتفضيل الإنس على الجن وعلى الملائكة معاً، هو أمرهم جميعاً بالسجود لآدم عليه السلام إقراراً لآدم، ممثلاً لبنى الإنسان، بالسيادة والعلو عليهم، وتنصيباً له خليفة لله تعالى ، أى نائباً له ووكيلاً فى الأرض فلا يعلوه بعد هذا فى الفضل غيره، ولا يكون بين صالحى الإنس مخلوق آخر بفضله، حتى ولا الملائكة الأطهار الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى مبينا أن السجود لم يكن لآدم بشخصه بل كان لآدم وذريته جميعاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الإسراء: ٦٠] فتدبر قول هذا الخبيث اللعين مبرزاً العنصر الطبنى فى الخلق الآدمى، متجاهلاً ومتغافلاً عن العناصر التكريمية الخمسة التى فضل الله بها الإنسان على سائر الخلق وهى النفخ فيه من روحه وتعليمه الأسماء وتسويته بيديه، أى بعطائين، وإسكانه الجنة وتنصيبه خليفة لله تعالى فى الأرض، فأسجد له ملائكته.

لقد صارت الملائكة بعد سجودهم لآدم وللآدميين فى صلبه أولياء محبين لهم، فى حين صار إبليس اللعين ومن تبعه من الجن والإنس أعداء لآدم ولزوجته ولذريتهما. قال تعالى :﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٦ -١١٧].

إن رفض إبليس السجود لآدم لم يُفْقِد آدم عليه السلام، ومعه ذريته، مكانة الأفضلية، بل كان هذا الإباء سبباً فى تَسَفُّله هو، أى إبليس، وأتباعه، حتى عن بنى نوعه أى الجن المؤمنين الذين سجدوا لآدم عليه السلام. (١)

إن اصطفاء آدم وذريته على جميع خلقه تعالى فى السموات السبع والأرضين السبع ثابت بكل ما ذكرناه آنفاً عن سنة تعالى العامة فى الخلائق جميعاً، وهى التفاضل وأيضاً عن تسخير كل شئ للآدميين.

وهذا هو اصطفاء الله تعالى الإنسان على العالمين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤].

فقوله تعالى: ﴿اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ على العالمين يفيد اصطفاءه على سائر أنواع الخلائق، لأن آدم كان موجوداً ولم يكن معه أحد من أبنائه وذريته حين اصطفائه، فالاصطفاء له اصطفاء له ولذريته على العالمين أى على جميع الخلائق: جن وملائكة وما دونهما.

(١) إذ رفض فريق من الجن طاعة إبليس و سجدوا لآدم مع الملائكة فى حين أطاعه فريق آخر ورفضوا السجود

وليس المعنى، كما قد يظن البعض أن الله تعالى اصطفى آدم للنُّبُوَّة على أبنائه الذين عاصروه وعاشوا معه كما اصطفى نوحاً وإبراهيم وآل عمران على العالمين، لأن اصطفاء هؤلاء الكرام على سائر ذرية آدم هو اصطفاء لهم مع آدم عليهم السلام ﴿على العالمين﴾ أى على جميع الخلائق من حيث أن الله تعالى اصطفى بنى الإنسان على جميع أنواع الخلائق الأخرى، ومن ثم فمن يصطفيه الله تعالى للنُّبُوَّة على بنى الإنسان فإنه يصطفيه بالتالى على العالمين، وليس على النوع الإنسانى وحده.

أما الشبهة التى من أجلها رفض شيوخ المعتزلة تفضيل الإنس على الملائكة فهى تكمن فى أن كثيراً من الناس، بل ربما أكثرهم، عصاة وأشرار وكفرة، وسيخلد كثير منهم فى النار فى حين أن الملائكة أطهار وعباد مكرمون.

وللرد على هذه الشبهة أقول وبالله تعالى التوفيق: إن التكريم هو لآدم الإنسان، وليس لآدم البشر، ومن ثم فالذى يظل فى أحسن تقويم، وهو تق،يم الدرجة الأعلى بين الخلائق جميعاً وهو المؤمن، فإنه بلا شك يكون أفضل وأكرم حتى من الملائكة لأن الذى يطيع الله تعالى ويمتنع عن معصيته، وهو يستطيع أن يعصى، ويعبد الله تعالى وهو مستطيع أن يعبد غيره، هو كمن يسبح ضد التيار، أما الملائكة فإنهم كمن يسبحون مع التيار.

ومن ثم يكون فضل المؤمن من بنى البشر على الملائكة عظيماً، كما أن الذى يرتد أسفل سافلين من بنى البشر، فإنه يهبط إلى مستوى أحط من الأنعام، لأن الله تعالى أعطاه من إمكانية الهدى والتقوى ومقومات التقويم الأحسن ما كان يمكنه أن يظل فى هذا المقام الأسنى وهذا هو ما نقرأه فى كتاب ربنا العزيز بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦ -٧].

أخرج إبن أبى حاتم عن أبى هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذى نفسى بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك واقرأوا إن شئتم قول الله :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ لأن الملائكة والجن والإنس وكل نفس أبرأها الله هم جميعاً من البرية.

كتب السيوطى رحمه الله فى الدر المنثور (وأخرج ابن مردوية عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله قال: يا عائشة: أما تقرئين قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال «كنا عند النبىّ ﷺ فأقبل علىٌّ فقال النبىّ ﷺ والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبىّ ﷺ إذا أقبل علىٌّ قالوا: جاء خير البرية [(١)] وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. [(٢)]

وكذلك من الأدلة على أفضلية الإنسان على من سواه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⟨٦⟩ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⟨٧⟩ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨] وكل هذا يدل على أن تقويم الإنسان وصورته أجمل وأحسن من الملائكة والجن لتفرده بالنفخة الإلهية الكريمة من روحه سبحانه وتعالى.

ولعل من الشبهات التى أدت إلى تفضيل المعتزلة الملائكة على إنسان ظنهم الخاطئ بأن هذا الاعتقاد يؤدى إلى القول بأن فلاناً من الناس يكون بهذا أفضل من جميع الملائكة حتى جبريل عليه السلام مثلاً، حتى لو كان فلان الآدمى هذا مسلماً ومؤمناً، فإنه لا يكون أفضل من ملاك يتلقى من الله تعالى وسيد مطاع أمين فى السموات كما وصفه الله عز وجل.

ولكن الرد على هذه الشبهة بسيطة وهو أن سنة التفاضل قائمة أيضاً - كما ذكرنا- بين أفراد النوع الواحد، ومن ثم لا يلزم من الإقرار بأفضلية الإنس على الملائكة أفضلية أحد المؤمنين على ملاك مثل جبريل أو إسرافيل أو من كان فى

---

(١) السيوطى / الدر المنثور حـ١ صـ ٤٢٤ .

(٢) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم / مجلد ٤ صـ ٥٣٨ .

مستواهما. بل يلزم أن يكون أول بنى الإنسان وأفضلهم أقرب وأحب إلى الله وأكرم على ا. تعالى من أول وأفضل الملائكة، والثانى أفضل من القانى وهكذاً. ومن ثم لا يكون مسلم من عامة المسلمين خيراً وأقرب إلى الله تعالى من كبار الملائكة مثل جبريل وإسرافيل أو ميكائيل.

فالتفاضل قائم بين بنى الإنسان وأفضلهم الأنبياء ثم الصديقين قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩ - ٧٠].

بيد أن النبيين بينهم تفاضل أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[الإسراء:٥٥] وفضل الله تعالى الأنبياء المرسلين على الأنبياء من غير المرسلين بالكتب والشرائع. قال تعالى :﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣] وفى الحديث الصحيح أن عدة الأنبياء أكثر من أربع وعشرين ألفا ومائة ألف نبى، وأما الرسل فعدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً. فالتفاضل قائم بين الرسل أيضاً.

ومن ثم فإنه، حسب هذه السنة العامة فى التفاضل بين الأفراد من كل طبقة، فلا بد أن يكون الأول بين الرسل هو الأول والأكرم على الله من بنى الإنسان، ويكون هو الأكرم على الله فى الخلائق قاطبة فلا يكون فى الخلق كله أقرب وأحب إلى الله تعالى منه. وذلك بعد أن ثبت لنا أن الإنسان هو أكرم الأنواع على الله عز وجل.

وهنا يتحتم علينا أن نطرح هذا السؤال: من هو أكرم الرسل على الله تعالى وأحبهم وأقربهم إليه؟ ذلك يقينا يكون هو أحب خلق الله تعالى قاطبة، أى يكون هو حبيب رب العالمين عز وجل وأقربهم إليه وأكرمهم عليه طُراً.

لكن قبل أن نجيب على هذا السؤال لا بد أن نتذكر النتيجة المهمة التى سبق تقريرها من قبل فى بحثنا عن حقيقة الإنسان وسر الإنسانية ومصدرها. لنجد أن

﴿الروح﴾ الكلى أو ما نسبه الله تعالى لنفسه بقوله:﴿من روحى﴾ وقوله تعالى: ﴿من روحه﴾ والذى هو يقابل النور الذى ضرب الله تعالى به المثل بالشجرة المباركة الزيتونة التى تمد قلوب الناس بما ينير مصابيحها. هذا الروح الذى هو أصل الشجرة النورانية ومصدر إنسانية الآدميين لا بد أن يكون هو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأحبهم إليه، بل وأفضل الخلق قاطبة، لأنه وإن كان تكريم الإنسان الفرد على سائر أفراد الأنواع لمجرد استمداده من الروح، فإن الأصل والمصدر لابد أن يكون هو الأكرم والأفضل والأحب إلى الخالق بلا استثناء.

لأنه إذا كان تكريم الإنسان الفرد لمجرد إمداده بفرع من هذا الروح الكلى ولاستمداده نوره وإنسانيته منه، فما بال الروح الكلى الذى هو أصل ومصدر هذا التكريم؟ لا بد حتما أن يكون هو الأحب إلى الله تعالى والأقرب إلى الخالق سبحانه بلا استثناء.

فمن يكون هذا الروح الكلى؟

إن هذا الروح الكلى لا بد أن يكون هو الذى تثبت النصوص أنه خير الخلائق طُرّاً، وأحبهم إلى الله قاطبة، وأحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه، ومن ثم تتوافق أدلة النصوص مع هذه النتيجة المستنبطة التى توصلنا إليها من خلال فصول هذا البحث الماضية كلها، وقدمنا على صحة مقدماتها الأدلة القرآنية والحديثية.

فمن الذى تثبت له نصوص الوحى هذا الوصف وهذه المكانة التى لا تنبغى إلا لعبد واحد من عباد الله عز وجل؟

إنه رسول الله المصطفى الخاتم سيدنا محمد ﷺ وسيد الخلائق جميعاً لأنه سيد الناس وإمام المرسلين وقائد النبيين فلا بد أن يكون هو الروح الذى يُنفخ في كل آدمى منه، وهو أصل النبوة ومصدر أنوار القلوب. ولا يجوز أن يكون الروح الكلى عبداً غيره وإلا لكان أكرم منه على الله عز وجل.

أما النصوص التى تثبت سيادته وأفضليته على الخلائق قاطبة فكثيرة.

منها ما أخرجه ابن ماجة رحمه الله بقوله ﷺ «أنا سيد الناس يوم القيامة..» وسيد الناس سيد الخلائق جميعاً لأن الإنسان خير الأنواع وسيد أنواع الخلائق.

وروى الترمذى عن العبّاس بن عبد المطّلب رضى الله تعالى عنه أن النبىّ ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم، وخير الفريقين،(١) ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» فهو خير الخلق أجمعين ﷺ وعلى آله وسلم. وخير الفرق هى النوع الإنسانى، وما تفرع النوع الإنسانى إلى فريقين إلاّ كان هو ﷺ «النفس المحمدية الإنسانية» فى خير الفريقين وما تفرع الفريق الأفضل إلا كان ﷺ فى خير الفرْعين وهكذا حتى كان فى خير القبائل وفى خير بيت من بيوت القبيلة الأفضل وخير نفس فى خير بيت. فهو بهذا خير الخلق أجمعين بمقتضى ناموس التفاضل.

وروى الترمذى عن أنس أن النبىّ ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر». وحيث أن أكرم الخلائق هو الإنسان أو الآدميين فإن سيدهم يكون أكرم الخلائق قاطبة على ربه ﷺ.

وروى الترمذى أيضاً عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى» فالعبد الذى يقوم مقاماً لا يقومه عبد غيره هو أكرم الخلائق على الله تعالى، وأحبهم إليه قاطبة.

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة أن النبىّ ﷺ قال: «إتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نَجِيّاَ وإتخذنى حبيباً ثم قال: وعزتى وجلالى لأوثرن حبيبى على خليلى ونجيىّ».

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد».

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سلم علىَّ ملك ثم قال لى: لم أزل أستأذن ربى عز وجل فى لقائك حتى كان

---

(١) أى الإنس والجن وهما خير الخلائق أو خير الفرق.

هذا أَوَانَ أذن لى، وأنا أبشـرك أنه ليس أحـد أكـرم على الله منك» وهذا نص صـريح صحيح فى أنه ﷺ الأكرم والأقرب والأحب لله عز وجل على الإطلاق.

وأخـرج التـرمذى فى كـتـاب المناقب أيضـاً عن ابن عـبّاس رضى الله عنـهمـا أن النبىّ ﷺ دخل على جماعـة من الصحابة يتعجبون من مكانة إبـراهيم وموسى وعيسى ويسألون عن مكانته هو ﷺ فقال لهم «قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله، وهو كذلك، وموسى نجى الله، وهو كذلك، وعيسى روحه، وكلمته، وهو كذلك، وآدم إصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فـخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشـفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فَـتُفْتَـح لى فيدخـلينها ومـعى فقراء المؤمـنين ولا فخر، وأنـا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر». (١)

إن النتيجة اللازمـة لما سبق هى أن رسول الله ﷺ وعلى آله هو الروح الكلى، لأنه لو لم يكن هو الروح الكلى لكانت روحـه مثل سائر الناس من حـيث استمـداده روحه من الروح الكلى، وعلى صحة هذا الفرض جـدلاً فإنه ﷺ تكون روحه فَرْعاً من أصل شأنـه شأن غيـره من الرسل الأربعـة أولى العزم، وعلى هذا لا يكون هو أكـرم الخلق على الله وأحبهم وأقربهم إليه سـبحانه، بل يكون الأولى بهذه المكانة هو الروح الكلى الذى هو الأصل والمصدر والمنبع لجوهر وحقيقـة الإنسانية المكرمة والمفضلة على سائر الخلائق.

وحيث أن النصوص أثبتت أنه ﷺ هو أكرم الخلق على الله عز وجل فإن هذا يكون ملزما بحقـيقة مؤ كدة وصـحيحة وهى أنه هو ﷺ الروح الكلى الذى نسـبه الله تعالى لنفـسه تشـريفاً وتكـريماً له، وأنه هو معـدن النبوة والإسـمـان ومن ثم تكون الحقـيقـة الأحمدية المحمدية حقيقة واحدة ذات أحوال متعددة ومراحل وجودية متعددة.

إن الذهن البشرى القاصر الذى لا يتصور الحقيقة المحمدية إلا فى هيئتها وأحوالها البشرية يصعب عليه التصديق بأن سيدنا محمداً ﷺ الذى كان جنينا ثم طفلاً ثم صبياً

---

(١) الترمذى / كتاب المناقب / باب فضل النبىّ ﷺ حديث رقم ٣٦١٦.

ثم شاباً وزوجاً وأبا وكـهلاً يمشى على قدمين في الأسواق يصـعب أن يتصور أنه هو الروح الكلى الذى يمد مصابيح قلوب المؤمنين بالطاقة التى تظل بها منيرة حية. وليس صعوبة هذا التصور إلا نتيجة الجهل بالحقيقة المحمدية وأحوالها.

لأن هؤلاء لا يميزون بين الحـقيقـة ا لنبوية الأحمدية قـبل خلق آدم، وبين الحقيـقة النبـوية المحـمدية فى هذه الحـيـاة الدنيـا من ناحـية، أى لا يميـزون بين النور النبـوى الأحمدى فى السماء وبين النور المحمدى فى القالب البشرى فى الحياة الدنيا.

وهكذا يتـبين لنا كمـا علمنا مما سبق أن النبىّ ﷺ هو الروح الكلـى الأقدس الذى ينفخ الله تعالى منه الأرواح فى النفـوس الآدمية جميعـاً، فهو ﷺ روح الأرواح الذى تُضاءُ منه مصابيح القلوب فينشئ الله تعالى به الآدمى خلقاً آخر فى أحسن تقويم.

هذه النتيـجة المستنبطة من المقدمـات الثابتة بالقـرآن والسنة عن سنن الله تعالى فى الخلائق، وعن حقيقة النفس الآدمية الكائنة بين البشرية المناظرة للأنعام أو لما هو أضل منها، وبين تقـويم الإنسانية الأحـسن، هى نتيجـة حتمـية ملزمة لكـل من يسلم بهذه الحقائق القرآنية الصريحة عن الخلائق بعامة وعن الإنسانية بخاصة.

ويمكننا أن نوضح ونؤكد وجه الإلزام بهذه النتيجة أو الحقـيقة الحتمية على الوجه التالى:

الحـقيـقة الأولى: خلق الله تعـالى الخلق (العـالمين) محكومين بنامـوس التفـاضل أحياء وغير أحياء.

الحقـيقة الثـانية: خلق الله تعالى العـالم الواحد من الخلق أنواعـاً متفـاضلة أيضاً، والنوع الواحد أصنافاً متـفاضلة كذلك، والصنف الواحد فصائل متـفاضلة والفصيل الواحد أفـراداً متفـاضلين، حتى يمكن أن نقـرر باطمئنان أنه ليس فى الخـلائق عالمان، متسـاوييْن وليس فى الأنواع نوعان متساوييْن متـكافئين، وليس فى الأصناف صنفان متساوييْن مـتكافئيْن، وكذلك حال الفصائل، وكـذا ليس فى الأفراد من أى فصيل أو من أى صنف أو نوع فردان متساوييْن متماثلين متكافئيْن.

الحقـيقة الثالثـة: النتيجة اللازمـة من ناموس التفـاضل العام فى الخلق أن يكون ثَمَّ عالم هو أفضل العـالمين، وثم نوع هو أفضل الأنواع، وثم صنف هو أفضل الأصناف وثَمَّ فـصيل هو أفـضل الفصـائل، وفى النهـاية أو فى البدء لابد أن يكون ثم فـردٌ هو أفضل الأفراد، لأنه بالتالى لا بد أن يكون هذا الفرد هو خيـر وأفضل الخلائق جميعاً، لأنه يكون خير الأفـراد على خير الفصائل على خيـر الأصناف على خير الأنواع على خير العالمين.

وبتعـبير آخـر أقول: أنه لابد أن يكون فى العالمين عـالم هو أفضل العالمين قـاطبة، ويكون أفضل نوع فـى هذا العالم هو أفضل الأنواع طُرًّا، ويكـون أفضل أصناف هذا النوع هو أفـضل الأصناف جمـيعاً، ويكون أفـضل فصـائل هذا الصنف هو أفـضل فصـائل الخلق أجمعين، ومن ثم يكون أفـضل فرد فى هذا الصنف هو أفـضل وأكرم خلق الله تعالى بلا منازع.

وحيث الإنسان هو أكرم أنواع الخلائق جميعاً فإن خير الناس وأكرمهم جميعاً هو خير الخلق أجمعين وهذا الذى توصلنا إليه هو الذى أشار إليه الرسول النبىّ الأمى ﷺ بقوله: «إن الله خلق الخلق، فجعلنى فـى خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم تخـير القبائل فجعلنى فى خيـر قبيلة، ثم تخير البيوت فـجعلنى فى خير بيوتهم، فأنا خـيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً» (١)

فقوله ﷺ «فـجعلنى فى خير فرقـهم» أى فى خير الأحياء لأن الحى خيـر من غير الحى أى خيْر من الجماد وقوله ﷺ «وخير الفـريقين» أى خير فريق من الثقلين، فجعله فى الإنس وهم خير من الجن وقوله «ثـم تخير القبائل فجعلنى فى خـير قبيلة» أى أن القبائل التى جعله فيها هى خير القبائل، بل صارت به ﷺ خير القبائل، وقوله ﷺ «ثم تخيـر البيوت فجـعلنى فى خير بيوتهـم» ومن ثم فهو أفضل فـرد فى أفضل بيت فى أفضل قبيلة فى أفضل الفريقين فى خـير الفرق ﷺ ، ومن ثم قال فى نهاية الحديث «فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتاً» وحيث أن ولد آدم هم خير الفرق أو الأنواع وهو سيد ولد آدم كما قال فى حديث الشفاعة فإنه ﷺ خير خلق الله تعالى طُراً.

(١) سبق تخريجه.

أما فى حـديث الطبرانى عن ابن عمـر فقد قـال رسول الله ﷺ «إن الله اختـار خلقه فاختار منهم بنـى آدم، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب، ثـم اختارنى من العرب، فلم أزل خـياراً مـن خيـا، ألا من أحب العـرب فبـحبى أحبـهم ومن أبغض العـرب فببغضى أبغضهم». (١)

وعلى مستوى القرون أى الأجيال بعثه الله تعالى من خيرها، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة، رضى الله عنه قـال رسول الله ﷺ وعلى آله «بعثتُ من خيـر قرون بنى آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذى كنت منه». (٢)

والقرن هو فخير القرون قرنه الذى بعث فـيهم ﷺ، فلأنه ﷺ خير الخلائق أجمعين فالخـيرية تلحق كل من يكون منهم وفيـهم ومعهم ﷺ . فـالخيرية تلحـقهم منه وليس العكس.

وبناء على هذه الحقائق نتساءل عن الصلة بين الروح الكلى الأقدس وبين النبى ﷺ لنجد أن هذه العلاقة بينهما لا تتعدى الاحتمالات التالية:

الاحـتمـال الأول: أن يكون صلة النبىّ ﷺ بالروح الكلى الأقـدس صلة أو علاقـة الجزء بالكل، والفـرع بالأصل شأنه فى هذا الشـأن كل كمؤمن يمـده الله تعالى بالروح منه، وكـذلك شـأن كل نبى ورسول صـلى الله عليهـم جمـيعـاً وسلم، فـيكون بهـذا الاحتـمال النبى قـد تلقى من الروح الأقدس فـيكون هو الفرع والـروح الأقدس هو الأصل.

الاحـتمـال الثانى: أن يكون الروح الأقـدس الكلى هو الذى يسـتمـد من النبىّ ﷺ حقـيقـته الروحـية، ومن ثم يكون الروح فـرع من النبوة فـيكون أقل منها ودونـها فى الفضل.

الاحتـمال الثـالث: أن يكون النبىّ ﷺ هو عين الروح الكلى الأقـدس الذى يمد الله تعالى منه نفـوس الأنبياء والمؤمنين بـالروح أى أن هذا الاحتـمـال يقضى بأنه لا يكون النبىّ ﷺ كائناً والروح الكلى الأقدس كائناً آخر غيره، بل يقـضى بأنهما حالان لحقيقة واحدة.

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب/ الباب الأول حديث رقم (٣٦٠٧) وقال حديث حسن.

فأى الاحتمالات الثلاثة هو الصحيح؟

بإختبار الاحتمال الأول وافتراض صحته نجد أنه أصل الإنسانية، ومن ثم فإنه يتحتم حسب هذا الاحتمال أن يكون الر وح الكلى الأقدس الذى هو أصل الإنسانية هو الأقرب والأفضل والأحب والأكرم عند الله تعالى من النبىّ ﷺ بإعتبار أن الإنسانية أفضل الخلائق، وهو أصلها ومنبعها ومن ثم لا يمكن أن يكون النبىّ ﷺ وهو حسب هذا الاحتمال - جزءٌ من كل وفرع من أصل - هو أكرم الخلق على الله تعالى بل يكون الر وح الأقدس هو الأقرب وتكون مكانة النبىّ ﷺ فى درجة دونه وحيث قد ثبت لنا بالنصوص الصحيحة الثابتة أن سيدنا محمد النبىّ الآمى والرسول الخاتم هو أفضل الخلائق بلا منازع فإن هذا الاحتمال الأول يكون باطلاً لأن الفرع لا يفضل الأصل والجزء لا يفضل الكل الذى هو صادر عنه.

أما الاحتمال الثانى: وهو إستمداد الروح الأقدس من النبىّ ﷺ فهو مصادم لجميع النصوص القرآنية التى تنص على خلق النبيين والمؤمنين والناس أجمعين بنفخة من هذا الروح الأقدس الكلى كما مر بنا، ولم يرد ما يدل على استمداد الروح الكلى الأقدس من النبىّ ﷺ، ومن ثم فهو أيضاً احتمال لا دليل عليه، علاوة على مخالفته تعارضه مع النصوص.

وبهذا لم يبق أمامنا إلا الاحتمال الثالث وهو أن يكون الروح الأقدس الكلى هو النبىّ ﷺ والنبىّ ﷺ هو الروح الأقدس وكلاهما حقيقة واحدة بحالَيْن حال النبوة الأحمدية والنبوة البشرية وحال الروح الأقدس التى تستمد النفوس أرواحها بأمر الله تعالى منه.

الباب الثانى

أبوة النبي ﷺ الروحية للمؤمنين فى القرآن والسنة

الفصل الأول: آدم هو الأب البشرى الجسدى لذريته فمن هو الأب الروحى لهم؟
من صـ ٩٩ - ١١٠

الفصل الثانى: الدليل قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) صدق الله العظيم
من صـ ١١٣ - ١٢٤

الفصل الثالث: ما كان محمد ﷺ أباً لواحد من المؤمنين فقط، لأنه الأب الروحى لكل المؤمنين من الآدميين بمن فيهم آدم نفسه.
من صـ ١٢٧ - ١٣٣

الفصل الرابع: الأحاديث الصحيحة الدالة على نزول آية الأحزاب متضمنة قوله تعالى « وهو أب لهم »
من صـ ١٣٥ - ١٤١

الفصل الأول

آدم هو الأب البشري الجسدي للآدميين فمن هو الأب الروحي لهم؟!

الأرض مصدر لبشريةّ الآدميينّ وآدم أبو البشرية فيهم، والسماءُ مصدر لأرواحهم، فمن هو أبو الروحانية والإنسانية فيهم؟!

لقد ثبت لنا بالآيات القرآنية ذات الدلالات القطعية، وبالأحاديث الصحيحة ذات المتون الصريحة، أن الله تعالى خلق آدم بشرا إنسانا من عنصرين.

الأول: الطين، الثاني: الروح أو النفخة الربانية من الروح الأقدس الكلي.

وهذان العنصران لكل منهما مصدر.

الأول: الأرض مصدرٌ للطين.

الثاني: السماء مصدرٌ للأرواح المنفوخة في الأجنة البشرية، وكل عنصر منهما أصل لطبيعة من الطبيعتين اللتين تتكون منهما الكينونة الآدمية، وقد ثبت لنا أن الطين هو أصل الطبيعة البشرية. وأن الروح أصلٌ للحقيقة الانسانية وجوهرها.

ومعنى قولنا أن الطين أصل البشرية والأرض مصدرها، هو أنها مخلوقة من حفنة منتخبة من كل أنواع التربة في الأرض، بعد أن تم مزج هذا التراب بقدر معلوم من ماء منتخب أيضا من جميع أنواعه المياه في الأرض، وبهذا صارت الأرض كلها

أصلا ومصدراً للبشرية فى آدم عليه السلام قال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٣-٥٥]. فالأرض أصل ومصدر لبشرية الناس جميعًا.

فقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ.. ﴾ دليل على أن الأرض أصل ومصدر للبشرية في الجبلة الآدمية.

وحيث أن الأرض هي من العالم المادي المحسوس المشاهد، فإن استمرار حياة العنصر البشري المخلوق منها والمتمثل في الجسد، استمرار هذه الحياة، أي بقاء الجسد البشري حيا يتوقف على دوام التلقى من هواء الأرض، ومن نباتها المستخرج من طينها، ومن الأنعام التي تعيش على مائها ومرعاها، حتى أن ثَمَّ تماثلا بين كوكب الارض وبين جسم الآدمي.

بحيث يمكن القول بأن الجسد الآدمي كوكب أرضي صغير. وذلك لأن كوكب الأرض يتكون من الغلاف الجوي الذي يحيط، بل ويطبق على سطح الكرة الصلبة المليئة بالمياه والاحياء، والتي يمسكها من أن تميد بهم ما عليها من الرواسي الشامخات التي تمتد أضعاف حجم ما يظهر منها على سطح الأرض في باطنها ألا وهي الجبال وكأنها الهيكل العظمي للأرض كما أن للآدمي هيكلاً عظميا، وللأرض باطن كما أن للانسان باطنا أيضا.

والغلاف الجوي الذي يعلو الجسم الصلب والسائل للأرض يقابل صدر الآدمي لأن هذا الغلاف الجوي قد جعله الخالق سبحانه مصدر الرزق للصدر، حيث يأخذ الآدمي بالشهيق الأكسوجين من الهواء الذي يدخل صدره، فالغلاف الجوي لكوكب الأرض هو صدرها، وصدر البدن الآدمي هو غلافه الجوي.

أما سطح الأرض وجبالها الخضراء والهضاب والسهول المخرجة للأعشاب والمحاصيل والفواكه وما بها من أنهار وعيون، كل هذا يقابل في جسد الآدمى معدته وجهازه الهضمى ومن ثم جعل الله تعالى الرزق الذي يملأ المعدة، وهو ما يخرج من

نبـاتها ومن أنعـامهـا من ألبان ولحـوم ومحـاصيل وفـواكه، وكـما يقع البطن أسـفل الصدر، كذلك فـإن موقع نبات الأرض وأنعامهـا على سطح الأرض أسفل الغلاف الجوي كذلك، كمـا أن موقع معدة الانسان أسفل صدره، جـاء توضيح هذه الحقائق في آيات سورة طه المذكورة آنفا، فذكر سـبحانه خلق الأرض لنا، ثم النبات والأنعام، مع بيان خلـق بنى آدم منها، وموتهم فـيهـا، وإخراجهم منهـا تارة أخرى للحـساب. ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.. بعد أن أخـبر عن إخراج أرزاقنا منها نبـاتات شتى ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾..

حقا إن استمرار حياة الآدمي الجسـدية متوقف على استمرار ما قدره الله تعالى من أرزاق أرضية: هواء ومـاء وغذاء. ومقياس جـودة الصحة الجسدية يتـمثل في جودة دخول الهواء أي شـهيقه لأخـذ الرئة الأكسوجين منه، وجودة زفـيره أي خروج ثاني أكسـيد الكربون منه، وكـذلك جودة دخـول الماء والغذاء الى جـوفه وجـودة خروج فضلاتهما منه.

وهذه المظاهر الحيوية للآدمي هي من الأمور المشتركـة بين جميع الأحياء الأرضية وبخاصـة الثدييـات، لأن جمـيع هذه الأحيـاء مخلوقـة من الأرض كبشـرية الآدمي المتمثلة في جسده.

ألم تر أن الله تعـالى قال: ﴿إذ قال ربك للمـلائكة إني خالق بـشرا من طين﴾. ٧١ / ص فكل مـا هو من الطين في الآدمي هو مـحض بشريتـه وقال تعـالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾..

ومن ثم يمكن أن نقـرر باطمئنـان أن الأرض هي أصل ومصـدر البشـرية عند بنى آدم.

وحيث أن أصل الشئ ومـصدره لغة هو أُمُّـه، فإن الأرض تكون أم البشـرية فقط عند الآدميين بعامة بالتـبعية لأبيهم آدم وهي أم البشرية فقط أيضـاً لشخص آدم بصفة خاصة. لأن الله تعالى لم يخلق من الطين إلا البـشر، ولم يخلق البشرية إلا من الطين فالأرض أمُّ البشر جميعا آدم وذريته.

أما بالـنسبة لأبوة آدم عـليه السلام لـذريته فلأنـه صار الأصل الثانـي بعد الأرض لبشريتـهم، لأن الله تعالى شاء أن يخلق أبناءه وذريته منه ومن زوجه عليـهما السلام، ومن ثم صار للبشرية أصلان اثنان يولد منهما البـشر. وإن كانت حواء عليها السلام، قـد خلقهـا الله تعالى من ضلع آدم عليـه السـلام، ومن ثم يكون آدم عليه السـلام هو وحده الذي خـلقه الله تعالـى من الطين مباشـرة، أي سوَّاه من الطين، وأمـر الطين أن يتحـول إلى جسده الحي الآدمي، قال تعـالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خـالق بشرا من طين فإذا سـويته﴾. ٧١/ ص. الآية، أما تفـسير قوله تعـالى: ﴿سويته﴾ فـفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] ومـعنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ هيأه بمزجه بالماء ليـصير طينا، ثم جعل الطين على صـورة الجسد الآدمي، ودليل هذا التـفسير من القـرآن الكريم أيضاً قوله تعالى حكاية عن قول المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام.. ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فالخلق قد انصب على الطين ليكون كهيئـة الطير وليس طيرا، وإنما صار طيرا حيا بعد أن نفخ فيه عيسى عليه السلام بنفســه، أي بزفير فيه، معجزة له من الله تعالى لبني إسرائيل.

أما كيفية خلق الله تعالى لعيسى عليه الصـلاة والسلام فهي شبيهة بكيفية خلق آدم عليهما السلام، لقوله تعـالى عنه ﴿كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.. فـالخلق هنا يخص الجـانب البشري الجسـدي فقط بدليـل قوله تعـالى: ﴿خلقـه من تراب﴾ والمثلية القائمة بين خلق عيسى وخلق آدم عليهـما السلام، فيما يخص عملية التسـوية فقط فخلق آدم عليه السـلام كان من التراب والماء حيث الأرض هـي رَحِمهُ لقوله ﷺ ﴿وإن آدم لمنجـدل في طينته﴾ وكـان خلق عيسى وتسـويته عليـه السلام في رحم مريم عليها السلام حيث من صـدرها الزكي هواؤه ومن رحمها الطاهر أرضه، ومن دمها المطهر غذاؤه.

"وما هذا إلا لأن الخالق جل وعلا قد جعل الإنسان عالما صـغيرا أو كونا مختصرا جامعا لكل مـا في العالمين، وحيث أن العالمين ليست سوى السـموات والأرض، فقد

جعل الله تعالى الجسد الآدمي أو بمثابة الأرض في هذا الكون الجامع الصغير أي الإنسان، كما جعل الله تعالى الروح والتي هي سر التقويم الأحسن في الانسان، أي سماء هذا الكون الجامع الصغير، فالخلائق منها ما هو سماوي ومنها ما هو أرضي ومنها ما هو بينهما، أما الإنسان فهو من كل ذلك، بل هو كل ذلك، وهذا هو سر تفضيله على الخلائق في السماء والأرض. قال تعالى ﴿سَنُرِيْهِم آيَاتُنَا فِى الآفَاقْ وَفِى أَنْفُسَهِمْ حَتَّى يَتَبينَ لَهُم أنه الحَق﴾.

وأما وجه التماثل والتشابه بين خلق آدم وعيسى عليهما السلام فهو أن الله تعالى خلق كل واحد منهما بكلمة ﴿كن﴾، ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ لقد قال الخالق سبحانه وتعالى للطين المتشكل على الهيئة البشرية وهو صلصال كالفخار: ﴿كن آدم﴾ فإذا به جسد حي كامل البشرية أي بشرا سويا وكذلك قال لعيسى عليه السلام ﴿كن﴾ فصار جنينا على الهيئة البشرية السوية في رحم أمه الطاهرة عليها السلام من غير زوج لها أي خلقه الله تعالى من أم بدون أب، بخلاف السُّنَّة العامة، التي شاء الله تعالى أن يخلق بها الأجنة في الأرحام من ذكر وأنثى، وكما صار آدم بشرا سويا بالأمر الإلهي: ﴿كن﴾، ثم لما نفخ الله فيه من روحه ارتقى وزكى الى أحسن تقويم، كذلك كان الأمر الإلهي: ﴿كن﴾، للمسيح بشرا سويا جنينا في رحم أمه الطاهرة ثم بالروح صار إنسانا في أحسن تقويم، بل رسولا نبياً ولأن هذا الروح النافخ في أمه كان هو الروح الأقدس الكلي، لذا فقد تم خلق عيسى بكلمة ربانية خاصة، لتسوي جنينا بشرا في الرحم المطهر، ثم بالنفخة الإلهية حيث أرسل الله تعالى اليها روحه ﴿فَأَرسَلْنَا إِلَيهَا روحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشراً سَوِيًّا﴾ [مريم/ ١٧] فصار عيسى عليه السلام بهذا رسولا من الخمسة اولى العزم من الرسل، ليقضى الله تعالى به أمرا يخص الطاغوت، وهو قتل الدجال، فالكلمة الإلهية لعيسى ليكون بشرا بدون أب بخلاف السنة المعتادة لسائر البشر، هذه السنة التي شاء بها الله عز وجل وبكلمة واحدة أن يتم خلق سائر الناس أجنة في أرحام الأمهات من ماء الرجل وماء المرأة (البويضة الأنثوية الملقحة بالحيوان المنوي الذكري) فخلق جميع ذرية آدم بكلمة ربانية واحدة «كونوا» وخلق عيسى بكلمة خاصة «كن» كما خلق آدم من قبل بكلمة «كن» كما خلق حواء بكلمة خاصة «كوني» .

فالكلمة التي تخص آدم كانت للطين، ليكون آدم الذكر ، فكان ويكون في أبنائه الذكور، وكلمة حواء كانت لضلع آدم أو لبعض من ضلعه لتكون حواء الأنثى أو المرأة، فكانت وتكون في بناتها الإناث، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١].

فالنداء في هذه الآية لكل الناس، وكل الناس لآدم ومن آدم وحواء، كما قال رسول الله ﷺ (كلكم لآدم وآدم من تراب..) وفي الحديث الصحيح (خلقت المرأة من ضلع أعوج إن أنت قومته كسرته فاستمتع بها على علاتها..). أو كما قال رسول الله ﷺ وهو تفسير قوله ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾..

والكلمة الخاصة لحواء عليها السلام لأن الله تعالى خلقها من والد وهو آدم ومن غير والدة، وآدم من الطين فكان بلا والد وبلا والدة، وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام من والدة وبدون والد، والناس جميعا خلقهم الله تعالى من والدين كل فرد منهم.

وهذا يدل على أن الله تعالى على كل شئ قدير وفعال لما يريد وليس محكوما في خلقه أو في فعله بما هو خارج إرادته ومشيئته، فخلق الآدمي بكلمات إلهية اربع فيما يخص بشريته.

فآدم أب البشرية في الآدميين فمن يكون أب الأنسانية فيهم؟!

علمنا أنه بالنسبة لانسانية الآدمي التي حقيقتها وجوهرها الروح الخاص بكل آدمي، ومصدرها الكلي الأقدس في السماء، فإن الجميع ينشئه الله تعالى خلقا آخر في أحسن تقويم بالنفخة الإلهية الكريمة من الروح، بيد أن الأنبياء والرسل يكون نصيبهم من هذه النفخة الكريمة أعظم من غير الأنبياء، يتفاضلون فيما يلتقونه من الروح فيما بينهم قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [الأسراء:٥٥] فبحسب نصيب كل نبي أو رسول من النفخة الروحية تكون درجته بين الرسل والانبياء..

وكذلك فَضَّلَ الله تعالى المؤمنين بعضهم على بعض بحسب نصيب كل منهم من المدد الروحي قال تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ الله والرَّسولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ الله عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا(٦٩) ذَلِكَ الفَضلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيماً﴾ [النساء:٦٩-٧٠] فدرجات التفاضل بين المؤمنين بعد النبيين تبدأ من أعلى للصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين وجميعهم رفقاء الرسل في الجنة، ولا يمنع هذا تفاوت الدرجات بين هذه الفئات وبين الافراد في الجنة وهذا يتوافق مع سنة الخلق العامة في التفاضل حتى بين الافراد كما وضحناها آنفا.

ومن ثم تبقى سنة الله العامة في التفاضل حتى بين أهل الجنة.

وأدلة التفاضل في نصيب كل فئة وكل فرد من النفخة الإلهية الكريمة قوله تعالى عن آدم ﴿.. ونفخت فيه من روحي..﴾ وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام..﴿فَأَرسَلنَا إِلَيهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً(١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ [مريم:١٧] فهذا هو الروح الذي ينفخ الله تعالى منه في الآدميين جاء بنفسه لسيدة نساء العالمين مريم عليها السلام، لكي ينفخ الروح في جنينها الذي خلقه الله تعالى في رحمها بكلمة الله النافذة ﴿كن﴾ بدون والد، فكان ويكون.. ثم أرسل الله تعالى إليها بعد تسويته عليه السلام جنينا في رحمها روحه بنفسه، في حين أن الذي يأتي إلى سائر الأجنة في أرحام أمهات الآدميين هو ملاك يرسله الله تعالى لينفخ فيه روح الجنين الخاص أي خويصة كل آدمى من الروح الكلى الاقدس كما جاء في الحديث الشريف الصحيح السابق ذكره «ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ الروح» أي يبث في الجنين في نهاية الشهر الرابع نصيبه من الروح فيعطيه الله تعالى روحه الخاص المبعوث والمبثوث والمنفوخ فيه من الروح الكلى الأقدس، وكأن مهمة النافخ هي ربط التوصيلة الموصلة بين فؤاد الجنين أو جذر قلبه وبين الروح الكلى الأقدس أو الشجرة المباركة الزيتونة في السماء، فيعقد له العروة الوثقى التي تجعله ثمرة أو ورقة أو فرع أو غصن من

ثمرات الشجرة المباركة، كل حسب نصيبه من هذا المدد المبارك، الذي يمده بالزيت، الذي يتوقد منه مصباحه، ويظل المدد مستمرا ليظل المصباح مضيئا، ولو مثلنا المدد بالتيار الكهربائي الذي يضئ المصابيح، ويحرك المواتير فإن هذا الحبل الروحي يكون بمثابة السلك الموصل للتيار، وبالتالي تكون مصابيح أفئدة الرسل أكبر، كأنها السرج التي تضئ الساحات الشاسعة أو كأنها الكواكب في الليل ومصابيح الأنبياء أقل اضاءة ومصابيح الصديقين أقل ثم مصابيح الشهداء وبعدها مصابيح الصالحين الذين أدناهم مصابيح المسلمين الذين ينطقون بالشهادتين حتى لكأنها شمعة.

وبسبب تفاضل قوة المصابيح فلابد أن تتفاضل الاسلاك الروحية الموصلة بين مصدر المدد السماوي وبين الأفئدة فيكون الموصل للمسلم العادي بحجم الأنبوب الاخضر الرابط بين الفرع وبين الورقة الخضراء بالشجرة، وموصل المؤمن كحجم موصل الفرع الصغير الحامل لمجموعة أوراق في الشجرة، وموصل الصالحين كالغصن الدقيق وما يخص الصديقين كالغصن الأكبر، أما الأنبياء فهم الغصون الكبيرة التي تستعصى على الكسر باليد، ثم الرسل هي بمثابة الغصون المتفرعة منها غصون الأنبياء، فالرسل غصون أكبر وأكثر غلظة وسمكاً أي أنها الغصون الرئيسية في الشجرة..

أما الرسل الأربعة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فهم بمثابة جذوع أربعة رئيسة متفرعة من جذع الشجرة الوحيد المنبثق في جذورها، تلك هي الشجرة المباركة الزيتونة الطيبة أصل روحانية وإنسانية الإنسان أو التقويم الأحسن عند الآدميين جميعا بمقتضى الميلاد، وقبل أن يرتد كثير منهم أسفل سافلين.

وهذا الإرتداد لا يكون إلا بفصلهم من الشجرة الطيبة، وتسفلهم حتى يلحقوا، بحسب عملهم أي بمقدار شرورهم وكفرهم وطغيانهم في الأرض والدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿التين٤: ٥﴾ دليل على أن المرتد أسفل سافلين هو الذي يكفر كفرا قلبيا باطنيا حقيقياً فينفصل عن

الشجـرة المباركـة بقطع العروة التي كانت تـوصله بها. أما الذي يسـتمـسك بالعروة الوثقى فلا تنفـصم فيظل قلبه مـتلألئا ومـصباح فؤاده مـزهرا أي يظل قلبه بهذا حـيا لاستمرار ارتباطه بالشجرة الطيبة المباركة.

وحيث أن حياة جسد الآدمى لا تستمر إلا باستمداد جسده الهواء والماء والغذاء من الأرض بصفة مستمرة، فكذلك تستمر حياة القلب باستمرار إضاءة مصباح فؤاده واستمرار الآدمي إنسـانا في أحسن تقويم، وهذا لا يتحقق إلا باسـتمداد القلب قوته من مـصدره السـماوي، لهـذا قال تعـالى في آية النور عن المصـباح القلبي(توقـد من شجرة..)في قراءة أخرى (يوقد من شجرة) فقوله تعالى ﴿توقد..﴾ في الماضي إخبارٌ عن لحظة التوصيل الأولى التي يقوم بها الملك في نهاية الشهر الرابع للجنين الآدمي. أمـا قوله تعـالى ﴿..يوقد..﴾ بصـيغـة المضـارع المستـمر فـهو إخـبارٌ عن اسـتمـرار الاستـمداد، بل وضرورة اسـتمرار الاسـتمداد من الشـجرة المبـاركة أو الروح الكلى «الاقدس» ليظل القلب حـيا ومصـباح فؤاده مـزهرا، لأنه إذ يضعف الاسـتمداد، ثم يضعف ثم يضعف، ثم إذا استمر هكذا في الضـعف حتى ينقطع الإستمداد، فإن هذا معناه موت القلب وظلام الفؤاد، كمـا يموت الجسد إذا انقطع عنه الهواء فورا أو الماء أو الطعام لفترات طويلة، وكما تنقطع الورقـة أو الثمرة أو الزهرة عن الشجرة فتذبل وتموت.. لأن النفس الآدمية مخلوقة من الأرض والسـماء ومن ثم فلابد لها من مدد أرضي للجسد وآخر روحي من السماء، بخلاف نفوس الخلائق الحية الأخرى.

فالنفس الحيوانـية مخلوقة من الأرض فقط ومن ثم فهي تسـتمد من الأرض رزقا واحدا فقط، والنفس الملائكـية مخلوقة من نور العرش أي من السـماء فقط، ومن ثم فمددهـا من السماء فقط، والنفس الجنيـة مخلوقة من النار فـقط، والنار عنصر وسط بين السـماء والأرض، لا هـو من السمـاء ولا هو من الأرض، فـمـددها من مصـدر واحد فحسب أيضا.

أما النفس الإنسانية فتنفرد بين نفوس البـرايا بأن الله تعالى خلقها من مصدرين أو من أصلين، فلم يعطها سبحانه وتعالى خلقها بيد واحدة، أي يخلقها عز وجل بعطاء

واحد بل أعطاها خلقها بيديه أي بعطاءين منه سبحانه قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٥-٧٦] فقوله تعالى لإبليس ﴿لما خلقت بيدي﴾ فيه اشارة إلى أنه سبحانه فضل آدم عليه السلام على الجن وإبليس منهم بأن خلق الجن بعطاء واحد وخلق آدم بعطاءين، فتجاهل ابليس اللعين العطاء الرباني السماوي الروحي لآدم عليه السلام وذكر عطاءه الارضي الطيني فقط، وهذا خبث منه وضلال، ضلل نفسه به، وذلك لأنه يكون لعنه الله بمقارنة النار مع الطين فقط هو الأفضل، وتغافل وتجاهل وتناسى بخبث الروح التي هي نور، كما سنعلم، وخير من ناره.

أما محاولته مقارنة النار بالطين، فلأن الطين ظلمة كثيفة والنار لها بعض الضوء، فرد الخبيث هذا الرد معللا رفض السجود لآدم بالرغم من أن الله عز وجل قد قدم له وجه تفضيل آدم عليه، وهو أنه تعالى خلق آدم بيديه﴿.. ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي..﴾أي بعطاءين أي بالطين والروح فتجاهل الروح وذكر الطين رغم علمه وتذكير الله تعالى له بأنه مَنَّ على آدم بعطاءين من مصدرين بينما خلقه هو بعطاء واحد من مصدر واحد فذكر إبليس اللعين العنصر المظلم الكثيف من عنصري خلق آدم عليه السلام، مع علمه بأن نور الروح يفوق بمراحل النور الضعيف المنبعث من المارج من النار الذي خلقه الله تعالى منه، ومن ثم لم يكن لقول ابليس هذا من دافع سوى الحقد والحسد على آدم عليه السلام وعلى ذريته لأن الله تعالى قد مَنَّ عليه بالنور الأتم الأكمل عندما خصه بالروح المنبثة في آدم وذريته من الروح الاقدس، هذا الروح الذي نسبه الله تعالى لنفسه تشريفا وتكريما وإعلاء على كل الخلائق بقوله تعالى﴿من روحي﴾﴿من روحه﴾﴿فأرسلنا اليها روحنا﴾.

واشتد حقد إبليس لماعلم أن إيثار آدم والآدميين بالروح يستتبع نتيجة لازمة خطيرة الشأن في الوجود الإنساني إذ ترفع مستوى الدرجة الوجودية للإنسانية حتى على الملائكة، هذه النتيجة هي إيثار بني الانسان بالنبوة وهي الشرف الأعلى بين الخلائق جميعا: ملائكة وجنا وإنسا. فكانت النبوة والرسالة في بني الانسان، حتى أن

مؤمني الجن صاروا مكلفين برسالات أنبياء ورسل الانس، حيث ليس في الجن أو منهم رسل ولا حتى أنبياء، لأن الروح الكلى الأقدس هو معدن النبوة وجوهرها وأصلها وحقيقتها، وبها صار الإنسان هو الخليفة الوحيد لله عز وجل لما آثره بهذا العطاء السماوي، أي الروح، وما سجدت الملائكة لآدم البشر ولكل الآدميين، باعتبارهم بشرا فقط من طين، بل كان الأمر لهم بالسجود له باعتبار الانسانية بعد أن نفخ الله تعالى فيه من روحه ﴿..فإذا سويته ونفخت فيه روحي فقعوا له ساجدين﴾ فالروح المنفوخ في الآدمي هو سر التكريم الذي سجدت له الملائكة من أجله، فقوله تعالى ﴿بيدي﴾ فيه ذكر للروح الذي صار به آدم إنسانا، فإذا كانت الأرض هي الأم بالنسبة للجسد الآدمي لأنها ـ أي أرض ـ هي مصدر الطين الذي خلق الله تعالى آدم عليه السلام منه، وأيضاً هي مصدر الغذاء والماء والهواء الذي يخلق الله تعالى الناس على مر الزمان منه أيضاً.

فالأرض هي أم الآدميين جميعا باعتبار أنها المصدر التكويني للأجنة في الأرحام والمصدر الوحيد للغذاء اللازم لنمو أجسامهم واستمرار حياتهم بعد مولدهم.

وحيث لا يأخذ الآدمي من الأرض إلا البشرية وحيث أن بشرية الآدمي لا تتكون الا من الأرض لقوله تعالى:﴿...إني خالق بشرا من طين..﴾ فالأرض هي أصل البشرية وهي أم للبشرية فقط في آدم عليه السلام وذريته.

ولكن آدم، والآدميين ليسوا بشرا فقط، بل هو وكل فرد من ذريته بشر وإنسان معا.

وحيث قد علمنا أن أصل الانسانية في آدم وذريته هو الروح الذي هو سماوي أي من السماء وليس من الأرض، وحيث قد علمنا أن الأرض باعتبارها المصدر لبشرية آدم هي أم البشرية، وآدم أبو البشر جميعا، وحيث قد علمنا أن السماء هي المصدر لإنسانية آدم وذريته الآدميين، كما علمنا إن الروح الكلى الأقدس هو أصل أرواحهم المنفوخة فيهم، أفلا يكون الروح الكلى الاقدس هو أبو الانسانية في آدم وزوجه ثم في سائر الذرية؟! نعم بلا شك الروح الكلى الاقدس هو بمثابة الأب لإنسانية آدم وإنسانية كل آدمي وآدمية بمن في ذلك آدم نفسه.

نعم ولكن مع تحفظ بسيط، وهو أن آدم وحواء هما أبوا الآدميين بشريا سواء آمنوا أو كفروا، لأن أبوتهما للآدميين تخص الجانب الجسدي البشري، فهم جميعا ذريتهما بمقتضى وراثة الطبيعة البشرية منهما، وهي طبيعة لا تنفك عن حقيقة البشرية ولا تتغير بتغير الدين.

أما الطبيعة الروحانية الانسانية التي هي أحسن تقويم بين طبائع الخلائق جميعا فهي مرتبطة بالتوحيد، والإيمان بالله عز وجل واحدا لا شريك له، فإذا أشرك الآدمي أو كفر لم يعد إنسانا، وانقطعت صلته بالروح الاقدس في السماء، ومن ثم لم يعد ينتمي إليه، ومن ثم تكون الإجابة بعد قبول هذا التحفظ هي أن الروح الاقدس هو الأب للمؤمنين فحسب، وليس أبا لكل الآدميين كفارا وغير مؤمنين.

فإذا قرأنا في كتاب الله تعالى أن النبي ﷺ وآله هو أب المؤمنين أفلا يكون قول الله عز وجل بأن النبي ﷺ هو أبٌ للمؤمنين دليلا قرآنيا صريحا على أن النبي ﷺ هو الروح الاقدس؟!

أما هذا الدليل القرآني الصريح على أن النبي ﷺ هو أبٌ للمؤمنين، فهذا ما سنقرأه ونعلمه تفصيلا في الفصل التالي بإذن الله تعالى وفتحه وتوفيقه. لكن أذكرِّ بأنه أصبح واضحا جليا أنه الاب الروحي للمؤمنين وليس الأب البشري لهم، كما هو معلوم بداهة ومن ثم لم يكن السبق الوجود النبوي على خلق آدم إلا السبق الوجودي اللازم للأب على الأبناء. وهو الثابت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

الفصل الثاني

الدليل قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}

صدق الله العظيم

القرآن الكريم يثبت أبوة النبي ﷺ الروحية للمؤمنين، وهذا الإثبات دليل نقلي قطعي على أنه ﷺ هو الروح الكلى الأقدس الأعلى.

الدليل االقرآني على أبوة النبي ﷺ للمؤمنين، هذه الأبوة التي تقطع بأنه الروح الكلى الأقدس الأعلى الذي ينفخ الله تعالى منه في قلوب الأجنة في أرحامها هو قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وهوأب لهم وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب:٦].

ولعلك أخي القارئ قد أدركت أن شاهدنا على ما نقول في هذه الآية الكريمة هو قوله تعالى: «وهو أب لهم» وهذا حق، إذ فهذا الشطر من الآية هو الدليل القرآني القطعي على ما نقوله.

لكنك أخي القارئ الكريم الحبيب، إن كنت ممن يتلون كتاب الله عز وجل، فسوف ينتابك شك في هذا الشطر، وربما تقول: كأني أسمعه لأول مرة، ولا أذكر مطلقا أن في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وهو أب لهم﴾.

أما إن كنت أخي القارئ الكريم والحبيب حافظا لكتاب الله عز وجل، فستقطع بأن هذا الشطر من الآية ليس منها، لأنك تحفظها هكذا كما هي في المصحف ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ولا شك أن هذا حق وحفظك صحيح.

أما إن كنت أخي القارئ الكريم ممن درسوا كتاب الله تعالى تلاوة وحفظا وتفسيرا، فستعلم أنها نزلت هكذا متضمنة ﴿وهو أب لهم﴾ كما سنفصل هذا من بعد بعون الله تعالى وتوفيقه.

بَيْدَ أن البعض من الذين يعلمون من النصوص المقدسة ظواهرها دون حقائقها سيقولون: كيف يقال عن النبي ﷺ وعلى آله أنه أب المؤمنين والله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] أفلا يناقض قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ..﴾ والخطاب هنا موجه للصحابة سادة المؤمنين قوله تعالى: ﴿وهو أب لهم﴾؟.

أقول ردا على مثل هذه المفاهيم أو الأقوال السطحية والقشرية في كلام رب العالمين حاشا لله عز وجل أن يكون في كتابه سبحانه أدنى تعارض أو تناقض أو تضاد أو أدنى اختلاف، فلا يضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض إلا الكافرون المكذبون به، وإنما يُكَمِّل كتاب الله بعضه بعضا ويفسر ببعضه بعضا كما سنرى لاحقا بفضله وعونه وتوفيقه.

ولكي نبين بعون الله، هذا كله لابُدَّ من دراسة السياق من أوله مع التذكير بالمبدأ الهام، ألاَ وهو التمييز بين البشرية والإنسانية، وبين الأصل البشري الطيني عند الآدميين وبين الأصل الإنساني الروحي لديهم، هذا التفصيل يستوجب منا قبل دراسة آيات سورة الأحزاب الرجوع إلى آيات سورة الأعراف، حيث يخبرنا ربنا عز وجل عن الأثر الذي ترتب على معصية آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٣-٢٥] أي أن أثر هذه المعصية هي العودة إلى الأرض التي خُلِقَ آدم عليه السلام منها ليعيش فيها ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ ويموت فيها ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ ومنها يبعثهم الله تعالى للنشأة الآخرة ﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ وهذه نتيجة ضرورية ومنطقية للطبيعة البشرية، حيث يعود الشئ إلى أصله وعنصره ومصدره، فيعود الطين في الجسد البشري إلى الأرض التي أخذ منها فيتحلل إلى ماء وتراب.

قال تعالى مخاطباً الآدميين ومحذرا إياهم من الشيطان الذي أخرج أباهم وأمهم من الجنة ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٦-٢٧].

والجدير بالتدبر قوله تعالى لآدم وحواء عليهما السلام بعد قولهما ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ ولم يقل لهما تعالى: ﴿اهبطا﴾ فخاطب سبحانه وتعالى آدم وحواء بصيغة الجمع باعتبار احتوائهما على الذرية، كما جاء في الخبر أن حواء عليها السلام كانت حاملا بقابيل وتوأمه الأنثى، ومن ثم قال تعالى: ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ وهذا هو الذي حدث ولازال يحدث حيث ينخلع الكفار من بني آدم من حزب الله تعالى وينفصلون بكفرهم من الشجرة المباركة لينضموا ويلتحقوا بحزب الشيطان المعادى والمحارب لحزب الله تعالى والذي يضم آدم والنبيين والصديقين والشهداء وسائر المؤمنين والمسلمين. وهذا العداء والصراع بين الحزبين مستمر خلال أجل البشرية في الحياة الدنيا الإبتلائية، التي يعقبها موت مؤقت في الأرض ثم خروج منها وبعث وحشر للحساب، ومن ثم حذر الله تعالى الآدميين جميعا من عدوهم وعدو أبويهم الشيطان الذي نجح في إخراجهم من الجنة بإيقاعهما في المعصية ونزع لباسهما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

[الأعراف:٢٦] فاللباس الذي يوارى السوأة هو الملابس الساترة أيا كان نوعها ولونها، والتي عادة ما تكون الداخلية وما فوقها منها، لا يشترط فيها الزينة والأناقة والجمال، أما ما يبدو للناظرين من الملابس فهذا ما جبل الإنسان على التجمل والتزين به، ومن ثم قال تعالى عنها ﴿وريشا﴾ أي كما جعل الله تعالى للطيور ريشا بألوان جميلة زاهية متعددة زينة وجمالا لها، كذلك جعل للآدميين من الملابس الزائدة عن الملابس الساترة للعورة ملابس فوقها للزينة، وهي بمثابة الريش الملون الجميل الذي زين وجمل سبحانه وتعالى به الطيور.

وهذا كله لباس الجسد، وحيث أن الجسد مخلوق من الأرض فإن هذه الملابس كلها مخلوقة أيضا من الطين كالقطن والكتان، أو أحياء الأرض كالصوف والحرير، فكما تبين لنا من قبل، أن غذاء الجسد من الماء والطين وهواء الأرض المخلوق منها كذلك كساء الجسد منها أيضا. وكما للروح في الذات الآدمية غذاء من السماء أي من الشجرة المباركة الزيتونة، فإن للذات الإنسانية الباطنية كساء روحيا من السماء أيضا وهو لباس التقوى (ولباس التقوى ذلك خير)، فما هو لباس التقوى؟

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى مطر أن عليا رضي الله عنه أتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين يقول حين لبسه (الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأوارى عورتي) أما قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ فقد قرأ بعضهم ﴿ولباسَ التقوى﴾ وقرأها البعض ﴿ولباسُ التقوى﴾ بالرفع على الإبتداء.

أما على النصب فتكون معطوفة على قوله تعالى: ﴿لباسا﴾ مفعول به، ومن ثم يكون قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ مفعول به ثانيا للفعل ﴿أنزلنا﴾ أي أنزلنا لباسا وريشا وأنزلنا لباس التقوى.

وبالرغم من أن الألبسة من الأرض وليست منزلة من السماء بخلاف ﴿لباس التقوى﴾ الذي هو اللباس الروحي، ومن ثم فهو منزل من السماء حقا، إلا أن الإخبار بإنزالهما معا بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا عليكم﴾ بالنسبة للألبسة والرياش إنما

هو إنزال حكمي بمقتضى الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها وبمقضى الحياء الفطري الذي ركبه في نفوسهم وبمقتضى الحكم الجبري بتغطية الأجساد إتقاء للبرد ودليل هذا قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وهذا نداء لكل بني آدم بأخذ الزينة وارتداء أجمل ما يملكون من اللباس أي الرياش عند توجههم إلى المساجد والمعابد والصلوات والبيع والكنائس، وهذا ما يحدث في واقع الحياة ليس بمقتضى هذا الأمر القرآني التشريعي، ولكن بمقتضى الأمر الفطري، لأن أكثر بني آدم، هم من غير المسلمين ولم يتلقوا ولم يسمعوا بل ولم يصدقوا بالقرآن الكريم، وهذا يفسر لنا أن دلالة قوله تعالى:﴿أنزلنا عليكم..﴾ إنما هو نزول حكمي فرضي فطري بمقتضى الخلقة والجبلة والفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

أما لباس التقوى فهو منزل نزول الروح التي هي مصدر وأصل التقوى عند الآدمي، قال تعالى﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس ٥-٨] فذكر تسوية النفس ببعد ذكر السماء، ومن ثم قال:﴿ذلك خير﴾ لأن في حياة الآدمي في هذه الأرض نزعتين إحداهما مصدرها أرضي طيني جسدي والأخرى مصدرها سماوي روحي يقابل الأول، ودائما الروحي السماوي خير من الجسدي الأرضي، لأنه أساس الخير فيه، فلو انعدم لباس التقوى، انعدم لباس الجسد، وتعرى الآدمي وسقط في حزب الشيطان، ومن ثم قال تعالى:﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾.

ثم استمر النداء لبن آدم أيضا، لأن موضوع التحذير من الشيطان يخص أمرا فطريا جبليا أكثر منه أمرا إيمانا شرعيا بالوحي، لأن أكثر بني آدم لا يصدقون بالقرآن ولا بالسنة فقال تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧] وهذا التحذير من الشيطان هو تحذير حذر الله به الآدميين جميعا، وليس موجها للمؤمنين فحسب، وذلك باعتبار أن جميع الآدميين

مفطورون ومجبولون على حب تغطية العورة وكراهية كشفها، كما أنهم بالضرورة محتاجون إلى اتقاء البرد ومفطورون على كراهية الشر وبغض الشيطان، لكن الشيطان يسعى دؤوبا لنزع اللباس عن الناس مستغلا حرارة الجو أحيانا ولأسباب أخرى، وما هذا إلا ليوقعهم في المعاصي لينزع عنهم لباس التقوى رويداً رويداً حتى يصيروا من حزبه، ويكون مصيرهم معه هو العذاب الأبدي في النار.

وتحذير المولى عز وجل للآدميين، أي لنا جميعا، من الشيطان حتى لا نسقط في فتنته كما فتن أبوينا وأخرجهما من الجنة قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ..﴾ فآدم وحواء هما أبوا الآدميين جميعا: المؤمنين والكافرين على حد سواء، لأن هذه الأبوة هي الأصل والبدء لبشرية الآدمي دون إنسانيته، ولجسده دون روحه، فآدم وحواء أبوان بشريان فقط للناس، كل الناس، من حيث أن آدم عليه السلام ليس هو الأب الروحي لذريته، وليس هو أيضا الأب الروحي لحواء عليهما السلام، ولا لأبنائه الآدميين الذين ولدتهم حواء عليهما السلام، وبيان هذا أن آدم وحواء عليهما السلام كليهما، قد نفخ الله تعالى فيهما من الروح الكلى الاقدس الأعلى شأنهما بالنسبة لتلقى الروح، شأن سائر الأجنة الإنسانية، وقد تلقيا روحيهما بنفخة من نفس الروح الكلى الذي تتلقى منه جميع الذرية الروح بمن فيهم النبيين وعلى رأسهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام. إذ أن تلقى الآدمى للروح هي عملية فردية لقوله ﷺ ﴿..فيرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح..﴾ بعد تمام الشهر الرابع للجنين.

وحيث قد قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٥-٩].

فبين بهذا القسم المتعدد بالشمس والقمر والسماء والأرض أنه سبحانه وتعالى خلق النفس وسواها من الأرض، بعد أن طحاها، أي من الطين مصدر الجسد، ومن السماء من الروح الكلى الأقدس مصدرا وأصلا للروح الجزئي المنفوخ في النفس من

هذا الروح الكلى في السماء. ثم قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ..﴾ فالطين ثم الجسد وشهواته المصدر للفجور، والروح المصدر للتقوى، ومن ثم كما للإنسان اللباس والرياش غطاءً وستراً لجسده الطيني من الأرض، ولباس التقوى الذي هو خير صيانة لروحه من السماء أيضاً.

وحيث أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] هذا عن خلق آدم عليه السلام، فقوله تعالى مخبرا الملائكة إنه سيخلق بشرا من طين، وأمرهم أن يقعوا له ساجدين بعد أن ينفخ فيه من روحه، فإن في هذا دلالة قطعية على أن الروح كان موجودا قبل خلق آدم من طين، أو على الأقل قبيل نفخ الروح في آدم الجسد الحي أي البشر الذي تم تسويته من طين، وحيث أنه قد ثبت بالحديث الصحيح أن المصطفى ﷺ قد أخبر أنه كان نبيا قبل نفخ الروح في آدم مباشرة فيما رواه الحاكم في المستدرك «عن مسيرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ وعلى آله: متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد» [1].

فإن الشاهد منه هو إن له صلة وثيقة بنفخ الروح فيه، وإثبات نبوته ﷺ وعلى آله، وأنه كان موجودا قبيل نفخ الروح فيه، وحيث أن الله عز وجل قد نسب لنفسه الروح تشريفا له بقوله ﴿من روحي﴾ وقوله ﴿روحنا﴾ وقوله تعالى ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾. فإن هذا التشريف لابد أن يكون لخير خلقه وأحب خلق الله إليه سبحانه، وقد ثبت لنا من قبل أنه النبي ﷺ وعلى آله.

وحيث أنه قد ثبت أن لبشرية الآدميين أصل واحد هو آدم عليه السلام، ومن ثم استحق أن يوصف بأنه أب البشرية، وهو النفس الواحدة التي خلق الله تعالى منها زوجها، ثم خلق منهما سائر الناس.

وحيث أن لأرواح الآدميين أو لمصابيح قلوبهم أصل واحد هو الروح الكلى معدن النبوة وأصل الشجرة المباركة النورانية وهو ﷺ النور الأحمدي فإنه يكون ﷺ

---

(١) حديث رقم ٤٢٠٩ جـ٢ صـ٦٦٥ فى كتاب المستدرك علي الصحيحين للحاكم

الأب الروحي لجميع الآدميين بمن فيهم آدم وجميع الرسل والأنبياء صلى الله عليهم جميعا وسلم، إذ أنه هو الروح الأقدس الذي ينفخ الملك منه في أجنتهم عند إكتمال الشهر الرابع في الأرحام، فجميع الآدميِّين تظل قلوبهم موصولة بالشجرة المباركة أو النور الأحمدي في جذور قلوبهم وبعد ولادتهم إلى أن يبلغوا رشدهم ويختاروا بين التوحيد والشرك، فمن ظل منهم على فطرته موحدا، فقلبه موصول عن طريق العروة الوثقى بالروح الكلى الأعلى الأقدس، ومن إنحرف عن فطرته إلى الشرك انقطع عنه ما يوقد به مصباح قلبه، وانتقل من النور إلى الظلمات بانفصاله عن الوصلة السماوية الأحمدية، ومن ثم يكون هذا الآدمي قد ضيع الأمانة التي قبلها يوم أن عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال وكل الخلق، قال تعالى عن هؤلاء وأولئك ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

ومن ثم يكون من دقة التعبير القول بأن النبي ﷺ وعلى آله الذي كان من قبل خلق آدم ولازال نورا أحمديا ومعدنا وأصلا للنبوة، الروح الأقدس الأعلى الكلى هو الأب الروحي للمؤمنين فقط دون الكفار حيث ينفصل الكفار المشركون بشركهم عن الشجرة النورانية المباركة ويلتحقوا ويرتبطوا بالشجرة الظلمانية الملعونة في القرآن.

فليست الأبوة الروحية دائمة ومتصلة بالضرورة كالأبوة الجسدية البشرية، إذ تقوم هذه الأخيرة على الإرتباط الوراثي بين الأبناء والآباء في حين أن الأبوة الروحية تنقطع بالكفر وبضياع الأمانة، فلا يصبح الكافر إبنا روحيا للنبي ﷺ لأنه يكون قد ضيع أمانته التي هي الوصلة التي تصله بالروح الأعلى الأقدس، وبالتالي يكون الذي فقد المدد الذي يوقد منه مصباح قلبه، والذي يضيع روحه الجزئي ويقطع ما بينه وبين الروح الأقدس الأعلى الكلى ليس ابنا روحيا له، كما أن الروح الأعلى لا يصبح أبا روحيا له.

والدليل على أن الكافر هو الذي يفقد أمانته، ويبدد روحه، ويقطع عن قلبه المدد الذي كان يوقد مصباحه منه، هو الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن

نزول الأمانة في جذر قلوب الرجال أي الناس، وعن رفعها من قلوبهم، بل الأدق أن يكون القول: عن رفعها من قلوب الذين كفروا «فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها، قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل ما أعقله؟! وما أظرفه؟! وما أجلده؟! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».(١) فالأمانة الغيبية النازلة في جذر قلوب الرجال هي أصل الايمان.

فالآدمي الذي يكفر ويشرك حتى تقبض الأمانة من قلبه أثناء نومه، فيصبح موضع قبضها من قلبه كموضع الجلد الذي سقطت عليه جمرة فاحترق سطح الجلد فانتفخ من غير أن يكون فيه دم أو صديد،، ويصبح من ثم هذا الآدمي كافراً مشركا، عديم الأمانة في تعامله مع الناس.

فالآدمي الذي تقبض الأمانه من قلبه يرتد أسفل سافلين ويصبح كالأنعام، أو أضل، رغم أنه يكون بين الناس من العقلاء والظرفاء، جلدا قويا ناجحا في أموره الدنيوية، لكنه مع هذا ليس إنسانا حسب التعريف والمفهوم الصحيح للإنسان، لأنه ارتد إلى مستوى البشرية، أي إلى الحال الذي كان عليه وهو جنين، قبل أن ينفخ فيه الملاك الروح الجزئي الخاص به من الروح الأعلى الأقدس. ومن ثم لا يكون الروح الأعلى أبا روحيا له، كما لا يكون هو ابنا روحيا له، أي النبي ﷺ .

ومن ثم يكون آدم عليه السلام هو الأب البشري الجسدي لجميع الآدميين: مؤمنين وكافرين. أما النبي ﷺ فإنه يكون الأب الروحي للمؤمنين فقط، ومن ثم فهو ﷺ الأب الروحي لآدم وحواء عليهما السلام، وإن كانا هما الأبوين البشريين الجسديين

---

(١) صحيح البخاري ك / الرقائق / باب رفع الأمانة

لكل البشر، وكذلك هما والدا النبي ﷺ في الحال البشري وفي مرحلة حياته البشرية وفي الحياة الدنيا، ومن حيث كونه بشرا، وليس من حيث كونه الروح الكلى الأعظم الذي يسبق وجوده وجودهما، والذي هو الأب الروحي للمؤمنين قاطبة بمن فيهم آدم وكل الرسل والنبيين فمن دونهم في الإيمان والروحانية.

وليس في قولنا: آدم أبٌ للنبي ﷺ في حال بشريته أي أنه الأصل الأول لجسده الشريف وبشريته الطاهرة التي كان ﷺ كائنا بها في هذه الحياة الدنيا منذ مولده إلى انتقاله للرفيق الأعلى، وبين قولنا إنه ﷺ هو الأب الروحي لكل المؤمنين بمن فيهم آدم وحواء، ليس بين هذا وذاك أدنى تعارض أو تناقض أو اختلاف لتمايز الحقيقة الأحمدية النورانية الروحية التي جعلها الله عز وجل معدن النبوة وإيمان القلوب وأصلها ومصدرها منذ كان آدم بين الروح والجسد، تمايزها عن الحقيقة المحمدية البشرية التي بدأ وجودها جنينا في الرحم الطاهر ثم مولودا ثم طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا ثم جرى عليه ما يجرى مما كتبه الله تعالى على كل البشر بلا استثناء وهو الموت والدفن.

وليس بين الحالين ذرة من التناقض لأن للحقيقة النبوية أحوال عبر المراحل الوجودية التي يمر بها الخلق بعامة والإنسان بخاصة، فالحالة الروحية الكلية للنبي ﷺ مرتبطة بالنبوة الكلية العامة في الخلق الأول، واسمه ﷺ فيها أحمد فهي حالة النور الأحمدي الكائن قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

أما الحقيقة المحمدية المتمثلة في النفس المحمدية الإنسانية ثم البشرية، هذه النفس العلية الزكية قد خلقها الله تعالى كسائر الأنفس من والدين ولكن من أكرم وأطهر وأعف والدين، وأفضل الجدود، فخلق الله تعالى منهم أعظم نفس إنسانية بشرية، فجاءت نفسه الطاهرة الزكية ﷺ من سلالة زكية طاهرة عفيفة تنتقل من ظهر آدم عليه السلام إلى رحم حواء عليها السلام وعبر الذرية الطاهرة والسلالة الزكية متقلبة نفسه النورانية من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة العفيفة عبر نوح وإبراهيم وإسماعيل وأجداده القرشيين حتى هاشم وعبد المطلب وعبد الله وآمنة عليهم جميعا

السلام، وقد فسر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿إنه يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ بتقلب نفسه الزكية ﷺ ين أصلاب أجداده وأرحام جداته من نكاح لم يصبه شئ من عهر الجاهلية كما أخبر ﷺ عن نفسه في الحديث الصحيح، وهذا حال للنفس المحمدية الزكية السابقة للكينونة المحمدية البشرية التي بدأت جنينا في الرحم الطاهر ثم طفلا مولودا ثم صبيا ثم شابا فكهلاً ثم ميتا ثم مدفونا في الثرى كسائر الآدميين، تلك هي مراحل بشريته ﷺ كاملة، وهي أي الكينونة البشرية المحمدية حال له في الحياة الدنيا متوحدة مع حال النبوة المتمثلة في إنسانيته والوحي المنزل عليه، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] فمن فصل وباعد بين بشريته وبين نفسه الروحية النورانية المتلقية للوحي: ملاكاً وقرآنا أنزله الله تعالى على قلبه، فقد كفر برسالته ﷺ، فالنفس المحمدية الزكية والحقيقة المحمدية في القالب البشري هي إمتداد للروح الكلى الأقدس المتمثل في النور الأحمدي وحال من أحواله، والذين يحلو لهم أن يفسروا الحقيقة المحمدية بالبشرية وحدها منكرون ومكذبون لنبوته.

وبالرغم من أن هذه النتيجة الواضحة جاءت باستنباط صحيح جلي واضح بين من مقدمات قرآنية صريحة وأحاديث نبوية صحيحة إلا أنه لا ينبغي في مبادئ العقيدة الرئيسية، مثل ما نحن بصدده، الاعتماد على الاستنباط وحده، بل يجب أن يكون الاعتماد على الدليل النقلي القطعي أي على النص الصريح المباشر.

وذلك أن الحقيقة الاعتقادية المستنبطة من الكتاب والسنة، مع سلامة الاستنباط، لا ترقى إلى مستوى الحقيقة الاعتقادية النصية المباشرة في قوة البرهان والوضوح والتأكيد.

فهل نجد في القرآن والسنة ما يثبت أبوة النبي ﷺ لكل المؤمنين روحيا، كما ثبت بالقرآن والسنة أبوة آدم عليه السلام لكل الآدميين نفسيا وبشريا؟

الإجابة: نعم، وهذا يعيدنا إلى ما بدأنا به هذا الفصل وما قد يتبادر إلى الأذهان من تعارض متوهم بين قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وهو أب لهم

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] وبين قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وحاشا لله تعالى أن يكون ثم تعارض بين آيات الكتاب العزيز.

ولكن لكي نكشف مكمن اللبس في هذا التعارض أو الاختلاف المتوهم لابد أن نتدبر آياته قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أي أن الاختلاف المتوهم بين آيات الكتاب العزيز هو نتيجة للقراءة السطحية التي لا تجاوز الحناجر، أما التلاوة مع التدبر التي تكون مع حضور القلب، أي التي تتجاوز الحنجرة إلى القلب هي التي يرتفع معها هذا الاختلاف المتوهم.

الفصل الثالث

ما كان محمد ﷺ أباً لواحدٍ من المؤمنين فقط دون غيره لأنه أب لكل المؤمنين من الآدميين بمن فيهم آدم نفسه

وصلنا في الفصل السابق إلى أن الاختلاف المتوهم ين آيات الكتاب العزيز هو نتيجة للقراءة السطحية التي لا تتجاوز الحناجر، أما التلاوة مع التدبر التي تكون مع حضور القلب، أي التي تتجاوز الحنجرة إلى القلب، فيرتفع معها هذا الاختلاف المتوهم.

ولكي نتدبر الآيات التي تتناول ما نحن بصدده نعود إلى سياق سورة الأحزاب المتضمنة للآية السادسة التي فيها (وهو أبٌ لهم) وللآية الأربعين منها والتي فيها ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم..﴾ علاوة على آيات أخرى تتصل بهذا الموضوع.

تتضمن الآيات الثمانية الأولى من سورة الأحزاب الحقائق التالية:

أولا: إثبات الأبوة البشرية للآدميين من خلال السلالة المنحدرة من آدم وحواء عليهما السلام طبقا لقوانين الوراثة التي هي من سنن الله تعالى في خلق الأحياء أجيالا بعد أجيال.

ثانيا: إثبات أبوة النبي ﷺ للمؤمنين، وبهذا يكون السياق قد تضمن إثبات الأبوة البشرية والأبوة الروحية معا.

ثالثا: نصت الآية السابعة في هذا السياق على أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين والمرسلين بدءً بالنبي المصطفى ﷺ ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، والمرسلين والنبيين كل حسب تربيته في البعث الزماني في الحياة الدنيا صلى الله تعالى عليهم جميعا وسلم، ومع أن النبي ﷺ خاتمهم في البعث إلا أنه أخذ منه الميثاق قلبهم جميعا، وهذا يتوافق مع كونه أباً للمؤمنين جميعا كما جاء في الآية السادسة السابقة على آية الميثاق، لأن الأبوة تقتضي السبق الزمني علاوة على الخيرية والفضل على النبوة قال تعالى في الآية الأولى في سورة الأحزاب: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الأحزاب:١].

في هذه الآية تذكير من الله تعالى للنبي ﷺ بأن الكافر والمنافقين لا يمتون له صلى الله عليه وآله وسلم بصلة، فليسوا أولياء ولا محبين له، بل هم أعداؤه وشانئوه، فنهاه عن طاعتهم وعن الإشفاق علييهم، ثم وصف نفسه سبحانه بالعلم والحكمة، ومن ثم فإن هذه الآية ما يعد من العلم والحكمة فيجب على المؤمن القارئ للسورة أن يبحث عنهما في آياتها، فقال تعالى في الآية الثانية والثالثة من السورة ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب:٢-٣]، ذلك أن اتباع الوحي والتوكل على الله في هذا الاتباع هو جوهر التوحيد، وهو أمر للمسلمين جميعا بالإتِّباع عن طريق رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة للأمة.

ثم قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

فالقلب محل الإرادة المختارة، ومحل الفؤاد الذي به جذر القلب المتلقي للأمانة، لأنه الذي بداخله المصباح المضئ، ولأنه الذي يصل إليه اللب أو الزيت المبارك من الشجرة المباركة، ومعنى أن الله تعالى لم يجعل لأحد من الناس في جوفه إلا قلبا واحداً، هو للأنسان متلقياً واحدا للمدد، وهو القلب، وبداخله الفؤاد المحتوى على

اللب، ومن ثم فالقلب الإنساني هو العضو الوحيد الذي تجتمع فيه الحقيقة الجسدية والروحية معا، أو البشرية والانسانية معا، فهو باعتبار أنه دفاع للدم في الشرايين والأوردة فهو عضو، بشري جسدي، وباعتبار استقباله الروح الخاص من الروح الأعلى، هو الحقيقة الانسانية والروحية أيضا، ولأنه محل نزول الأمانة إذ تنفخ الروح في جذوره، تلك الأمانة أو الروح التي هي جوهر الذات الانسانية، فإنه لابد أن يكون قلبا واحدا، ولا يصلح أن يكون للانسان قلبان، لأن له حقيقة واحدة وذات واحدة، وإرادة واحدة محلها هذا القلب، ومن ثم فالقلب سيد الأعضاء، فكان لابد أن يكون واحدا في حين أن الأعضاء الجسدية ما هو مثنى كالرئتين وإن كانت وظيفتهما واحدة، وكالكليتين ووظيفتهما واحدة، وكالأذنين والسمع واحد، وكالعينين والبصر واحد، وهكذا.

كذلك فإن القلب الذي نزلت الأمانة في جذوره هو الذي يفقه ويعقل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، فإذا كان أهل جهنم قد دخلوها، لأنهم لم يفقهوا بقلوبهم، فإن الذين نجاهم الله تعالى منها وهم أصحاب الجنة كانت لهم قلوب يفقهون بها وأعين يبصرون الحقيقة بها، وآذان يسمعون الحق بها.

وبالقلب أيضا يؤمن الإنسان بالله الواحد الأحد، وبالقلب أيضا يكفر لأن القلب متقلب وإنما سمى قلبا لتقلبه، وفي الدعاء المأثور «اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك» وسر تقلبه الإرادة المختارة التي هو محلها وموطنها، والتي هي أجلى ما تتجلى بها الذات الإنسانية.

وبالقلب أيضا يوالى الإنسان ويحب، ويعادي ويكره ويبغض ويمقت، يؤمن بالله تعالى فيحبه ويحب رسوله والمؤمنين، ويوالى الله ورسوله والمؤمنين، ويكره ويبغض ويمقت ويعادي الطاغوت والأبالسة والشياطين والمشركين، أو يكفر بالله تعالى فيكره الله تعالى ورسوله والمؤمنين ويعاديهم، ويحب الطاغوت والأبالسة والشياطين والمشركين ويواليهم.

ومن ثم فالصلات والروابط الروحية غير ثابتة كالقرابات البشرية، إذ الأولى قابلة للتقلب والتغير لأن محلها القلب المتقلب، لأن الإنسان بقلب واحد ذي إرادة واحدة، ومن ثم فانتماؤه لابد أن يكون واحدا، وهذا كله من دلالات قوله: ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه..﴾ فالولاء والارتباط القلبي الباطني واحد لا يتعدد، فهو إما أن يرتبط بشجرة الإيمان وحزب الله عز وجل، وإما بشجرة الكفر وحزب الشياطين، وليس من ولاء أو ارتباط ثالث قال تعالى: ﴿ هُوَ الذي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[التغابن: ٢].

أما الصلات والروابط الرحمية الجسدية فهي متعددة، ومن ثم قال تعالى مؤكداً ثبات هذه الروابط ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، فالزوجة التي تحل للرجل زوجة، والابن الذي من الرحم أو الصلب ولد، والأم التي ولدت هي والدة، لأن هذه الروابط والصلات الرحمية مبنية على العصب والدم والوراثة، أما أن يقول الرجل لزوجه: «أنت حرام عليّ كظهر أمي»، فيجعل الزوجة التي أحلها الله له أُمّا محرمة عليه، أو أن يتبنى الرجل أو المرأة طفلا وينسبانه لهما كما يتنسب المولود لوالديه، فهو ليس حقا، وإنما هو ادعاء كاذب، كل هذا في آية واحدة، أثبت فيها سبحانه القلب الواحد للانسان وتقلبه، ومن ثم تقلب الروابط المبنية على اختياره بين الإيمان والكفر، ثم استمرار ثبات الروابط البشرية العصبية بين الأرحام وعدم تغيرها وتقلبها، حتى مع اختلاف العقائد والأديان بين ذوى الرحم الواحد.

ومن ثم حرم الله تعالى التبني كما لم يحرم المرأة بالظهار.. حيث الأم هي التي أنجبت وولدت والأب أو الوالد هو الذي أنجب، وحيث أن هذا متحقق في حياة البشر من خلال سلسلة طويلة من الآباء والأمهات ترجع إلى آدم وحواء قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٨] فيبين سبحانه أن الآدمي الواحد مخلوق من

خلال الألوف من الآباء والأمهات، بل ربما عشرات الألوف من الآباء والجدود المنتظمين جميعا في سلك واحد كحبات العقد المتراصة في هيئة الأجيال تبدأ من جيل والديه إلى أن تعود لآدم وحواء رجوعا بالزمن إلى الوراء، ومن ثم فأبوة البشرية متعددة، ولا يعلم عدد الآباء الذين بين جيلنا المعاصر وبين آدم وحواء إلا الله عز وجل، لكنهم جميعا جاءوا ذرية بعضها من بعض.

هذه الأبوة البشرية المتمثلة في عشرات الألوف من الجدود، يقابلها أبوة روحية واحدة، لأنها أبوة مباشرة لكل فرد من أفراد النوع الانساني، هي أبوة النبي ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة على مدى الأزمان بدءا بآدم وانتهاء بآخر من يموت من المؤمنين على ظهر الأرض. بإختصار أو بقول آخر فهو أبٌ ﷺ لكل من سيدخل الجنة في الدار الآخرة، لأنه لن يدخلها إلا المؤمنون.

فالأبوة الروحية المنسوبة للنبي ﷺ هي لكل المؤمنين قاطبة ومستمرة ماداموا مؤمنين وفي أحسن تقويم محافظين على الأمانة، فمن يضيعها منهم يكفر ويفقد هذه الصلة بقطع الوصلة بينه وبين الروح الأقدس الأعلى ﷺ ، فينفصل عن الشجرة الطيبة، فلا يصبح النبي أباه الروحي، إذ بانفصاله عن الشجرة الطيبة يهوى ويسقط، وبذلك يكون قد اتخذ له أبا آخر هو الشيطان أو إبليس أو الطاغوت الذي هو أصل الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، اتخذه ولياله هو وبطانته فالتحق بشجرتهم الخبيثة.

وعلى هذا فالنبي ﷺ هو أبو المؤمنين روحيا دون الكافرين وأبوته للناس ليست مستمرة بالضرورة، كاستمرار أبوة آدم البشرية للآدميين، لأن أبوة النبي ﷺ روحية مرتبطة بالأمانة القابلة للضياع، فبنوة الآدمي الروحية للنبي ﷺ مرتبطة بأمانته فإن ضيعها فقد ارتباطه بالروح الأقدس الأعلى ﷺ .

فالنبي روح الأرواح مباشرة من غير وسائط كالوسائط من الجدود البشريين ما بين آدم وبين جيلنا مثلا.

هذا التميز بين الأبوتين البشرية الآدمية والروحية النبوية هو الموضوع الرئيسي - فيما أرى - لسورة الأحزاب، والله تعالى أعلى وأعلم.

فبعد أن بين الله تعالى لنا ثبات الروابط الرحمية فأبطل التبني والظهار، انتقل إلى

إثبات الأبوة الروحية للنبي ﷺ للمؤمنين فقال في الآية السادسة ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم..﴾ وهذا والله حكم عجيب، ليس له من دلالة إلا أنه أبوهم.

كيف؟

تتأكد هذه النتيجة اللازمة من هذا الحكم، إذا علمنا أن التشريعات التي تحكم الناس في الأرض كلها: الربانية منها والوضعية تعطى الأب سواء كان الوالد أو العم أو الجد حق اتخاذ القرار المصيري للأبن القاصر نيابة عنه، وهذا معناه أن الأب أولى بالإبن من نفسه، فهو صاحب الولاية عليه لا ينازع الأب هذه الولاية غيره ولا حتى الإبن نفسه، مادام الإبن غير راشد، لأنه من المتفق عليه بين الناس جميعا، أن الأب أدرى وأحرص على منفعة ومصلحة ومستقبل الإبن من نفسه، فجعلوا الأب أولى بالطفل من نفسه، وهذا في مجال الأبوة البشرية، ومن ثم يكون تفسير قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ مع كون المؤمنين بالغين راشدين عمريا وعقليا وأهليا، أنه ﷺ أحرص على نفعهم وخيرهم وحياتهم ومستقبلهم الدنيوي والأخروي من أنفسهم، ليس أحرص فقط بل وأعلم أيضا ولا يكون هذا منه لهم بشهادة الخالق عز وجل، الا إذا كان النبي أباهم، ومن ثم أعطاه الله تعالى هذه الولاية على جميع المؤمنين، بل جعله أولى بهذه الولاية من أنفسهم، ليس المقصود بلفظ المؤمنين هنا الصحابة المعاصرين للنبي ﷺ فقط، أو المؤمنين من أمته إلى يوم القيامة فحسب، بل المقصود بهم المؤمنون منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، لأنه ليس في الآية ما يقيدها، وإسم المؤمن المفرد أو المؤمنين بالجمع يصدق على كل من يؤمن بالله تعالى الواحد الأحد وبالنبيين بعامة وبالنبي المصطفى بخاصة وباليوم الآخر، وهؤلاء موجودون على مدى الأزمان والعصور.

يدل على قوله تعالى في الآية السابقة التي تلى هذه الآية مباشرة﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧] فأخذ الميثاق من النبي قبل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﷺ وعليهم جميعا دليل على سبق وجوده الروحي عليهم مع أنه خاتمهم في

البعث وإثبات لأبوته لجميع المرسلين والنبيين لدخولهم في عموم المؤمنين الذين هو ﷺ أولى بهم من أنفسهم، فذكر الميثاق بهذا الترتيب بعد آية الولاية يعمم ولايته على المؤمنين جميعا وكافة من بني آدم.

فإذا سلمنا بهذا ـ أي بأن النتيجة اللازمة لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم أنه أب لهم، فإنه يترتب على هذه الأبوة أحكام هامة، وأهمها أن تصبح أزواجه ﷺ وعليهن أمهات لمؤمنين، ومن ثم يصرن محرمات عليهم لا يحل لمؤمن أن يتزوج منهن. وهذا حق جاء صريحا في نفس الآية فقال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ..﴾ وهذا الحكم الشرعي بجعل أزواجه عليهن السلام أمهات للمؤمنين يؤكد ما أثبتناه من أنه أب للمؤمنين، كذلك حُرمت أزواجه على المؤمنين بقوله تعالى في الآية الثالثة والخمسين من سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

فهل يماري أحد ببعد هذا كله في أنه ﷺ أبٌ للمؤمنين كافة؟!

الفصل الرابع

الأحاديث الصحيحة الدالة على نزول آية الاحزاب متضمنة قوله تعالى «وهو أبٌ لهم»

لقد توصلنا في الفصل السابق إلى أن الرسول ﷺ أبُ المؤمنين كافة من خلال الاستنباط والتفسير، مما قد يفتح المجال لبعض المجادلين برفضها قائلا: كيف تزعم أن رسول الله ﷺ أب المؤمنين مع أن الله تعالى لم يخاطبه في كتابه إلا بقوله ﴿يا أيها النبي﴾ وقوله: ﴿يا أيها الرسول...﴾ وهل يجوز أن يكون ذكره ﷺ بيننا بأنه أب المؤمنين أو يتحدث عنه المؤمنون بأنه «أبونا»..؟

وللرد على هذا الاعتراض بأنه ﷺ نبي الله ورسول الله وحبيب الله، وكل هذا حق، ولكن كل هذه الألقاب له ﷺ إنما هي لتحديد الصلة والعلاقة التي بينه وبين الخالق جل وعلا، ولبيان مكانته عند رب العالمين، أما ما نحن بصدده فهو في مجال بيان الصلة والرابطة التي بينه ﷺ وبين المؤمنين، متمثلة في ولايته العامة على كل مؤمن بدرجة أعلى من ولاية المؤمن على نفسه، وهي ولاية لم يجعلها الله تعالى لرسول من الرسل من قبله، بل هي ولاية على جميع المؤمنين، بمن فيهم الرسل جميعا. ورغم كون المؤمنين بالغين راشدين، هذه الصلة ليس لها تفسير إلا أن يكون النبي ﷺ هو أباهم جميعا ماداموا مؤمنين.

وحيث أن من الأدب دعاء المدعو بأحب وأعظم القابه المبرزة لكمالاته، فإنه رغم

كونه ﷺ أبٌ للمؤمنين فليس من اللائق ومن الأدب أن يناديه المؤمن بقوله: يا أبي، لأن هذا النداء، وإن كان حقا بالمعنى الروحي، إلا أنه قد يورث لبسا، كما أنه يخفى فضل النبي وخيريته على العالمين باعتباره نبي الله ورسول الله وحبيب الله ﷺ.

وإذا كانت أبوته للمؤمنين مستنبطة من قوله: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ الأمر الذي قد يجعلها لدى البعض مجرد تفسيرٍ يؤخذ به أو يرد، فإن الآية نزلت أول ما نزلت هكذا ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وهو أب لهم وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..﴾ [الأحزاب:٦] ومن ثم لا تكون عبارة ﴿وهو أب لهم﴾ نتيجة مستنبطة أو تفسيرا فقط، بل هي من صلب الآية، نزلت أول ما نزلت هكذا وكتبها الصحابة كتبة الوحي في مصاحفهم هكذا وحفظوها هكذا وصلوا بها هكذا، ثم نسخت لفظا وبقى مدلولها حكما، لأنه من المعاني والمدلولات الثابتة غير القابلة للنسخ، وسنسوق بإذن الله تعالى الأدلة على أن نسخ الشطر من الآية نسخ لفظي وليس نسخا حُكْميًا.

فإذا ثبت لنا أن الله تعالى أنزلها هكذا متضمنة ﴿..وهو أب لهم..﴾ كان بمثابة العنوان المناسب لكل ما سبق بيانه وإثباته عن الحقيقة المحمدية أو بتعبير أدق عن الحقيقة المحمدية في الفصول السابقة وفي هذا الفصل.

ومن ثم نجد أنفسنا أمام مسألة من مسائل الاختلاف أو التعارض المتوهم لمن يقرأ القرآن بلا تدبر ولا تتجاوز قراءته تراقيه أو حنجرته، ألا وهو التعاض المتوهم بين قوله تعالى: ﴿..وهو أب لهم..﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين...﴾ ليأتي الرد السريع الحاسم الذي يرتفع به هذا الوهم وهو أن نفى الأبوة عن أحد من الصحابة جاء بعد تحريم التبني البشري والأمر بنسبة كل مسلم إلى والده، إن كان والده معلوما، فإن لم يكن معلوما، فباعتباره أخافى الدين، فالابوة المنفية هنا عن النبي ﷺ هي الأبوة البشرية وهذا حق معلوم للجميع حيث لم يكن للنبي ﷺ في المدينة إبن سوى ابراهيم عليه السلام الذي ولدته مارية القبطية وتوفاه الله تعالى وهو رضيع، أما أبناؤه الذكور من أمنا الكبرى خديجة عليها السلام، فكانوا قد انتقلوا إلى بارئهم في مكة المكرمة، وكذلك جميع

بناته ﷺ ، وعليهن السلام انتقلن إلى رحاب الله تعالى في المدينة، في حياته ﷺ ما عدا السيدة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام، ومن ثم لم يكن النبي أبا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا بالمدلول البشري، ولم يكن فيهم من هو ابن له بُنُوَّة جسدية وراثية، في حين أنه أب لجميع الصحابة بخاصة ولجميع المؤمنين بعامة أبوة روحية، وليس بين هذا وذاك ذرة من الاختلاف أو التعارض.

لقد أثبت جميع المفسرين أن الآية نزلت متضمنة إثبات أبوة النبي للمؤمنين، وحيث أنه ليس أبا لأحد من الرجال بالمدلول البشري الوراثي، وهذا متفق عليه، وأعظم وأقوى وأدل من هذا الاتفاق قوله تعالى مثبتا هذه الحقيقة الثابتة في السيرة﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم..﴾ نفياً لأبوة النبي ﷺ لزيد بن حارثة رضي الله عنه الذي كان يقال له زيد بن محمد الأمر الذي يحتم علينا وعلى كل مسلم أن يفكر ويتدبر ويسأل: كيف يثبت الله تعالى أنه أب لكل المؤمنين ثم ينفي أن يكون أبا لواحد من الصحاب وهم أفضل المؤمنين في الأمة؟ أليس هو أبا لهم جميعا؟ فكيف لا يكون أبا لواحد منهم؟!

إن المتدبر لآيات الله تعالى بالمنهج الإحصائي الشامل الذي هدانا الله تعالى إليه وهو المنهج الخاص بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم والسنة (١)، ينتهي حتما إلى أن النبي ﷺ ليس أباً لأي صحابي أو لأي مؤمن بالمعنى والمدلول الجسدي الوراثي للأبوة اللهم إلا أبنائه الذكور عبد الله والقاسم وإبراهيم عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومن ثم فليس من مدلول أو تفسير أو معنى للأبوة الثابتة له في الآية السادسة من سورة الأحزاب، سوى أنه الأب الروحي للمؤمنين، وحيث أنه ليس للأبوة الروحية للمؤمنين من مدلول سوى أنه مصدر أرواحهم ومبتدأ وأصل ومغذى الأرواح، فإن النبي ﷺ بلا ريب يكون هو الروح الأعلى الأقدس، أصل الشجرة النورانية، نور مصابيح القلوب ومددها فهو إذاً روح الأرواح وسر بقائها صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

---

(١) راجع كتاب قواعد منهجية للباحث الحقيقة في القرآن الكريم والسنة للمؤلف والفصل الأول من كتاب القضاء والقدر وكذلك كتاب الاصول الاعتقادية للمعرفة في الاسلام.

أما الأدلة على نزول الآية بأبوة النبي ﷺ للمؤمنين فقد دونتها جل أمهات التفسير إن لم يكن كلها ونورد منها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: أورد الامام السيوطي في تفسيره المسمى «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ما نصه [وزخرج عبد الرازق، وسعيد بن منصور واسحق بن راهوية وابن المنذر والبيهقي عن بجالة قال مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلام وهو يقرأ في المصحف ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم﴾ فقال: يا غلام، حكمها، فقال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله فقال: إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق في الأسواق] ومن الواضح أن عمر رضي الله عنه كان يعلم أنها نزلت هكذا وفيها (وهو أب لهم)، ولكنه علم أيضا أنها نُسخت، في حين أن صاحب المصحف لم يكن يعلم بنسخها لفظا، ومن ثم أصر على بقائها ورفض حكمها أي محوها، ولا شك أن تهاون عمر رضي الله عنه بشأن محو صاحب المصحف لها كان لعلمه أيضا أنها منسوخة لفظا مع بقائها دلالة ومعنى، لأن الآية تفسير لنا صلة النبي بأرواح المؤمنين فهي دلالة كونية إنسانية، ونسخ هذه الدلالة غير جائز، لأنه تعطيل لبيان خلق الانسان من طين وروح، ومن ثم رفعت من المصحف لفظا مع بقاء الدلالة والمعنى والتفسير فنزولها لحكمة، وهي إعلام المؤمنين بصلة النبي ﷺ بأرواحهم وقلوبهم، ونسخها أيضاً لحكمه سأذكرها فيما بعد. (١)

ثانيا: (أخرج الفريابي وابن مردوية والحاكم والبيهقي في سننه (عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان يقرأ هذه الآية: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم، وأزواجه أمهاتهم» وهذه الرواية تدل على أن حبر الأمة رضي الله عنه ظل يقرأها هكذا ولم ير بأسا من الإستمرار في تلاوتها هكذا فتحريم أزواجه ﷺ على المؤمنين كتحريم الأمهات مبنى على أنه أب لهم، وكذلك جعله أولى بهم من أنفسهم مبنى على الحقيقة، فتعليل هذين الحكمين وأساسهما هو أنه أب للمؤمنين، وفي بقاء النتيجتين في الآية دليل على بقاء السبب والعلة وإن نسخت لفظا.

(١) الدر المنثور للسيوطي حـ٥ صـ١٩٨

ثالثا: أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (ن مجاهد رضي الله عنه أنه قرأ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أب لهم) ومجاهد تابعي لإنه تلميذ ابن عباس رضى الله عنه وظل يقرأها هكذا وهو في هذا متبع لأستاذه ابن عباس رضي الله عنهما.

رابعا: وأخرج ابن أبي حاتم (عن عكرمة رضي الله عنه قال: كان في الحرف الأول (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم) وقوله في الحرف الأول أي في أول نزول هذه الآيات قبل نسخ قوله (وهو أب لهم) لفظا مع بقاء الدلالة والمعنى.

خامسا: أخرج ابن جرير (عن الحسن قال في القراءة الأولى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم) ومعنى قوله في القراءة الأولى أي أول ما نزلت السورة وهكذا حرص الصحابة والتابعون على تبليغ الأمة بالقراءة الأولى قبل النسخ، لإثبات الدلالة والمعنى، لأن النسخ أو الرفع من المصحف لقوله (وهو أب لهم) هو رفع ونسخ لألفاظ هذا الشطر من الآية دون المعنى والدلالة، ومن ثم أوردت هذه الأحاديث والآثار جل أمهات التفسير وذكرها جمهور المفسرين إن لم يكن جميعهم.

أي أن الآية نزلت متضمنة قوله تعالى: ﴿وهو أب لهم﴾ ثم نسخ قوله: ﴿وهو أب لهم﴾ لفظا لحكمة سنعلمها لا حقا بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه، لهذا طلب سيدنا عمر من الصبي أن يمحوها من المصحف بناء على علم سابق بنسخها لفظا، إلا أن والد الصبي أصر على بقائها، ومعلوم أن سيدنا عثمان رضي الله عنه هو الذي جمع المسلمين على مصحف واحد منعا لمثل هذه المفارقات.

ونظرا لأن ابن كثير رحمه الله من المتشددين في تحقيق النصوص، وبخاصة فيما يخص أمور العقيدة، لذا يجدر بنا العودة إلى ما كتبه ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم..﴾ كتب ابن كثير في تفسيرها (وقد روى عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قرآ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم).

وروى نحو هذا (عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه، حكاه البغوى وغيره، واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وعلى آله: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد [1] أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها. ولا يستطيب بيمينه، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهي عن الروث والرمة» أخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن عجلان). [2]

والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ أي في حكم الله «من المؤمنين والمهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس: كان المهاجرىً يرث الأنصار دون قراباته وذوى رحمة للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ ... فنزلت الآية بنسخ هذا التوارث..».

وهكذا اختلف علماء الشافعية وغيرهم وصار بينهم رأى يقول، باستبعاد دلالة قوله تعالى: ﴿وهو أب لهم﴾ لأن هذا الشطر من الآية يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ ويفهم من عرض إبن كثير لهذا الاختلاف بين الشافعية، حول إثبات أبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين، أنه أي ابن كثير مع الذين ينفقون الأبوة منعا للتعارض مع قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد رجالكم﴾.

وهذا المسلك لا يجوز علميا مادامت الآثار الواردة في إثبات شطر الآية المنسوخ صحيحة كلها. وكذا يؤكد أبوته ﷺ الروحية للمؤمنين وعلى رأسهم النبيين المعنى اللغوي لكلمة «أبو» قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة «أبو» الهمزة والباء والواو يدل على التربية والغذو أَبَوْتُ الشئ، آبُوه أَبْواً إذا غذوته، وبذلك سمى الأب أبا. قال الخليل: أب معروف والجمع آباء وأبوة. قال تقول: تأبيت أبا كما تقول تَبَنَّيْتُ

(١) لاحظ قوله ﷺ أنه بمنزلة الوالد ولم يقل أنه والد المؤمنين.

(٢) تفسير إبن كثير جـ٣ صـ٤٦٨.

إبنا، وتَأَمَّـهْتُ أُمًـا.. قال الخليـل: قولك يأبو اليـتيـم: أي يغـذوه، كمـا يغـذو الوالد ولده](١).

فإذا كان آدم أبو البشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم، فلأنه أصل الطبيعة البشرية فيهم، وهو المدد لهم بهذه الخصائص الجسدية الآدمية.

أما النبي ﷺ فـهو أبو المؤمنين دون الكفار. بنص الآبة، فـهو إذاً أصل الإيمان وهو الذيي يغـذو قلوبهم به، ولا يكون كـذلك إلا بالروح لقوله تعـالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد أثبت الرواية ابن كثيـر عن ابي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما جـميعا وكـذلك عن غيـرهمـا من الصـحابة وعن مـعـاوية وعن التـابعين مجـاهد وعكرمـة والحسن، ومن ثـم لا سـبيل لرفض الروايـة، بحـجـة تعـارض الآيـتين، مـادام رفع التعارض المتوهم ممكنا كما رأينا.

ولكن لأن هذا الرفع للتعارض يحتاج إلى التمييز القرآني بين البشرية والانسانية، أو بين الطينيـة في الآدمي والـروحيـة في ذاته، ويحـتـاج إلى كل مـا سـبق ذكـره في الفصول السابقـة حتى أصبح إدراك حقيقة أن للآدمي أبوتـين أبوة جسدية بشرية هي لآدم عليه السـلام، وأبوة روحية إنسـانية لابد أن يكون لها مـصدر ومبـتدأ آخر غـير الأبوة البشرية الجـسدية (المنسوبة لآدم عليه السـلام) فقد تعذر عليـهم في غياب هذه الحقيقة عنهم الجمع بين نفي أُبوة النبيﷺ عن المؤمنين وبين اثباتها له عليهم.

ولا يكون صـاحب هذه الأبوة الروحـية في الآدمـيين إلا الروح الأقـدس الأعلى الممد لـلنفوس الآدمـيـة في الأرحام أرواحـهـا، وحـيـث أن النبي هو أب المؤمنين بنص التنزيل الحكيم صراحة واستنبـاطا فإنه يكون هو بالضرورة الروح الأقدس الأعلى لا غيره.

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة المجلد الأول صـ٤٤ .

الباب الثالث

الأدلة القرآنية على سبق الوجود النبوى لخلق آدم عليه السلام

الفصل الأول: ميثاق الله على النبيين بالإيمان برسول الله ﷺ ونصرته.
صـ ١٤٥ - ١٥٠

الفصل الثانى: الميثاق الذى أخذه الله تعالى على النبيين حسب ترتيب وجودهم الدنيوى.
صـ ١٥٣ - ١٥٥

الفصل الثالث: إشهاد الله الناس على أنه ربهم الواحد فى الميثاق الذى أخذه الله على الناس بعامة
صـ ١٥٧ - ١٦٨

الفصل الرابع: الفطرة هى أثر الإشهاد والعهد والميثاق
صـ ١٧١ - ١٧٧

الفصل الأول

ميثاق الله عزوجل على النبيين بالإيمان برسول الله ﷺ ونصرته

تمهيد:-

الحجاب الرئيس الذي يحجب الحقيقة المحمدية عن قلب المسلم وذهنه وعقله، ويُعَسِّر تصوره وفهمه لها، هو المرحلة الدنيوية النبوية في هذه الحياة الدنيا أو الحال البشري للحقيقة المحمدية، الذي بدأ بمولده ﷺ، وإنتهى بانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وهؤلاء الذين يصرون على حصر الحقيقة المحمدية في سنوات عمره المبارك ﷺ هذا العمر الطيب الزاهر الذي إستنارت به الدنيا، وطهرت به الأرض من أرجاس الشياطين والأبالسة، هؤلاء مخطئون لأن هذا الحصر خطأ: منهجي وموضوعي وتنقيص عظيم من شأن الحقيقة المحمدية وقدرها تنقيصاً مضيعا لها من قلوبهم وإفساداً لعقيدتهم، حتى كأنهم أنكروها. لأن هؤلاء المحجوبين عنها بالمرحلة البشرية يجهلون ويغفلون أو يتجاهلون أو يتغافلون عن نصوص قرآنية وحديثية قطعية وصحيحة تثبت بيقين وجوداً سابقاً للنبي ﷺ قبل وبعد المرحلة البشرية، ومع هذا فهم لا يعترفون ولا يتحدثون إلا عن بشريته ﷺ أثناء حياته في هذه الحياة الدنيا.

ومن ثم نطرح هذين السؤالين:-

١- هل تضمن القرآن الكريم من الآيات ما يحمل الدلالة على سبق الوجود النبوي ﷺ خلق آدم عليه السلام؟

٢- وهل تضمنت السنة الشريفة الصحيحة أدلة على سبق وجود الحقيقة النبوية المحمدية خلق آدم عليه السلام؟

نعم للسؤال الأول. ونعم للسؤال الثاني، ونعرض في هذا الفصل الأدلة القرآنية.

أولا: الأدلة القرآنية على سبق النبوة الأحمدية خلق آدم عليه السلام:.

أما بالنسبة لاجابة السؤال الأول الخاص بالأدلة القرآنية على سبق الوجود النبوي الأحمدي خلق آدم عليه السلام، فهي ما يلي:-

الدليل القرآني الأول: ميثاق الله على النبيين بالإيمان بالنبي ونصرته.

قال تعالى﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

أما قوله تعالى: ﴿لَمَا آتيتكم﴾ فهو بمعنى لمهما آتيتكم، وتفسيرها أياً كان الذي أنزلته عليكم من كتاب وحكمة، فإنه بعد ذلك سيأتي رسول أنزل عليه ما يصدق كل ما أنزل عليكم جميعا، فأعطوني العهد والميثاق أن تؤمنوا به وتنصروه.

وفي قراءة أخرى ﴿لِما آتيتكم﴾ وهي قراءة جماعة من أهل الكوفة، وهي بمعنى للذي آتيتكم لأن «لِمَا» في الجملة بمعنى الذي عندهم. فيكون التفسير بهذه القراءة: إن الله تعالى أخذ ميثاق النبيين للذي أنزله عليهم ثم جاءهم رسول مصدق بالذي أنزله عليهم كله، عليهم أن يؤمنوا به وينصروه.

قال الطبري رحمه الله تعالى (وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية أن يكون قوله لما بمعنى لمهما بفتح اللام... لأن الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثته به إليهم سواء أكان ممن آتاه الله كتابا أو لم يؤته كتابا، وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله بأنه كان ممَّنْ أبيح له التكذيب بأحد من رسله، فإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوما أن منهم مَنْ أُنزل عليه الكتاب، ومنهم من لم ينزل عليه الكتاب كان من البين أن قراءة من قرأ ذلك ﴿لِما آتيتكم من كتاب﴾ بكسر اللام بمعنى من أجل الذي آتيتكم من كتاب، لا وجه له مفهوم إلا على تأويل بعيد وانتزاع عميق.

ثم إختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه، فقال بعضهم: إنما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ قالوا: فإنما أمره الذين أرسلت اليهم الرسل من الأمم بالإيمان برسل الله ونصرتها على من خالفها، وأما الرسل فإنه لا وجه لأمرها بنصرة أحد، لأنها المحتاجة إلى المعونة على من خالفها من كفرة بني آدم، فأما هي فإنها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها قالوا: وإذا لم يكن غيرها وغير الأمم الكافرة، فمن الذي ينصر النبي فيؤخذ ميثاقه بنصرته. وما يريد الطبري قوله أن بعض السلف فسر المأخوذ عليهم العهد بالأمم وليس الأنبياء ثم قال (ذكر من قال ذلك:[عن الربيع في قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) إنما هي أهل الكتاب، قال: وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب قال الربيع: ألا ترى أنه يقول (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يقول تؤمنن بمحمد ﷺ ولتنصرنه، قال: هم أهل الكتاب)[1] ثم قال الطبري (وقال آخرون: بل الذين أخذ ميثاقهم الأنبياء دون أمما. ذكر من قال ذلك:

أ- (عن ابن عباس قال: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم)[2].

ب- (عن ابن طاوس عن أبيه في قوله: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا) وعن طاوس (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين...) الآية، قال: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم)[3].

جـ- عن قتادة قوله:(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين...) الآية هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى أقوامهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه)[4].

---

(١) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٨٧ .

(٢) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٨٨ .

(٣) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٨٩ .

(٤) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٩١ .

د- عن السدى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..) الآية قال: لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه: ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج، وهو حي، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصرونه، إن خرج وهم أحياء)[1].

هـ- عن الحسن قال:(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..) الآية قال: ليبلغن آخركم أولكم، ولا تختلفوا...)[2].

و- بقى قول سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وهو باب مدينة العلم وهو رأس العترة التي قال عنه وعنها رسول الله ﷺ «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»؟فماذا قال في تفسير آية ميثاق الله تعالى على النبيين؟ قال: وقوله الفصل: (لم يبعث الله عز وجل نبيا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، فقال (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين...)[3].

وخلاصة قول الصحابة والتابعين في تفسير الآية هي أن الله تعالى قد أخذ ميثاق النبيين جميعا أن يؤمنوا وينصروا رسولا يأتي من بعدهم بصدق كل ما نزل عليهم جميعا من الله، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ والنبيون يشمل جميع الأنبياء بلا استثناء وليس من مخصص يخصصهم بأنبياء بني إسرائيل مثلا وهذا يرجع قول الفريق الذي جعل الميثاق للنبيين جميعا. ثم أن قوله تعالى ﴿لما آتيتكم من كتاب الله وحكمة﴾ بمعنى مهما كانت الكتب والحكمة التي أنزلتها عليكم كثيرة وجليلة وثقيلة فإنه سيأتي بعدكم رسول مصدق لها جميعا بدليل قوله تعالى ﴿ثم جاءكم رسول﴾ وثم تفيد التراخي كما أن يكون الخاتم والمعنى أن الله تعالى أخذ الميثاق على جميع النبيين والرسل ما عدا واحد، سيأتيهم لاحقا لهم وليس له بالضرورة لاحق. لماذا؟

(١) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٩٢ .
(٢) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٩٣ .
(٣) تفسير الطبري حديث رقم ٥٧٩٠ .

لأن قوله تعالى عن هذا الرسول ﴿مصدق لما معكم﴾ أي لكل النبيين أي سيكون معه الكتاب والحكمة التي تصدق ما جئتكم به جميعا لأقوامكم منزلا عليكم من عندي، مهما كان هذا الذي جئتكم جميعا به كثيرا رغم أن هؤلاء النبيين يزيد عددهم على مائة وأربعة وعشرين ألفا ورغم أن عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا فإن الكتاب والحكمة الذي سيأتي به الرسول اذي معه ما يصدق كل ما جاء به الرسل والنبيون من قبله سيتضمنان كل ما نزل عليهم جميعا، فلابد أن يكون الرسول بداهة هو خاتمهم، وان يكون القرآن الكريم والسنة هما المتضمنان للرسالات السابقة كلها أي أنهما الكتاب والحكمة المتضمنان لكل ما نزل على النبيين جميعا، وعلى هذا فالعهد المأخوذ على النبيين بالإيمان به وبنصرته ﷺ هو ليس لكى يؤمن كل نبي أو كل رسول منهم به إذا أدركه حياً، لأنه من المعلوم أنه سيأتي بعدهم جميعا، وإلا لما تحق أن تكون رسالته مصدقة لرسالتهم جميعا وهم جم غفير توالت رسالتهم عبر عمر البشرية الطويل، وإنما المعنى هو أن يؤمنوا به جميعا وينصرونه لدى أقوامهم أي يذكرنه لدى أقوامهم وبإعتباره صاحب الشفاعة الكبرى وباعتباره النور الأحمدي وباعتباره مصدر نبوتهم وباعتبار أنه أبو المؤمنين والسراج المنير لقلوبهم بدءاً بآدم إلى آخر أجيال الإيمان في تاريخ البشرية، وليس لقوله تعالى ﴿لتؤمنن به﴾ إلا أن يكون جماعة النبيين والمرسلين بمثابة أمته الأولى ﷺ، لأن كل نبي أو كل رسول يطلب من قومه أن يؤمنوا به وبرسالته لهم. فإذا آمنوا بالله وبرسالته لهم ونصره صاروا أمته وأتباعه بعد أن كانوا قومه، وتلك هي الدلالة الأولى للعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيين بالإيمان به وبنصرته ﷺ وعليهم جميعا، فمن حيث أن الرسل والأنبياء آمنوا بالرسول وتعاهدوا بنصرته فإنهم بهذا صاروا أمته ﷺ الأولى أما الذين آمنوا به بعد بعثه في الدنيا فهم أمته البشرية. ثم إن قوله تعالى مشددا عليهم العهد والميثاق بأن يؤمنوا به وينصرونه﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:٨١] فأخذ إقرارهم فأقروا بأنه نبيهم مع أنهم أنبياء ورسولهم مع أن فيهم رسلا. وليس هذا فحسب بل قال تعالى ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على ماذا هذه الشهادة

لرب العالمين مع شهادتهم؟. إنها شهادة منهم على أنه نبيهم ورسولهم الذي يجب عليهم الايمان به ونصرته كما يجب على كل قوم يُبعث فيهم رسول أو نبي أن يؤمنوا به وينصروه. وذلك لأن الاقرار بالميثاق جاء في قوله تعالى ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ إذاً فأمره لهم بعد الاقرار بالشهادة هي بأنه نبيهم ورسولهم وشهد معهم الله تعالى بهذا أي شهدوا بأنه رسول الله إليهم وشهد الله بهذا معهم.

فهل كان هذا العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم عهدا فرديا أخذه الله تعالى من كل نبي وكل رسول على حده عند بعثه في الحياة الدنيا؟

كلا: لقد كان عهداً جماعيا منهم جميعا لله تعالى، وهذا لا يكون إلا قبل الحياة الدنيا. فكان الاقرار منهم جماعيا ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ وكانت الشهادة جماعية ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، ومعيته تعالى لهم بالشهادة بقوله ﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾ معية مع جماعتهم وليست معية مع كل منهم لقوله تعالى ﴿مَعَكُم﴾ إذاً كان هذا العهد الجماعي قبل الحياة الدنيا بل قبل حياة آدم عليه السلام، وكان آدم معهم لأن آدم نبي مكلم كما أخبر عنه رسول الله ﷺ وصلى الله عليهم جميعا وسلم،، ولابد أنه كان مع النبيين الذين أخذ الله تعالى عليهم الميثاق وأمرهم بأن يشهدوا وشهد معهم على أنهم جميعا أمة النبي الخاتم الذي سينزل عليه الله تعالى من الهدى مثل مجموع ما سينزله عليهم من كتاب أي من كتب وحكمة لأن كتاب هنا بالنكرة إسم جنس يفيد الجمع.

وهذا الميثاق وهذه الشهادة يتوافقان مع سبق تقريره بأدلته بأنه ﷺ هو الروح الكلى الأعظم ومن ثم فهو مصدر نبوة النبيين ورسالته نبع رسالات الرسل. ومن ثم لابد أن يكون ﷺ أولهم في الخلق وإن كان خاتمهم وآخرهم في البعث.

الفصل الثانى

الميثاق الذى أخذه الله على النبيين حسب ترتيب وجودهم الدنيوى

الدليل القرآنى الثانى:

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب : ٧]

وهذا ميثاق آخر غليظ أخذه الله تعالي على النبيّن مبتدئا سبحانه وتعالى بالنبى ﷺ ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسيس بن مريم عليهم جميعا الصلاة والسلام وهوغير الأول . لأن مضمون الميثاق الأول هو الإيمان والنصرة للنبى الخاتم ﷺ وعليهم جميعا، أما هذا الميثاق فقد أخذه الله تعالى عليه وعليهم بدءا به ﷺ ثم بكل نبى حسب ترتيب بعثه فى الزمان الأول فالذى يليه فى البعث، بدليل أن الله تعالى ذكر أخذ الميثاق من نوح فإبراهيم فموسى فعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام بعد أن ذكر أخذ الميثاق من النبى المصطفى المطلق ﷺ

ومن ثم يكون أخذ الله تعالى الميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين علاوة على هؤلاء الخمسة الذين من قبلهم والذين من بعدهم بحسب أسبقية كل نبي في الزمان لأن قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ﴾ فبدأ بذكر النبّين ثم بدأ بالتخصيص كقولنا: ألقى المتحدثون فى الحفل كلماتهم وقام فلان وفلان.. فليس معناه أن فلان وفلان قاما بعد أن ألقوا جميعا كلماتهم، وإنما معناه أن فلان وفلان

قاما أولا لأنهما من النَّبيين فجاء ذكر الخاص بعد العام. وكذلك يكون قوله تعالى﴿وَمنكَ وَمن نُّوحٍ﴾ أى كان أخذ الميثاق بدءاً منك أول الرسل والنبيّن جميعا ولكن لأنَ الميثاقَ من جميع النَّبيّن الذين عدتهم تزيد على مائه ألف وأربعة وعشرين ألفا، وليس من الرسل الذين يزيدون على الثلاثمائة فحسب، فيفهم من هذا ضمنا أن أول من أخذ الله تعالى ميثاقه منهم بعد أخذ الميثاق من المصطفى ﷺ هو آدم، لأن آدم نبى مكلم وهو أول نبى فى البعث فى تاريخ البشرية بيد أنه لم يذكر فى الآية لأنه نبى وليس رسولا، ولم تتضمن الآية إلا ذكر الرسل الخمسة أولى العزم وأسبقهم بعثا فى هذه الحياة الدنيا هو نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام.

ولكن الذى تدل عليه الآية ضمنا أن جميع الأنبياء وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ونيِّف وجميع المرسلين وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا قد أخذ الله تعالى عليهم جميعا ميثاقهم بحسب ترتيب البعث، وهذا هو تفسير قوله﴿منَ النَّبيّنَ ميثَاقَهُمْ﴾ والنَّبيّون تشمل الرسل من غير عكس أى أن الرسل لا تشمل النَّبيين لكن النَّبيِّن تشمل الرسل. ثم وضح بقوله تعالى﴿وَمنكَ وَمن نُّوحٍ...﴾ أن الله تعالى بدأ فى أخذ مواثيق النَّبيّن وأخذ الميثاق من النبى المصطفى ثم أخَذ من كل منهم ميثاقه حسب ترتيب بعثه فى الزمان فالنبى ﷺ أول الأنبياء خلقا وأولهم فى أخذ الميثاق منه، وآخرهم بعثا فى الهيئة البشرية فى الحياة الدنيا، فهو الذى جمع النبوة من أطرافها وهذا لا يكون إلا لمن هو أصل، ويثبت لنا رسول الله ﷺ وعلى آله صحة هذا التفسير فيما أخرجه ابن أبى عاصم والضياء فى المختارة عن أُبى بن كعب، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا منَ النَّبيّنَ ميثَاقَهُمْ وَمنكَ وَمن نُّوحٍ﴾ قال رسول الله ﷺ : (أولهم نوح ثم الأول فالأول) أى حسب زمان البعث فى الحياة الدنيا فيكون آدم بعد النبى الخاتم ﷺ هو أول النبيين ونوح أول الرسل الأربعة بعد النبى ﷺ .

وكتب السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير هذه الآية (وأخرج الطبرانى وإبن مردوية وأبو نعيم فى الدلائل عن أبى مريم الغسانى رضى الله عنه أن أعرابيا قال: يا رسول الله ما أول نبوتك؟ قال: أُخذ منى الميثاق كما أُخذ من النّبيِّن ميثاقهم، ثم تلا! ! ﴿وإذا أخذنا من النّبيِّن ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾.

وكتب السيوطى فى الدر المنثور أيضا (وأخرج الطيالسى والطبرانى وابن مردويةعن أبى العالية رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خاق الله الخلق، وقضى القضية وأخذ ميثاق النَّبيِّن وعرشه على الماء..) إلى آخر الحديث الشريف وكتب السيوطى أيضا (وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله متى أُخذ ميثاقك؟ قال: وآدم بين الروح والجسد). وهذا أيضا يؤكد ما توصلنا إليه من سبق النبوة الأحمدية لنفخ الروح فى آدم، الأمر الذى يثبت أنه ﷺ هو الحقيقة الأحمدية وهو الروح الكلى الأقدس أو روح الأرواح وسر الإنسانية وفوق هذا كله هو معدن النبوة ومصدرها فى الأنبياء .

وسبق وجوده على وجود آدم وجميع النَّبيِّن، ومن أخذ الله تعالى عليه الميثاق قبلهم جميعا وأن كان هو آخرهم فى حين أخذ عليهم الميثاق بترتيب بعثهم فى الزمان، بل أنه كان نبيا وأخذ الله تعالى عليه الميثاق قبل خلق آدم والنَّبيِّن، كل هذا يدل على أنه ﷺ كان أول النَّبيِّن خلقا قبل الحياة الدنيا وإن كان هو آخرهم بعثا فى الحياة الدنيا، لأن النبوة هى ذروة سنام الإنسانية وسر كمالها، ومعلوم أن النبى ﷺ هو خير بنى آدم وسيد ولد آدم والآدمية هى خير الأنواع خلقا، ومن ثم فهو خير خلق الله على الإطلاق، وقد مَنَّ الله تعالى على الإنسان بجميع عطاياه الأسائية أى من الكنوز الأسمائية التسعة والتسعين، ولم يمن بعطاءات كنوزه بمثل ما منَّ وأعطى حبيبه المصطفى المطلق ﷺ ، ومنس ثم مَنَّ عليه بإسم الأول وبإسم الآخر. فكان من أثر هذين العطاءين له دون غيره أن جعله الأول بين النّبيِّن خلقاً وآخرهم بعثا. يدل على هذا ما أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردوية وأبو نعيم فى الدلائل والديلمى وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ﴿وإذ آخذنا من النَّبيِّن ميثاقهم...﴾قال: (كنتُ أول النّبيِّن فى الخلق وآخرهم فى البعث)، فبدأ به قبلهم، وهذا بالنسبة لجعله نبياً فهو الأول وجودا فى عالم النبوة فهذه أدلة صريحة قطعية للدلالة على سبق النبوة الأحمدية على وجود آدم أو على بدء خلقة.

الفصل الثالث

أشهاد الله الناس على أنفسهم قبل خلقهم وبعد خلق أدم عليه السلام على أنه سبحانه ربهم الواحد

الدليل القرآني الثالث:

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف آية / ١٧٢ ، ١٧٣].

وهذا هو الدليل الثالث على سبق الوجود النبوى الأحمدى خلق آدلم وذريته بما فيهم النَّبيين صلى الله عليهم جميعاً وسلم وهو الميثاق العام الذى أخذه الله تعالى على جميع الذرية الآدمية الذين سيؤمنون والذين سيكفرون على حدٍّ سواء وهو العهد والميثاق العام الذى خاطب الله تعالى فيه جميع ذرية آدم بما فيهم النّبيّن فى حالة كونهم نفوسا فى هيئة الذَّر. لأن هذا الميثاق العام لبنى آدم كان بعد خلق آدم عليه السلام كما سنرى. وفيه قال تعالى متجليًا لهذه الأنفس الآدمية فشاهدوا وسمعوا ربهم سبحانه قائلاً لهم: ألستُ بربكم؟ فردوا عليه قائلين: «بلى شهدنا» .

وهذا السؤال من الخالق جل وعلا وهذه الإجابة من الأنفس الآدمية حينئذ، لم يكونا، أى السؤال والإجابة، إلابعد تَجَلّيه سبحانه لهم بالصورة التى شاء سبحانه أن يتجلى لهم يها يومئذ وبعد رؤيتهم له سبحانه متجليًا فى هذه الصورة، وبعد إستماعهم إليه سبحانه قائلاً لهم: ألستُ بربكم ؟

ولحظة هذه المشاهدة يوم «ألستُ بربكم»؟ هى أخطر لحظات الوجود الإنسانى قاطبة لأنها هى التى يترتب عليها مصير الإنسان الأبدى فى الجنة أو فى النار .

وذلك لأن الذى إحتفظ بأثر هذه المشاهدة فى قلبه ينجو بها يوم القيامة من النار، والذى ضَيَّع هذا لبأثر من قلبه يكون مصيره إلى النار، أما علة الإحتفاظ بها أو تَضْيِيعها فهو الإيمان بالله واحداً لا شريك له والإيمان برسله صلى الله عليهم جميعاً وسلِّم وبكتبه وبملائكته و باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وأيضاً علاوة على هذا كله وتثبيتاً له، بالعمل الصالح والقيام بالتكليف، فالتكليف المنزل من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله بعامة، وعلى المصطفى الخاتم ﷺ بخاصة، هو المنهج الربانى للمحافظة على الصورة الربانية التى تلقاها الآدميون يوم «ألستُ بربكم» فى عالم الذروبنفخ الروح فى الجنين ونزول الأمانة فى جذر قلبه .

فمن مات محتفظاً فى قلبه بلا إله إلا الله محمد رسول الله بُعث يوم القيامة محتفظاً بالأمانة فى جذر قلبه ومن ثَّم يبقى أثرهذه الرؤية فى قلبه أمَّامن مات مشركاً كافراً فاسقاً أو منافقاً بُعث يوم القيامة، وقَدْ ضَيَّع هذا الأثر الربانى ومحاه من قلبه ومن ثميكون قد ضَيعّ الأمانة. فما هى نتيجة المحافظة عليها فى القلب الآدمى؟ وكذلك ما هى نتيجة محوها من القلب الآدمى ؟

يجيب على هذا السؤال الحديث الشريف الذى أخرجه الشيخان رحمهما الله عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة رضى الله عنه أخبره: أن الناس قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال النبى ﷺ هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يارسول الله، قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا: لا يا رسول الله .

قال: فإنكم ترونه كذلك يوم القيامة، يجمع الله عز وجل الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من يعبد الطواغيت، ويبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم * فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم؟!

* أحد رواة الحديث وشكُّه نتيجة تصحيف فى مخطوطة فلم يدر هل المكتوب شافعوها أم منافقوها لتشابه رسمى اللفظيْن.

فيقـولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فـإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله عز وجل فى الصورة التى يعرفرن، فيقول:أنا ربكم ؟!

فيقولون: (أنت ربنا، فيتبعـونه ويُضْرب الحجاب بين ظهرى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ...) (١) إلى آخر الحديث .

والشاهد فى الحديث الصحيح هو قوله ﷺ ﴿فـيأتيهم الله عز وجل فى صورة غير صورته التى يعرفون﴾ ثم قوله ﷺ أيضاً بعـد ذلك ﴿فيأتيهم الله عز وجل فى الصورة التى يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا ...﴾

فما هو مصدر إنكارهم لمعرفـة ربهم بالصورة التى جاءهم بها أول مرة؟ ثم ما هو مصدر معرفتهم لربهم بالصورة التى جاء بها فى المرة الأخرى ؟

المصدر بلا شك هو رؤيتهم لربهم يوم ﴿ألستُ بربكم﴾ ؟

ولماذا يَضل عنه الكافـرون يوم القـيـامة فـيظنّوُن أن الشـمس ربهـمـأو القمـر الصليب أو غيرَ ذلك من المعبودات ؟

الإجابة هى:

لأنهم لما عبدوا هذه المـعبودات الباطلة فأُشـربوها فى قلوبهم كما أُشرب مـشركو بنى إسـرائيل العجل فى قـلوبهم فَمُـحيَتْ الصـورة التى تجلى بهـا ربنا يوم ﴿ألستُ بربكم﴾من قلوبهم فَـضلّوا وإتبعوا الأَرباب والآلهـة الباطلة التى عبـدوها فى الدنيا، إتبـعوها يوم القـيامـة فأوردتهم النار. قـال تعـالى:﴿... وأُشربوا فى قلوبهم العـجل بكفرهم ...﴾ فمن عبد سيئا فى الدنيا وشرب قلْبُهُ حبَّه بُعثَ يوم القيامة وقلبه متعلق به لا يرجو أحداً سواه فإذا رآه يوم البعث يتبعه حتى يورده النار .

فالقلوب المـؤمنة أُشربت صورةربهـا عز وجل يوم ﴿ألست بربكم﴾ فـأحبَّـته فالذين حافظوا على العهد والميثاق ظلت معرفتهم بربهم قائمة فى نفوسهم وحبهم له فى قلوبهم، والآخـرُون جعلوا لله تعالى شـريكا فى قلوبهم، والله أغنى الشـركاء عن الشرك، فلا تبقى نعرفته فى قلب عبد أشرك معه فى قلبه غيره .

وحيـث أن يوم العهـد والميثـاق على كل البشـر له هذا الأثر الخطير عـلى مصير الإنسان لزم أن نتحدث عنه خلال ما ورد فيه من نصوص شرعية صحيحة تفصيلا .

(١) صحيح البـخارى كتاب التوحيـد باب وجوه يومئذ ناضرة، وفى فـتح البارى مجلد ١٣ / ص ٤١٩ حديث ٧٤٣٦

تعريف الرب سبحانه بنى آدم بنفسه فى عالم الذر:

خلق الله عز وجل آدم من طين وروح فخلقه أى خلقه بعطاءين من الأرض ومن السماء فسواه ونفخ فيه من روحه، وعلَّمهُ الأسماء، وخلق كل ذرية كائنة منه إلى يوم القيامة، وصورهم جميعاً، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا إلاَّ إبليس قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٠ , ٣٤] وقال تعالى ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٦ , ٩] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: (١١)]

لقد ثبت لنا من قبل أن الإنسان كان موجوداً فى مرحلة سابقة على هذه المرحلة التى نعيشها الآن، والمرحلة الأولى هى الموتة الأولى، وهذه الآية الكريمة الأخيرة تثبت لنا أن للإنسان خلقا أول سبق هذا الخلق الذى يتم فى الأرحام تصويراً أول سابقاً عليه، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ ومن ثم فإن الأمر بالسجود صدر منه عز وجل بعد الخلق والتصوير، لأن «ثم» تفيد الترتيب مع التراخى .

فالأمر للملائكة بالسجود لآدم وسجودها جميعاً حدث حقيقى، وليس مجازياً،

وإباء ابليس الذى كان من الجن عن السجود، حدث حقيقى وليس مجازياً، ولايمكن تأويله إلى أى معنى آخر ينفى وقوع هذا الحدث، وعلى هذا فإن سبق الخلق والتصوير لكل بنى آدم على هذا الحدث، هو حدث حقيقى أيضاً لايجوز ولا يصح تأويله بأى معنى مخالف كقول بعض القائلين أن ذلك بحكم الحال والطبيعة، وليس بحكم الأمر الواقع، أى بلسان الحال كما يقولون، لأن تأويل حدث الخلق والتصوير بما ينفى الحدوث يؤدى إلى تأويل حادث السجود بما ينفى حدوثه، وهذا لم يقله أحد منس أهل الملة. ومن ثم فالخلق والتصوير قبل الأمر بالسجود حدث حقيقى واقعى قد تم قبل بدئ تناسل آدم عليه السلام، وهذا هو الخلق الأول الذى جاء ذكره فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم وفى السنة. مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]

ومعنى هذا أن تصوير الجنين في رحم أمه لايكون لأول مرة، بل يكون موافقا للتصوير الأول الذى حدث فى الخلق الأول، فكأن هذا التصوير الأول هو الخريطة أو المخطط الذى يتم بحسبه التصوير الثانى، فيأتى التصوير فى العظم واللحم والجلد وملامح الوجه وطول الجسم وجميع الخصائص التى يتميز بها الكائن الحى فى حياته موافقاً ومطابقاً لكل ما جاء فى المخطط أو التصميم الأول لهذا المخلوق. فاتصوير الأول تطبيق وتنفيذ أول لقَدَر الكائن البشرى، الذى قدره الخالق جل وعلا.

ومن ثم يمكن أن نَسجل وجوداً سابقاً للإنسان الفرد بكل خصائصه التى تتكون منها صورته الدنيوية على هذا الوجود الدنيوى الذى يبدأ بالتكوين والتصوير فى الأرحام قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦] هذه الكيفية التى يشاء الخالق عز وجل أن يكون عليها العبد فى تصويره الثانى فى الرحم هى التى تمت بمشيئته وخالقيته سبحانه وتعالى صورة كاملة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ومعه الذرية كلها، كل منهم على صورته التى سيكون عليها فى الدنيا، ولكن فى كينونة غيبية وفى مرحلة الموتى الأولى، جاء وصفها فى الحديث الشريف بقوله ﷺ (أمثال الذر) ومن ثم أطلق العلماء على هذه الحالة الوجودية الغيبية السابقة على الوجود الدنيوى «عالم الذر»، وهو الذى أخذه الله تعالى من ظهور ذرية آدم قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٢، ١٧٣] ويبقى تفصيل القول فيها .

تلك هى عملية الإشهاد التى تمت بمخاطبة الله تعالى لذرية آدم بقوله لهم : ﴿ألست بربكم؟قالوا: بلى شهدنا﴾ فشهدوا بأنه ربهم الواحد عز وجل .

روى الترمذى عند تفسير آيه الرشهاد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم ، فقال أى رب من هؤلاء ؟

قال هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما نين عينيه، قال:أى رب من هذا ؟

قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود

قال: رب وكم جعلت عمره؟

قال: أى رب قد وهبتُ له من عمرى أربعين سنه؟ فلما إنقضى عمر آدم جاءه ملك الموت .

قال: أولم يبق من عمرى أربعون سنة ؟!

قال: أولم تعطها إبك داود؟

قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسى آدم، فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته) (١) وروى هذا الحديث ابن أبى حاتم فى تفسيره بسنده إلى أبى حاتم فى تفسيره بسنده إلى أبى هريرة رفعه، وذكر نحو ما تقدم إلى أن قال(ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام

فقال آدم: يارب لم فعلت هذا بذريتى ؟! فقال: قال: كى تُشكر نعمتى .

قال آدم: يارب من هؤلاء الذين أراهم أَظهَر الناس نوراً ؟

قال: هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك. ثم ذكر قصة داود على نحو ماتقدم)(٢).

(١) رواه الترمذى في كتاب التفسير وقال هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح علي شرط مسلم.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ص ٢٦٣ .

لقد رأى آدم ذريته كلا بصورته التى سيكون عليها فى الدنيا، فرأى الأنبياء وما يتميزون به من نور على غيرهم،ورأى ما يتميز به داود وسأل عنه وعن عمره،ورأى أصحاب الإبتلاءات البدنية من المرضى وذوى العاهات،وسأل الله عن الحكمة من مشيئته فى إبتلائها بهذه الإبتلاءات،فكل هذا يدل على حدث حقيقى وليس أمراً مجازياً،ومن ثم تكون مخاطبة الله تعالى لنا نحن أبناء آدم قبل الخلق،وشهادتنا بأنه ربنا الواحد قد حدث بالفعل .

ولكن هل كان خطاب الله عز وجل لنا مواجهة؟ أو بتعبير آخر هل تمت الرؤية من بنى آدم لله عز وجل مع الكلام، أم كان كلاماً بلا رؤية، أى من وراء حجاب ؟

يجيب على هذا السؤال الهام فى موضوعنا مارواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال إن اللهأخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرها فنثرها بين يَدَيْهِ ثم كلمهم قُبلاً قال(ألستُ بربكم؟قالوا: بلى شهدنا،أن تقولوا سوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين إلى قوله «المبطلون»)(١) فقوله «قُبلاً» ليفيد معرفة الله تعالى كفاحاً ويفيد الرؤية مع الكلام ،وتكون هى الرؤية التى رأى الناس فيها ربهم أول مرة والتى بناء عليها يعرفه المؤمنون يوم القيامة فإذا أتاهم الله تعالى فى غير هذه الصور التى رأوه فيها أول مرة فى عالم الإشهاد بكلامه لهم قُبلاً كما جاء فى هذا الحديث ، فإنهم ينكرونه كما جاء فى الحديث (فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون: لست ربنا...) ثم يأتى لهم فى صورته التى روه فيها أول مرة فيعرفونه كما جاء فى الحديث (ثم يرفع برنا ومسيئنا وقد عاد لنا فى صورته التى رإيناع فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعم أنت ربنا، ثلاث مرات، ثم يضرب الجسر على جهنم ..) .

---

(١) رواه الترمذى في كتاب التفسير وقال هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح علي شرط مسلم.

إذن كلام الله لبنى آدم جميعاً قُبلاً قائلاً لهم (ألست بربكم؟) فى عالم الذر فى الخلق الأول هو الأصل والأساس لمعرفةالإنسان لربه. هذه المعرفة التى هى سفينة النجاة يوم القيامة لمن حافظ عليها .

ويؤكد أن الأخذ من ظهر آدم ونزول ذريته من ظهره كان حقاً وليس مجازاً ،

ومن ثم يكون قوله «قُبلاً» تعبيراً عن حدث قد وقع لبنى آدم فى المرحلة الوجودية السابقة على وجودهم الدنيوى، وهذا يؤكد ما رواع ابن جرير بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم:(ألست بربكم؟.قالوا: بلى) قالت الملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (١) .

وفى مسند أحمد رحمه الله عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية(وإذا أخذ ربك من بنى آدم..) فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعتُ رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه كل ذرية، قال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل الناريعملون.

فقال رجل: يارسول الله ففيم العمل ؟

قال رسول الله ﷺ :(إذا خلق الله العبد لللجنة إستعمله بأعمال أهل الجنة، ثم يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار إستعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ،فيدخله به النار)(٢).

قال ابن كثير تعقبا على هذا الحديث (وهكذا رواه أبو داود والنسائى والترمذى فى تفسيرهما وأخرجه ابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن)(٣).

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ص ٢٦٣ .
(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.

وهذه الرواية تتضمن جزءاً يخص عقيدة القدر فى الإسلام ومثلها ما رواه ابن جرير أيضاً عن هشام بن حكيم رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال: أن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهمثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم فى كفَّيهْ ، ثم قال (هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار فأهل الجنة ميسيرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار) (١).

وروى إبن مردوية ، وبسنده ضعف ، عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ (لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال: يا أصحاب اليمين ؟

فقالوا: لبيك وسعديك ؟

قال: ألست بربكم ؟

قالوا: بلى ، قال: يا أصحاب الشمال ؟

قالوا: لبيك وسعديك ، قال: ألست بربكم ؟

قالوا: بلى.(ثم خلط بينهم ، قال قائل له يارب لم خلطت بينهم؟ قال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين ، ثم ردهم فى صلب آدم) (٢) .

وشهادة الناس بأنه سبحانه ربهم هى العهد والميثاق الذى أخذه الله عليهم قبل خلقهم فى هذه الحياة الدنيا .

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (يقال للرجال من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لوّ كان لك ما على الأرض من شئ أكنت مفتدياً به ؟

قال فيقول: نعم فيقول: قد أردتُ منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك العهد فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيءاً فأبيت إلاّ أن تشرك بى) (٣) قال ابن كثير تعقيبا (أخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة) (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٦١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة وعزاه السيوطى فى الدر المنثور للبخارى ومسلم.

(٣) المصدر السابق و الصفحة.

(٤) نفس المصدر والصفحة وعزاه السيوطى فى الدر المنثور للبخارى ومسلم.

وعن جرير أيضاً قال (مات إبن للضحاك ابن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر: إذا أنت وضعت ابنى فى لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده ، فإن ابنى مُجْلَسُ ومسئول ، ففعلتُ به الذى أمر ، فلما فرغتُ قلت :يرحمك الله عما يسأل إبنك من يسأله إياه قال: يُسأل عن الميثاق الذى أمر به فى صلب آدم وقال: حدثنى ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يومالقيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا بع شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ، ثم أعادها فى صلبه ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعُطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فَوَقَّى بع نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة) (١) قال ابن كثير تعقيباً على سند هذه الرواية وهذه الطرق كلها مما تقوى وقف هذا على ابن عباس .

ولعل من أفضل ما قيل فى تفسير آية الإشهاد ما رواه عبدالله بن الإمام أحد بن حنبل فى مسند أبيه بسنده موصولاً إلى أُبَىْ ابن كعب رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ﴿ وإذا أخذ ربك من بنى آدم...﴾ الآية ، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ماهو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم فى صورهم ثم إستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى الآية ، قال فأنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأُشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا: إعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رل غيرى ، رلا تشركوا بى شيئاً وإنى سأرسل لكم رسلاً لينذرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى .

قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك . فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يارب لو سوَّيت بين عبادك ؟

قال: إنى أحببتُ أن أُشكر

ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة

(١) ذكره السيوطى في الدر جـ ٢ صـ ١٥٥ وقال (واخرج ابن جرير عن جويبر).

والنبوة فهو الذى يقول تعالى ﴿وإذا أخذنا من النَّبيِّين ميثاقهم﴾ الآية وهو الذى يقول ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله﴾ ومن ذلك قوله ﴿هذا نذير منس النذر الأولى﴾ ومن ذبك قوله ﴿وما وجدنا لأكثرهم منس عهد ﴾ الآيه [(١)] .

فالعهد والميثاق الأول الذى أخذه الله تعالى على بنى آدم هو الذى تم بالإشهاد ، أورد السيوطى فى الدر المنثور قال أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس فى قوله ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم﴾ الآية قال (أن الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم: من ربكم فقالوا:(الله ربنا. ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة) [(٢)] .

وذكر السيوطى أيضاً قال: (وأخرج عبد الزراق وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال: مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه ما يكون من ذريته إلى يوم القيامة وأخذ ميثاقهم أنه ربهم وأعطوه ذلك فلا يُسأل أحدُ كافرُ ولا غيره مَنْ ربك؟ الإقال: الله)[(٣)] وفى هذا إشارة إلى الفطرة أى طبيعة التدين التى تجعل التسليم بالخالق عز وجل أمراً فى النفس البشرية (وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى هاشم وابن منده فى كتاب الرد على الجهمية وأبو الشيخ عن ابن عباس فى الآية قال (أخرج ذريته من صلبه كأنَّهم الذر فى أذى من الماء) [(٤)] .

وأخرج ابن عبد البر فى التمهيد من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله تعالى ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قالوا: لما أخرج الله آدم من الجن قبل تهبيطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل

اللؤلؤكهيئة الذر فقال لهم: إدخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سواء كهيئة الذر ، فقال: إدخلوا النار ولا أبالى ، فذلك قوله

(١) تفسير ابن كثير / جـ٢/ ص٢٦٣.
(٢) الدر المنثور جـ٣ ،ص١٥٣ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) نفس المصدر جـ٣ صـ١٥٤.

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم؟ قالوا: بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ، قالوا: فلي أحد من ولد آدم إلاّ وهو يعرف الله أنه ربه وذلك قوله عز وجل ﴿وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ وذلك قوله ﴿فاللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ يعنى يوم أخذ الميثاق) (١) .

(١) المصدر السابق صـ ١٥٤ .

الفصل الرابع

الفطرة هى أثر الإشهاد والعهد والميثاق على النفس الإنسانية

الفطرة هى أثر الإشهاد والعهد والميثاق :

فطرةالله تعالى التى يولد بها كل مولود من بنى آدم هى الأثر الهام الذى ورثه الإنسان من الإشهاد أو العهد والميثاق الأول. قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ـ وفى رواية «على هذه الملة» ـ فأبوه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟!) (١) فما هى الفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها ؟

قال ابن فارس (فطر: الفاء والطاء والراء: أصل صحيح يدل على فتح شئ وإبرازه.

من ذلك الفطر من الصوم لأن الصائم يفتح فاه بعد غلقه عن الطعام ، ومنه الفطرُ بفتح الفاء فطرت الشاه فطراً أى حلبتها ، والفطرة : الخلقة) (٢) .

والفطرة بالفتح: الشق يقال فطرُ فانفطر، وتفطر الشئ تشقق، ومنه قوله تعالى: ﴿إذا السماء أنفطرت﴾ والحديث (قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه أى إنشقتا

(١) صحيح مسلم / ٨ / ٥٢ وفى المختصر ، ١٨٥ .
(٢) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة جـ٤ صـ ٥١٠ .
(٣) مختار الصحاح ص ٢١٢ .

والفطرُ: الابتداء والإختراع) (٣)

وفى لسان العرب (قال ابن عبّاس رضى الله عنهما كنت لا أدرى ما فاطر السماوات حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى أبتدأت حفرها)(١) وفيه أيضاً (وفطر الله الخلق لبفطرهم خلقهم وبدأهم) والفطرة الابتداء والاختراع... والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به).

وجاء فى لسان العرب أيضاً (فطرة الله التى فطر الناس عليها)لفظ الفطرة نصوب بمعنى اتبع فطرة الله لأن معنى قوله فاقم (وجهك للدين) أى اتبع الدين القيم اتبع فطرة الله أى خلقة الله التى عليها البشر... ومعناه أن الله فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء فى الحديث، أن الله أخرج من صلب آدم ذريته كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم. (٢)

فمعنى فطرة الله أى دين الله الذى فطر الناس عليه، والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد. (٣)

هذا معنى الفطرة فى اللغة، أما المعنى الشرعى فقد وردت عدة أحاديث فى تفسير آية الفطرة أولها أحاديث الاشهاد والعهد والميثاق والحديث السابق ذكره عن أبى هريرة فى الصحيحين.

كذلك أخرج مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ (يقول الله أنى خلقتُ عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فإجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم). (٤)

وروى أبو جعفر بن جرير رحمه الله بسنده عن ا لأسود بن سريع ن بنى سعد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال: فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتُلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال «ما بال أقوام يتناولون الذرية» فقال رجل:

---

(١) ابن منظور / لسان العرب جـ ٥ صـ ٣٤٣٥ .

(٢) لسان العرب صـ ٣٤٣٣ .

(٣) لسان العرب صـ ٣٤٣٥ .

(٤) صحيح مسلم .

يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟!

فقال: إن خيار كم أبناء المشركين، ألا إنها ليست نسمة تولد الاَّ ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسّانها فأبواها يهودانها وينصرانها). (١)

وأخرج أبن مردوية عن أنس عن النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فطرة الله التى فطر الناس عليها قال: دين الله.

ولم تخرج أقوال التابعين فى الفطرة عن هذا المعنى. قال مجاهد الفطرة: الدين الإسلام، وعن عكرمة: الفطرة الإسلام وقال مكحول: الفطرة معرفة الله.

وأخرج ابن جرير عن معاذ أن عمر رضى الله عنهما قال له: ما قوام هذه الأمة؟!

قال: ثلاث وهى المنجيات.

أ- الإخلاص: وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

ب- والصلاة: وهى الملة.

جـ- والطاعة: وهى العصمة.

فقال عمر رضى الله عنه صدقت)

أى أن معنى قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ أى أقم وجهك لهذا الدين المنزل عليك من السماء الذى هو مطابق للفطرة التى يولد عليها الناس. فالفطرة هى طبيعة الإنسان الأولى عند مولده وفى طفولته حتى يبين عنه لسانه ببلوغ سن الرشد، وإختياره الدين الذى يعيش به. فالفطرة إذن تتحول من معرفة الله تعالى بمقتضى الجبلة واحداً لا شريك له إلى الشرك والكفر أى من الإسلام إلى النصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو العلمانية أو الماركسية أو أى مذهب أو دين أو ملة أخرى مخالفة للتوحيد.

أما معنى قوله تعالى فى الآية: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ أي لا تبديل لدين الله، هذا ما قاله التابعون والمعنى أنه لا يولد ولن يولد مولود إلا على دين الله أى على الإسلام حتى ولو كان هذا المولود من آياء وأجداد مشركين. أى أن شرك الآباء والأجداد لا يؤثر على فطرة الأبناء والأحفاد. هذا منذ آدم إلى أخر من يولد من ذريته على وجه

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٢٦١.

الأرض.

وحديث أبى هريرة المرفوع فى الصحيحين يدل على ذلك بقول النبىّ ﷺ (كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟!) أى أن جدع البهائم لا يؤثر فى ابنائها وذريتها فهى تولد سليمة خالية من الجدع، كذلك التشوية الذى يحدث فى فطرة المشركين بشركهم لا يؤثر فى فطرة التوحيد أبنائهم ومعرفتهم بربهم وقت ولادتهم وحتى بلوغ عمر التكليف.

ولعل أهم ما يفيدنا فى موضوع الفطرة هو تفسير مكحول لها بأنها معرفة الله عز وجل . إذ تشير هذه المعرفة إلى مصدر النور فى قلب صاحبها.

أثر الاشهاد والميثاق والفطرة على النفس الإنسانية:

١ - خلق الله عز وجل الإنسان فى حالة وجودية سابقة على هذه الحياة الدنيا وهى الخلق الأول أو الموتة الأولى أو هى مرحلة عالم الذر.

٢ - خلق الله عز وجل آدم من تراب: سوَّاه بيديْه ونفخ فيه من روحه وعلَّمه الأسماء وأسكنه الجنة وأسجد له الملائكة.

٣ - إستخرج الله من ظهر آدم عليه السلام كل نسمة كائنة من ذريته أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه ربهم فشهدوا جميعاً بأنه خاطبهم جميعاً قبلاً قائلاهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، وهذا هو العهد والميثاق الأول الذى أخذه عليهم وعلى الأنبياء. فكلمهم الله وكلموا الله ورأوه ومن ثم عرفوا ربهم، ومن ثم كانت شهادتهم وإقرارهم على أساس هذه المعرفة.

٤ - نتيجة الإشهاد معرفة الله عز وجل ربا واحداً ، معرفة فطرية مغروسة فى نفس كل فرد من أفراد البشر يولد بها، مهما كان آباؤه وأجداده على الشرك والضلال. بالرغم من نسيان الإشهاد فى هذه الحياة الدنيا. أى نسيان الحدث نفسه وليس أثره.

٥ - معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى عرفنا بنفسه بالمواجهة: بالكلام وبالرؤيا قبلا. وتلك هى رؤيتنا له أول مرة. ثم أُنسى الإنسان الإشهاد والرؤيا وكل هذه المرحلة الوجودية السابقة لحكمة الإبتلاء وبقى أثر ذلك كله فى

نفسه معرفة فطرية بالله عز وجل.

٦- أعطى الله تعالى كل فرد من أفراد البشر صورته التى سيكون عليها فى الدنيا وهى الصورة التى ظهر بها الخلق الأول حتى آدم عليه السلام لما نظر إليهم رأى فيهم حسن الصورة ومن هو دون ذلك ورأى فيهم أصحاب العاهات والاسقام وعلم من الله تعالى أنه شاء ذلك لهؤلاء حتى يعترف الاصحاء والاسوياء بنعمة الله تعالى فيشكروه.

٧- رأى آدم بين عينى كل فرد من ذريته وبَيصاً من نور ولا حظ تميز وبيض نور داود فتناول له عن أربعين سنة من عمره، ولكنه نسى وجحد عندما جاءه ملك الموت.

٨- لاحظ آدم تميز نور فئة ن أبنائه عن سائر الذرية فسأل عنهم فعلم أنهم الأنبياء.

٩- الحكمة من الإشهاد إقامة الحجة على الناس يوم القيامة فمن أشرك لا يقبل إحتجاجه بالجهل أو الغفلة، ولا يقبل إحتجاجه بدين الآباء، لأن الله عز وجل عرفه بنفسه فجاء كل مولود على الفطرة الحنيفية، فالجهل والبيئة ليسا عذرين مقبولين للشرك، ولا يوجد عذر مقبول للشرك على الإطلاق. فلا يقبل الاحتجاج بتأثير الآباء والمجتمع والإعلام وكل دعاة الضلالة.

١٠- عيد الله تعالى بتعذيب كل من يموت على الشرك وعدم المغفرة له حق، ووعده بأن يغفر ما دون ذلك لمن يشاء حق قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٤٨) وعلى هذا فكل من مات من أبناء آدم موحداً سواء وصلته رساله السماء أو لم تصله فإنه يحاسب على معرفته الفطرية بالله عز وجل أى فطرته الموحدة، فهو من الناجين بإذن الله، ولا يحاسب الله عز وجل على التكليف إلا الذين وصلتهم رسالة الأنبياء والرسل مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج وفعل الواجبات وترك المنكرات هذا معنى قوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء ١٥) أى على التكليف الذى يأتى به

الأنبياء.

١١- مَيَّزَ الله سبحانه وتعالى بين الذين علم أنهم سيختارون طاعته ويحافظون على معرفتهم به ويموتون بعد الابتلاء على التوحيد الفطرى، وبين الفريق الآخر الذى علم سبحانه عنه أنه سيعصى الله عز وجل ويطمس فطرته الحنيفية ويمحو أثر معرفة الله تعالى فى قلبه، ومن ثم يموت على الكفر والشرك. فجعل هؤلاء فى جانب آخر، وعلن سبحانه لآدم أن هؤلاء أهل الجنة وأن أولئك سيكونون أهلا للنار بأعمالهم التى سيعملونها فى الدنيا، وليس بسبب هذا التمييز، لأن أهل النار أعطوا الله العهد والميثاق مثل أهل الجنة، فعلمُ الله السابق بكل ما سيحدث لا يؤثر فى أعمال العباد لأنه عيب عليهم. ثم خلط بينهم ثانية لأن مقتضى الابتلاء فى الدنيا أن يبتلى هؤلاء بأولئك، حتى يكون من الأسرة الواحدة المؤمن بالله واحداً لا شريك له، والكافر به عز وجل ، ثم أعادهم إلى صلب آدم عليه السلام، أو بتعبير: أدق أعادنا إلى صلب أبينا آدم عليه السلام لينتظر كل منا دوره للنزول إلى الأرض للإبتلاء فى الصورة البشرية.

١٢- سأل آدم عليه السلام عن صاحب النور المتميز بين الأنبياء وعن عمره، الخ ولم يسأل عن نور أى رسول من الرسل الأربعة أولى العزم ولا عن سائر الرسل، كما لم يسأل عن نور النفس المحمدية وذلك لشهرته ﷺ فى السماء وشهرة الأربعة أولى العزم نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى وسائر الرسل، إذ من المعلوم بداهة أن نور النبى الرسول أقوى من نور النبى، وآدم نبى وداود عليهما السلام نبى، ولكن داود عليه السلام متميز بنوره عن أقرانه من النبيين كما أنه متميز بكتابه عن كتبهم قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ (الإسراء ٥٥) فلما رأى آدم أن نور داود أقوى من نور سائر النبيين أعجبه هذا وتنازل له عن أربعين من عمره ثم أنكرها وجحرها. فليس لأحد أن يظن أن نور داود أقوى من نور الرسل، أو أقوى من نور رسول الله ﷺ ، وإنما سأل آدم عمن لا يعرف ولم يسأل عمن هو معروف معلوم لأهل السماوات، أعنى الخمسة أولي

العزم وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ .

فخلاصة هذا الباب أن جميع المواثيق تثبت وجودا أوليًا وكينونة سابقة للرسل والنبيين، بل ولكل الناس على هذا الخلق الثانى أو الكينونة البشرية التى هى من الأرض وعلى الأرض ثم فى الأرض، أفليس هذا كافيا لاثبات وجود أسبق للنبىّ ﷺ على وجود الرسل والأنبياء والناس أجمعين، وبخاصة الميثاق الذى أخذه الله تعالى على الرسل والأنبياء بالإيمان به ﷺ ونصرته.

والحكمة من اثبات سبق وجوده عليهم وعلى الناس جميعاً هى لإثبات أنه النبع النورانى الذى يمد الرسل والنبيين والمؤمنين بأنوار قلوبهم أو بالطاقة التى تنير مصابيح قلوبهم، أى لاثبات أنه الروح الكلى الأعلى الأقدس الذى يمد الله تعالى منه الناس بارواحهم. فالأصل يسبق فروعه ليس سبقاً فى الزمان فقط بل فى الفضل والتكريم أيضاً.

الباب الرابع

الأدلة الحديثية الصحيحة على سبق النُّبُوَّة الأحمدية خلق آدم عليه السلام وشهادته ﷺ أخذ المواثيق

تمهيد

الفصل الأول: وآدم بين الروح والجسد.

الفصل الثاني: الحكمة من جعل الله تعالى رسوله ﷺ نبياً قبيل نفخ الروح فى آدم عليه السلام.

الفصل الثالث: الأدلة القرآنية بمحض دلالة اللغة على إشهاد الله تعالى النبى ﷺ على أخذ المواثيق الثلاث.

الباب الرابع

الأدلة الحديثية الصحيحة على سبق النُّبُوَّة الأحمدية على خلق آدم عليه السلام وشهادته ﷺ أخذ المواثيق

تمهيد:

وأما بالنسبة للإجابة على السؤال الثانى الخاص بالأدلة الحديثية الصحيحة على أسبقية الوجود النبوى على خلق آدم عليه السلام، فمن الأنسب أن أبدأ بالتذكير بالحقيقة التى سنثبتها بالأحاديث الشريفة الصحيحة فأقول: إن النبوة المحمدية أو بتعبير آخر النور الأحمدى هو عين الروح الكلى الأقدس الذى نفخ الله تعالى منه فى آدم البشر ليرتقى إلى آدم الإنسان النبىّ، وكذلك نفخ منه ﷺ فى سائر نفوس النبيين والرسل الأكرمين صلى الله عليهم جميعاً، وهذا يثبت قيام حقيقة النبوة الأحمدية التى هى عين الروح الكلى الأقدس قبل خلق آدم عليه السلام لإمداده وذريته بالأرواح المنفوخة فيهم فى نهاية الأربعين يوماً الثالثة من أعمار الأجنة فى الأرحام.

الفصل الأول

وآدم بين الروح والجسد

وأما الأدلة الحديثية الصحيحة على هذا السبق الوجودى للحقيقة المحمدية فى مرحلة النور الأحمدى لخلق آدم عليه السلام فهى ما يلى:-

الأول: أورد الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ما أخرجه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح بسنده عن ميسرة الفجر رضى الله عنه قال:

قلت يا رسول الله متى كنت نَبِيّاً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد [1]

الثانى: رواية أخرى لنفس الحديث فى المستدرك للحاكم «عن ميسره الفجر قال: ثم قلت لرسول الله ﷺ وعلى آله: متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد» قال الحاكم معقّباً: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، أى أنه على شرط البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى، ولم يخرجاه [2] الملاحظ فى رواية الحاكم أن سؤاله هو (متى كنت) لبينما رواية أحمد والطبرى (متى كتبت) فعل الاختلاف ناتج عن وقوع الرواة فى التصحيف، ولأن الصحابى الذى روى الحديث هو ميسرة رضى الله عنه فى الروايتين.

(١) مجمع الزوائد للهيثمى حديث رقم ١٣٨٤٣ .

(٢) الحاكم فى المستدرك على الصحيحين حديث رقم ٤٢٠٩ جـ ٢ صـ ٦٦٥ .

الثالث: وأخرج الحاكم والخطيب (عن أبى هريرة وقد سئل رسول الله ﷺ : متى وجبت لك النبوة؟، قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه) .(١)

الرابع: وأخرج ابن عساكر هذا الحديث عن أبى هريرة أيضاً بلفظ (فيما بين خلق آدم ونفخ الروح فيه). (٢)

الخامس : وأخرج ابن حيان فى صحيحه والحاكم عن العرباض بن سارية مرفوعاً (إنى عند الله لمكتوب خاتم النبيين، ون آدم لمنجدل فى طينته) (٣) أى لم يكن نبياً فى هذا الحين فحسب، بل كان مكتوباً عند الله تعالى أنه خاتم النبيين مع أنه أولهم خلقاً.

السادس: أورد السيوطى فى الدر المنثور بسنده عن مطرف ابن عبد الله بن الشخير أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ وعلى آله (متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والطين) والسؤال فى هذا الحديث (كنت) وأورده الشيخ المتقى الهندى فى كنز العمال بلفظ (قال: بين الروح والطين من آدم). (٤)

السابع: وأخرج ابن أبى شيبه فى مُصنَفْه بسنده عن عبد الله بن شفيق أن رجلاً سأل النبى ﷺ : متى كنت نبياً، قال: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد). (٥)

وهكذا نجد أن أكثر الروايات (متى كنت؟) ولم ترد (كتى كتبت؟) إلا مرة واحدة.

الثامن: وفى مسند أحمد بسنده إلى عبد الله بن شفيق عن رجل قال (قلت يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال وآدم بين الروح والجسد).

---

(١) عن كنز العمال للمتقى الهندى صـ ١١ / رقم ٣٢١١٥

(٢) نفس المصدر حديث رقم ٣٢١١٦

(٣) كشف الخلفاء للعجلونى حديث ٢٠٠٧

(٤) كنز العمال للمتقى الهندى جـ١١ حديث ٣٢١١

(٥) مصنف ابن أبى شيبة صـ ٧ حديث ٣٢٩

وحيث أن آدم عليه السلام نبى مكلم كما أخبر بهذا النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حديث صحيح للمتقى الهندى فإن النبىّ بمقتضى أنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد، أى قبل تمام خلقه وإنساناً فإنه ﷺ يكون أول النبيين خلقاً، وإن لم يكن آنئذ بشراً وإن كان آخرهم بعثا فى الكينونة البشرية، إذ ليس لقوله ﷺ (كنت نبياً) أو (جعلت نبياً) وآدم بين الروح والجسد من دلالة سوى دلالة واحدة، وهى أنه كان قد خلقه الله تعالى نبياً.

لقد حاول البعض تفسير الحديث بأنه كان مكتوباً نبياً إعتماداً على قوله ﷺ (إنى عند الله لكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته) فهذا حديث وذلك حديث آخر. ولكل منها دلالته التى لا تتعارض مع دلالة الآخر، لأن موضوع الأخير هو ختم النبوة به مع كونه نبياً قبل خلق آدم، وليس من دلالة كونه أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً إلا أنه أصل النبوة ومعدنها وهذا هو الروح الكلى الأقدس، كذلك حاول البعض ممن يتوهمون أن إثبات وجود سابق للنبىّ ﷺ على خلق آدم عليه السلام فى كينونة غير بشرية يؤدى إلى الشرك بزعم أن هذا يؤدى إلى إثبات أزليته أو قدمه ﷺ فإعتمدوا على رواية (متى كتبت نبياً) ليفسروا أحاديث (متى كنت) و(متى جعلت) بأن معناهما (متى كتبت) أى متى قدر الله تعالى نبوتك وكتبك نبياً فى كتب القادير؟

وهذا معنى أو تفسير أو دلالة مرفوضة تماماً، ومردود عليها بالأحاديث الصحيحة التى تثبت كينونته وجعله نبياً وآدم بين الروح والجسد. ومردود عليها بأن هذا السؤال (متى كتبت) لا معنى له لأن النبىّ ﷺ وعلى آله قد علّمنا أن الله عز وجل قد كتب مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين آلف سنة وكان عرشه على الماء، والآيات والأحاديث الصحيحة تثبت هذا كله، حتى الورقة تسقط من شجرتها مدونة عند الله تعالى فى كتاب. فكيف يكتب أفضل وخير خلق الله تعالى قاطبة نبياً قبيل خلق آدم عليه السلام فحسب؟ أما قوله ﷺ (إنى مكتوب خاتم النبيين وآدم

لمنجدل فى طينتـه) إخبار بأن الله خلقه أول النبيين مع كـونه خاتمهم فهو النبـوة معدنا وأصـلا ومصـدراً وليس النبوة إلا الروح الكلـى الأقدس سـر نبوةَ النبـيين ونبع إيمان المؤمنين.

إذاً التصحيـف فى السؤال (متى كتبت) الذى صحف (متـى كنت) و«كنت» تفيد كينونتـه ﷺ نبياً قـبل خلق آدم عليه السلام، بل تفـيد أنه النبىّ بألف ولام الاستـغراق فهو النبـوة الخالصة من غيـر البشرية، وهو عين الروح الكلى أو ا لنور الأحـمدى أما النور المحمدى فهو النبوة القائمة فى الكينونة البشرية.

التـاسع: كذلك نجـد من السلف الصـالح الذى سأل عن مـعنى عبـارة (وآدم بين الروح والجسد) فـيما رواه الخلال فى كتابه السـنة فقال (أخبرنى حرب بن إسـماعيل الكرمـانى قال قلت لإسحـق يعنى ابن راهوية (حديث مـيسـرة الفجر قـال: قلت: يا رسول الله: متى كنت نبياً؟، قال : وآدم بين الروح والجسد) ما معناه [1]؟ قال: قبل أن تنفخ فيه الروح وقد خُلِقَ) والسائل عن مـعنى الحديث هو الكرمانى أما الذى أجاب فهو الإمام ابن راهوية وهو من أئمة أهل السنة رحمه الله تعالى ومن الحفاظ وفى قوله ﴿وقد خُلِق﴾ دليل على أن آدم كان قد تم خلقه بشـراً سوياً ولم تنفخ فيه الروح بعد، أما قـوله شرحـاً للحـديث أنه ﷺ وعلى آله كان نبياً بعـد خلق آدم بشراً وقـبل نفخ الروح فيه، فـمن الواضح أن ابن راخوية كان يريد بهذا الشـرح إثبات الصلة بين نفخ الروح فى آدم وبين نبوة المصطفى ﷺ حينئذ وهذا يثبت أن حقيقة النبوة الأحمدية هى عين الروح الأقدس الذى ينفخ الله تعالى منه نفـوس الأنبياء والمؤمنين، بل وكل أجنة الآدمين جميعاً. فقول الله عز وجل ﴿...فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعدوا له ساجدين ....﴾ يستلزم سبق النبوة الأحمدية على بدء خلق آدم.

العاشر: وكـتب السيوطى رحمـه الله فى الدر المنثور فى تفسيـر قوله تعالى :﴿وإذ أخذنا مـيثاق النبيين..... الآية﴾ كـتب هذا الحديث (وأخرج ابن سعـد النابحى قال:

(١) السنة للخلال جـ١ رقم ١٩٩ صـ ١٨٧ وقال اسناده صحيح.

قال عمر رضى الله عنه: متى جُعلْتَ نبياً؟ قال: وآدم منجدل فى الطين) وهذا السؤال الدقيق من عمر رضى الله عنه بلفظ (جُعِبْتَ) بدلا من (كنت) أدق، لأنه يدل على أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعلم أن النبىّ ﷺ كان مخلوقاً قبل أن يجعله الله تعالى نبياً فكان فى حال علوى قدسى آخر سابق على حال النبوة، والدليل على هذا أنه لم يقل له: متى خلقت نبياً؟ أو متى وجدت نبياً. إذ السؤال (بمتى جعلت) يفيد أنه كان موجوداً فى حال قدسى أشرف عالى غير حال النبوة، وكل أحواله قدسيه شريفة وعالية ﷺ، ثم صيره الله تعالى إلى حال النبوة أى من شرف إلى شرف ومن نور إلى نور. وكذلك يدل السؤال بمتى كنت نبياً؟ على هذه الدلالة ضمنا، لأنه يتضمن أن وجوده ﷺ لم يبدأ بحال النبوة، وإنما يفيد أنه كان من قبل كائنا ومخلوقاً فى حال غير حال النبوة، لأن الخلق فى ايجاد الشئ بعد أن لم يكن، فلو كانت الدلالة المطلوبة أن الله تعالى خلقه ﷺ أول ما خلقه نبياً لكان السؤال: متى خلقك الله نبياً، ولكن السؤال: متى كنت؟ وكنى جعلت؟ يفيد قطعاً أن السائل لما تأكد له أنه كان ﷺ مخلوقاً قبل أن يجعله الله نبياً سأل: متى جعلت؟ وكذلك لما تأكد الصحابى الآخر أنه كان موجوداً أى كائناً قبل أن يكون نبياً سأله: متى كنت؟ وهذا دليل قيطعى على أنه سابق على حال النبوة ثم جعله فى حال النبوة. ومن ثم طرح عمر بن الخطاب رضى الله عنه السؤال عن موعد وزمن جعله نبياً ﷺ كما ورد السؤال إستفهاما عن زمن كونه نبياً ولم يرد أبداً بصيغة: متى خلقت نبياً.

الحادى عشر: ورد الاستفهام عن زمن أو موعد نبوته ﷺ أيضاً بلفظ آخر فيما أخرجه (ابن سعد رضى الله عنه قال: قال رجل للنبىّ ﷺ: متى أُستنبئت.؟ قال: وآدم بين الروح والجسد حين أخذ منى الميثاق) أورده السيوطى فى الدر المنثور.

والسؤال هنا عن موعد أو زمن استنبائه أى بدء نبوته ﷺ، كما أن قوله ﷺ وعلى آله (حين أخذ متى الميثاق) يدل على أنه كان نبياً قائماً بين يدى ربه عز وجل يعاهده ويعطيه الميثاق، وهذا يرد شرح الحديث بأنه كان مكتوباً، ولم يكن مخلوقاً ومجعولاً وقائماً بالنبوة بين يدى ربه عز وجل قبيل نفخ الروح فى آدم.

كل هذه الأسئلة وجميع الإجابات النبوية عليها تدل على أن الذين سألوا النبىّ ﷺ كانوا يعلمون أنه كان موجوداً من قبل إستنبائه، أى من قبل أن يجعله الله تعالى نبياً.

وليس يهمنا الآن السؤال عن الحال الأقدس السابق للحقيقة المحمدية على حال النبوة، حيث سيأتى الحديث عنه تفصيلاً فى جزء أو باب لاحق بإذن الله تعالى وفتحه ومَنِّه إذ لا يدخل فى الموضوع الحالى.

لكن السؤال عن موعد إستنبائه أو عن جعله نبياً أو عن كونه نبياً قبل خلق آدم عليه السلام سببه بسؤال السائل عن موعد بعثه ﷺ بالنبوة فى مكة المكرمة فى المرحلة النبوية البشرية فى هذه الحياة الدنيا، هذا السؤال الذى إجابته كما هو معلوم لكل مسلم هى أنه ﷺ قد بعثه الله تعالى فى سن الأربعين من عمره الطيب المبارك، أى أنه كان آدمياً إنساناً بشراً بين الناس ثم بعثه أو جعله الله تعالى آدمياً إنساناً بشراً رسولاً نبياً .

فإثبات النبوة له ﷺ فى سن الأربعين فى الحياة الدنيا مع إثباتها له ﷺ قبل خلق آدم عليه السلام يثبت له كينونة قدسية عليا سابقة على الكينونة الآدمية المخلوقة من الأرض من خلال السلالة الآدمية، فكان موجوداً فى السماء على غير حال النبوة، ثم جعله الله تعالى النبى، وفرق كبير جداً بين قولنا: كان ﷺ نبياً، وآدم بين الروح والجسد، وبين قولنا أنه ﷺ كان النبى وآدم بين الروح الجسد. بدليل أن الله تعالى ما ذكره أو دعاه فى القرآن الكريم بلفظ نبى منَكراً، بل النبى معرفاً بألف ولام التعريف الإستغراقية، وهذا ما سنثبته ونتحدث عنه تفصيلاً فيما بعد بإذن الله تعالى وفتحه وكرمه وتوفيقه.

الفصل الثانى

الحكمة الإلهية من جعل رسول الله ﷺ نبيا قبيل نفخ الروح فى آدم

والسؤال الذى يفرض نفسه على الأذهان هو: ما الحكمة الإلهية التى من أجلها جعله الله تعالى نبياً قبيل نفخ الروح فى آدم ؟

أليس ثمة علاقة أو صلة مباشرة بين الروح المنفوخ منه فى آدم وبين جعله ﷺ نبياً أليس هذا دليلاً على أن الروح المنفوخ منه هو النبوة الأحمدية أو النور الأحمدى الذى هو روح الأرواح وأن الله تعالى يعطى الأنبياء النبوة من روحه ﷺ . كما يعطى المؤمنين الإيمان منه أى يؤيدهم بروح منه هو النبى ﷺ .؟!

وبهذا يكون سر هذا التوقيت وحكمته قد إنكشف ووضح لنا وهو أنه الذى نفخ الله تعالى فى آدم منه، وكذا فى سائر النبيين والمؤمنين بل فى كل الأجنة فى الأرحام. على توالى الأزمان .

ولما كان المعنى اللغوى لكلمة«أب» هو المغذى والممد، وثبت أنه ﷺ فى المرحلة التى سماه ربه فيها «النبى» أَبُ المؤمنين، فهذا معناه أنه الذى يغذو الله تعالى منه وبه المؤمنين بالإيمان ، والأنبياء بالنبوة .

وعليه فلا يمارى إلا مكابر فى أن النبى ﷺ هو عين الروح الأقدس الكلى المعروف لأهل السماء بالنور الأحمدى. ﷺ وعلى آله .

وأخيراً بعد هذه المواثيق الثلاثة التى أخذها الله تعالى على النبيين جميعاً بلا إستثناء بدءاً برسول الله ﷺ ثم نوح وإبراهيم، وهكذا، إلى آخر الرسل عيسى بن مريم عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

ثم الميثاق الذى أخذه الله على النبيين بالإيمان بالنبى ﷺ ونصره. ثم الميثاق العام الذى أخذه على ذرية آدم جميعاً، بعد العلم بهذه المواثيق الثلاثة يبرز لنا أمام أذهاننا الأسئلة التالية :ـ

١ـ لماذا أخذ الله ميثاق الرسول ﷺ قبل كل الرسل والنبيين مع العلم بأنه سبحانه وتعالى قد أخذ عليهم المواثيق بحسب أسبقية البعث فى الزمان الأول فالأول حتى جاء ترتيب الأربعة أولى العزم من الرسل فى الآية بقوله تعالى (.ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم..) ؟

أليس هذا دليلاً قطعياً صريحاً على سبق وجوده ﷺ نبياً على وجود جميع الأنبياء ومنهم نوح،بل وآدم.؟ وأليس هذا متوافقاً مع قوله ﷺ (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد؟) بلى، وهذا يثبت أنه ﷺ قد شهد خلق آدم والنبيين من بعد وكذلك خلق ذرية آدم وتصويرهم وأخذهم من ظهر آدم وظهورهم وإشهادهم على أنفسهم .

٢ـ يؤكد هذا أن الله تعالى قد أخذ الميثاق على جميع النبيين وجميع الرسل أن يؤمنوا به ﷺ وأن ينصروه وأنطقهم بالإقرار على هذا وشهدوا وشهد معهم، وكان الميثاق بمثابة جعله ﷺ نبى الأنبياء ورسول الرسل فصاروا هم بمثابةأمته ﷺ . فهذا ميثاق زخذه الله على النبيين والرسل جميعاً له ﷺ . وهذا الميثاق يدل على وجوده ﷺ وشهوده له، وهذا يتوافق مع سبق نبوته ﷺ على نبوتهم جميعاً وبالتالى سبق خلقه على خلقهم جميعاً .

٣ـ أما الميثاق العام على سائر الذرية بما فيهم النبيين فيتضمن ما يثير سؤالاً هاماً، ألا وهو:

لماذار لاحظ آدم عليه الـصلاة والسلام نور إبنه داود وأعـجبه نوره حـتى أنه تنازل له عن أربعين سنه من عـمره، ولـم يلاحظ أنوار الرسل الأربـعة أولى العـزم، علاوة على أنه لـم يلاحظ النور الأحـمدى الذى وصـفه الله تعـالى بأنه سراج منـير. أى شمس منيره؟

الإجابة هى:

إما لأن هؤلاء الأربعـة أولى العزم من الرسل لم يكونوا ضمن هذا الميـثاق العام، حيث أفردهم الله تعالى بميثاق خاص هم والمصطفى المطلق سيدنا وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، فى حين أن سائر النبيين دون الرسل الخمسة أولى العزم قد أخذ الله تعالى عليهم الميثاق يوم أن رأى آدم عليه السلام تميز داود بنوره على سـائر النبـيـين، لأنه من المعلوم أن أى نبى ليس رسـولاً بالضـرورة، فى حين أن أى رسول نبى بالضرورة وعلى هذا فمـيثاق الرسل الخمسة أولى العزم ينفـرد عن ميثاق سائر النبـيين، من أجل ذلك لم يتكلم آدم عن أنوارالرسل ولاحـتى عن نور المصطفى ﷺ ، وإنما تكلم فى هذا الميـثاق عن تميـز نور داود. من أجل ذلك قال تعـالى عن داود ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ {الإسراء/ ٥٥} فالأنبـياء ليسوا على درجة واحدة، ثم إن داود قـد تميَّز عليهم جميعاً بأن آتاه الله تعالى كتاباً بارزاً على كتب سائر النبيين وهو الزبور .

وهذا يتوافق مع مالاحظهُ آدم عليه السلام يو الميـثاق من تميز نور داود عليه السلام على سائر الأنبياءعليهم وعلى إمامهم المصطفى الصلاة والسلام، ومن ثم يمكن القول أن النبى الخاتم ﷺ قد شهد بالأولى العهـد والميثاق الذى أخذه الله تعالى على بنى آدم وأشـهدهم على أنفـسهم: ألست بربـكم .؟ فقـالوا: بلى فقـال الله تعالى ، ورسـوله وملائكته وأبـوهم آدم يومئذ: شهدنا عليـكم أن تقولوا يوم القيامة أى حـتى لاتقولوا يوم القـيامة، إنـا كنا عن هذا أى عن توحيـد الله تعالى رباً وإلهـاً غافلين أى جـاهلين ناسين غير عارفين .

الفصل الثالث

الأدلة القرآنية بمحض الدلالة اللغوية على إشهاد الله تعالى نبيه ﷺ المواثيق الثلاثة

هذه النتائج الرئيسة والهامة من هذه المواثيق الثلاث تثبت وتؤكد أن النبى ﷺ كان موجوداً وحاضراً وشاهداً على هذه المواثيق جميعاً بل وعلى خلق آدم وعلى جعله خليفة .

١ـ ميثاق الله تعالى من الأربعة أولى العزم من الرسل بعد أن زخذ الله الميثاق منه هو ﷺ ثم عليهم جميعاً، أى مبتدئاً به ثم بهم .

٢ـ وميثاق النبيين، أن يؤمنوا بالنبى الخاتم المصدق لما جاءوا به وينصرونه وأمر الله تعالى لهم بعد أن أقروا أن يشهدوا وشهد سبحانه معهم .

٣ـ وميثاق سائر بنى آدم «ستُ بربكم»؟!.

فهل فى القرآن الكريم ما يفيد حضور ومشاهدة النبى ﷺ هذه المواثيق وذلك حال كونه نوراً روحياً أحمدياً قبل أن يأتى إلى

هذه الحياة الدنيا فى حال كونه نوراً بشرياً مُحَّمدياً..؟

الإجابة هى: نعم يتضمن القرآن الكريم الآيات قطعية الدلالة المصرحة بأنه ﷺ كان حاضراً وشاهداً إذ أخذ رب العالمين هذه المواثيق الثلاثة على الرسل والنبيين وذرية آدم أجمعين. وهذه الأدلة هى آيات المواثيق الثلاثة:

الأولى: قوله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثـاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ....﴾ إلى آخر الآية.

والثانية: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ....﴾ إلى آخر الآية.

والثالثة: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتـهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا ....﴾ إلى اخر الآية.

والشـاهد أو البرهان فى هذه الآيات الثـلاث هو قوله تعـالى فى الآية الأولى (وإذ أخذ الله) وقوله تعالى فى الثانية (وإذ أخذنا) وقوله فى الثالثة (وإذ أخذ ربك ..).

هذه التغـيرات الثلاثة دليل قطعى علـى أن النبى ﷺ قد شهـد هذه المواثيق الثلاثة وكان حـاضراً الأمر الذى يثبت أسـبقيـة وجوده قبل وقـوعها، هذا يؤكد مـا سبق أن أثبتـناه من أنه هو الروح الكلى الأعظم الذى نفخ الله تعالـى فى آدم منه، وكذلك فى سائر النَّبـيِّين وسائر نفوس الآدميِّين، ومـثلها فى إثبات سبق وجـوده حتى على خلق آدم عليه السلام قـوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص/ ١٧ـ٢٧].

ومثلها قـوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] إلى آخر الآيات.

ومثلها قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤].

فما دلالة «وإذ» فى هذه الآيات جميعاً بمحض دلالة اللغة العربية فحسب؟

قال الزمخشرى صاحب الكشاف وهو تفسير لغوى، (فها هنا يُذكِّر الله سبحانه نبياً

تلك القضية التى حدثت عند خلق آدم فيقول «وإذ» أى أذكر ذلك الحدث، والظرف «إذ» منصوب بإضمار «أذكر») [١] .

وقال ابن كثير فى تفسير (وإذ قال ربك للملائكة) أى وإذكر يا محمد إذ قال «ربك للملائكة وأقصص على قومك ذلك ..» وإذكر أى تذكر

وقال الشيخ الصابونى فى كتابه صفوة التفاسير فى تفسير قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم..﴾

أى أذكر وقت أن أخذنا من النبيين عهدهم المؤكد باليمين، (أن يفوا بما إلتزموا...)[٢]. ولا يكون ذكر الوقت إلا بالتذكر لما مضى وحدث فى الماضى .

وإذكر أى تذكر وليس بمعنى تحدث بكذا أو أقصص كذا أو حتى وأخبر قومك بكذا فقط. لأن كل لفظ من هذه الألفاظ له دلالته التى يجب ألا تُغفل وتأويله بدلالة غيره من الألفاظ خطأ فى التفسير .

وكما ورد فى الطبرى أن كل قوله تعالى فى القرآن الكريم لنبيه ﷺ (وإذ) هو بمعنى «واذكر» عندما حدث كذا وعندما قال ربك كذا.. وهكذا، لأن«إذ» ظرف دال على الزمان الذى وقع فيه الحدث فما بعده للتذكير وليس للتعليم .

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ فى القرآن تذكير الناس بمعرفتة الله وبالحق وبالهدى المبنى على التوحيد مثل قوله تعالى ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾[المدثر/ ٥٤-٥٥] وقوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾[الغاشية/ ٢١-٢٢] وقوله تعالى﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾[سورة الأعلى/ ٩-١٠] وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[سورة

(١) الزمخشرى تفسير الكشاف جـ١ صـ٢٧١

(٢) الشيخ محمد على الصابونى / صفوة التفاسير.

السجـدة/ ٤]. أي أفلا تتذكـرون يوم أن قلتم له سبـحانه: بلى أنت ربنا؟! وغـير هذا كثير في القـرآن الكريم، إنما هو تذكير بأفراد الله تعالى بالربوبية التي أقـروا له سبحانه وتعالى بها. وكذلك وبطريق أولى يكـون قوله تعالى للنبي ﷺ «وإذ» أي وإذكر حين حدث كذا، وكذا ،كذا .

وهذا كله يدل دلالة صريحة على أنه ﷺ قد شاهد هذه الأحداث الأولى في خلق الإنسان مما يدل على أسبقية وجـوده صلى الله عليه وسلم على جميع هذه الأحداث روحاً قدسياً ونوراً أحمدياً .

الباب الخامس

الفصل الأول:ـ

دلالة لفظ النفس في اللغة العربية وفي القرآن الكريم.

الفصل الثاني:ـ

دلالة لفظ الروح في اللغة العربية.

الفصل الثالث:ـ

الروح في السنة الشريفة ومغايرته للملائكة.

الفصل الرابع:ـ

الروح في القرآن الكريم وأقوال المفسرين فيه.

الفصل الخامس:ـ

عقيدتي في الروح.

الفصل السادس:ـ

القرآن الكريم يثبت أن الروح هو المنفرد بالشفاعة العظمى، والسنة الشريفة تثبت أن رسول الله ﷺ هو المنفرد بالشفاعة العظمى.

إذاً: رسول الله ﷺ هو الروح .

الفصل الأول
دلالة النفس في اللغة وفي القرآن الكريم

(١) النفس في اللغة العربية:ـ

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : (نفس: النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها، وإليه (أي إلى هذا الأصل الواحد) ترجع فروعه:

١) فمنه التنفس وهو خروج النسيم من الجوف.

٢) ونفَّس الله كربته، وذلك أن في خروج النسيم روْحاً وراحةً.

٣) والنفس كل شيء يفرج به عن مكروب. وفي الحديث: **" لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن "** يعني أنها روح يُتَنفَّسُ به عن المكروبين، وجاء في ذكر الأنصار (أجد نفس ربكم من قبل اليمن) يُراد به أن بالأنصار نُفِّس عن الذين كانوا يؤذَوْنَ من المؤمنين بمكة.

٤) ويقال للعين نفس. وأصابت فلان نفسٌ (أي حسد وعين).

٥) النفس: الدم، وهو صحيح، وذلك أنه إذا نفذ الدم من بدن الإنسان فقد نفسه، والحائض تسمى النُّفَسَاء لخروج دمها، والنفساء أيضاً: الوالدة والحامل والحائض.

٦) النِّفاس: ولادة المرأة، فإذا وضعت فهي نفساء.

٧) يُنَفَّس فلان: أي يولد فلان فيقال: (ورثتُ هذا قبل أن يُنَفَّس فلان) والولد منفوس .

٨) نفيس: شيء ذو نفس وخطر يتنافس به.

٩) ومن مشتقاتها: التنافس، لأن كل واحد من المتبارزيْن يبرز قوة نفسه.

ولفظ النفس مؤنث بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ (١)، وقوله

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة البقرة.

تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (١).

(٢) النفس في القرآن الكريم:-

يدل لفظ النفس في القرآن الكريم على الذات الآدمية فهو إسم لها، فظاهر الذات الآدمية: جسم حى بالنفس ومن دلالات النفس في القرآن الكريم ما يلي:-

(١) تدل النفس على أصل الحياة لأن حياة الجسد بالنفس وموت الجسد بخروج النفس:-

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(٤) وفى الموت للمؤمنين قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾(٥) وقال تعالى: في موت الكافرين ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾(٦).

(٢) وتدل النفس على محل التكليف:-

قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (٨).

---

(١) الآيات رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

(٢) من الآية رقم (٣٢) من سورة المائدة.

(٣) الآية رقم (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٢٨) من سورة لقمان.

(٥) الآيات رقم (٢٧، ٢٨) من سورة الفجر.

(٦) الآية رقم (٩٣) من سورة الأنعام.

(٧) من الآية رقم (٢٨٦) من سورة البقرة.

(٨) من الآية رقم (١٥٢) من سورة الأنعام.

(٣) والنفس هى الفاعلة التى تكسب وتكتسب ما لها وما عليها:ـ

قال تعالى: -﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢) .

(٤) النفس الآدمية التى هى الجسد الحى هى محل الجزاء أيضاً:ـ

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ۞ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ۞ لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣) .

(٥) ما يستنبط من موضوع النفس في اللغة وفي القرآن الكريم:ـ

بالتدبر في هذه الآيات السابقة عن النفس نجد أن القرآن الكريم أطلق على الجسد الآدمي الحي الذي يقع عليه الفعل ويحدث منه الفعل نفساً.

وأطلق على علة حياة الجسد الحي نفساً بدليل أنها هي التي تذوق الموت، والنفس هي التي ترجع إلى ربها إن كانت مطمئنة وتخرج بنزع الملائكة لها من جسدها إن كانت نفساً خبيثة.

والبعث يكون للنفوس والعذاب بعد البعث الذي هو إعادتها في أجسادها يكون للجسد الآدمي الحي بالنفس الإنسانية .

فيكون العذاب للنفس من خلال الآلام التي تحدثها النار في أعضاء البدن.

وكذلك الحال بالنسبة للنعيم لأهل الجنة حيث يحيون في الجنة بأجسادهم أيضاً ويتمتعون ويدل على هذا كله الصلة الوثيقة بين دلالة لفظ النفس وبين مقومات الحياة الجسدية الرئيسية كالتنفس والدم إذ ليس ثَمَّ أنفس ولا أغلى من حياة الإنسان فالنفس اسم للذات الآدمية الحيَّة حيث البدن اسم الهيئة المادية

---

(١) الآية رقم (١٦٤) من سورة الأنعام .

(٢) من الآية رقم (٢٨٦) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٤٩، ٥٠، ٥١) من سورة الأنعام.

المحسوسة لهذه الذات حالة كون هـذا البـدن حيَّاً فيكـون هـو والـنفس كائنـاً واحداً.

لكن الذي يجب ذكره مرة ثانية للتأكيد عليه هو أن الـنفس اسـم لهـا وهـي متشخصة في الجسد الحي، وأيضاً النفس اسم للجوهر المفارق للجسد بالموت، فالإنسان في الحياة الدنيا الجسدية نفس وهو أيضاً في البرزخ بعد موته نفس لأن الذي يرجع إلى ربه بنص الآية هو النفس المطمئنـة، وكـذلك نفـوس الكـافرين تخرج من أجسادها إلى المرحلة البرزخية، والنفس هي أيضاً التي يبعثها الله تعالى في جسدها مرة أخرى.

❁❁❁

الفصل الثاني
دلالة لفظ الروح في اللغة العربية

(قال ابن فارس: الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفُسْحَة واطراد، وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها.

فالروح: روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح وكذلك الباب كله.

والروْح: نسيم الريح، ويقال أراح الإنسان إذا تَنَفَّس.... .

والروح: جبرائيل عليه السلام قال الله جل ثناؤه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [1].

وتقول: نزلت بفلان بليَّة فارتاح الله جَلَّ وعَزَّ لَهُ برحمة فأنقذه منها.

قال العجاج:-

فارتاح ربي وأراد رحمتي ونعمتي أتمَّها فتَمَّت

وتفسير ارتاح ربي: أي نظر إلي ورحمني) [2].

وفي مختار الصحاح: (الروح يذكر ويؤنث، والجمع الأرواح، ويُسَمِّي القرآنُ وعيسى وجبرائيلُ عليهما السلام روحاً.

والنسبة إلى الملائكة والجن " رُوحاني " بضم الراء، والجمع روحانيون. وكذا كل شيء فيه روح رُوحاني بالضم ومكان رَوْحَاني بفتح الراء: طيب.

وجمع الريح رياح و أرياح وقد تجمع على أرواح، والريح أيضاً الغلبة والقوة ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3].

والرَّوح بالفتح من الاستراحة وكذا الراحة.

---

(١) الآية رقم (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥) من سورة الشعراء.

(٢) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة جـ١ .

(٣) من الآية رقم (٤٦) من سورة الأنفال .

والرَّوْحَ أيضاً والريحان: الرحمة والرزق والدهن المروَّح بتشديد الواو: المطيب وفي الحديث: " أنه أمر بالإثمد المروح عند النوم " .

والرواح ضد الصباح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل وهو أيضاً مصدر راح يروح ضد غدا يغدو. وسرحت الماشية بالغداة وراحت بالعشي تروح رواحاً أي رجعت. والمُرَاح بضم الميم حيث تأوي إليه الإبل والغنم بالليل.أما المَراح بفتح الميم: الموضع الذي يروح إليْه القوم أو يُريحون إليه.

والمِروحة بالكسر ما يُتَرَوّح به والجمع المراوح.

ورَاح الشيء يَراحه ويَريحه بالفتح أي: وجد أو يجد ريحه ومنه الحديث " من قتل نفساً مُعَاهدة لم يَرِحْ رائحة الجنة " .

واستراح من الراحة والمستراح: المخرج، والأريحيُّ: الواسع الخلق. وأخذته الأريحيَّة أي: ارتاح للندى .

والرْيحان: النبت المعروف وهو الرزق أيضاً كما فَسَّر، وفي الحديث : " الولد من ريحان الله تعالى "، وقوله تعالى: ﴿ وَالْحُبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾[١] .

العصف: ساق الزرع والرَيْحَان ورقه قاله الفرَّاء.

وهكذا تَبيَّن لنا صلة الروح لغة بالريح ثم براحة النفس لنفسها الصعداء إذا خرجت من ضيق وخطر إلى سعة وراحة وأمان.

لكن هذا الاشتقاق لا ينطبق تماماً على دلالات لفظ الروح الذي ينفخ الملك منه في الجنين عند نهاية الشهر الرابع.لأننا عندما نكون بإزاء الروح الذي هو الكائن الغيبي إنما نكون بإزاء كائن من عالم الغيب سماوي غير مادي ولا محسوس،والروح بالدلالات المشتقة مباشرة من الريح تخص كلها أموراً من عالم الحس مادية محسوسة مثل: الطيب والرزق ومكان مبيت الإبل والنَّبات المعروف وهكذا.

---

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الرحمن.

لكن يظل القاسم المشترك بين الدلالات الغيبية للكلمة والدلالات المحسوسة هو أن الريح لا تُرى والهواء لا يُرى بالعين وأحياناً عندما تَسكُنْ الريح تماماً لا يحس ولا يُسمع ومن ثم أُطلق نسبة الروحاني على عالم الملائكة وعلى عالم الجن وعلى عالم الأرواح وكذلك على الروح الكلي السماوي المنفوخ منه في الأجنة لأنها كلها كائنات غيبية غير محسوسة (١).

مع أن الملائكة في المصطلح الشرعي نوع من الخلق يختلف عن الجن، وكذلك - وهو الأهم ثَمَّ اختلاف جوهري بين الروح الكلي الأقدس والملائكة، وإن جاء تسمية الملاك العظيم روحاً كما هو الحال بالنسبة لجبريل.

وهكذا يبرز لنا أمر هام نُعوِّل عليه كثيراً بالنسبة لموضوعنا: ألا وهو أن الروح الغيبي في المصطلح القرآني له دلالات أخرى غير هذه الدلالات الأرضية المحسوسة.

وكذلك في الحديث الشريف أيضاً. بيد أننا يجب ألاّ ننسى أن مشتقات الكلمة في الحديث قدْ تأتي بدلالاتها اللغوية المحضة، وقد تأتي أيضاً في القرآن كذلك، وليس من مُميِّز نُمَيِّز به بين الدلالة الاصطلاحية القرآنية الغيبية وبين الدلالة اللغوية سوى سياق الآيات وموضوع هذا السياق، وبناء على هذا فلابد من إفراد مَبْحث عن الروح الغيبي في القرآن والسنة.

وحيث أن ثمَّ قاسم مشترك بين الدلالة اللغوية لكل من الروح والنفس من حيث أن الروح من الريح والنفس من النَّفس (بفتح الفاء) وكلاهما من الهواء الأمر الذي أحدث لبساً بين الروح والنفس، إذ جعلهما بعض العلماء جوهراً واحداً وجعلهما آخرون جوهرين متباينين. والدليل على هذا ما ورد في

(١) مختار الصحاح/ للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي - اخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان صـ ١١٠.

مختار الصحاح في بيانه لدلالة لفظ النفس حيث قال صاحبه: (الروح يقال خرجت نفسه، والنفس الدم يقال:سالت نفسه وفي الحديث "ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه" والنفس:الجسد) (١).

فتدبر قوله مرة: النفس الروح، ومرة النفس:الجسد بهذا تكون الروح هي الجسد. فهل هذا صحيح ومقبول نقلاً أو عقلاً ؟ !

ولكنه عاد فقال:(ويقولون ثلاثة أنفس،فيذكرون اللفظ لأنهم يريدون به الإنسان).

ولكن هل يصح القول بأن الإنسان جسد ؟ أم هل يصح القول أنه نفس ؟ أم الأقرب إلى الصحة أنه روح ؟ !

والحقيقة هى أن كل هذه التعريفات للإنسان أو الآدمي غير صحيحة.

والصحيح: القول بأن الآدمي جسد ونفس وروح معاً متوحدين في حقيقة واحدة هي الإنسانية.

فالإنسان جسد حي بالنفس التي تزكيتها وهديها بالروح.

❀❀❀

---

(١) مختار الصحاح/ للشيخ محمد بن علي الرازي – إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان صـ٢٨٠.

الفصل الثالث
الروح في السنة ومغايرته للملائكة

أفرد أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة فَصْلاً عن الملائكة الكبار الأربعة ووظائفهم التي وُكّلوا بها وصفاتهم وعظم خلقة كل منهم فروي سبعة عشر حديثاً جاء في أولها:

" حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا عبد الجبار بن العلاء حدثنا سفيان بن عيينة عن علقمة بن مرثد عن ابن سابط قال: يدبر الأمور أربعة: جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت صلى الله على نبينا وعليهم وسلم، فجبريل على الريح والجنود وميكائيل على القطر والنبات، وملك الموت يقبض الأرواح، واسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به " (١) .

وروي في الأحاديث التالية لهذا الحديث ما معناه أن اسرافيل رسول الله تعالى إلى الثلاثة: جبريل وميكائيل وعزرائيل فهو أي اسرافيل من المولى بمنزلة الحاجب .

وكون إسرافيل عليه السلام هو الأقرب إلى المولى عز وجل، هذا القول يأتي على خلاف المشهور بين الناس والعلماء بأن جبريل عليه السلام هو الأقرب لكن هذا الحديث وغيره يدل على أن اسرافيل هو رسول الله عز وجل إلى جبريل وغيره من الملائكة، وجبريل هو رسوله سبحانه لرسل وأنبياء البشر غير مهام أخرى، وهذه النتيجة هامة في بحثنا بيد أن جبريل عليه السلام مذكور في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة أكثر من اسرافيل عليه السلام والملائكة الآخرين بسبب نزوله بالقرآن، وتكرار هذا النزول وما ورد من عداء اليهود له، وما ثبت من لقاءات وحوارات بينه وبين النبي ﷺ .

---

(١) كتاب العظمة تأليف/ أبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حِبَّان (٢٧٤ – ٣٦٩ هـ) جـ٣ صـ٨٠٨ – دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري/ دار العاصمة الرياض وقال المحقق عن الحديث حديث حسن .

ومعلوم أن لكل واحد من هؤلاء الأربعة الكبار في عالم الملائكة جنوداً لايحصي عددهم إلا الله ﷻ.

وأخرج ابن جرير في تفسيره وأخرج ابن الشيخ في كتاب العظمة بسنده عن محمد بن عمر بن عطاء قال: قال لي علي بن الحسين (وهو زين العابدين ﷺ): هل تدري ما اسم جبريل من أسمائكم ؟ قلت: لا، قال: عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله، وكل شيء رجع إلى إيل فهو معبد لله ﷻ وبالتالي لا يكون الروح ملكاً من الملائكة حيث أسماء الملائكة الكبار ينتهي بلفظ إيل بيد أن ابن حجر في فتح الباري أورد قولاً يفيد أن اسم إيل بمعنى عبد وبقية اسم جبريل أي جبر هي اسم من أسماء الله تعالى.

والذي يهمنا من هذا أن لفظ الروح يُطلق على نوع من الخلق العلوي اسمه الروح غير الملائكة، ومن ثم لابد أن يكون لهم عظيم ، كما أن للملائكة عظيم أو أكثر، أي أن الروح اسم جنس يصدق على الكثرة وعلى عظيمهم .

أفرد صاحب كتاب العظمة الباب السادس عشر للروح وجعله بعنوان:" صفة الروح " وأورد فيه سبعة وعشرين حديثاً منها أحد عشر حديثاً صحيحاً في الروح وحديثاً واحداً ضعيفاً جداً والباقي كله ضعيف .

وسأقتصر في هذا التفصيل للكلام عن الروح في السنة على ذكر الصحيح والاستنباط منه دون الضعيف.

الأول: أخرج أبوالشيخ في العظمة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والماوردي في تفسيره والسيوطي واللفظ له (عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [1] قال: لا ينزل ملك إلا ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله وهذا يثبت أن المخلوق الذي اسمه الروح

---

(١) الآيه رقم (٢) من سورة النحل.

أرقى وأفضل واقرب إلى الله ﷻ من الملائكة حيث يرون الملائكة وهي لا تراهم وهم حفظة على الملائكة [١].

وحيث قد ثبت لنا من قبل أفضلية صالحي الآدميِّين على الملائكة فإننا نتساءل في أي صورة خلق الله تعالي الروح أي هذا النوع من الخلق العلوي وقد قال الله تعالى عن الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٢].

فإذا كان الإنسان في أحسن تقويم فما هو تقويم هذا النوع من الخلق ؟

يجيب على هذا السؤال أكثر من حديث صحيح في الروح منها ما رواه أبوالشيخ في العظمة بسنده (عن مجاهد رحمه الله تعالى في الروح قال: خلق مثل الآدميين) قال المحقق (هو ثابت من قول مجاهد) [٣].

كما روى أبوالشيخ عن مجاهد أيضاً (قال: الروح خلق الله تعالى لهم أيدٍ وأرجل)[٤]. وروى أبوالشيخ بسنده عن مجاهد أيضاً (قال: الروح خلق على صور ابن آدم يأكلون ويشربون) [٥].

ومن أصح الأسانيد عن مجاهد أيضاً أنه (قال:هم خلق على صورة بني آدم) زاد الطبري في روايته في آخره (يأكلون ويشربون).

وروى عنه أيضاً من وجهين آخرين بلفظ (الروح خلق لهم أيد وأرجل، وأراه قال: ورؤوس يأكلون الطعام، ليسوا ملائكة) وبلفظ (خلق كخلق آدم) وأورده ابن الجوزي في زاد المسير بزيادة (يأكلون ويشربون).

---

(١) هامش صفحة (٨٨) من كتاب العظمة لأبي الشيخ تحقيق:المباركفوري جـ٣ وقال: اسناده إلى مجاهد صحيح.

(٢) الآيه رقم (٤) من سورةالتين .

(٣) أبوالشيخ: العظمة: تحقيق المباركفوري حديث جـ٣ صـ٤٢٤، وقال المحقق هو ثابت من قول مجاهد انظرها من صـ٨٨١ .

(٤) نفس المصدر صـ٨٨٠ وقال المحقق عن أحد الرواة ضعيف ثم قال (ولكنه توبع كما عند الطبري) أي إن ثَمَّ ما يقويه .

(٥) وعزاه المحقق إلى ابن جرير في تفسيره أيضاً وقد صحح المحقق السند انظر هامش ٨٧٩ .

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات بسنده عن مجاهد أيضا قال: الروح نحو خلق الإنسان.

كما أورده السيوطي في الدر المنثور وفي الحبائك وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات [١].

ومن الآثار الصحيحة عن الروح ما رواه أبوالشيخ في العظمة بسنده (عن أبي صالح في قوله ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[٢].

قال: يشبهون الناس وليسوا من الناس) [٣].

ومن الآثار الصحيحة عن الروح ما أخرجه أبوالشيخ وغيره (عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الروح أمر من أمر الله، خلق من خلق الله، وهم على صور بني آدم، ما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح) [٤].

قال المحقق في إسناده ضعف إلا أنه ذكر أن الحافظ ابن حجر في فتح الباري قد أورده وقال روى ابن اسحق في تفسيره بإسناد صحيح (عن ابن عباس قال: الروح من الله وخلق من خلق الله وهم على صور بني آدم، ما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح) [٥].

---

(١) مأخوذ عن عمل المحقق المباركفوري لكتاب العظمة جـ٣ صـ٨٧٢ .

(٢) الآيه رقم (٨٥) من سورة الاسراء .

(٣) قال المحقق المباركفوري جـ٣ صـ٨٧٣ أخرجه ابن حرير في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات ولفظه " الروح خلق كالناس وليسوا بالناس لهم أيد وأرجل " وأورده السيوطي في الدر المنثور وفي الحبائك وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابي الشيخ والبيهقي وذكره الماوردي في تفسيره وأشار إليه القرطبي في تفسيره وابن كثير في تفسيره .

(٤) هامش جـ٣ صـ٨٧٣ من كتاب العظمة من قول المحقق: اسناده ثابت إلى ابي صالح كتاب العظمة جـ٣ صـ٨٦٥ .

(٥) هامش كتاب العظمة جـ٣ صـ٨٦٦ من عمل المحقق المباركفوري .

ومما يجدر التنويه إليه أن ابن حجر قد صَحَّحَ هذه الرواية إلى ابن عباس ﷺ ولا شك أن الآثار السابقة عن مجاهد والتي هي بأسنيد ثابتة إليه مردها إلى ابن عباس رضي الله عنهما حيث من المعلوم أن مجاهد رحمه الله كان تلميذاً لابن عباس رضي الله عنهما.

أما الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما عن "**عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة- وهو يتوكأ على عسيب معه - فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح ؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه شيء تكرهونه فقال بعضهم: لنسألنَّه فقام رجل منهم فقال:يا أبا القاسم، ما الروح ؟**

فسكت فقلتُ إنه الوحي إليه، فقمتُ فلما انجلى عنه فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾ (١)" (٢).

وأخرج أبوالشيخ في العظمة بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى نفر من يهود النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو ؟ قال: "**جند من جنود الله عز وجل، ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأبد وأرجل يأكلون الطعام " ثم قرأ:** ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(٣) قال: "**هؤلاء جند وهؤلاء جند**".

وكأن قيام هؤلاء صفا وهؤلاء صفا آخر يوم القيامة هو من لوازم العزة والعظمة لله تعالى عندما يجيء للحساب يوم الدين وهى قوله تعالى:﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(٤) وهؤلاء جندٌ يقفون صفا كل خلق منهما يقف صفًا دون أن يختلطوا وهذا كله يثبت أن الروح من خلق الله جند لله تعالى على صورة

---

(١) الآية رقم (٨٥) من سورة الاسراء .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم في صحيحيهما عن هامش كتاب العظمة من تحقيق المبار كفورى جـ ٣ صـ ٨٦٤.

(٣) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ .

(٤) الآية رقم (٢٢) من سورة الفجر .

الآدميِّين وهم أفضل من الملائكة وسر تكريم الإنسان أن الله تعالى خلقه كائنا أرضيا خليفة له مكرما على كل الأحياء في الأرض بمن فيهم الجن كما أن الروح مكرم على كل الملائكة في السماء. وسر التكريم وأحد مظاهرة هو أنه سبحانه شاء أن يخلق الآدميين على صورة الروح.

ويدل على أن الروح جند لله يقفون صفا كما تقف الملائكة صفا يوم الدين الحديث الذي رواه أبو الشيخ في العظمة بسنده عن الشعبي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾(١) قال: هما سِمَاطًا رَبَّ العالمين يوم القيامة سما طاه من الروح وسما طاه من الملائكة. قال المحقق تعقيبا على لفظ سما طاه " كذا في جميع النسخ ويبدو أنه خطأ والصواب " سماط" وهكذا جاء في المصادر الأخرى وعزاه المحقق لابن الجوزي في زاد المسير وقال:فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الروح صفا والملائكة صفا.

❋❋❋

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

الفصل الرابع
أقوال المفسرين في الروح[1]

لخص ابن حجر العسقلاني في كتاب التفسير من فتح الباري أقوال العلماء في الروح فقال:-

قال ابن التين: اختلف الناس في المراد بالروح المسئول عنه وفيه أقوال:

الأول: روح الإنسان. **الثاني**: روح الحيوان.

الثالث: جبريل. **الرابع**: عيسى عليه السلام.

الخامس: القرآن. **السادس**: الوحي.

السابع: ملك يقوم وحده يوم القيامة صفا مع الملائكة.

الثامن: ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه، وقيل ملك له سبعون ألف لسان، وقيل: ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان ألف لغة، وقيل: ملك رجله في الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش – والآثار الدالة على أكثر هذا ضعيفة.

التاسع: خلق كخلق بني آدم يقال لهم الروح يأكلون ويشربون لا ينزل ملك من السماء إلا نزل معه واحد من الروح.

ثم نقل ابن حجر: (قول ابن إسحاق في تفسيره بإسناد صحيح عن ابن عباس قال والروح من الله وخلق من خلق الله وصور كصور بني آدم) وهذا القول ثبت أن له آثاراً صحيحة وهو الراجح عندي بتحقيق المتن، وثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح أي لا يُعيِّن المراد به في الآية.

كما ثبت عنه أنه كان يعرف الروح ولا يخبر به، أي يكتم علمه به.

قال ابن كثير: (وقال قتادة هذا مما كان ابن عباس يكتمه)[2].

ورجح بعض المفسرين القول بأن الروح هو ما يحيا به البدن، ورجح آخرون القول بأنه القرآن، وآخرون قالوا: إنه جبريل.

---

(١) أشكر تلميذي العميد المهندس/ محمود سند على مساعدته لي في جمع مادة هذا الفصل.

(٢) تفسير ابن كثير – المجلد الرابع صـ ٤٦٥ (تفسير قوله تعالى: (يوم يقوم الروح........) .

والقول بأنه جبريل مرجوح عندي بل غير صحيح، لأن جبريل ذكر باسم روح القدس، والقول بأنه الروح الذي يحيا به الإنسان والحيوان غير صحيح أيضاً حيث قد ثبت لنا في الفصول السابقة أنه ينفخ في الجنين في الشهر الرابع وهو حي بالنفس وليس ما يثبت في القرآن والسنة نفخ الروح في الحيوان.

أما القول بأنه القرآن فهو مرجوح أيضاً لأن اليهود سألوا عن الروح الذي يعرفونه ولم يسألوا عن القرآن كما أن القرآن وكل وحي أو إلهام من الله تعالى لنبي البشر هو روح من أمره وليس الروح المعرف بالألف واللام الذي جاء ذكره في سؤال اليهود للنبي ﷺ وكلاهما من أمر الله ولكن ثم اشتراك فى الدلالة بينهما ، وإن كان ثَمَّ تباين واضح بين روح من أمر الله والروح الذي هو من أمر رب النبي ﷺ. (من أمر ربي) وهو الروح الذي نسبه الله تعالى لنفسه نسبة التشريف والتكريم في قوله تعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾(١) ، ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**﴾(٢)، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾(٣) .

ولاشك أن أصح الآثار وكذا الأحاديث المرفوعة للنبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما، هذه الأحاديث التي تجعل للأرواح صورة الآدميّين وأنهم يأكلون ويشربون ووصفهم بأنهم جند من جنود الله كما أن الملائكة جند الله تعالى، كل هذه الآثار الصحيحة تثبت الصلة الوثيقة بين الأرواح والآدميّين، وهذا يلقي الضوء على ما نحن بصدده.

والذي يجدر ذكره بالإضافة إلى أقوال المفسرين السابق ذكرها عن الروح هو ما ذكره ابن عجيبة في تفسيره إذ أورد قول الإمام القشيري عن الروح وهو (الروح مخلوقة والحق أجرى العادة بأن يخلق الحياة للعبد ما دام الروح في جسده، والروح لطيفة تقررت للكافة طهارتها ولطافتها، وهي مخلوقة قبل

---

(١) من الآية رقم (٢٩) من سورة الحجر .

(٢) من الآية رقم (٩١) من سورة الأنبياء .

(٣) من الآية رقم (٩) من سورة السجدة .

الأجساد بألوف من السنين، وقيل أنه أدركها التكليف، وإن لها صفاء التسبيح وصفاء المواصلة والتعريف من الحق).

ثم نقل بقية الأقوال السابقة عن الروح بأنه القرآن وأنه جبريل وخلق عظيم روحاني من أعظم الملائكة.

ثم قال تحت عنوان الإشارة:-

(قد أكثر الناس الكلام في شأن الروح، فرأى بعضهم أن الإمساك عنها أولى، لأن الرسول ﷺ لم يُجِبْ عنها، وبيّن قول الحق تعالى أنه من أمر الله وسر من أسراره، ورأى بعضهم أن النهي لم يرد عن الخوض فيها صريحاً فتكلم على قدر فهمه، فقال بعضهم : حقيقة الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأرطب، وقال: (صاحب الرموز في فتح الكنوز) على حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) [1] فقد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه، وهو أن الله سبحانه وتعالى وضع هذا الروح في هذه الجثة الجثمانية لطيفة لا هوتية في كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته تعالى وربَّانيته ووجه الاستدلال من عشرة وجوه:-

١ – أن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقراً إلى محرك ومدبر وهذا الروح هو الذي يحركه ويدبره علمنا أن هذا العالم لابد له من مدبر ومحرك.

٢ – لما كان مدبر الجسد واحداً علمنا أن مدبر هذا العالم واحداً لا شريك له في تدبيره وتقديره.

٣ – لما كان لا يتحرك هذا الجسم إلا بتحريك الروح وإرادته علمنا أنه لا يُتَحَرَّك بخير أو بشر إلا بتحريك الله وقدرته وإرادته .

٤ – لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعورها ولا يخفى على الروح من حركة الجسد شيء علمنا أنه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

(١) هذا الحديث شائع فى كتب العارفين بالله ﷻ وهو عند أهل الحديث غير ثابت ، وإن كان معناه حق .

٥ - لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء علمنا أنه تعالى قريب إلى كل شيء ليس شيئاً أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد عنه من شيء، لا بمعنى قرب المسافة، لأنه سبحانه تنزه عن ذلك.

٦ - لما كان الروح موجوداً قبل الجسد، ويكون موجوداً بعد عدمه علمنا أنه تعالى موجود قبل خلقه ويكون موجوداً بعد عدمهم مازال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

٧ - لما كان الروح في الجسد لا تُعرف له كيفية ولا أَيْنِيَّة بل الروح موجود في سائر الأجساد ما خلا منه شيء في الجسد. كذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان وتنزه عن المكان والزمان.

٨ - لما كان الروح في الجسد لا يُحَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُجَسُ، علمنا أنه تعالى منزه عن الحس والمس والجس.

٩ - لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يُمَثَّلُ بالصور، علمنا أنه تعالى لا تدركه الأبصار ولا يُمَثَّلُ بالصور والآثار، ولا يشبَّه بالشموس والأقمار.

وقال النووي عن الحديث [١]: أنه غير ثابت وقال السمعاني هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي .

وسُئِل أبوسعيد الخراز عن الروح: أمخلوقة هي ؟!

قال: نعم، ولولا ذلك لما أقرت بالربوبية حتى قالت (بلى) وكل هذه الأقوال الأخيرة إنما تتحدث عن الروح الجزئي المثبوت في كل آدمي، وليس هذا موضوعنا، لأن موضوعنا الرئيسي هو الروح الكلي الذي يُنفخ منه في نفوس الآدميِّين حالة كونها أجنَّة أكملت شهرها الرابع .

ولعل ما يفيدنا في هذا المضمار هو التذكير بقول قتادة عن ابن عباس: (هذا مما كان ابن عباس يكتمه) إذ تدل هذه العبارة من قتادة على أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يعلم من هو الروح ولكنه كان يكتمه ويرفض

(١) وهو حديث " من عرف نفسه فقد عرف ربه ".

التصريح به. وليس هذا فقط الذي كان ابن عباس رضي الله عنهما يكتمه، بل كان يكتم غير ذلك بدليل قوله: (مما كان ابن عباس يكتمه) وحيث أن الروح كما سيتبيّن لنا هذا بأدلته علاوة على ما مضى من أدلة وبراهين هو رسول الله ﷺ أحمديّاً سراجاً منيراً في عالم الملكوت فإن عبارة قتادة ﷺ تشير إلى أنَّ أكثر ما كان يكتمه ابن عباس رضي الله عنهما كان حول الحقيقة المحمديَّة.

❀❀❀

الفصل الخامس
عقيدتي في الروح

مما سبق عن الأمانة وسر الإنسانية ومن الأحاديث والآثار الصحيحة في الروح ومن أقوال المفسرين انتهيت بفضل من الله تعالى وفتح منه إلى أن " الروح " لفظ كلي حسب قول المناطقة فهو يصدق على أعداد لا يحصيها إلا الله ﷻ شأنه شأن لفظ الإنسان مثلاً أو الحيوان يطلق على أفراد النوع بأسرهم كما يُطلق على الواحد منهم سواء بسواء، فنقول: " كل كائن حي متحرك باختياره يعرف ويعلم أو قابل للتعلم هو إنسان " كما نقول: " إن فلاناً إنسان " وعند النحاة هو اسم جنس يصدق على كل أفراد هذا الجنس فهو مفرد بدلالة الجمع.

وقد علمنا أَنَّ سنة الله في خلق الأحياء التوالد، وأن لكل نوع من الأحياء مخلوق أول هو الأب لجميع الأجيال التي من بعده، وعلمنا أن آدم أبو أفراد النوع الإنساني حيث جمع الله تعالى له في صلبه كل أفراد الذرية منذ الجيل الأول الذي ولدته زوجه حواء إلى آخر جيل على ظهر الأرض ومن ثم يمكننا أن نطلق على نفسه التي توالدت منها جميع الأنفس: " النفس الكلية "، كما علمنا أن الإنسان ينفخ الله تعالى في نفسه الحيَّة الجَنينيَّة الروح، فلكل فرد من أفراد النوع الإنساني روحاً خاصاً به يُنفخ في جسده الحي ومن ثم تساءلنا عن أصل هذه الأرواح أي الروح الكلي الذي ينفخ منه في نفوس البشر فوجدنا الأدلة من القرآن الكريم والسنة على أن رسول الله ﷺ هو الأب الروحي لكل المؤمنين ومن ثم توصلنا إلى أنه الروح الكلي الذي انبثقت وتنبثق منه جميع أرواح الآدميين،فلفظ " الروح "إما أن يكون المقصود منه هذا الروح الكلي،وإما أن يكون المقصود منه روحاً جزئياً لواحد من أفراد النوع الإنساني ، وعلى هذا فلا سبيل لمعرفة المقصود من لفظ الروح في آية من آيات الذكر الحكيم أو في حديث من أحاديث النبي ﷺ إلاَّ من سياق النص.

وقد علمنا أن ثَمَّ خلط بين الروح والنفس عند كثير من المفسِّرين بسبب الأصل اللغوي لكل من اللفظين من ناحية ، وبسبب جعل البعض الروح علة لحياة الجسد -وهو خطأ- من ناحية أخرى.

كذلك أصبح من الشائع عند الناس وبعض العلماء أيضاً أن سبب الموت هو خروج الروح من البدن، والحق أن الروح تَخْرج من البدن عند الموت ولكن سبب الوفاة هو خروج النفس وباعتبار الروح هي الأمانة فإن النفس تخرج من بدن المؤمن ومعها الروح كما يكون المصباح فيه زيته ومن ثم فهو يضيء وليس هذا الضوء من هيكل المصباح فحسب بل هو بسبب المدد من الشجرة المباركة الزيتونة.

أما الكافر، فإنه بعد أن يكون مصباح فؤاده مظلماً غير مضيء فإن نفسه تخرج من جسدها مظلمة معتمة نتنة الرائحة كما جاء في حديث الجنائز، ولو كان للروح بقية عند الكافر فإنها تكون قد فقدت جوهرها النوراني واصطبغت بظلمات النفس وشهواتها وأهوائها، فصارت كأنها غير موجودة فالفرق بين المؤمن عند الموت وبين الكافر هو أن المؤمن تخرج نفسه يُزينها ويُضيئها روحه بعكس الكافر الذي فقد الأمانة وتخرج نفسه مظلمة معتمة مُنْتنة.

هذا بالنسبة للروح الجزئي حيث قد ثبت لنا أن كل نفس إنسانية لها روح على صورتها لها أيد وأرجل كما هي صورة الهيكل الآدمي، وورد أن الأرواح مخلوقة قبل النفوس والأجساد أي قبل خلق آدم، كما أنه بالأحرى قد ثبت لنا أن الروح الكلي كان موجوداً قبل خلق آدم.

فإذا رجعنا إلى آيات الذكر الحكيم عن الروح لوجدنا هذا اللفظ قد ورد على عدة أنحاء:-

الأول: على نحو مطلق بألف ولام الاستغراق في قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾(1).

(1) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

وقد فهم البعض الروح في الآية بأنه الروح الكلي فحسب بينما فهم البعض الآخر أنهم الأرواح التي لا يحصيها إلا الله ﷻ وفسروا الآية بأن الملائكة تكون صفاً صفاً أي صفوفاً وكذلك الأرواح تكون صفاً صفاً أي صفوفا وذلك عند مجيء رب العالمين يوم الدين للحساب لقوله تعالى: ﴿**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ (١).

والذي أرجحه – والله تعالى أعلى و أعلم – هو أن الذي يقوم مع الملائكة هو الروح الكلي الأعظم فحسب ودليلي في هذا الترجيح هو أن أرواح الآدميين تكون يوم البعث قد حَلَّتَ أو انبثت بأمر ربها في أجسادها بعد أن يُنبتُ الله تعالى هذه الأجساد بماء كمني الرجال ينزله من السماء فتنبت الأجساد كما تنبت البقلة في مجرى الماء العذب، تنبت حية ، ومن ثم تصبح صالحة لاستقبال الروح والحلول فيها فيعود الآدمي روحاً في نفس في جسد مرة أخرى ثم يقوم للحساب ومن ثم فإن الذي سيكون قائماً للحساب هم الآدميون إذ ليست أرواحهم مفارقة في هذا اليوم لأجسادهم ومن ثم يكون لفظ الروح في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾(٢).

المقصود منه الروح الكلي ﷺ، وسنقيم بعد حين دليلاً آخر على هذا الترجيح.

ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾(٣).

وهنا يتقدم ذكر الملائكة على ذكر الروح في حين أن آية النبأ سالفة الذكر تقدم ذكر الروح على ذكر الملائكة. ومن هذا النحو الأول أيضاً قوله أيضاً: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾(٤).

---

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الفجر.

(٢) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

(٣) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

(٤) الآية رقم (٤) من سورة المعارج .

وفي هذه الآية يتقدم ذكر الملائكة على ذكر الروح أيضاً فما الحكمة من هذا التقديم والتأخير ؟!

أقول – والله أعلى وأعلم – أن الروح في هذه الآيات الثلاث هو الروح الكلي الأقدس الأعلى الذي هو أقرب الخلق للخالق ﷻ وهو أحب الخلق إليه وأكرمهم عليه كما ثبت لنا هذا تفصيلاً من قبل، ومن ثم فهو بالنسبة لسائر الملائكة سيِّداً مبجلاً مكرماً معظماً، وعليه فإن المبجل المكرم إذا سار أو ذهب أو جاء أو عرج أو نزل فإن الذين من دونه من الجند إنما يتقدمونه كما يتقدم الموكب الملكي مجيء الملك، ومن ثم تَقَدّم ذكر الملائكة على الروح في حال العروج في آية المعارج وفي حال النزول في ليلة القدر أما إذا كان الجميع في انتظار ملك يوم الدين سبحانه وتعالى، فإن ذكر أعظمهم يكون أولاً حيث يكون هو أول المستقبلين ولا يتقدم عليه أحد في هذا المقام.

ومن ثم جاء ذكر الروح الكلي الأقدس الأعلى مقدماً على ذكر الملائكة بمن فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل في مقام انتظار مجيء رب العالمين للحساب فقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ (١).

فناسب هنا تقدم ذكره على ذكر الملائكة تعظيماً له كما ناسب في العروج والنزول تقدم ذكر الملائكة كحرس الشرف بين يدي الروح تعظيماً وتكريماً وتبجيلاً له أيضاً.

يبقى من هذا النحو الأول الذي جاء فيه ذكر الروح معرفاً بالألف واللام قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾(٢).

وقد مر بنا الحديث الصحيح في البخاري ومسلم عن سؤال اليهود للنبي ﷺ بقولهم: (يا أبا القاسم ما الروح ؟) فنزل الوحي بهذه الإجابة.

---

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

(٢) الآية رقم (٨٥) من سورة الاسراء.

فقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١) تثبت الصلة الوثيقة بين النبي ﷺ وبين الروح لأنه لم يقل: قل الروح من أمر الله بل من أمر ربي حيث الأمر يخص المربوب ومتوجه له من الآمر سبحانه وتعالى، ومعلوم أن النبي ﷺ هو المتوجه له الخطاب في الآية فهو المربوب فى الآية ، والروح الذى عليه مدار السؤال هو من أمر الله ﷻ.

والراجح عندي:-

أن دلالة لفظ الروح في هذه الآية تَصدق على الروح الكلي الأقدس كما تصدق على أرواح الآدميِّين الجزئية لأن الروح الكلي من أمر الله تعالى والروح الجزئي من الكلي فهو أيضاً من أمره تعالى.

ومن حيث إن اليهود قد جعلوا السؤال مُبْهماً فإذا جاءت الإجابة عن الروح الكلي زعموا أنهم يسألون عن أرواح الآدميّين، وإذا جاءت عن أرواح الآدميّين الجزئية حوَّلوا السؤال إلى الروح الكلي فجاءت الإجابة الربانية مفحمة ملجمة لهم تصلح للاثنين لأن الروح من أمر الله تعالى سواء كان إسماً للروح الكلي الأقدس الأعلى أو لأرواح الناس، ولهذا كان الروح أشرف من الملائكة وبه صار الإنسان أكرم منهم أيضاً.

النحو الثاني: أما هذا النحو الثاني لذكر الروح فهو الروح الجزئي إذ له صلة بالروح الكلي الذي هو اسم للكائن الكلي المخلوق الأعلى الأقدس لأن الروح الجزئي لكل آدمي هو نفخة من الكلي قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ (٤)، وقال تعالى بالنسبة للسيدة

---

(١) من الآية رقم (٨٥) من سورة الاسراء .

(٢) من الآية رقم (٢٩) من سورة الحجر.

(٣) من الآية رقم (٩) من سورة السجدة.

(٤) من الآية رقم (٩١) من سورة الأنبياء .

مريم عليها السلام أيضاً: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (١).

في هذه الآيات الأربع الخاصة بنفخ الله تعالى من الروح في آدم بعد تَسْوِيَة الله تعالى له، وبنفخ الله تعالى من الروح أيضاً المنسوب إليه نسبة التشريف في الجَنِين الآدمي بعد تسويته في رحم أمه، وكذلك في الآية الثالثة والرابعة يخبر تعالى أنه سبحانه نفخ فيها من الروح بيد أنه فيما يخص آدم وجنين البشر جاء النفخ منسوباً للخالق ﷻ بتاء الفاعل المتكلم (ونفختُ) وكذلك بالنسبة للجنين حيث جاء بضمير الغائب (ونفخ فيه) الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة الله ﷻ.

أما بالنسبة للآيتين الخاصتين بخلق عيسى عليه السلام والنفخ في مريم عليها السلام فقد جاء الفاعل بضمير نون الجمع للمتكلمين (نفخنا).

والجدير بالذكر أن الله تعالى ينسب لنفسه الفعل الذي يقوم به الملاك أو الملائكة لأنهم لا يفعلون إلا بأمره وحسب مراده فالفعل له سبحانه على الحقيقة وهذا كثير في كتاب الله ﷻ منه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ (٢) والمتوفِّي هو ملك الموت قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٣) مع أنه سبحانه هو وحده الذي يحيي ويميت قال تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٥) فالإماتة فعلُه سبحانه وإن قام الملائكة بقبض نفوس المحتضرين لحظة الوفاة، كذلك نسبة النفخ من الروح في نفوس الآدميين ، هو فعله ، وإن قام به جنوده سبحانه من الملائكة، وقد نسب رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح نفخ الروح

---

(١) من الآية رقم (١٢) من سورة التحريم .

(٢) من الآية رقم (٦٠) من سورة الأنعام .

(٣) الآية رقم (١١) من سورة السجدة .

(٤) الآية رقم (٨١) من سورة الشعراء .

(٥) الآية رقم (٢٨) من سورة البقرة .

في الجنين إلى الملاك فقال: (.... ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح) والآية تنص على أنه سبحانه هو الذي ينفخ فيه من روحه، وكذا الأمر بالنسبة لنفخ الروح في مريم لخلق عيسى عليهما السلام.

ومقصدنا من هذا أن آيات النفخ من الروح جميعاً فيها العناصر التالية:-

النافخ: وهو الله سبحانه على الحقيقة وبجنوده من الملائكة.

المنفوخ فيه: وهو النفس المخلوقة.

المنفوخ منه: وهو الروح.

وهذا الروح نَسَبَهُ الله تعالى نفسه نسبة التشريف والتكريم بقوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونفختُ فيه مِن رُّوحِي**﴾ وقوله: ﴿**مِن رُّوحِهِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**فِيهَا مِن رُّوحِنَا**﴾ وعلمنا أن ملكا يقوم بالنفخ بأمر الله ﷻ حيث يعقد العروة الوثقى بين قلب المنفوخ فيه وبين الروح الأقدس الأكرم، فإذا كان عامة الآدميين يأتيهم ملك من الملائكة فإن النفخ بالنسبة لآدم ولعيسى عليهما السلام لابد أن يكون بملاك يناسب مقامهما فلا مانع أن يكون النافخ في آدم وفي مريم ملاك عظيم كجبريل مثلاً، ولكن الممتنع أن يكون المنفوخ منه هو الملاك النافخ بل المنفوخ منه هو الروح الأكرم الذي نسبه الله تعالى لنفسه.

وهو بالنسبة لآدم ولسائر الآدميين ولعيسى عليه السلام أيضاً الروح الذي ذكره معرفاً بألف ولام الاستغراق للروحانية والذي نسبه إلى نفسه سبحانه نسبة التشريف أيضاً.

ومن ثم فمن الخطأ القول بأن (روحنا) في الآيتين الثالثة والرابعة هو جبريل لأنه من الجائز أن يكون جبريل هو النافخ وليس من الجائز أن يكون هو المنفوخ منه، والله تعالى يقول: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**﴾[1]، ويقول: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا**﴾[2] فالروح المنسوب لله ﷻ هو المنفوخ منه وليس النافخ بأمر الله ﷻ، ومن ثم لزم القول أنه الروح الكلي الأقدس ﷺ.

---

(١) من الآية رقم (٩١) من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية رقم (١٢) من سورة التحريم.

أما قوله ﷻ: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾(١).

فإن (روحنا) المرسل إليها هنا هو الروح الأقدس وهذا هو الراجح عندي.

المنحى الثالث: وهو اقتران الروح بأمر الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (٢) وقد فسرها المفسرون بالقرآن الكريم، فالقرآن روح من أمر الله تعالى، وكذلك كل ما يكون من الله تعالى إعلاما لعبد من عباده سواء كان نبيًّا أم كان غير نبي قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾(٣)، وقوله (من أمره) أي حال كونه صادراً من أمره سبحانه، وحيث الإلهام والمبشرات بالرؤيا الصالحة من أقسام الوحي التي هي للأنبياء ولغير الأنبياء من المؤمنين كذلك تعبير (روح منه) فيه إشارة إلى أن قوله سبحانه عن سائر المؤمنين: ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٤) أي بمدد من الروح الكلي الأقدس الذي هو أصل الشجرة المباركة التي بمددها تستنير قلوب المؤمنين، فكما أن القرآن روح من أمره تعالى إذا تُلي على المؤمنين زادتهم تلاوته إيماناً، كذلك فإن التأييد بروح منه تعالى أي من الروح الكلي الأقدس الذي هو منه سبحانه يزيد المؤمنين إيماناً هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الإيمان. ومثلها قوله سبحانه عن عيسى أنه روح منه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(٥) فالكلمة الملقاة إلى مريم هي كن لقوله تعالَى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ

---

(١) الآية رقم (١٩،١٨،١٧،١٦) من سورة مريم .

(٢) من الآية رقم (٥٢) من سورة الشورى.

(٣) الآية رقم (٢) من سورة النحل .

(٤) من الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة .

(٥) من الآية رقم (١٧١) من سورة النساء .

﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فالكلمة لخلق النفس الجنينية الحية لعيسى عليه السلام، والروح أي من الروح الكلي نفخاً في هذا الجنين بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ فالكلمة لخلق النفس الجنينية لعيسى والروح منه أي من (روحنا).

وهذا يؤكد ما سبق بيانه من أن الروح لحياة القلوب بكتابة الإيمان في القلب بالنفخة الروحية التي تعقد العروة الوثقى بين قلب المؤمن والروح الكلي،أما الأنبياء والرسل فتكون النفخة من الروح الكلي مباشرة وبقوة تناسب درجة النبي أو الرسول.

المنحى الرابع: هو إطلاق الروح على جبريل حالة نزوله بالقرآن قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3] ومع علمنا بأن جبريل عليه السلام ملك من الملائكة، وإن كان سيداً مطاعاً فيهم، إلا أنه لم يَرِد في القرآن إطلاق اسم الروح عليه سواء (الروح الأمين) أو (الروح القدس) إلا حالة كونه نازلاً بالقرآن الكريم الذي هو روح كما سماه الله تعالى في قوله (روحاً من أمرنا) ولعل هذا هو سبب اكتسابه لصفة الروحانية حالة حمله للقرآن للنزول به.

فإن كان جبريل هو روح القدس فان رسول الله ﷺ -كما سنثبت بعد - هو الروح القدس.

وإذا كان من المعلوم من الدين بالضرورة لكل المسلمين عامتهم وخاصتهم أن رسول ﷺ هو الشفيع الأعظم يوم القيامة فهل يجوز القول بأن الشفيع الأعظم يوم القيامة هو الروح ؟

❁❁❁

---

(١) الآية رقم (٥٩) من سورة آل عمران.

(٢) الآية رقم (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥) من سورة الشعراء.

(٣) الآية رقم (١٠٢) من سورة النحل.

الفصل السادس
الروح هو رسول الله ﷺ

القرآن الكريم يثبت أن الروح هو المنفرد بالشفاعة العظمى والسنة الشريفة تثبت أن رسول الله ﷺ هو المنفرد بالشفاعة العظمى.

إذاً: الروح هو رسول الله ﷺ .

تدل جميع أحاديث الشفاعة العظمى أن رسول الله ﷺ وحده هو المأذون له بالكلام يوم الدين طلباً من رب العالمين الشفاعة العظمى من دون الإنس والجن والملائكة أجمعين ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة لكل مسلم.

فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم حديث أبي هريرة ﷺ المطول عن الشفاعة الذى قال رسول الله ﷺ في أوله : " أنا سيد الناس يوم القيامة " وهو دليل على أنه ﷺ سيد الخلق لأنه قد ثبت لنا أن بني آدم هم النوع الأعلى بين الخلق حيث أسجد الله تعالى لآدم، وفي ظهره الذرية كلها، الملائكة وأمر الجن أيضاً معهم بالسجود فسجدوا إلا إبليس، فَصَالِحُوا البشر هم أفضل الخلق وأكرمهم على الله ﷻ، ومن ثم فقوله ﷺ " أنا سيد الناس يوم القيامة " يفيد يقيناً أنه سيد الخلق جميعاً، وقد أثبتنا هذه الحقيقة بالقرآن والسنة من قبل ، ثم يبين النبي ﷺ في الحديث علة ذلك فيقول:" وهل تدرون مِمَّ ذاك؟يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر "

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ نفس المعنى بلفظ مغاير قال رسول الله ﷺ "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ:آدم فمن سواه إلا تحت لوائي " فإذا كان جميع النَّبيِّين تحت لوائه ﷺ ، فهو إذاً قائدهم وسيدهم وهم سادة الآدميِّين، والآدميون أفضل وأكرم الأحياء بمن فيهم الملائكة،ومن ثم فسيدهم سيد الخلق. وسيكون أول ما تنصرف أذهان الناس بحثاً عمن يشفع لهم عند ربهم إلى آدم بعد أن يبلغوا من الكرب والغم مالا يطيقون ولا يحتملون، لأن البشرية كلها بلا استثناء تعرف آدم عليه السلام

وتُقرُّبه أباً لها، ولكن آدم عليه السلام يعتذر خوفاً من الله عز وجل لشدة غضبه في هذا اليوم مُتذكِّراً ذنبه الذي أُخرج به من الجنة، ومن ثم يحيل إلى أول الرسل من بعده: نوح ولكن نوحاً يعتذر أيضاً ويحيل إلى إبراهيم الذي يعتذر ويحيل إلى موسى الذي يحيل إلى عيسى وكل منهم يذكر ذنباً ومن ثم عندما يحيل عيسى عليه السلام إلى رسول الله ﷺ يأتون إليه قائلين له: أنت عبد قد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، مع أننا لا نعلم له ذنباً اقترفه ﷺ، " فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ألا ترى إلى ما قد بلغنا فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع " وهكذا لا يأذن الرحمن في هذا اليوم إلا لمخلوق واحد هو عبده ورسوله ﷺ، مع أن الخلائق لا يَحْصِي عددهم إلا خالقُهم سبحانه وتعالى: بشراً وجناً وملائكة وكذلك كائن عظيم يخصه الله بالذكر عن الملائكة هو الروح وفي حديث أبي سعيد زاد بعد قوله: " واشفع تشفع وقل يُسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) " وهو مقام لا ينبغي إلا لعبد واحد فقط من عباد الله جميعاً.

وفي حديث البخاري ومسلم عن أنس: " فيأتون عيسى فيقول: لستُ هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين(١) من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجداً لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، قل تُسمع وسل تعطه واشفع تُشفَّع ".

فإذا سألنا سؤالاً عن الملائكة والروح يومئذ أين يكونون ؟ لعل قائلا يقول: إن الملائكة ليس عليها حساب، وهذا الحشر هو للإنس والجن للحساب، ولكن أحاديث الشفاعة هذه تعرض مشهداً يخص بني آدم يوم الدين

---

(١) أي جمعين.

وليس معنى هذا أن الملائكة غير موجودين لأنهم لا يحاسبون والإجابة عن وضع الملائكة والروح يوم الدين هو قوله تعالى: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[1] إذ لا يعقل أن يأتي الملك ولا تسبقه جنوده، ولله المثل الأعلى.

وأين يكون الروح ؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2] وهذا مشهد آخر غاب فيه ذكر الإنس والجن حيث اقتصر على ذكر حال الملائكة والروح يوم الدين.

والحكمة من عدم ذكر الآدميين في هذا المشهد سنعلمها بعد حين بالإجابة على الاعتراض المفترض.

والسؤال الهام الآن هو: هل يحق في هذا اليوم أن يتقدم ملك من الملائكة الكبار للشفاعة ؟

الإجابة: موجودة ضِمْناً في هذه الآية السابقة وهي أنهم لا يجرؤون في هذا اليوم على مجرد الكلام فكيف بالتقدم للجبار سبحانه لطلب الشفاعة منه وهو سبحانه القائل: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[3] .

فلا جبريل ولا إسرافيل الذي ورد في الخبر الصحيح أنه لم يبتسم مرة واحدة قط منذ أن خلق الله النار خوفاً أن يكون مصيره إليها. فكيف يجرؤ على التقدم للشفاعة هو أو غيره من كبار الملائكة، فالكل جنود للرحمن يقفون صامتين في انتظار الأمر الإلهي للتنفيذ الفوري ووقوفهم صفا صفا يتقدمهم الروح المبجل المكرَّم فقوله تعالى عن الروح والملائكة أنهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن أي منهم، وقال صوابا، ولم يَرِدْ ذكر الناس في هذه الآية، ومن ثم فإن فاعل فعل يتكلمون واو الجماعة يعود على السابق ذكرهم في الآية فقط وهو الروح والملائكة، ومن الروح والملائكة استثنى الرحمن ﷻ منهم واحداً فقط هو

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الفجر.

(٢) من الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٣) من الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة .

الذي يؤذن له بالكلام وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(١).

فتدبر المستثنى منه وهو الروح والملائكة جميعاً أما المستثنى فهو فرد واحد لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ولم يقل (إلا الذين أذن لهم) دليل على أن المأذون له في الكلام يومئذ هو مخلوق واحد لله تعالى، وهذا المخلوق باعتباره مستثنى في الآية من ﴿الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ فانه لا بد أن يكون واحدا منهم إما الروح وإما ملاك من الملائكة.

وقد علمنا بأحاديث الشفاعة المتواترة الصحيحة أن الذي سيأذن له الله تعالي يوم القيامة في الكلام تشفعاً للخلق هو سيدنا رسول الله ﷺ، فهو إذا مذكور في هذه الآية التي تثبت الإذن لفرد واحد فقط لا غير: وحيث أن رسول الله ﷺ ليس ملاكا من الملائكة، إذاً فإنه يكون هو الروح بالضرورة.

يؤكد هذا أن منطوق الآية يدل على أن الذي يأذن الله تعالى له في التشفع يومئذ وهو المستثنى في الآية، لابد أن يكون أحد المستثنى منهم لان المستثنى لابد أن يكون من المستثنى منهم، وحيث لم يرد ذكر الناس أو الأنبياء الآدميين مع الروح والملائكة في الآية فإن المأذون له من المذكورين في الآية ليس من الملائكة، وقد علمنا انه رسول الله ﷺ النبي السراج المنير، ومن ثم فهو الروح لزوما ويبقى اعتراض واحد لمعترض يقول إن الناس مذكورون ضمنا في سياق السورة، حيث قد سبق في السياق الحديث عن أهل النار ثم أهل الجنة، وكذلك ورد ذكرهم في معرض الحديث عن الحشر يوم الدين، ومن ثم يكون المستثنى منه الناس والملائكة والروح، وبالتالي يكون المقصود من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ هو رسول الله ﷺ الآدمي وليس المقصود به الروح، وهذا ما يتوافق مع حديث الشفاعة الطويل برواية أبي هريرة أو برواية أبي سعيد الخدري، ومن ثم يكون تفسير المستثنى بالروح غير صحيح. هذا هو الاعتراض المفترض.

---

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة النبأ.

وللرد عليه أود أن أُذَكِّر بأن القرآن الكريم جاء بأحسن وأفضل أساليب البلاغة العربية التي من أهم شروط تحققها أن يكون المعنى في أقل الألفاظ الممكنة لبيانه بلا إطناب أو تكرار بلا فائدة.

فإذا رجعنا إلى سورة النبأ لوجدنا السياق الوارد فيه إذن الله تعالى لعبد من عباده بالكلام لطلب الشفاعة منه لأهل المحشر جميعاً هو قوله ﷻ بعد الحديث عن أهل النار ثم أهل الجنة الذي جاء في آخره: ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (1) فالجزاء من الله تعالى لأهل النار وفاقاً أي بقدر أعمالهم ووفقاً لها أما جزاء أهل الجنة فهو " عطاء حسابا " فدخولهم الجنة عطاء من الله ﷻ لا يستحقه المتقون كأجر وفق أعمالهم مهما بلغت لا تصلح ثمناً للحياة الأبدية في الجنة، وإنما هي عطاء من الله تعالى وهي أيضاً (عطاء حسابا) إذ يأخذ كل مؤمن درجته في الجنة على حسب عمله كما جاء في الحديث " تدخلون الجنة برحمة الله وتتقاسموها بأعمالكم " فالناس مذكورون حقاً في هذا السياق عن أهل النار وأهل الجنة وقد نفى الله تعالى عن الناس سواء أهل الجنة، وبالأولى أهل النار، أنهم يملكون من الله تعالى خطابا نفياً مطلقا بلا استثناء وهذا بقوله تعالى (جزاء من ربك (يا محمد) عطاء حسابا) فجاء توجيه الحديث له ﷺ إخراجاً له من الذين يتحدث عنهم الله تعالى هنا وهم أهل الجنة لأن المتكلم إذاً خاطب فرداً عن قوم بصيغة الغائب وخاطبه هو بصيغة المخاطب لا يكون معهم في السياق حتى ولو كان منهم أو على رأسهم كما أن قوله تعالى لنبيه ﷺ (جزاء من ربك) ثم قوله بعدها مباشرة (رب السماوات والأرض الرحمن) تفيد أن ربوبيته سبحانه للنبي ﷺ كربوبيته للسماوات والأرض أى تعادلها، ثم قوله تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ الفاعل لفعل (يملكون) واو الجماعة يعود على السابق ذكرهم وهم أهل الجنة وأهل النار أي الناس بعامة بل ومعهم الجن أيضاً، لايقبل الله تعالى من أحد

(1) الآية رقم (٣٦، ٣٨، ٣٧) من سورة النبأ.

كلاماً كما لا يجرؤ أحد من الإنس والجن بإطلاق أن يتكلم وذلك حين يكون الروح والملائكة قائمين صفاً وجميعهم أيضاً لا يتكلمون إلا واحد منهم سيأذن له الرحمن ويقول صوابا فيقبل الله تعالى شفاعته بعد أن يأذن له.

هذا العبد الذي سيأذن له مستثنى بأداة الاستثناء " إلاَّ" من المستثنى منه وهم" الروح والملائكة " أما الناس مجرد البشر لا يتكلمون بل لا يملكون أن يتكلموا جميعاً بلا استثناء لقوله تعالى: ﴿ **الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾ بخلاف الروح والملائكة الذين يقومون صفاً واحداً في غير حشود البشر، فالمأذون له للكلام طلباً للشفاعة العظمى في هذا اليوم – وإن كان هو ﷺ في الحياة الدنيا من الناس – إلا أنه ليس هنا مأذوناً له بصفته واحداً منهم بل باعتباره الروح الأعظم الذي يتقدم الملائكة في الصفوف انتظارا لمجيء رب العالمين للفصل يوم الدين، فلا إذن لبشر يومئذ ولا حتى لرسول الله ﷺ باعتباره محمد البشر بل الإذن له باعتباره الروح الأقدس الأعظم فالإذن بالكلام بمقتضى النفي المطلق بلا استثناء لنفي الكلام والقدرة عليه للناس أجمعين، وبمقتضى استثناء واحد من الروح والملائكة فقط بالكلام طلباً للشفاعة وحيث أن صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين هو سيد الناس وسيد الخلق أجمعين ﷺ، وقد ورد في الآية أن المنصوص على الإذن له بالكلام طلباً للشفاعة مستثنى من الروح والملائكة معاً وحيث أنه ليس ﷺ ملاكا فهو إذاً الروح لزوماً وهذا يبطل بالكلية الاعتراض المُفترض ولله الحمد والمنة.

❀❀❀

الباب السادس

يُقَدَّرُ إيمان المؤمن بقدر ما فيه من نور رسول الله ﷺ

الفصل الأول:-

الروح الكلي الأقدس رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين في كل زمان ومكان.

الفصل الثاني:-

الرسل مرسلون إلى أقوامهم وأممهم ورسول الله ﷺ مرسل فينا نحن المؤمنين في كل زمان ومكان.

الفصل الثالث:-

الرسل مبعوثون إلى أقوامهم ورسول الله ﷺ مبعوث فينا نحن المؤمنين في كل زمان ومكان.

الفصل الأول

رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين من حيث كونه الروح

قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾[٢].

يُلزم بحقيقة تخص المؤمنين دون الكافرين، وهي أن رسول الله ﷺ - من حيث كونه هو الروح - فيهم، وحيث قد مر بنا قول رسول الله ﷺ " نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال.......... " وحسب تفسير الأمانة بأنها هذه النفخة الكريمة من الروح فينا فان رسول الله ﷺ - من حيث كونه هو الروح - يكون في قلوبنا نحن المؤمنين دون الكافرين الذين ضَيَّعوا الأمانة.

ومما يؤكد صدق وصحة وصواب هذا الذي قرأناه عن الحقيقة المحمدية بأنه الروح الأقدس والأعلى بين الخلق جميعاً هو أن القرآن الكريم ينص على هذه النتيجة اللازمة صراحة والقول أن الرسول ﷺ فينا المقصود به المرسل كونيا بالرحمة وليس المرسل بلاغياً بالكتاب وهذا القول يصعب تصوره لمن لا يعرف الحقيقة المحمدية إذ يقول الذين حصروا حقيقته ﷺ في البشرية: إنه بشر أرسله الله تعالى برسالة ليبلغها فحسب، فكيف يكون في قلوب المؤمنين جميعاً وهو شخص واحد مثلهم في البشرية والآدمية.

ونسوا - أو تناسوا - أنه الذي قال فيه الخالق ﷻ ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٣] والسراج شمس[٤]،فهو شمس منيرة وكما نطلق على قرص الشمس بالإشارة إليه اسم الشمس، فإننا نطلق أيضاً على أشعة الشمس الساقطة والمتخللة داخل منازلنا من النوافذ، فأطلق عليها اسم الشمس أيضاً، كذلك نقول إن رسول الله ﷺ أحمد الذي هو الشمس الروحية هو في السماء وهو موجود في قلوب المؤمنين

(١) من الآية رقم (٢٩) من سورة الحجر.

(٢) من الآية رقم (٩) من سورة السجدة.

(٣) من الآية رقم (٤٦) من سورة الأحزاب.

(٤) لقوله تعالى عن الشمس: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ (١٣) سورة النبأ.

بنوره كما أن عين الشمس الحسية هي في السماء وفي نفس الوقت في منازل الناس بنورها وأشعتها.

ولهذا نقرأ في كتاب الله ﷻ قوله تعالى ما يلي:-

١ - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

الخطاب في هذه الآية للذين آمنوا، بل إنَ في سورة الحجرات عدة نداءات من الله تعالى للمؤمنين :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

ومن هذه النداءات للمؤمنين في سورة الحجرات أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٣) ثم يأتي قوله تعالى بعد هذا عن المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤).

فقدم سبحانه قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...... ﴾ على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ......﴾ والأُخُوَّةُ كما - هو معلوم - أخوَّتان:

---

(١) الآية رقم (٧، ٨) من سورة الحجرات.

(٢) الآية رقم (١ : ٣) من سورة الحجرات.

(٣) الآية رقم (٦، ٧) من سورة الحجرات.

(٤) الآية رقم (١٠) من سورة الحجرات.

إحداهما : عصبية – والثانية روحية إيمانية، بيد أن هذه الأخوة الروحية هي أيضاً نتيجة رباط واحد يربط بين الإخْوة، فكما أن العصب أو الدم أو الرحم هو أو هي جميعا رباط الأخوة بين الأشقاء، فكذلك للأخوة الروحية رباط روحي وهذا الرباط هو في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ......﴾ بالمفهوم الحقيقي المباشر لهذه العبارة لأن نور رسول الله في قلوب المؤمنين وهو مصدر الإيمان ومن ثم " فهو أب لهم " جميعاً ومن ثم فالمؤمنون إخوة لذا أوجب الله على المؤمنين مراعاة عدة واجبات أدبية في معاملة النبي ﷺ وأهمها النهى عن التقدم بين يدْي الله ورسوله قال في مختصر تفسير ابن كثير " أى لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أى قبله، بل كونوا تبعا له في جميع الأمور قال ابن عباس " نُهُوا أن يتكلموا بين يدي كلامه وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه، وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم، وقال الحسن البصري: لا تدعوا قبل الإمام وقال قتادة: ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك) (١).

وعلى الجملة فهذه الآية وما بعدها آيات (أدَّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام) (٢).

كما حذر من رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ لأن هذا يحبط أعمالهم ويفسد إيمانهم، وجعل غض المؤمنين أصواتهم عند رسول الله ﷺ دليلاً على الإيمان بل وعلى عمران قلوبهم بالتقوى، فمن كان نوره ﷺ في قلبه لا يستطيع بحال أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ووصف أكثر الذين جاءوا من الأعراب ينادونه من وراء الحجرات بأنهم لا يعقلون.

---

(١) الصابون/ مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ صـ.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني .

وأمرهم أن يتثبتوا من صحة النبأ الذي يبلغهم به فاسق عن أحد المؤمنين، وأمر بالإصلاح بين المؤمنين المتنازعين وبين الفئات التي ستقدم على القتال منهم، ومحاولة حل النزاعات بينهم بالقسط لأن المؤمنين إخوة.

ونهى أن يسخر قوم من قوم وعن اللمز و التنابز بالألقاب لأن هذا يفسد أخوة الإيمان ويتعارض معها ونهى عن الظن السيئ في المؤمنين والتجسس بينهم والغيبة.

وذكر سبحانه أنه خلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى مذكراً لهم أن أخوة الإيمان مع الأخوة الإنسانية أساسان قويان للسلام بينهم فإن لم تكن أخوة إيمان ولا أخوة رحم فلتكن أخوة آدمية ثم نفى قول الأعراب عن أنفسهم أنهم آمنوا، وقال بل هم أسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد وهذا دليل على أن الإيمان شيء يدخل القلوب وقد يخرج منها بالمعاصي والعياذ بالله تعالى فهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ومن ثم فهو يولد في القلب وينعدم والعياذ بالله برفع الأمانة من القلب وإظلامه.

وقد أخبر الله تعالى أنه زيَّن الإيمان في قلوب المؤمنين لأنه ليس أجمل ولا أكمل زينة من النور الروحاني الذي يرد على قلوب المؤمنين من الروح الأقدس الأعلى ﷺ.

ومحور هذا كله هو قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**...... ﴾ ولكي نفهم هذا النص الكريم نسأل: لِمَ لَمْ يقل سبحانه (واعلموا أنَّ معكم رسول الله.....) كما فسر بعض المفسرين هذا النص بهذا المعنى ؟!

إن حرف الجر الدال على ظرف المكان " في " لا يمكن أن يكون بمعنى مع أو بين أو على،فلكل حرف معناه بمقتضى اللغة ويجب الالتزام به، بل إن تغير حرف الجر يغير دلالة الفعل المتعدي به من النقيض إلى النقيض.

ومن ثم فقوله تعالى:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**...... ﴾ له تفسير آخر غير هذا التفسير " بمع " أو " بين ".

هذه واحدة.

الثانية: أن كلمة (واعلموا...) لها دلالة هامة في موضوعنا إذا علمنا أن العلم هو إدراك معلوم أو معلومة كانت مجهولة من قبل، وهذا بخلاف "عرف" " ويعرف " حيث المعرفة هي تذكر معلوم أو معلومة سبق العلم بها.

ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾(١).

فالعلم دائماً إدراك معلوم أو معلومة جديدة أما المعرفة فهي تذكر بعد نسيان بدليل قوله تعالى عن يوسف عندما رأى أخوته بعد أن صار على خزائن الأرض: ﴿**وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ (٢).

فهذه المعرفة منه ليست إدراكاً لمعلوم أو معلومة جديدة على يوسف عليه السلام، فالمعرفة تدل على سبق الإدراك.

فإذا كان العلم إدراك لمعلوم جديد بالتعلم وليس بالتذكر فما دلالة أن يقول رب العالمين للمؤمنين الذين قال لهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ..**﴾ عدة مرات في السورة: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**...... ﴾ كيف ولا يكون الإيمان إلا بعد العلم بما تم الإيمان به ؟!

فالصحابة المقصودون بالنداء ثم سائر المسلمين بالله ورسوله وكتابه إلى قيام الساعة علموا أن الله حق ورسوله حق وكتابه حق فصدَّقوا وآمنوا بما علموا وشهدوا بهذا وأقرُّوا، فكيف يكون المعنى: واعلموا أن معكم رسول الله؟ !

كأنهم يجهلون أن الذي معهم هو رسول الله ﷺ إذ لو قصرنا النداءات في السورة على الصحابة فقط، فرضاً، بحسب تفسير " فيكم " بمعنى " معكم " أو " بينكم " لما كان لقوله تعالى لهم (واعلموا أن بينكم أو معكم رسول الله تعالى) أي معنى أو معلومة جديدة يضيفها إلى علمهم قوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ**

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النحل.

(٢) الآية رقم (٥٨) من سورة يوسف .

فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ..... ﴾ بمعنى أن " بينكم " أو " معكم "، لأن هذا معلوم لهم بل شهدوا به لمَا بايعوا رسول الله ﷺ قبل نزول الآية.

ومن ثم يلزم أن نفسر " فيكم " بالدلالة اللغوية لهذا الظرف، وليس بدلالة ظرف آخر، وأيضاً فإن تفسير لفظ " فيكم " بمعنى " معكم " أو " بينكم " يؤدي بالضرورة إلى أن تكون النداءات في السورة للمؤمنين موجهة للصحابة فقط، وليس لسائر المؤمنين إلى قيام الساعة لأن رسول الله ﷺ ليس معنا ولا بيننا الآن بآدميته وبشريته ولم يكن مع التابعين ومن جاءوا بعدهم حتى اليوم بهذا المفهوم وإذاً فهمناها باعتبارها نداءات وواجبات وآداب للمؤمنين جميعاً إلى قيام الساعة لزم القول بأن رسول الله ﷺ في المؤمنين جميعاً (١) منذ عهد آدم وإلى عهد الصحابة وإلى قيام الساعة، فلا يصح تفسير فيكم بمعنى بينكم أو معكم لأنه ﷺ منذ أن لحق بالرفيق الأعلى ليس معنا بجسده أو بيننا كما كان مع أو بين الصحابة، بل يصدق القول بأنه في المؤمنين على جميع أجيال البشرية منذ آدم إلى قيام الساعة بدلالة نفخ الروح فيهم بلا استثناء.

إذاً فلا مناص من تفسير: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...... ﴾ ﷺ بمعنى إخبار وإعلام الله تعالى للمؤمنين بَدْءاً من جيل الصحابة إلى آخر جيل أنه ﷺ بنوره في قلوبهم فيكون هذا إعلاماً وتعليماً بمعلوم جديد لم يكن معلوماً للمؤمنين من قبل حتى الصحابة وهذا يتطابق مع مدلول العلم والتعلّم في اللغة كما يكون معنى قوله "فيكم " مطابقاً لمدلولها في اللغة أيضاً، وحيث نداءات الله تعالى للمؤمنين مطلقة منذ آدم إلى آخر مؤمن قبل قيام الساعة فلا معنى لقصر النداء على أجيال الصحابة ومن بعد الصحابة.

ومجمل القول أنه إذا فسرنا الآية بمحض دلالة اللغة فلابد أن يكون رسول الله ﷺ فينا أي في قلوبنا وحيث أنه نور فيكون المعنى أن نوره ﷺ في قلوبنا نحن المؤمنين.

---

(١) بل نوره في قلوب المؤمنين منذ آدم إلى آخر مؤمن على ظهر الأرض.

عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: " **الإسلام علانية والإيمان في القلب** " ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ويقول " **التقوى ههنا** " (١)

والروح المنفوخ في قلوب المؤمنين مصدر التقوى، قال تعالى عن النبي ﷺ ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ .

وسيأتي الكلام عن هذه الآية تفصيلاً بعد، بيد أن ذكرها هنا لإثبات أنه ﷺ نور الله في قلب العبد المؤمن، ولما كانت حقيقته نوراً جاز بل صح أن يكون في قلوب المؤمنين، فهو ﷺ نور الله في قلب العبد المؤمن: ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾ (٢).

٢) نقرأ أيضاً في كتاب الله ﷻ قوله تعالى دليلاً على أن رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(٣) .

فقوله تعالى للمؤمنين: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِين** ﴾ ثم قوله سبحانه: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ** ﴾؟!

سؤال استنكاري تعجبي بمعنى أنه من غير الممكن أن تكفروا (وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله...) فما دمتم تسمعون آيات الله وفيكم رسوله فلن تكفروا، فعلة استبعاد كفرهم بعد إيمانهم ليس فقط استماعهم لآيات الله ﷻ ، وإنما الأساس وجود نور رسول الله ﷺ في قلوبهم، إذ لو كان علة استبعاد الكفر هي تلاوة آيات الله تعالى عليهم فقط لما كان بين الصحابة ثم بين التابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة منافقون، والواقع أنه لا يخلو مجتمع من المؤمنين إلا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد أنظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ٣ صـ٣٦١.

(٢) من الآية رقم (٣٥) من سورة النور .

(٣) الآية رقم (١٠٠، ١٠١) من سورة آل عمران .

وفيه منافقون وهم جميعاً تتلى عليهم آياته سبحانه وتعالى كما تليت على أمية بن خلف وأبي جهل وغيرهم من الذين كفروا.

وعلى هذا فعلة استبعاد كفرهم بعد إيمانهم هي أن فيهم رسول الله ﷺ، أي نوره في قلوبهم مع استماعهم إلى آيات الله ﷻ، ومن ثم فمن المستبعد كفرهم بل هذا الكفر من غير الممكن بالنسبة لهم فليس كل من تتلى عليه آيات الله يؤمن، وإنما يؤمن فقط الذين فيهم رسول الله ويستمعون أو يتلون آيات الله ﷻ.

فكما أن الآية الأولى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**...... ﴾ أثبتت للمؤمنين الإيمان بسبب وجود نوره فيهم ﷺ، فكذلك تنفيَ آية آل عمران إمكانية الكفر عند المؤمنين لوجود نور رسول الله تعالى فيهم أيضاً، ولو كان هذا السؤال الاستنكاري التعجبي مع تفسير فيكم بمعنى بينكم أو معكم لتعارض هذا مع وجود منافقين ومع ردة عدد قليل عن الإسلام كان منهم كاتب للوحي، وحاشا لله تعالى أن يتعارض كلامه سبحانه مع الواقع،لكن لأن كاتب الوحي هذا الذي ارتد لم يكن في قلبه نور رسول الله لَّما أعلن إسلامه وصاحب رسول الله ﷺ إذ كان إعلان إسلامه نفاقاً، ومن ثم هرب من المدينة وأعلن ردته وعاد إلى مكة وكذب على رسول الله ﷺ، مع أنه كان ممن تتلى عليهم آيات الله، بل كان يكتب الوحي. ولم ينفعه هذا لخلو قلبه من نوره ﷺ.

وهذا يؤكد أن تفسير (فيكم) أي نوره في قلوبكم وليس بمعنى بينكم، فمن تليت عليه الآيات ونوره ﷺ في قلبه آمن، وأما من كان قلبه خالياً من هذا النور فلن تنفعه تلاوة الآيات عليه بل ستزيده طغياناً وكفرا.

٣) ومن الآيات الكريمة التي تثبت أن نور رسول الله فينا نحن المؤمنين قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (١).

---

(١) الآية رقم (٣٢، ٣٣) من سورة الأنفال.

بالتدبر نجد أن: الآية الأولى موضوعها صلة الإيمان الذي في قلوب المؤمنين بالحقيقة المحمدية حتى يصح القول بأن درجة إيمان المؤمن هي بقدر ما فيه من الحقيقة المحمدية أي بقدر وجود النور النبوي في قلبه.

كذلك فإن الآية الثانية تثبت أن المؤمن بعيد عن الكفر بقدر ما فيه من نوره ﷺ.

أما هذه الآية الثالثة فتتحدث عن صنف ثالث من الناس ليسوا بمؤمنين، كما أنهم ليسوا من الذين كفروا وليسوا من أصحاب النفاق القلبي الباطني، فهم الذين يمكن أن نطلق عليهم (الضالين) بمعنى التائهين المتخبطين الذين يظنون أنهم على الحق ويحسبون أنهم يحسنون بدينهم وعبادتهم الشركية صنعا.

إن الكافر القلبي الباطني هو الذي يدخل تحت قول الله ﷻ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾ (1) هذا الكافر الباطني لا يؤمن أبداً، فتعبير (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ) فيه تأكيد على كفرهم ثم جاء البيان باستحالة إيمانهم بسبب فراغ قلوبهم من الأمانة أو النور النبوي ثم ختم الله تعالى عليها وعلى أسماعهم، مع جعل غشاوة على الأبصار فهو كالأعمى لا يبصر وكالأصم لا يسمع وكالأحمق لا يفقه.

لكن ثم صنف آخر من الناس دينُه المعلن شركي وعبادته شركية، لكن اعتقاده وسلوكه الشركي هذا لم يبلغ عنده من اليقين الدرجة التي تفرغ قلبه من الأمانة وتطفيء مصباح فؤاده ومن ثم يكون الفؤاد به نور وإن ضعف وخفت. فمثل هذا قابل لأن يؤمن لأن نور رسول الله ﷺ لازال فيه وإن كان ضعيفاً فهو ليس من (إن الذين كفروا....) ولكن هو من الكافرين والأدق أن نقول أنه من الضالين فهو مختلف عن الذين كفروا هؤلاء الذين لا يؤمنون مهما أُنذروا، إذ أنه و أمثاله قابلون للإيمان، بيد أنهم ضالون حائرون.

---

(1) الآية رقم (٦،٧) من سورة البقرة.

وهذا هو الذي كانت عليه الكثرة الغالبة من أهل مكة،بل ومن كل قبائل العرب أو أكثر قبائل العرب، والدليل على هذا أن جميع العرب أسلموا ما عدا الذين سقطوا صرعى في حروبهم ضد الرسول ﷺ في غزواته [١]. وهؤلاء القتلى لم يتعدَّ عددهم بضع مئات من الأفراد الذين علم الله تعالى أن قلوبهم ليس فيها أدنى خير. أما الذين علم الله أن في قلوبهم بقايا للنور النبوي فهؤلاء هداهم الله تعالى لدينه واستجابوا له لأنه ﷺ فيهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢] فتدبر شهادة رب العالمين لهؤلاء الأسرى أنه من الممكن أن يكون في قلوبهم خير أي بقية من النور النبوي الذي يؤهلهم للإيمان.

ومن ثم فإن هذه الآية الثالثة تتضمَّن إثبات النور النبوي في قلوب أكثر الضالين المضلَّلِين المخدوعين بالنسبة لأهل مكة وسائر مشركي العرب بالرغم من أنهم أمعنوا في السخرية من دعوة النبي لهم إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

ولا شك أن قادة الضلال والشرك فيهم هم الذين قالوا هذا، وتبعهم في هذا مُضَلَّلِين من عامةُ الناس فهل استجاب لهم الله تعالى وأنزل عليهم حجارة أو عذبهم عذابا أليما لكي يثبت أن ما جاء رسوله ﷺ هو الحق من عنده ؟! لقد استجاب الله تعالى لمن علم أن قلوبهم فارغة من الخير والحق لخلوها من النور المحمدي وهم قتلى الغزوات الذين عذبهم الله تعالى في بدر وأحدو الخندق وغيرها فلم يمطر عليهم حجارة من السماء حفظا للذين فى قلوبهم بقية من

(١) قامت إحدى اعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر بعمل بحث عن عدد القتلى من الكافرين والشهداء من المؤمنين في غزوات النبى فوجدت أنهم قرابة خمسمائه فقط .

(٢) الآية رقم (٧٠) من سورة الأنفال.

(٣) الآية رقم (٣٢) من سورة الأنفال.

النور الأحمدى ، واستأصل الذين كفروا بقتلهم فى الغزوات أو بكيفيات أخرى.

أما سائر الناس أو أكثرهم فقد علم أن في قلوبهم خير ولا زالت مصابيح أفئدتهم مضيئة ولو بنُور ضعيف خافت، ومن ثم لم ينزل الله ﷻ عليهم جميعا حجارة من السماء أو عذاباً أليماً على أهل مكة وقبائل العرب، ولكنه زَيَّل وفَصَلَ هؤلاء الذين كفروا وختم الله تعالى على قُلوبهم عن بقية الناس وأخرجهم للذبح في بدر وغيرها من الغزوات.

ومن ثم جاء رد الله تعالى على قولهم هذا بأن الله تعالى لا يعذبهم وهو ﷺ فيهم، ولأنهم يستغفرون، ومجيء استغفارهم بعد قوله لنبيه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يجعل وجود نوره فيهم علة وسبباً للاستغفار ودافعا باطنيا له، وليس العكس.

والملاحظ قوله له في هذه الآية ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ في حين جاء ذكره ﷺ في الآيتين السابقين بصفة الرسالة في قوله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ﴾ رسول الله وفي قوله أيضا ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ وفيكم رسول الله ، لأن هؤلاء امنوا بأنه رسول الله أما بالنسبة لأولئك الذين لم يؤمنوا بعد بأنه رسول الله وإن كان فيهم نوره ﷺ فقد جاء قوله ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الحقيقة الأحمدية المحمدية النورانية المحضة فيهم مع رفضهم الشهادة بأنه رسول الله.

وهذا واضح من قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] وكانت النتيجة اللازمة لبقاء نوره فيهم هى إسلامهم حتى جاء اليوم على جزيرة العرب لم يكن فيها إلا مسلمون وإن لم يمنع هذا وجود بعض المنافقين.

يؤكد أيضا ما نقول أن قوله تعالى:﴿ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ لا يصح تفسيره بمعنى (وأنت معهم) أو (وأنت بينهم) إذ يقال لو كان الله لا يعذبهم لأنه ﷺ بينهم خوفا عليه من إصابته بالعذاب لقال (وأنت والمؤمنون فيهم) لأن السابقين من صحابته ﷺ كانوا في مكة المكرمة حينئذ.

---

(١) الآية رقم (٣٣) من سورة الانفال .

كذلك يقال: ولِمَ لَمْ يأمره الله تعالى بالخروج وهو وأصحابه من بينهم لينزل عليهم العذاب ؟! كما أمر كثيرا من الرسل والمؤمنين معهم من بين الأمم التي إستأصلها الله تعالى قبل نزول العذاب عليهم ؟!

كذلك يقال: ولِمَ لَمْ يُنزل الله تَعالى العذاب عليهم بعد أن هاجر هو وأصحابه من مكة وبخاصة أنَّ أذاهم له كان قد بلغ ذروته حتى قرروا قتله بانتداب فتي من كل قبيلة يضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع الهاشميون المطالبة بقاتل بعينه فيقبلون الدية وحيث لم يأمرْه ربه سبحانه بالخروج وهو أصحابه، وحيث لم ينزل عليهم العذاب بمكة بعد هجرته وهجرة المؤمنين فإن هذا يؤكد أن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ليس بمعني وأنت بينهم أو معهم بل فيهم، إذ أن عدم نزول العذاب عليهم بعد هجرته وإمهال الله تعالى لهم حتى اسلموا بعد فتح مكة دليل على أنه رغم هجرته ﷺ بكيانه وهيئته الجسدية أو هيئته البشرية فإنه ظل موجوداً بنوره في قلوب أهل مكة وسائر العرب حتى أسلموا فازداد هذا النور، فلم ينزل الله تعالى عليهم حجارة من السماء أو عذابا من عنده لعلمه أن نوره فيهم وسيؤدى بهم هذا النور في نهاية المطاف ويهديهم إلى الإسلام، وهو ما صار وما كان.

فهل يصح من أحد أن يفسر قوله تعالى : "فيهم" أو " فيكم " بدلالة " معكم " أو "بينكم" ؟!

❀❀❀

الفصل الثاني
كل رسول مرسل إلى قومه ورسول الله ﷺ مرسل فينا نحن المؤمنين

وردت مادة أرسل في القرآن الكريم متعدية بحرف الجر " على " للدلالة على نزول العذاب في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1] ومثل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] وقال تعالى: عن سبأ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[3].

ووردت متعدية بحرف " إلى" للدلالة على إرسال الرسل إلى أقوامهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4].وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6] .

وعلى الجملة قال تعالى: بالنسبة للرسل جميعا من قبل رسول الله ﷺ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[7] وقال تعالى أيضا:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا

---

(١) الآيات رقم (٣:٥) من سورة الفيل.

(٢) الآيات رقم (١٦٢) من سورة الأعراف.

(٣) الآيات رقم (١٦) من سورة سبأ.

(٤) الآيات رقم (٥٩) من سورة الأعراف.

(٥) الآيات رقم (٤٥) من سورة النمل.

(٦) الآيات رقم (٤٦) من سورة الزخرف.

(٧) الآيات رقم (٤٢) من سورة الأنعام.

مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) فكل رسول مرسل إلى قومه أي بالنسبة للرسل السابقين فإن الفعل "أرسلنا" يتعدى بحرف الجر " إلى " أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فإن الفعْل " أرسلنا" يتعدى بحرف الجر " في " وليس " إلى " مقترنا مع تلاوة الآيات وتزكيته ﷺ للمرسل فيهم وليس إليهم.

قال تعالى مخاطبا المؤمنين برسول الله ﷺ صحابةً وتابعين ومن بعدهم إلى قيام الساعة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) فتدبر معي أخي القارئ، قوله سبحانه وتعالى عن النبيﷺ موجها كلامه سبحانه للمؤمنين بأنه أرسله فيهم﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ﴾ تماما مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٣). إذ ندرك أن نتيجة إرساله فيهم تزكية نفوسهم بالإضافة إلى تعليهم الكتاب والحكمة كما أن إثبات وجوده فيهم في آيتي الحجرات تثبت – نتيجة لأنه "فيهم" – تزيين الإيمان في قلوبهم وكراهية الكفر والفسوق والعصيان، وتدبر معي استخدام الفعل "أرسلنا " المتعدى بحرف " إلي" بالنسبة للرسل السابقين، أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فهو مرسل " فيكم " إذا كان الخطاب للمؤمنين لأنه في المؤمنين فقط.

أما إذا كان الخطاب للكافرين فإن إرساله ﷺ يكون إليهم وليس فيهم قال تعالى لرسوله:ﷺ ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ

(١) الآيه رقم (٤٧) من سورة الروم.

(٢) الآيات رقم (١٥١، ١٥٣) من سورة البقرة.

(٣) الآيه رقم (٧) من سورة الحجرات.

الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١).

فهذا خطاب لكل المكذبين أولى النعمة في كل زمان ومكان منذ نزول القرآن إلى قيام الساعة يقول لهم سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ وليس فيكم كما هو عليه الصلاة والسلام مرسل في المؤمنين، لأنه ﷺ في المؤمنين كما أوضحنا ، وليس في الكافرين ، وهو يوم القيامة شافع وشاهد للمؤمنين وشاهد على الكافرين ، ومن ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ وليس شاهداً لكم فلو كانت شهادته خاصة بالمؤمنين لقال (شاهداً لكم) وليس عليكم ، وقال تعالى أيضاً مخاطباً رسوله ﷺ ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾(٢).

الأمة هي جماعة كبرت أم صغرت تدين بدين واحد.

ومعنى إرساله في أمة خلت من قبلها أمم هو إرساله إلى العرب الذين كانوا يدينون بالوثنية مع بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، بيد أنهم جميعاً صاروا أمته ﷺ .

لأن أمة أي نبي أو رسول هم الذين آمنوا به واتبعوه، وقد صار العرب جميعاً أمة الإسلام، بل هم الذين نشروا الإسلام حولهم حتى ضَمَّت أمة الإسلام العديد من الأقوام والشعوب فصاروا جميعاً أمة واحدة ، ولهذا قال تعالى أنه أرسله في أمة، فهو مرسل فيهم جميعا أي في أعضاء أمة الإسلام التي تضم الأسود والأبيض ومن جميع الشعوب.

ولأن إرساله فيهم وليس إليهم، فهو بنوره ﷺ في قلب كل من شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًاً رسول الله، أما الذين يكفرون بالرحمن فهؤلاء هم العرب قبل إسلامهم، وما قال أنه تعالى أرسله في أمة هي أمة العرب إلا لعلمه تعالى

(١) الآيه رقم (١٢، ١١، ١٥، ١٤، ١٣) من سورة المزمل.

(٢) الآيه رقم (٣٠) من سورة الرعد.

أنهم سيصيروا أمته المسلمة وهو ما تحقق لأن حرف الجر "في" يدل على ظرف مكان أي داخل محل بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (١).

فعبارة ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ... ﴾ أي داخل المدائن وفي كل بيت من بيوتها لطلب السحرة الذين في المدائن جميعاً.

فإذا كان حرف الجر "في" يدل على الظرف المكانى فماذا يعني إذ أضيف إلى البشر، فقوله "فيكم" "وأرسلنا فيكم" "وأرسلناك في أمة" كل هذا ليس بمعنى أرسلنا على أو أرسلناك إلى وإنما هو يشير إلى مكان في هؤلاء الناس الذين تم الإرسال فيهم وليس إليهم، فأي مكان في هؤلاء البشر كان إرسال النبي، وهو نور، وروح أي نوره ﷺ سوى قلوبهم التي في جذورها مصابيحهم المضيئة بنوره ﷺ أما إرساله ﷺ لمن علم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا به، فهو إرسال إليهم وليس فيهم، وقد ثبت هذا بالدليل، فتأمل توافق آيات الكتاب ودقة استخدام الكلمة في القرآن الكريم.

❁❁❁

---

(١) الآيه رقم (١١٢،١١١) من سورة الأعراف.

الفصل الثالث
الرسل والأنبياء مبعوثون إلى أقوامهم ورسول الله ﷺ مبعوث في المؤمنين

علمنا أن رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين ، وكذلك علمنا أن الله تعالى أرسله فينا وليس إلينا كما هو الحال بالنسبة للرسل والأنبياء السابقين.

كذلك يقص كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويوافق بعضه بعضاً ولا يخالف بعضه بعضاً، يقص علينا أن الله تعالى بعثه ﷺ فينا نحن أمته ولم يرد فيه أن الله تعالى بعثه إلينا كما هو بالنسبة للسابقين عليه من الرسل نقرأ في أربعة مواضع من كتاب الله ﷻ عن بعث رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين به:-

١- قال تعالى:﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (١).

إذ بعث في أنفسهم نوره ويزكيهم بنوره لأن البعث هنا قاصر على المؤمنين مع أنه مرسل لمن آمن ومن كفر،وكذلك قوله رسولاً من أنفسهم فهو ليس من أنفس الكافرين.

٢- ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (٢).

حُمِّلوا التوراة أي كُلِّفوا بها فحملوها أوراقاً وكتباً ولم يحملوها في قلوبهم مثل المسلمين الذين حملوها أوراقاً وكتباً وهدى ونوراً في قلوبهم.

---

(١) الآيه رقم (١٦٤) من سورة آل عمران.

(٢) الآيه رقم (٢، ٣، ٤، ٥) من سورة الجمعة .

وهذا دليل على أن النور النبوي في نفوس المؤمنين هو سر تزكية نفوسهم، لقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ ولم يقل إلى الأميين أو على الأميين أو للأميين، فهو مبعوث فيهم كما قال له أهل المدينة عند وصوله ﷺ من الهجرة أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع ".

٣- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (١).

حتى يبعث في أهل مكة وما حولها رسولا يتلوا عليهم آياته سبحانه ولن يهلك الله تعالى من أهل القرى وأمها إلا الظالمين الذي لم تقبل نفوسهم الهدي ولم يستقبلوا النور المبعوث فيهم.

وهذه الآية بنفس دلالة الآيات السابقة وتطبيقها على مستوى الحضارات المجاورة لجزيرة العرب التي تقع بها أم القرى والحضارات الأخرى في شتى بقاع الأرض بعد أن يصل إليها النور المحمدي المبعوث للعالمين.

٤- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

معنى ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام. لقولهما وابعث فيهم وليس إليهم، فالبعث فيهم برسول منهم ليزكيهم بهذا البعث فيهم أما الجانب التعليمي فهم تلاوة آيات الله وتعليمهم الكتاب والحكمة.

وحيث أن الرسول هو سيدنا محمد ﷺ وحيث إن سيدنا محمد نور، إذاً، فالبعث فيهم بعث لنوره في نفوسهم ولهذا قالا رسولاً منهم.

(١) الآيه رقم (٥٩) من سورة القصص.

(٢) الآيه رقم (١٢٧، ١٢٨، ١٢٩) من سورة البقرة.

ولكي تثبت هذه الدلالة لعبارة (وابعث فيهم) أي في قلوبهم لابد من الرجوع إلى محض الدلالة اللغوية للكلمة واستخداماتها.

دلالة لفظ بعث في اللغة:ـ

قال ابن فارس في معجمه: "بعث" الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة ويقال بعثُ الناقة إذا أثرتُها [١].

وقال ابن منظور في لسان العرب (بعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله فانبعث..والبعث: الرسول..والبعث بعث الجند إلى الغزو..وقولهم: كنتُ في بعث فلان أي في جيشه الذي بعث معه).

والبعوث: الجيوش...وبعثه على الشيء: حمله على فعله.

وبعث عليهم البلاء أحلَّه، وفي التنزيل ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾[٢].

وبعثه من نومه بعثاً أي أيقظه وأهبَّه...حتى يقول ابن منظور (وتأويل البعث: إزالة ما كان يحبسه عن التصرف والانبعاث.....

والبعث في كلام العرب على وجهين:ـ

أحدهما: الإرسال كقوله تعالى:﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى** ﴾ معناه أرسلنا.

والثاني: إثارة بارك أو قاعد تقول بعثت البعير فانبعث.

والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى. ومنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ** ﴾[٣] أي أحيينا كم... ومن أسمائه ﷻ الباعث هو الذي يبعث الخلق أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة. [٤]

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة المجلد الأول صـ٢٦٦.

(٢) الآيه رقم (٥٩) من سورة القصص.

(٣) الآية رقم (٥٦) من سورة البقرة.

(٤) لسان العرب لابن منظور المجلد الأول صـ٣٠٧.

دلالة كلمة: بعث في القرآن الكريم:-

ويتبين لنا معنى البعث إذا استعرضنا استخدامات هذا اللفظ في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

لقد ورد هذا اللفظ بتصريفاته وبالضمائر الملحقة به قرابة خمسا وستين مرة في القرآن الكريم.

ولكن يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام:-

الأول: ورود الفعل بعث أو يبعث من غير أن يتعدَّي بحرف من حروف الجر مثل قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينات بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ**﴾ (١). وأكثر ما يكون معنى الفعل بعث غير المتُعدَّى هو أرسل ومثلها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ (٣) ، أي أرسل الله تعالى بعد أن قتل قابيل أخاه غرابا يحفر في الأرض، ليعلمه سنة دفن الموتى.

ويأتي أيضاً الفعل غير المتعدى بأي حرف من حروف الجر بمعنى أحيا من هذا قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾ (٥) .

أما الصنف الثاني من استخدام الفعل بعث فهو الفعْل المتعدى بحرف من حروف الجر وفي هذا الصنف يتعدى الفعل بعث أو يبعث بحروف جر متعددة فيكون له مع كل حرف جر معنى مغاير.

(١) الآية رقم (٢١٣) من السورة البقرة .

(٢) الآية رقم (١٥) من السورة الأسراء .

(٣) الآية رقم (٣١) من السورة المائدة .

(٤) الآية رقم (٥٦) من السورة البقرة .

(٥) الآية رقم (٢٥٩) من السورة البقرة .

فلام الملكية: تجعل معنى البعث لنا بمعنى المن والعطاء والنعمة علينا مثل قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [1]. فنجد أن تعدى البعث بلام الملكية يفيد النعمة والمنة والعطاء ومثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [2] فالتعدي هنا بحرف اللام في قوله تعالى (لكم) جعل الفعل بعث بمعنى مَنَّ عليكم أو إنعم عليكم أو أعطاكم أو وهبكم طالوت ملكا.

أما التعدَّي بحرف الجر (مِنَ) فيجعل الفعل بعث بمعني إختار أو اصطفى ومثال هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[3] أما تعدَّى هذا الفعل بحرف الجر (إلي) فيجعل معناه (أرسل إلى) مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [4].

أما التعدَّي بحرف الجر (على) فيجعل الفعل " بعث على " أو " يبعث على " بمعنى النقمة والعذاب والإنذار وإذا كان بصيغة المستقبل "سيبعث على " فيكون بمعنى الوعيد والنذير. مثال هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [5] فهذا الاستخدام للفعل " يبعث على " ليس له دلالة أو معنى إلا الوعيد والإنذار.

ومثلها قوله تعالى لبني إسرائيل منذرا أيضا بالعذاب إذا أفسدوا إفساد تهم الأولي: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ

---

(١) الآية رقم (٢٤٦) من السورة البقرة.

(٢) الآية رقم (٢٤٧) من السورة البقرة.

(٣) الآية رقم (١٢) من السورة المائدة.

(٤) الآية رقم (٧٥) من السورة يونس.

(٥) الآية رقم (٦٥) من السورة الأنعام.

﴿خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾[١] فبعثنا عليكم أي سلطتنا عليكم وحركنا ضدكم أولي البأس الشديد. ومثلها في الدلالة قوله تعالى أيضا عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[٢].

لم يبق من حروف الجر التي يتعدى بها الفعل بعث ويبعث سوي حرف الجر (في) وغني عن البيان أن دلالة هذا الحرف (في) دلالة ظرفية، فإما تأتي للدلالة على ظرف الزمان أو ظرف المكان أو الموضع أو على الجوانية والقليبة والباطينة بالنسبة للنفس الإنسانية.

أما مثال تعدِّي الفعل بعث بحرف الجر (في) للدلالة على ظرف الزمان فهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي في النهار أي يوقظكم أو يحييكم بالنهار بعد أن توفاكم بالليل فحرف الجرمع الضمير في قوله تعالى (فيه) يدل على أن بعثكم أيها الناس من نوْمكم يكون نهاراً مقابل وفاتكم بالليل. فهذا مثل للدلالة على أن " بعث في " أحيانا تكون " في" لظرف الزمان.

أما مثال البعث متعَدِّيًا بحرف الجر (في) للدلالة على ظرف المكان فهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٤] حيث قوله (وابعث في المدائن) تفيد التعدي بحرف الجر (في) للدلالة على الظرف المكاني ومرت بنا آية الأعراف ﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾[٥] وكذلك للدلالة على الظرف المكاني قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

---

(١) الآية رقم (٥) من السورة الأسراء.

(٢) الآية رقم (١٦٧) من السورة الأعراف.

(٣) الآية رقم (٦٠) من السورة الأنعام.

(٤) الآية رقم (٣٦، ٣٧) من السورة الشعراء.

(٥) الآية رقم (١١١) من السورة الأعراف.

مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [1] وأم القرى هي مكة المكرمة إذ هي مركز اليابسة في الكرة الأرضية حيث تتوسط شرقها وغربها وشمالها وجنوبها فبعث الرسول ﷺ فيها مراد لله ﷻ لتوسطها اليابسة التي تعَيش عليها البشرية لأنه ﷺ مبعوث إلى الناس جميعاً. ومبعوث المؤمنين خاصة وفرق كبير بين مبعوث إلى ومبعوث في.

ولكن ثمة دلالة نفسية لحرف الجر (في) مثل قوله تعالى عن قول عيسى ﵇ له يوم القيامة: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾[2].

بهذه الدلالة لحرف الجر (في) وردت الآيات الكريمة التي تثبت بعث النبي المصطفى الخاتم ﷺ في المؤمنين أو في أمته وليس في قومه ولهذا دلالة يقينية على أن بعثه فيهم نفسي وليس مكانياً أو زمانياً وليس بمعنى بينكم وليس أيضاً بمعنى إليكم كما أنه أيضاً ليس بمعنى لكم باعتبار أنه النعمة العظمى من الله تعالى للمؤمنين وإنما هو بمقتضى دلالة حرف الجر (في) في هذه المواضع الأربع سابقة الذكر مبعوث فيهم بالمعنى النفسي القلبي.

هذه الأربع سابقة الذكر التي تعدى الفعل بعث بحرف الجر (في) تخص رسول الله الخاتم ﷺ.

ولم يرد في القرآن آية واحدة تخص نبياً آخر بعينه واسمه يتعدى فيه الفعْل بَعث بحرف الجر (في). وإنما ورد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

فهذه الآية تثبت أن الله تعالى قد بعث رسولاً في كل أمة، وهي أمم لم يؤمن منهم أكثرهم، لأن بعث رسلهم فيهم أي مدنهم وقراهم.

---

(1) الآية رقم (٥٩) من السورة القصص.

(2) الآية رقم (١١٦) من السورة المائدة.

(3) الآية رقم (٣٦) من السورة النحل.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(١). فتفسيره أن الله تعالى لم يبعث في كل قرية نذيرا لأنه سبحانه شاء أن يكون رسوله الخاتم ﷺ للناس كافة ولجميع المجتمعات والحضارات الإنسانية منذ بعثه إلى يوم القيامة، ومن ثم قال له: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي بالقرآن الكريم جهاداً كبيرا.

ويتبين لنا هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾(٢) لأن بعثه ﷺ في أم القرى هو رسالة للبشرية كلها تقوم على الناس جميعاً ببعثه الحجة.

الفرق بين البعث « إلى » والبعث « في » :-

علمنا أن "بعث إلى" في اللغة وفي القرآن الكريم بمعنى "أرسل إلى" أما "بعث في" فإما أن يكون (في) ظرف زمان أو ظرف مكان وإما أن تكون نفسية بمعنى أن البعث يكون في النفس أو النفوس ويستبعد تماما أن يكون (بعث في) بمعنى (بعث إلى) أو (بعث بين) أو (بعث لكم) أو (بعث لهم) أو (بعث منهم).

يثبت هذا بالإضافة إلى ما سبق من أدلة أن ثمَّ فارق جوهري بين قوله تعالى **(بعثنا في)** وبين قوله تعالى **(أرسل إلى)** قومه أما المبعوث فلا يبعث إلا إلى أمته أو في أمته والفرق بين قوم النبي وأمته هو أن قومه يكون فيهم الذي يؤمن به والذي يكذبه أي فيهم المؤمنون والكافرون بينما أمة النبي هم فقط الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوه وماتوا على دينه.

ومن ثم فإن البعث إلى أو البعث في لا يكون إلا في الذين آمنوا بالمبعوث وصدقوه واتبعوه وآمنوا برسالته، أما قوله تعالى **(أرسلنا إلى)** فيكون إرسال النبي إلى قومه الذين فيهم من يؤمن برسالته كما أن فيهم من يكفر بها، وإن كان هو مرسل إليهم جميعاً.

---

(١) الآية رقم (٥٠، ٥١، ٥٢) من السورة الفرقان.

(٢) الآية رقم (٥٩) من السورة القصص.

وعلى هذا لا يكون (للبعث في) من دلالة إلا البعث النفسي أي أن يكون النبي أو الرسول مبعوثاً في نفوس وجوَّانيَّة وباطنية وقلوب الذين آمنوا به.

أي أن الله تعالى أرسله في قومه بالنور الرباني الذي أنزله عليه فمن كفر به فقد أغلق قلبه فلم يستقبل نوره أما الذي آمن به فهو الذي فتح قلبه لنوره فانبعث النور النبوي فيه، أو العكس بحيث يكون الذي قلبه فيه مصباحه يزهر صالحاً لاستقبال النور المبعوث من النبي ﷺ أما المغلق المجُخّي أو المغلق الذي عليه قفله أو الموضوع في كن مغلق والمختوم عليه غير صالح لاستقبال شعاع النور النبوي المنبعث إليه فلا يؤمن ولا يصدق النبي بل يكون موقفه منه التكذيب والسخرية والعناد لأن هذا النور المبعث من النبي إليه يؤذيه كما يؤذي النور الساطع العين الرمداء فما يكون منه إلا كراهية النبي ومعاداته ومحاربته.

١-قال تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، فمعنى قوله تعالى:﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾إذ بعث الله تعالى في نفوسهم أو قلوبهم رسولا أي نورا في قلوبهم حيث هذا الرسول الكريم ﷺ وهؤلاء المؤمنين هم جميعاً بعضهم من بعض ليس بمقتضى القومية أو القبلية ولكن بمقتضى كونهم أمة واحدة هم جميعاً على قلب رجل واحد أي قلوبهم كلها مضيئة لأن مصابيحها منيرة وهذه المصابيح تشكل في مجموعها شجرة أو ثريا تتغذى بنور النبي وتوقد من نوره وتستمد منه والمعنى أن الله مَنَّ على المؤمنين المعاصرين له من الصحابة أو الذين سيأتون بعده إلى آخر الزمان في كل مكان إذ بعث في قلوبهم نوره فزكاهم به وعلمهم الكتاب والحكمة وتلي عليهم آياته.

فَنَسب التزكية إلى النبي ﷺ كما نسب إليه تلاوة آيات الله وتعليمهم الكتاب والحكمة أي السنة فمن أين تكون التزكية ؟

ليس من الكتاب والسنة وتلاوة الآيات فحسب ؟

---

(١) الآية رقم (١٦٤) من السورة آل عمران.

لأن هذا كله قد تَمَّ للكافرين وللمنافقين ولم يَنفعهم شيء منه، وإنما انتفع به المؤمنون نتيجة تزكية النبي ﷺ لنفوسهم، فَبِمَ كانت التزكية ؟

إنها (بالبعث فيهم) والبعث فيهم أي في قلوبهم وهو غير البعث إليهم أو عليهم أو إليهم أولهم.

٢- وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

في آية آل عمران قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ... ﴾ وفي آيات سورة الجمعة قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾ هذا البعث نتيجته واحدة في السياقين وهو ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ بيد أن المنَّ على المؤمنين في سورة آل عمران يقابله بعث الرسول ﷺ في الأُمِّيِّين في سورة الجمعة ومن ثم فالبعث هنا محصور في الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا قال بعد ذلك (وآخرين منهم لَمَّا يلحقوا بهم) وهو العزيز الحكيم لأن المؤمنين أمة واحدة وهم في مجموعهم الشجرة الطيبة فبعضهم من بعض بهذا المعنى ولهذا قال تعالى (وآخرين منهم) ولأن هؤلاء الآخرين لن يكونوا أُمِّيِّين بل سيكونوا متعلمين ، وفي السياقين قال تعالى على الجميع (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) لكنهم لم يكونوا كافرين أو منغلقي القلوب لأن الضلال المبين هو الحيرة والتخبط ، وعدم إدراك الهدي الصحيح.

---

(١) الآية رقم (٢،٣،٤،٥) من سورة الجمعة .

وهذا كله﴿ **فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ هـذا الفضل هو إمداد المصابيح بنور الله تعالى عن طريق الشجرة النورانية المباركـة أي النـور الأحمدي.

يؤكد هذا المعنى قوله تعالى في سورة الجمعة تعقيباً على هـذا المعنـى﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾الذين حُمّلـوا التـوراة وفيها ونور أو هي هدى ونور ، لكن لم يدخل قلوبهم نورهـا ولم ينتفعـوا بهـديْ الله تعالى فيها، فهؤلاء شأنهم شأن الحمار الذي يحمل كتباً لا يعرف منهـا سـوى ثقل أوراقها وأغلفتها على ظهره أما ما تحتويه الكتب من علوم ، فهي بعيدة كـل البعد عنه ، ومن ثم قال تعالى:﴿ **بِئْسَ مَثَلُ الْقَـوْمِ الَّـذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَـاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ أي الكافرين المشركين.

إذاً الناس حيال القرآن والسـنة إمـا أن يكونـوا منتفعـين بنورهـا وهـديها وهؤلاء هم الذين زكت نفوسهم بالنور النبوي المبعوث فيهم.

وإما أن تكون قلوبهم وأفئدتهم مظلمـة مُعْتمـة لم تسـتقبل النـور النبـوي ، فهؤلاء بإزاء القران والسنة مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

فقوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّـوْرَاةَ** ﴾ أي كَلَّفـوا بهـا فحملوهـا أوراقـاً وكتباً وربما حفظوها نصوصاً بلا فهم ولا تدبر ولم تحملها قلـوبهم كالـذين قـال رسول الله تعالى فيهم " **يقرآ ون القرآن لا يجاوز تراقيهم ويتكلمون بكلام خير البرية ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** ".

فهؤلاء حُمِّلُوا القران والسنة ولم يحملوهما في قلـوبهم مثـل المـؤمنين الـذين حملوها مصاحف وأوراقاً وكتباً وهـدي ونـوراً في قلـوبهم لأنهـم حملوهـا فهـما وتدبيراً وطاعة واستجابة.

والسر في هذا هو انبعاث النور النبوي في قلـوبهم لقولـه تعـالى: ﴿ **إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ ولقولـه تعـالى:﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ.... وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ أي بعـث في الأميـين رسولاً من أنفسهم وبعثه أيضاً في هؤلاء الآخرين منهم الذين لما يلحقوا بهم.

وهذا قال عن الأميين ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أما الآخرين الذين سيأتون بعدهم فهؤلاء لم يكونوا من قبل في ضلال مبين لأن أكثرهم سينشأون على هدى الإسلام وبالنور المحمدي المبعوث فيهم وليس المبعوث إليهم وليس المبعوث لهم وإنما المبعوث فيهم وهو منهم وهم منه أي بعضهم من بعض.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١) .

فتدبر دعاء أبينا إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام لله ﷻ أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له سبحانه وأن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فقالا ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ أي من أنفسهم يكونوا منه ويكون هو منهم. كيف ؟

يكون هو منهم بشرياً ويكونوا هم منه روحياً.

وهذا هو معنى بعضهم من بعض ومعنى رسولاً منهم أنه ﷺ ببشريته، هاشمي قرشي إسماعيلي إبراهيمي آدمي وهم بنورهم وأرواحهم محمد يون أحمد يون (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم ، فهو بأبُوته الروحية مبعوث في قلب كل مؤمن.

فقوله: ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ لا يفهم إلا من خلال قوله تعالى: ﴿جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ فالمبعوث في المؤمنين هو النور الأحمدي.

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾(٢).

---

(١) الآية رقم (١٢٩،١٢٨،١٢٧) من السورة البقرة .

(٢) الآية رقم (٥٩) من السورة القصص.

إهلاك القرى لا يكون إلا بالساعة أو برفضهم للهدي بعد وصول الرسالة إليهم ومحاربتهم لها.

فالآية تثبت أن الله تعالى بعث رسول الله ﷺ نوراً في مكة المكرمة ليدخل قلوب المؤمنين ولينتشر عن طريق جهاد المؤمنين ليصل مشارق الأرض ومغاربها حتى تقوم الحجة على كل الناس، ولن يُهلك الله تعالى من أهل القرى إلا الظالمين الذين لم تقبل أنفسهم الهدي وانغلقت قلوبهم أمام النَّوُر المحمدي الممتد من مركز الأرض مكة المكرمة التي هي أم القرى جميعاً لتوسطها اليابسة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب.

فسيدنا رسول الله ﷺ مرسل للناس كافة وللناس جميعاً ولكنه مبعوث في المؤمنين فقط الذين هو فيهم وهم منه وهذا لا يكون إلا إذا كان مفهوم بعثه فيهم هو بعث نوره في قلوبهم.

❁❁❁

الباب السابع
هو ﷺ النور الذي جاءنا من الله

الفصل الأول: وحده النبي ﷺ هو السراج المنير.

الفصل الثاني: الحقيقة الأحمدية المحمدية في سورة الشمس.

الفصل الثالث: الحقيقة الأحمدية المحمدية في سورة الضحى.

الفصل الرابع: الحقيقة الأحمدية المحمدية وأنوار القلوب.

الفصل الخامس: الحقيقة الأحمدية المحمدية نور من الله ﷻ.

الفصل السادس: الحقيقة الأحمدية المحمدية نور وقرآن مبين.

الفصل السابع: الحقيقة الأحمدية المحمدية ذكر وقرآن مبين.

الفصل الثامن: الرد على الذين ينكرون أنه ﷺ نور من الله.

الفصل التاسع: الأدلة على أنه ﷺ نور من الله ﷻ، وبأن أنوار غيره من الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنين عطاء رباني لهم من نوره ﷺ.

الفصل العاشر: بيان الدلالة الاعتقادية لعبارة (...من الله..) لتبديد أوهام المتنطعين ونقض زعمهم.

الفصل الحادي عشر: دلالات عبارة (...من الله...) في القرآن الكريم .

الفصل الأول
وحده النبي ﷺ هو السراج المنير

يعجز العقل الإنساني عن إدراك حقائق الأشياء والأحياء ، وهذا البحث الذي جاء عنوانه (الحقيقة المحمدية) لم يكن القصد منه إدراك حقيقة الذات المحمدية الزكية القدسية، إذ أن أقصى ما أطمح إليه من هذه الأجزاء هو إدراك بعض خصائصها وصفاتها وأحوالها، لذا فإن العنوان الأدق بالنسبة لهذه الأجزاء هو (العروج إلى الحقيقة المحمدية) برجاء استنارة قلوبنا من نوره ﷺ وحيث موضوع هذا الجزء هو الحقيقة الأحمدية أو النور الأحمدي فإن عروجنا إلى أفق الأحمدية العالي لنهيم حوله يستوجب منا البحث في كتاب الله تعالى عن آيات كريمة تحدثنا حديثاً مباشراً عن حاله الأحمدي ﷺ بل وعن بعض أحواله المحمدية ﷺ اللازمة لإدراك بعض النور الأحمدي.

هو ﷺ في السماء أحمد وفي الأرض محمد وحيث أن زيادة مبنى اللفظ يزيد في معناه ودلالته في اللغة العربية، فإن اسم مُحَمَّد بتشديد الميم الثانية خمسة حروف يفيد المبالغة في الحمد له ، إذ لأنه اسم مفعول فحامل هذا الاسم هو المحمود من غيره كثيراً جداً، لذا ورد قول النبي ﷺ للسيدة خديجة رضي الله عنها "أتعلمين كيف يصرف الله تعالى عني أذى قريش، لقد سماني محمداً وهم إنما يسبون مذمَّمًا".

ومعلوم بداهة عن المحمود كثيراً جداً من الغير أنه لا يمكن أن يكون مذموماً لتناقض الدلالتين لأن الوصفين المتناقضين بداهة لا يجتمعان معاً في شخص واحد ولا يفترقان معاً ، فالمحُمد بعيد كل البعد عن الذم حيث أن الوصف بأحدهما يعني نفي الوصف بنقيضه وهذا الحديث الشريف يبين لنا لماذا سمَّاه ربه ﷻ " مُحَمَّدً " في هذه الحياة الدنيا ؟!

لأنه سبحانه يعلم أنه سيكون له أعداء كثيرون من الأبالسة والشياطين وأتباعهم من الكافرين،وسيؤذونه بالسب، فصَرف عنه ابتداء قَدْحَهم فيه

وسبَّهم له بمدحه باعتباره المحمود كثيراً جداً من المؤمنين، بل وأيضاً من المنصفين من أعدائه، هذا في عالم الملك أي في الحياة الدنيا.

أما الاسم "أحمد" فهو بصيغة أفعل تفضيل على وزن أكرم وأشجع وأحسن وأنور... وهكذا، وهو اسم فاعل فهو الحامد، ومن ثم كان اسمه في الملكوت أحمد، لأن كل أهل السماء يحمدون الله ﷻ، وهو ﷺ أكثرهم حمداً لله تعالى بين الخلق جميعاً سواء في السماء أو في الأرض.

هذا اسمه في أهل السماء ﷺ، أما لقبه فيهم فهو كما ثبت لنا "الروح"، وهو أيضاً "النبي"، يدل على هذا قوله ﷺ لميسرة الفجر "كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد" (١).

إذاً هو النبي أحمد في السماء قبل أو قبيل خلق آدم عليه السلام.

فما حقيقة النبوة الأحمدية ؟ !

أما الحقيقة فلا سبيل لنا لإدراكها، أما الخصائص والأحوال فنعم، هذا إذا كان المراد معرفته كائناً من كائنات عالم الشهادة الذي نعيش فيه، فما بالك إذا كان المراد إدراكه كائناً سماوياً هو النبي ﷺ الذي كان موجوداً في السماء قبيل أو قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

نعم إنه النبي أحمد أو الروح الذي نفخ الله تعالى منه في آدم، فهو إذاً كائن في عالم الغيب، فكيف يمكن إدراكه أو إدراك بعض خصائصه وصفاته وأحواله ومقاماته.

الله سبحانه وتعالى يعلم عجزنا عن إدراك الحقائق الغيبية، وعن معرفة لكائنات الغيبية لقصورنا عن مشاهدتها وغيابها عن حواسنا ولو كانت أمام أعيننا.

---

(١) سبق تخريجه.

ومن ثم قَرَّب سبحانه إدراكها إلينا يضرب الأمثلة لها، وهذا كثير في القرآن الكريم والسنة.

لقد خاطب الله تعالى النبي يقوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (١).

وحيث أنه قد كان ﷺ نبياً قبل أو قبيل خلق آدم في السماء، فإن هذا النداء والخطاب من الله العلي العظيم إلى عبده ونبيه هو أيضاً كان له منذ أن جعله الله تعالى نبيّاً، وليس كما يتوهم البعض بأنه خطاب له في هذه الحياة الدنيا فقط أي بعد بعثه ونزول القرآن الكريم عليه ﷺ في حاله البشري فحسب.

لقد تضمن هذا الخطاب الإلهي للنبيﷺ التكليف الرباني له ﷺ فقوله تعالى﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ...﴾ ليس المقصود منه الإرسال ألتبليغي فقط، أي إرساله بالكتاب والسنة والدين والشرع للتبليغ في هذه الحياة الدنيا، فهذه للنبي محمد ﷺ وآله في عالم الملك وليست للنبي أحمد ﷺ في عالم الملكوت، وثَمَّ تَبَايُنٌ بين الحالين للذات النبوية القدسية،لأن تكليفه بالتبليغ كان له ﷺ في هذه الحياة الدنيا كما هو معلوم حيث جعله مبشراً للمؤمنين ومنذراً للكافرين، وهذه المهام التكلفية له جاءت في قوله تعالى:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أما قوله تعالى: له ﴿ وَسِرَاجًا منيرًا﴾ فهذه لا تدخل في التكليف والمَهام، وإنما هي تقريب حقيقته ﷺ الأحمدية لمدار كنا القاصرة فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٢).

أي أرسلناك سراجاً منيراً لأداء كل هذا، فهذه العبارة تتضمن تقرير وإثبات حقيقته الأحمدية بأنها السراج المنير في عالم الملكوت وتمثيلها بالسراج الوهاج في عالم الملك الدنيوي، أي فكما أن عندكم في عالم الملك أي الحياة الدنيا

(١) الآية رقم (٤٥،٤٦) من سورة الأحزاب.

(٢) الآية رقم (٤٥،٤٦) من سورة الأحزاب.

ما تطلقون عليه "الشمس" وأطلق الله تعالى عليه في كتابه "سراجاً وهَّاجا" في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [1]؛ فإنه ﷺ هو سراج عالم الملكوت المنير .

والسراج في اللغة : هو المصباح الذي يُسرج به غيره فهو مصدر لإنارة المصابيح، وهذا الجرم المشتعل المضيء الذي يكون به النهار ويشرق علينا صباحاً فتضيء الدنيا ويغرب مساءً فتظلم، نطلق عليه نحن أهل العربية في هذه الحياة الدنيا "الشمس" والله سبحانه وتعالى أطلق عليه "سراجاً وهَّاجاً" لأن هذا الجرم المشتعل المضيء بالنسبة لعظمته وكبريائه وجبروته وقدرته المطلقة سبحانه إن هو إلا مجرد سراج من أسرجة لا تعد ولا تُحْصَى في هذا الكون أي في ملكه سبحانه وتعالى.

فلما أراد سبحانه وتعالى أن يضرب لنا مثلاً للنبي أحمد في عالم الملكوت، لأن هذا الخطاب للنبي ﷺ كان في عالم الملكوت كما أسلفنا، قال له﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ....كذا وكذا .... وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ فهو سراج منير لأهل عالم الملكوت كما أن الشمس، سراج مضيء وهاج في عالم الملك، وهو ﷺ أيضاً السراج المنير الذي توقد منه مصابيح أفئدة المؤمنين في عالم الملك والذي ضرب له الله تعالى مَثَلً بالشجرة المباركة الزيتونة التي ليست شرقية وليست غربية، أي أنها سماوية بقوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ...﴾[2].

وكما أسلفنا من قبل فالمضروب له مثلاً بالشجرة السماوية للمؤمنين في عالم الملك في آية النور هو المضروب له مثلاً بالسراج المنير لأهل السماء في عالم الملكوت وهو هو الروح وهو هو النبي الأحمدي ﷺ.

فقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [3] يَدل دلالة واضحة على أنه ﷺ سراج منير حقيقي

(١) الآية رقم (١٣) من سورة النبأ.

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

(٣) الآيات رقم (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.

وليس مجازيا، وحيث السراج المُنير نبع النور لمن ولما حوله، وهو هكـذا بالنسـبة لقلوب المؤمنين حسب ما علمنا هذا من قبل أنه ﷺ نبع الأرواح ومـن ثـم فهـو أصل الإيمان والبركة والسلام والمحبة والبر والتقوى والعلم وكل ما هـو خـير، وحيث قد قال تعالى له ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) فـالسراج المنـير هو نبع الرحمة أيضا، ولأنَّه سبحانه ما أرسله إلا رَحمَة أي أنه ﷺ رحمة خالصة من الله ﷻ مهداة للخلق بعامة وللمؤمنين بخاصة، لأنه كذلك، فقـد أرسـله أيضـا سراجا منيرا، ولم يرسله أو يجعله سراجا وهَّاجا، فما الفرق بين المنير والمضيء ؟

ولبيان هذا الفرق علينا أن نعلم الفرق بين النور والضوء.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُـواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُـونَ﴾(٢) فالضياء للشمس والنور للقمر وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٣) فـما يصل من الشمس للناس ضياء، كذلك ما يصدر عن البرق قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤) فللـبرق ضـياء لأنـه صاعق لمن أدركه، علاوة على قوة نوره وذاتية النور أي نابع من ذاتـه كـذلك النـار الشديدة الوهج تضيء ما حولها ولا يُقال تنير، قال أنه تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (٥) فمن الخطأ القول أن الشمس منيرة أو أن النـار منـيرة أو نـور الـبرق

(١) الآية رقم (١٠٧) من سورة الانبياء.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة يونس.

(٣) الآية رقم (٧١) من سورة القصص.

(٤) الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة.

(٥) الآية رقم (١٧) من سورة البقرة.

والصواب ضوء الشمس والبرق والنار وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[1] وأيضاً قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[2] ونور القمر، فَلَكيًّا مستمد من الشمس فهو ليس ذاتيا للقمر ومن ثم فهو نور ضعيف أما نور الشمس والنار والبرق فهو ذاتي نابع من كل منها والضوء ناتج عنه وفرع منه فإذا تدبرنا دلالة لفظ الضياء المضاف للشمس والبرق والنار أو الذي هو وصف لما يصدر عن البرق وعن الشمس وعن النار البرق ووصف للمشمس وللنار، وجدنا أنه النور المصاحب للحرارة، أو النور الذي يصاحبه وهج وحرارة فالنور أصل والضوء فرع إذ للشمس ضوء لأنه متوهج يصاحبه حرارة فهو ضوء.

والمنبعث من النيران المشتعلة، شانه شأن السراج، لأن السراج هو المصباح المشتعل الذي يضيء بالوقود، ويشعل غيره من المصابيح، فالفتيلة المشتعلة بالزيت أو بأي طاقة أخرى تضيء، ولا نقول تنير، مادام الذي يصدر عنها من الأشعة تصاحبه الحرارة المنبعثة من نار مشتعلة كبرت أم صغرت، وهذا هو القاسم المشترك بين ما يصدر عن الشمس وما يصدر عن السراج المضيء في الحجرة وكذلك ضوء البرق لأنه مصحوب بانفجار شحنة كهربائية يصدر عنها النار الصاعقة، ومن ثم قال سبحانه وتعالى عن الشمس ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[3] فالضوء هو النور الذي يصاحبه الوهج والحرارة أو الشحنة الكهربائية الصاعقة لمن تصيبه، أي الضوء هو الذي يصاحبه ضرر للإنسان إذا تعرض له قد يقتله أما النور فلا يصاحبه الوهج أو الحرارة وليس منبعثا عن النار، ولا يلزم عنه ضرر للإنسان كالضوء، لذا قد وجدنا ما يصدر عن القمر ليلاً نوراً وليس ضوءاً ومن المعلوم أن

---

(١) الآية رقم (١٥، ١٦) من سورة نوح.

(٢) الآية رقم (٦١) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة النبأ.

القمر جرم بارد كالأرض أي ليس مشتعلا كالشمس وما يأتي إلي الأرض منه من نور ما هو إلا انعكاس لأشعة الشمس الساطعة على الوجه المتوجه منه إلى الأرض، ومن ثم فنوره غير مصاحب للحرارة أو الوهج ، ولذا فما يصدر منه نور وليس ضياءاً بيد أنه نور ضعيف تصعب القراءة فيه بخلاف ضوء الشمس الذي يتميز عنه بالقوة وشدة التوضيح ، لأنه في الحقيقة نور بضوء .

وعلى هذا فلكل من نُور القمر وضوء الشمس خاصية إيجابية وميزة خاصة وخاصية أخرى سلبية. أما الشمس فضوؤها ساطع وقوي، بيد أن لوهجها ولحرارتها خطورة على الإنسان إذا تَعرض لها طويلاً، وأما القمر فنوره خالي من الوهج، وغير مصاحب للحرارة، ومن ثم فهو مأمون من هذا الجانب، إلا أن نوره ضعيف لا يكاد يبين، لقد جعل الله تعالى للشمس، أي للسراج المنير المضيء(١) الوهاج نفعها الجم وفوائدها العظيمة لحياة الإنسان كما لها خطرها على هذه الحياة أيضاً، وما ذلك إلا لأنها مضيئة وليست منيرة فقط، وللقمر نفعه القليل وفوائده المحدودة بالنسبة للإنسان إلا أن نوره آمن، والنبي ﷺ رحمة خالصة للعالمين لذا فقد عرفه رب العالمين لنا بأنه سراج أي شمس، لكنه سراج منير بل لأنه هو وحده كذلك فهو السراج المنير وليس سراجا منيرا فقط ، وليس وهاجاً فقال ربه سبحانه عنه ﷺ (...وسراجاً منيرا) فهو كنور القمر بقوة وشدة ضوء الشمس ﷺ، أو هو كضوء الشمس بطبيعة نور القمر اللطيفة غير المتوهجة، ليس منه أأدنى ضرر أو أذى للأحياء فَهُوَ لَهُم خير محض ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢)،فهو رحمة خالصة، وهذا تفسير قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (٣).

(١) لأنها منيرة ومضيئة معا فكل ضوء معه نور وليس مع كل نور ضوء .
(٢) الآية رقم (١٠٧) من سورة الأنبياء.
(٣) الآيات رقم (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.

بل هو تفسير جزء من هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ والسراج هو الذي يضيء المصابيح أما عن الصلة بين دلالتي لفظي النور والضوء فنجده عند الإمام الالوسي رحمه الله تعالى في تفسيره (روح المعاني) بقوله (والنور منشأ الضياء ومبدؤه، كما يشير استعمال العرب للكلمتين، فأضافوا الضياء إلى النور كما قال ورقة بن نوفل (ويظهر في البلاد ضياء نور) مخبراً عن بعث النبي في بلاد العرب).

وقال العباس رضي الله عنه في مدح المصطفى ﷺ:

وأنت لما ظهرتَ أشرقتْ الأرضُ ... وضاءتْ بنوركِ الآفاقُ

ولهذا أطلق عليه الله ﷻ النور، دون الضياء، وأشار سبحانه إلى نفي الضياء الذي هو مقتضى الظاهر بنفي النور وإذهاب أصله، وبنفي الأصل ينتفي الفرع، وهذا الذي ذكرنا هو الذي ارتضاه المحققون من أهل اللغة، ومنه يُعلم وصف النفس الشريفة المحمدية بالنور لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(١)(٢).

وما يقصده الإمام الألوسي أنه مادام النور هو الأصل والضوء فرع فقد وصفه الله تعالى بالنور، بل أخبر أن ذاته الشريفة ﷺ نور، فنوره ذاتي بخلاف ما لو وصفه بالضياء، فيكون مستمداً من غيره، فذاته الشريفة نور، فيكون ما يمد به غيره ضياء من نوره، والنور له من الله ﷻ أما كون الضياء فرع والنور أصل بالرغم من نسبة الضياء للشمس ووصف ما يصدر عن القمر بالنور، مع أن نور القمر فرع ونور الشمس أصل، فتعليله أن الصادر من الشمس نور لكنه عندما يدخل الغلاف الجوي للأرض يصير ضياءاً، والذي جعله ضياء في الأرض هو قوة نور الشمس ونفاذها في الغلاف الجوي، إذ بنفاذ أشعة الشمس من خلاله يحول هذا الغلاف لون الفضاء أو السماء إلى هذه الزرقة المضيئة بخلاف سقوط أشعة الشمس على القمر والكواكب الأخرى التي ليس لها غلاف جوي حيث

---

(١) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة.

(٢) الإمام الألوسي/ روح المعاني جـ١ صـ١٦٦.

تبدو السماء أو الفضاء للناظر إليها من فوق سطح القمر سوداء كالحة أى تبدو كصفحة سوداء يظهر فيها قرص الشمس لامعا متلألئا كبقعة على هذه الصفحة ليس حولها هذه الهالة الضوئية في السماء الزرقاء المضيئة التي يراها أهل الأرض إذا نظروا إلى أعلى، وأما الذين على القمر فلا يروا ضوءاً بل يروا أرض القمر منيرة لامعه بلا ضوء فالنور أصل الضوء ومنشؤه ويضاف الضوء إليه، ولا يضاف النور إلى الضوء، فالضوء يكون بالنور ومن النور، ولا يكون النور من الضوء، فقد يكون النور بلا ضوء، لكن لا يكون الضوء من غير نور أصلاً له، ومن ثم وصف الشمس بأنها ضياء هذا لأهل الأرض فقط، ومن ثم فالقمر نور بلا ضياء لضعف نوره الذي ليس له – بسبب ضعفه – هذا التأثير في الغلاف الجوي الذي ينتجه نُور الشمس عندما يتخلل هذا الغلاف فيصير ضوءاً، وهذا معنى أن ضوء الشمس في الأرض فرع من نورها الصادر منها، فالشمس لأهل الأرض نور بضياء لكنها في غير الأرض ليست سوى نوراً فقط .

فالنور يمكن أن يكون منه ضياء فيكون سراجا أو شمسا ويمكن أن يكون بدون ضياء، فيكون كالقمر.

ومن ثم أرسل الله ﷻ النبي ﷺ إرسالا كونيا تكوينياً سراجا منيرا للقلوب كما أن الشمس سراجا مضيئاً للعيون.

وليس أدل على أن النبي ﷺ هو وحده السراج المنير وليس هذا لغيره من الأنبياء ولا المرسلين ولا حتى أو أولى العزم منهم أن الله تعالى لم يطلق على أحد منهم أنه نور من الله أو أنه سراج منير كما أطلق هذا على النبي ﷺ وإنما في آية واحدة ذكر أنه آتى موسى وهارون عليهما السلام ضياء مع الفرقان ، وحيث الضياء فرع النور فإنه يكون من نوره ﷺ قال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾**(1).

ولم ينسب القرآن الكريم النور اسما لنبي أو لرسول غيره ﷺ إلا أن يكون نور أو ضياء آتاه الله به مع كتابه . فهو وحده ﷺ الذى أطلق الله تعالى عليه اسم

---

(1) الآية رقم (48) من سورة الأنبياء.

النور بقوله عنه ﷺ ﴿..جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ وموسى وهارون عليهما السلام آتاهما الله تعالى ضياء وفرقانا ، والضياء فرع من النور فهما من نوره ﷺ .

وهذا دليل على أنه حتى الرسل من أولى العزم ومنهم موسى عليه السلام وسائر الأنبياء ومنهم هارون عليه السلام يؤتيهم الله تعالى ضياء لم يقل منه سبحانه كما هو الحال بالنسبة للنبي ﷺ الذي هو نور منه سبحانه وتعالى وحيث الضياء فرع النور فيكون ضياء الرسل والأنبياء من نوره ﷺ، لذا فهو وحده السراج المنير.

❊❊❊

الفصل الثاني

الحقيقة الأحمدية في سورة الشمس

وردت كلمة الشمس في كتاب الله ﷻ ثنيتن وثلاثين مرة مُعَرَّفة "بألف ولام" العهد.

ووردت مرة واحدة مُنكَّرة في قوله تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** ﴾(١)، وحيث لم ترد منكَّرة إلا في سياق الحديث عن أهل الجنة في الآخرة نفياً أن يكون في الجنة شمساً مثل شمسنا هذه الوهاجة، "فإن ألف ولام" التعريف في الثنتين وثلاثين آية هي ألف ولام العهد، أي أنها يعنيها الشمس التي نعرفها نحن أهل هذه الحياة الدنيا التي تحدثت عنها هذه الآيات أو أكثرها على الأقل.

والشمس جِرْمُ من الأجرام السماوية المضيئة وهي التي نطلق عليها النجوم، لكن علماء الفلك يقولون – كنتيجة علمية ثابتة – أن كل نجم من النجوم التي تلمع في سماء الليل ما هو إلا شمس مثل شمسنا بل كثير منها أكبر من شمسنا حجماً وضَوْءاً ووهجا وإنما صغر حجمها وقل نورها ووهجها في أعيننا وإحْسَاسِنَا فقط لبعد المسافة بيننا وبينها ، ومن ثم وجدنا أن رب العالمين أطلق على شمسنا هذه القريبة منا سراجاً، كما قلنا، لأنه ليس في كونه سبحانه هذه الشمس فقط، إنما به ملايين أو بلايين أو مليارات الشموس التي هي بالنسبة لعظمته وجبروته سبحانه مجرد سُرُج أي مصابيح في سمائه ، وأما لفظ "السراج" فقد ورد في كتاب الله تعالى أربع مرات، ثلاث منها تدل على الشمس، أي على هذا الجرم السماوي وهي قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا** ﴾ (٢) وقوله ﷻ ﴿ **وَجَعَلَ**

(١) الآية رقم (١٣) من سورة الإنسان.

(٢) الآية رقم (٦١) من سورة الفرقان .

الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[1]. وقوله عز من قائل ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[2].

أما الرابعة فهي عن رسول الله ﷺ تعريفاً بحقيقته الأحمدية ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [3].

أما عن لفظ الشمس الذي هو اسم الجرم الذي يضيء لنا في هذه الحياة الدنيا فقد ورد في الاثنتين والثلاثين مرة بأكثر من دلالة:-

الأولى: ويدل لفظ الشمس فيها على الجرم السماوي المضيء الوهاج الذي هو والقمر والليل والنهار [4]، أجرام في فلك يسبحون، والليل والنهار هما الكرة الأرضية أي لكل منهم فلك يسبح فيه فلا يسبق أحدها الآخر، ولا يدرك أحدها الآخر فلا يصطدم به بأمر الله وقدرته سبحانه، ومقال هذه الدلالة في كتاب الله ﷻ قوله سبحانه:﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[5] وأيضاً قوله تعالى:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [6] فالليل والنهار يدلان معا على الكرة الأرضية لأنهما لا يكونان إلا فيها وقوله تعالى أنهما يسبحان في فلك ، أي الأرض تسبح في فلك.

الثانية: ويدل لفظ الشمس فيها على شعاع الشمس الساقط على الأرض الذي يدخل إلى الناس من خلال نوافذ بيوتهم، ومثال هذه الدلالة قوله

---

(١) الآية رقم (١٦) من سورة نوح.

(٢) الآية رقم (١٣) من سورة النبأ.

(٣) الآية رقم (٤٦) من سورة الأحزاب.

(٤) لفظ الليل والنهار معا في القرآن الكريم يدلان أحياناً على الكرة الأرضية كما في سورة يس.

(٥) الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف.

(٦) الآية رقم (٣٨أ٣٩، ٤٠) من سورة يس.

سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (١) فالذي يتزاور عن الكهف ذات اليمن ويقرض أهل الكهف ذات الشمال هو أشعة الشمس الساقطة نهارا من يمين الكهف عند الشروق ومن شماله عند الغروب، وليس المقصور من الشمس في هذه الآية الجرم السماوي أي ليس السراج الوهاج الذي يجري لمستقر له ويسبح في فلكه فالشمس بهذه الدلالة هي ما يقابل الظل قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٢) فالشمس هنا هي ما يقابل الظل، هذه هي الدلالة الثانية للفظ الشمس في اللغة العربية وفي القرآن الكريم.

الدلالة الثالثة: هذه الدلالة تخص الحقيقة المحمدية الأحمدية القدسية، الحقيقة الأعلى بين حقائق الخلق جميعاً، لقد أطلق الله تعالى في كتابه الكريم على النبي الكريم ﷺ "السراج المنير" كما أطلق على الشمس اسم "السراج" كما قرأنا هذا وعلمناه آنفا، فالنبي ﷺ هو السراج المنير، والشمس سراج مع الفارق بينهما الذي وضحناه من قبل، فمن المتوقع أن يرد ذكر النبي ﷺ باسم الشمس، فهل ورد هذا في كتاب الله ﷻ ؟..... نعم.

لقد ورد ذكره ﷺ في سورة الشمس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٣).

---

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الكهف.

(٢) الآية رقم (٤٥،٤٦) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (١٠:١) من سورة الشمس.

ولا شك أن الله تعالى – كما قال كثير من المفسرين – يقْسم سبحانه بالشمس وضحاها وبالقمر وبالنهار وبالليل وبالسماء وبالأرض وبالنفس، وله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وحيث الشمس المضيئة الوهاجة لها ضُحى فقد جاء القسم بالشمس وقت الضحى أو ما يلزم عنها في هذا الوقت من حال للدنيا نطلق عليه الضحى، وكذلك يقسم سبحانه بالقمر في حال مجيئه بعد غروب الشمس، وبالنهار إذا جلي به سبحانه الدنيا ووضح كل ما كان فيها مستتراً بظلام الليل ثم بالليل إذا غشي الدنيا فأخفاها عن العيون بظلامه، ثم أقسم سبحانه بالسماء وهي بناء وما بناها وبالأرض وما طحاها أي بسطها ووطأها لتكون صالحة للعيش عليها ثم أقسم بنفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها.

هذا كله ما أقسم به الله سبحانه وتعالى في سورة الشمس.

فما هو المقسم عليه ؟

قد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دسَّاها، وما أراه أنا عبد الله تعالى الفقير إليه كاتب هذه السطور بأمره سبحانه وعونه وحوله وقوته ﷻ هو أني لا أعارض هذا التفسير.

وأرى أنه صحيح مطابق لمدلولات الآيات اللغوية، ولا غبار عليه البتة.

لكن هذا لا يمنع أن تحتمل الآيات والألفاظ القرآنية تفسيراً آخر يطابق أيضاً مدلولات الآيات اللغوية وألفاظها فمن إعجاز القرآن قبول السياق الواحد لتفسيرين متباينين غير متعارضين أو أكثر.

لأنه إذا كانت الشمس المضيئة الوهاجة سراجا وإذ أطلق الله ﷻ على رسوله ﷺ "سراجا منيرا"، فإنه يحق لنا أن نفسر الشمس التي أقسم الله تعالى بها وبضحاها في هذه السورة بأنه قسم بالشمس المنيرة أيضاً، علاوة على كونه قسماً

بالشمس المضيئة الوهاجة، بل إن في السورة ما يـرجح أن دلالـة الشـمس عـلى النبي أولى.

أي أنه أي القسم قسم برسول الله ﷺ، قسم بسراج القلوب بالإضافة أيضاً إلى أنه قسم بسراج العيون، وقسم بسراج البصائر كما أنه فسم بسراج الأبصـار، وقسم بسراج الباطن الإنساني كما أنه قسم بسراج الظاهر الـبشري أيضـاً، قسـم بشمس الأرواح الإنسانية كما أنه قسم بشـمس الأبـدان البشريـة، بيـد أن هـذا القول يحتاج إلى دليل، فما هو هذا الدليل ؟

الدليل هو أنه ما من قسم لله ﷻ إلا ويليه المقسم عليه، وهذا بدهى معلـوم للجميع، ولكن الذي ربما ليس معلوما للجميع هو أنه ثَمَّةَ صلة وثيقة بين دلالة القسم الإلهي ودلالة المقسم عليه ، أى لا بد من علاقة بين القسم والمقسم عليه.

فليس ثمة عشوائية في القسم الإلهـي في كتابـه تعـالى – حاشـاً لله تعـالى أن يكون في كتابه عشوائية – فلا بد من صلة بين دلالتيْ القسم والمقسـم عليـه، إلاَّ أن البعض يدركها وآخرين لا يدركونها، لأنهم لم يسألوا يوماً عنـد تـلاوة هـذه الأقسام في الكتاب العزيز عن هذه الصلة، ومن ثم لم يتدبَّروا هذه الآيـات فَـأَنَّي لهم أن يدركوها ؟!

فإذا تدبرنا المقسم عليه في السورة وهو﴿**قَـدْ أَفْلَـحَ مَـن زَكَّاهَـا ۞ وَقَـدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾(١).

نجد أن موضوع المقسم عليه تزكية النفس الإنسانية أوالتسفل بها إلى أسفل سافلين، ومن ثم فإن المتوقع أن يكون هذا الموضوع هو نفس موضوع القسم أو على الأقل يكون له بموضوع القسم صلة وثيقة مباشرة.

فإذا تدبرنا القسم في السورة وهو قوله تعـالى: ﴿**وَالشَّـمْسِ وَضُـحَاهَا۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا۞ وَالسَّمَاء وَمَا**

(١) الآية رقم (١٠،٩) من سورة الشمس .

بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(١).

أقول بتدبر هذا القسم بل هذه الأقسام الإلهية المتعددة نجد أن بين كل منها صلة وثيقة مباشرة فالشمس لها صلة بالضحى، ولها صلة بالقمر، إذ هي تضيء الدنيا نهاراً، والقمر ينيرها ليلاً، والقمر يعكس ضوء الشمس الساطعة على سطحه على الأرض نورا، فالصلة وثيقة ومباشرة بينه وبين الشمس، كما هي وثيقة ومباشرة بين الشمس والضحى، لأنه نتيجة لازمة لارتفاعها في أفق السماء في صدر النهار.

ثم إن النهار يجلي الدنيا مبشرا بإشراق الشمس فيستمر الضوء إلى مجيء الليل فإذا جاء الليل غشاها فصارت سوداء معتمة.

كل هذه الأقسام متصلة بعضها ببعض من حيث كونها النهار والليل، ثم يأتي القسم بالأرض وما طحاها وهي، أي الأرض، محل النيل والنهار، فالصلة قائمة ومباشرة، ثم القسم بالسماء وما بناها، وهي بناء بما فيها من أجرام، وأهمها بالنسبة لنا الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تعالى لصالح الحياة في الأرض والإنسان، فالصلة قائمة أيضا ومباشرة، ويحتمل أن لفظ السماء هنا للدلالة على السماء الدنيا التي تحتوي على الغلاف الجوي الذي بدونه لا يكون ضحى ولا نهار حسب قول علماء الفيزياء والفلك.

لكن ما هي الصلة بين القسم بالنفس وما سَوَّاها الذي ألهمها فجورها وتقواها وكل هذه الأقسام التي تبدو في ظاهرها أنها ظواهر فلكية وأرضية وزمنية ؟ !

ثم ما هي الصلة بين هذه الأقسام جميعاً وبين المقسم عليه**﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** (٢) ؟

---

(١) الآية رقم (١:٨) من سورة الشمس.

(٢) الآية رقم (٩،١٠) من سورة الشمس.

لكي تكون بينها صلة وثيقة ومباشرة، فإنه ليس من سبيل إلاَّ تفسير الشمس بالسراج المنير ﷺ وليس بالسراج المضيء الوهاج، باعتباره ﷺ النور الذي هو نبع الهدي والإيمان، ومن ثم يكون القسم بالضحى والنهار قسم بمراحل ظهور الإسلام في الأرض وعلوه على سائر أديان الشرك وملل الكفر والشرك وهي الظلمات التي هي في القسم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي عودة ظهور الكفر وعلوه في الأرض حتى على أهل الإسلام.

والصلة بين القسم بالسماء والأرض وبين القسم بالنفس الإنسانية التي ساوي الخالق سبحانه فيها بين الفجور والتقوى هي أن الإنسان مخلوق من الطين الذي من الأرض، ومن الروح الذي في السماء، فهو مخلوق من السماء والأرض، وجعل الخالق سبحانه الروح سر التقوى ونبعها فيه، وجعل الأرض والطين والرغبات والحاجات المادية سر الشهوات ونبع فجورها فيه.

ومن ثم يكون تفسير الأقسام الإلهية بالشمس والقمر والنهار وبالسماء دائماً هو قسم بالنور الذي تهتدي به النفوس الإنسانية بدرجاته المتفاوتة وبالليل والأرض بالظلمات التي تضل بها النفوس وتتسفل وتخلد إلى الأرض بإتباع الهوى.

كل هذه الأقسام تكون بهذا التفسير وثيقة الصلة ومباشرة مع المقسم عليه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (١) فمن استجاب لداعي التقوى زكاها ومن استجاب لداعي أو دواعي الفجور دساها.

أليس تفسير الشمس بالسراج المنير ﷺ أولى من تَفْسيرها إذاً، بالسراج المضيء الوهاج ؟! لكن قد يقول قائل: كيف يصح هذا التفسير وقد جاء مع القسم بالشمس القسم بضحاها، ثم ما تفسير القمر إذا تلاها سوى أنه هذا الجرم الذي ينير لنا ليلاً ؟

---

(١) الآية رقم (٩،١٠) من سورة الشمس.

ثم النهار ما يكون تفسيره ؟!، وكذلك الليل إذا تغشى الدنيا ؟!
ولبيان هذا كله أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد:-

فأما قوله تعالى:﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ فهو قسم رباني بالمصطفى ﷺ في عهده النبوي المبارك حيث أكمل الله تعالى به لهم النعمة، لقد كانت حياته وبعثه شروقاً أما دخول الناس في دين الله أفواجا فقد كان هذا بمثابة الضحى الذي نَبَّأَ بعهد جديد للبشر يسوده السلام والحرية والعدل، وقدْ تحقق هذا الضحى بسيطرة الأمة الإسلامية الشابة على العالم بعد هزيمة إمبراطوريتيْ الفرس والروم وظل النهار مستمرا بعد هذا الضحى: ظهراً ثم عصراً ثم جاء وقت الغروب لتسقط الخلافة الإسلامية الأخيرة أي الدولة العثمانية ويأتي على البشرية ليل الظلمات منذ عام ١٩٢٥م حتى هذا اليوم الذي تُدَّون فيه هذه السطور.

فالعهد النبوي هو عهد السراج المنير في ضحاه وهو أسعد أيام البشرية وأكثرها نورا وأثرا وتقدما نحو النوُر والخير والعدل وحرية الإعتقاد لكل البشر ولعل الظهيرة هى عهد هارون الرشيد رحمه الله الذي كان يحكم الأرض ويقول لكل سحابة تمر عليه" أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك" حيث كانت ملوك الروم وملوك الصين يرسلون له الجزية وبقية الأرض تحت سلطان الخلافة الإسلامية المباشرة.

لكن ولأن الشمس تبدأ في الزوال بعد وقت الظهيرة، فقد بدأت قوة الإسلام تتجه نحو الضعف رويدا رويدا حتى وصلت إلى مرحلة الغروب بأفول شمس- لا أقول الإسلام – ولكن شمس الأمة الإسلامية المستضعفة اليوم.

فماذا في علم أشراط الساعة عن مستقبل هذه الأمة ومستقبل البشرية جمعاء ؟

١- في ظلمة الليل الحالك عليها يبعث الله تعالى لها المهدي قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ والقمر هو المهدي، أو هو رمز له في الآية،قال رسول الله ﷺ "فيبعث الله ﷻ رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطًا وعدلا كما ملئت

ظلما وجورا)[1] والقمر لا يظهر ويتجلى نوره إلا فى ظلام الليل ، وهكذا المهدى يأتى فى ليل الأمة فينيرها .

وورد أنه ﷺ قال أيضاً عنه " **يواطئ اسمه اسمي وخلقه خلقي....** "[2] فخُلُقُه ﷺ يشبه خُلُق رسول الله العظيم ﷺ لكنه ليس مثله ولا يماثله أو يناظره أو يساويه في عظمة الخُلُق كالقمر يشبه الشمس في إشراقها وسطوعها وغروبها لكنه لا يماثلها في قوة الوضوح وأصالة وذاتيَّة النور فكما جاء رسول الله ﷺ والدنيا ظلمات بعضها فوق بعض فأنارها كذلك يملأ المهدي أرض المسلمين نورا بعد أن عمتها الظلمات .

٢-ويتفق العلماء في مسألة أحداث آخر الزمان أن المهدي يدفعها أي يدفع الخلافة والسلطان للمسيح بن مريم عليه السلام، حيث سيفتح المسلمون في العهد المهدوى أوربا فيخرج بعدها المسيح الدجال فلا يلبث إلا قليلا حتى ينزل المسيح بن مريم عليه السلام ويقتله ويتسلم سلطان الأرض من المهدي وبعدها تُسْلِمْ البشرية كلها، ويدخلون فى دين الله أفواجا، وهذا قوله تعالى:﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا**﴾.

٣- فعهد المهدى والمسيح هو النهار عند أول طلوعه تنجلي له الدنيا وبعدها مباشرة بدون شروق أو ضحى وبدون ظهر أو عصر أو حتى مغرب يدخل الليل فجأة ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾ إذ بعد عهد المسيح عليه السلام مباشرة تعود البشرية سريعاً إلى الكفر فتشرق الشمس من مغربها وتخرج دابة من الأرض تكلم الناس ودخان يأتي من السماء يملأ الأرض، ثم تأتي ريح طيبة من قبل اليمن أي من جنوب الأرض يستنشقها كل مؤمن فيموت، ويُرفع القرآن من المصاحف وتهدم الكعبة فلا يكون في بني آدم من يعرف الله سبحانه.

---

(١) المستدرك للحاكم / حديث رقم ٨٥٧٠ .

(٢) صحيح ابن حِبَّان / حديث رقم ٦٩٥١ .

فتصبح الأرض في ليلة واحدة وكل الناس الذين يعيشون عليها مشركون تلاجدة وذلك هو غشيان الليل للدنيا وسيادة الظلام والكفر والعهر حتى لا يقال في الأرض "الله" ثم تقوم الساعة على كافرٍ بن كافر بن كافر......

إذاً القمر الذي هو عهد المهدي ثم النهار الذي هو عهد المسيح ﷺ ثم عهد الليل الذي يعم الأرض ثم تقوم على أهل هذا العهد الساعة، مي مراحل ثلاث في أحداث آخر الزمان ونهاية الدنيا قبل قيام الساعة.

أما قوله سبحانه:﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴾ فهو قسم ببعثه ﷺ متلألئا بالنور، وذلك أن الضحى يبدأ بعد الشروق بقرابة ثلث أو نصف الساعة، فالنور يكون قوياً كاشفاً لكل الدنيا وفي نفس الوقت تكون الدنيا لا زالت ببرودة الصباح حتى في أيام الصيف الحارة، ومن ثم يكون للشمس في ضحاها نورُ أكثر من كونه ضوءًا لأنه لا يصاحب هذه المرحلة من النهار وهج للشمس وحرارتها فتكون منيرة أكثر منها مضيئة لأنه ﷺ شمس منيرة كما سمَّاه ربه ﷻ وليس شمساً مضيئة فقال تعالى مقسماً به ﷺ وبنوره الذي جاء معه﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴾ مُحَمَّدِيَّاً والسراج المنير أَحْمِدِيَّاً ومُحَمديَّاً أيضاً لأن السراج المنير هو الشمس في ضحاها وفي الضحى المبكر يكون تلألؤ الشمس بعكس الظهيرة حيث يكون التوهج، وهذا ما شهدت به توراة موسى على لسانه إذ يخبر قومه قبل موته مبشراً برسول الله ﷺ بعد عيسى ﷺ حيث تقول التوراة (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) [١].

وهذا النص مأخوذ من النسخة الأرثوذكسية المطبوعة في مصر أما نسخة الملك جيمس الإنجليزية التي يرجع إليها الشيخ أحمد ديدات رحمه الله فقد أو رد هذا النص بعينه كالتالي: (فقال "موسى" جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم

(١) الكتاب المقدس/ سفر التثنية/ الأصحاح الثالث والثلاثون/ ١-٢.

من سعير، وتلألأ من جبل فاران "في الجزيرة العربية" وأتى هو "محمد" مع عشرة آلاف قديس، وعن يمينه شريعة متقدة / تث ٣٣: ٢) وما بين القوسين وضعه الشيخ ديدات رحمه الله من عنده لشرح النص وكتب في الهامش شرحاً لعبارة (وأتى هو "محمد" مع عشرة آلاف قديس) فقال (دخل رسول الله ﷺ مكة مع عشرة آلاف صحابي فاتحاً) (١).

وتفسير النص هو أن مجيء الرب من سيناء إشارة إلى نزول التوراة على موسى عليه السلام، وإشراقه من سعير إشارة إلى نزول الإنجيل على المسيح عليه السلام، أما عن تلألئه من جبال فاران التي هي جبال مكة فهو إشارة لبعثة المصطفى ﷺ ونزول القرآن عليه في جبل غار حراء أحد جبال فاران وهي جبال مكة.

والملاحظ أن انسخة الأرثوذكسية القبطية لا تشمل عبارة (وأتى مع عشرة آلاف قديس.) بينما هي موجودة في نسخة الملك جيمس مما يدل على أن يَداً آثمة حذفتها حتى لا تكون دليلاً واضحاً على أن" تلألأ الرب" هو إشارة إلى رسالة المصطفى ﷺ مع أن ذكر التلألأ من جبال فاران كفيل وحده بهذا الإثبات.

وما يعنينا من النص سواء: الأرثوذكس أم الإنجليزي، هو قوله عن رسالة موسى (جاء الرب من سيناء) أي مع طلوع الفجر (وأشرق من سعير) أي قبيل وقت بدء ظهور القرص أو ظهور نور الصبح قبيل ومع الشروق (وتلألأ من جبل فاران) وأما التلألؤ فلا يكون إلا مع الضحى، ومن ثم فإن قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ قسَمُ إلهي بالمصطفى وببعثه وانتشار نوره في الدنيا ﷺ في عهد النبوة المبارك.

---

(١) عن كتاب محمد ﷺ الخليفة الطبيعي للمسيح/ للشيخ أحمد ديدات/ صـ٩٩ ترجمة رمضان الصفناوي/ نشر المختار الإسلامي.

وقد استشهد ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة التين بهذا النص فقال عن قسم الله تعالى بالتين والزيتون وطور سنين (وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار .

فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام.

والثاني: طور سينين وهو طور سيناء الذي كلهم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام.

الثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ وقالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة؛ جاء الله من طور سيناء – يعني الذي كلّم الله ﷻ عليه موسى بن عمران عليه السلام، وأشرق من ساعير، يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى عليه السلام، واستعلن من جبال فاران، يعنى جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ) [1] والاستعلان لا يكون إلا في وضح النهار و بالتلألأ في الضحى.

فهل يكون قسمُه سبحانه وتعالى بالشمس وضحاها على أن الذي يزكى نفسه هو الذي يفلح وأن الذي يخلد بها إلى الأرض هو الذي يخيب قسما بالشمس التي هي الجرْم السماوي في ضحاها أم أن الأصح والأدق بل والأصوب هو أنه قسم بالعهد المحمدي المبارك في مكة والمدينة، وعهد الصحابة والتابعين والذين مِنْ بعدهم الذين نشروا النور الإلهي في أرجاء الدنيا. ؟

لقد أقسم الله تعالى بمواضع الرسائل الثلاث المنزلة على موسى وعيسى والنبي ﷺ في التوراة وكذا في القرآن بقوله ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**

(١) تفسير ابن كثير المجلد الرابع صـ٥٢٦ تفسير سورة التين .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1] وهذا البلد الأمين هو جبال فاران في التوراة التي جاء فيها النص على تلألأ الحق وظهوره ظهور الضحى، كما ذكر ابن كثير.

لأن تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ بالشمس الجرم السماوي السابح في فلكه يفقد المفسر الرابط بين القسم والمقسم عليه الذي هو فلاح من يزكى نفسه وخيبة من يدسها، كما يفقده أيضاً الرابط أو الصلة بين القسم بالشمس ومراحل النهار وغشيان الليل وبين خلق النفس الإنسانية من السماء والأرض وإلهامها تقواها بالروح من السماء وفجورها بشهوات المعدة والفرج المستمدة من الأرض، لذا فالأرجح تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ بأنه قسم إلهي بالنبي ﷺ ﴿وَضُحَاهَا﴾ عمره المبارك في مكة المكرمة والمدينة المنورة كما أسلفنا والتفسير بغيره وهو على الأقل تفسير مرجوح لا يخلو من نقد واعتراض.

وهذا التفسير يساعدنا على تفسير سورة الضحى بالحقيقة المحمدية أيضاً كما سنرى في الفصل التالي بإذن الله تعالى.

❀❀❀

---

(١) الآية رقم (١ : ٦) من سورة التين.

الفصل الثالث

الحقيقة الأحمدية المحمدية في سورة الضحى

قال تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (١).

قسم إلهي ومقسم عليه. أما القسم فهو قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ﴾ وهذه آية مستقلة وأيضاً قوله تعالى مقسماً في الآية الثانية: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ وفَصْلُ كل قَسَمٍ في آية تخصه يشير إلى تباعد القسمين واختلافهما وإن كان المقسم عليه واحداً.

أما المقسوم عليه ففي الآيات الثلاث التالية من الثالثة إلى الخامسة ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ما ودعك أي ما تركك ربك ولم يعزلك عن الرسالة ولم يسلب منك النُّبوة، وما قلى: أي وما أبغضك ربك.

والوارد في سبب نزول هذه الآيات :-

١ - اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلاَّ قد تركك فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٢).

٢ - ورد أيضاً: أن (جُنْدَباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودَّع محمداً ربُّه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٣).

---

(١) الآية رقم (١:٥) من سورة الضحى.

(٢) أورده ابن كثير في تفسير السورة وقال رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن جرير.

(٣) تفسير ابن كثير للسورة.

٣ – وقال ابن كثير أيضاً أن ابن جرير روى عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ " ما أرى ربك إلاَّ قد قلاك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

٤ – وفي رواية وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة:" إني أرى ربك قد قلاك ممَّا نرى من جزعك قال فنزلت: ﴿ وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾.

فهل تفسير القسم بالضحى بأنه قسم بأول النهار صحيح ؟!

نعم الضحى في اللغة هو من بدء تلألأ الشمس إلى أن تشتد حرارة الشمس قبل الظهيرة.

وجعله ابن كثير دلالة على النهار. ومن ثم يكون قسم رب العالمين – حسب هذا التفسير – قسم بمرحلة من اليوم .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أي إذا ثبت بظلامه وسكن بأهله، فهو قسم بالشطر الثاني من اليوم المقابل للضحى والمضاد له وبحسب هذا التفسير لا يكون ثمة صلة أو علاقة أو رابطة بين القسم والمقسم عليه .

لأن المقسم عليه هو طمأنة النبي ﷺ بعد أن أصابه الحزن لدرجة الجزع الشديد، حتى ظنت السيدة خديجة رضي الله عنها من شدة جزعه أن الله ﷻ قد ودعه وقلاه فجاء القسم بالضحى والليل إذا سجى، فما الرابطة بين جزعه الشديد وبين الضحى والليل إذا سكن فأظلم وادلهمَّ ؟!

الرابطة تكون واضحة وجلية لو نقلنا تفسير لفظ الضحى الذي هو اسم لمرحلة من مراحل النهار تتسم بتلألأ الشمس وشدة الوضوح وانتشار الضياء بدلالة النور المنزل على النبي ﷺ بالقرآن وليس بمرحلة من مراحل اليوم والنهار.

أما الليل إذا ادلَهَمَّ وسكن فهو لا يكون إلا بعد النهار من الضحى إلى الظهر ثم إلى العصر ثم إلى المغرب ثم بعد العشاء وذهاب الشفق وغياب نور النهار تماماً وبعد أن يلجأ الناس إلى مضاجعهم ويسكن الليل ويشتد الظلام تكون مرحلة الليل إذا سجى. فالصلة بين الضحى والليل إذا سجى أنهما متقابلان ومتناقضان فهما أبعد مرحلتين في اليوم الفلكي عن بعضهما.

ومن ثم فإن أول العهد النبوي الذي هو شبيه ببدء تلألأ الشمس في الضحى أبعد ما يكون عن العودة إلى ظلمات الليل.

فكما أن الليل البهيم لا يأتي مباشرة ودفعة واحدة بعد الضحى، فكذلك سنة الله تعالى في إنزال نور الرسالة على أنبيائه لا يعقبها مباشرة ظلمة الليل البهيم، فكيف يودعك ربك يا محمد وأنت النور الذي أرسله الله تعالى ليخرج الناس به من ظلمات الشرك والضلال إلى نور التوحيد والحق والهدى ؟!

فالقسم بالضحى والليل إذا سجى معاً يرتبطان بالمُقسم عليه من خلال هذا المعنى، ومن ثم لما جاء المقسم عليه: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ﴾ كان تأكيداً لمعنى استبعاد عزله ﷺ عن الرسالة التي كلفه الله تعالى بها وكذا استبعاد سلب النبوة منه تماماً كاستبعاد عودة الدنيا إلى منتصف الليل المظلم الساكن بعد فترة الضحى مباشرة وفجأة.

ولنا أن نسأل: مِمَّ كان جزع النبي ﷺ ، هذا الجزع الشديد ، عندما أبطأ جبريل عليه ؟ هل هذا الجزع منه كان حزناً على المجد والشهرة الذي كان ينتظرهما من اصطفائه للرسالة ؟!

حاشا لرسول الله ﷺ أن يكون جزعه الشديد لأنه كان يريد المجد الدنيوي أو الشهرة أو الذكر من الناس ؟

إن سورة " الانشراح " أو سورة " ألم نشرح " التي تلي سورة الضحى في ترتيب المصحف فيها قوله تعالى: ﴿**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِي أَنقَضَ**

ظَهْرَكَ﴾[1] قال ابن كثير: (وقال غَيْر واحد من السلف في قوله تعالى:﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقلك حمله، فما هو الوزر الذي أثقله حمله حتى أنقض ظهره ﷺ ؟.

لقد فسر ابن كثير قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ بمعنى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [2] فما هو الذنب الذي تقدم للنبي ﷺ، وما هو الذنب الذي تأخر له ؟

هل هما ذنبان أو ذنوب وقعت من النبي ﷺ ؟

حاشا له ﷺ أن يكون قد ارتكب ذنباً، وهذا له وحده دون سائر العالمين .

فلم يُعرف له ذنب قط،في حين أنه عُلم للأنبياء بل وللرسل أولي العزم من قبله ذنوباً وإن كانت صغائر أو هنَّات من أجلها سيحجمون جميعاً عن التقدم للشفاعة، بينما يتقدم هو ﷺ للشفاعة العظمى فلو كان قد وقع منه ذنب وأنقض ظهره لكان إذاً ذنباً عظيماً ، ولكن حاشا لرسول الله ﷺ أن يكون قد وقع منه مثل هذا الذنب الذي ينقض الظهر أو حتى أدنى ذنب أو حتى ذنباً من صغائر الذنوب مثل الذي حدث من الأنبياء والرسل أولي العزم.

ولكن تفسير ما تقدم وما تأخر من ذنبه أي ما تقدم من ذنوب في أول عهد أمته وما تأخر في آخر عهدها وبيان هذا:-

أن الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [3] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [4] وقد كلف الله تعالى نبيه ﷺ بإخراج البشرية من الظلمات إلى النور وإخراجها من ضلالات الشرك والكفر والفسوق إلى نور التوحيد والحق

(١) الآية رقم (٢، ٣) من سورة الشرح .

(٢) الآية رقم (٢) من سورة الفتح.

(٣) من الآية رقم (٢٨٦) من سورة البقرة.

(٤) من الآية رقم (٧) من سورة الطلاق.

والعدل والطهر و الهداية قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(١).

ومن ثم فلابد أنَّ الله تعالى قد خلقه بنفس عظيمة تتسع لهذه الغاية والمهمة والرسالة التي لم يُكلِّف سبحانه بها أحداً من الرسل حتى أولي العزم منهم.

لقد كان كل نبي مرسل لقومه فقط، أما هو فأرسله تعالى للناس كافة، ومن ثم فالنفس المحمدية التي خلقها الله تعالى مهيأة بالسعة وبالإمكانيات التي تتحقق بها إخراج كل البشرية من الظلمات إلى النور، هذه النفس الزكية كانت حتى قبل البعث ونزول الوحي عليه ﷺ تشعر بثقل هذه المسئولية وبخاصة أنه كان كلما تلفت حوله لم يجد إلا ظلمات الشرك والوثنية وضلالات تحريفات أصحاب الديانات السابقة، الأمر الذي رفعه إلى الاختلاء بنفسه للتحنث في غار حراء منتظراً أمر ربه ﷻ استجابة لشعوره الباطني بالمهمة الشاقة المكلف بها، وخوفاً من أن يموت دون إنجازها فكان هذا شعوره بالوزر الذي انقض ظهره، فلما كلفه الله بالرسالة وأنزل عليه الوحي واستعد للعمل لتحقيق هذه الغاية العظمى التي لم تخطر على بال لإنسان أو رسول قبله . إذاً بالوحي ينقطع ،فكان جزعه الشديد خوفاً من أن يكون قد قَصَّرَ فيما كلفه الله به أو أخطأ فعَزله عن الرسالة، وهي الغاية الوحيدة التي تناسب نفسه العالية الزكية، والتي إذا فقدها فلن تكون لحياته معنى بعد ذلك. هذا هو سبب الجزع الشديد.

لقد كانت نفسه تتشوق بشدة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور فكان هذا هو الحمل الثقيل الذي أنقض ظهره، فلما كلفه الله تعالى بالرسالة فكأنه وضع عنه هذا الحمل واستعد للمضي بأمر ربه كما يشاء وكما يأمره تحقيقاً للغاية العظمى، من أجل ذلك لما أبطأ عليه الوحي انتابه الجزع الشديد. فكان أن طمأنه الله تعالى بالقسم قبل أن يطمئنه بالمقسم عليه،إذ كيف يبدأ النور فى وقت الضحى والنهار ثم يحل ظلام الليل البهيم فجأة .

---

(١) من الآية رقم (١) من سورة إبراهيم.

إن عزله ﷺ الموهوم هو بمثابة حلول الليل المظلم البهيم بعد الضحى مباشرة وليس هذا من سنة الله تعالى في النور البصري،ومن ثم فهو ليس من سنته في إنزال نور القلوب،فكان القسم بهذا على أنه لم يودعه ولم يبغضه كما ظن الذين حوله.

ومن ثم فالتفسير الصحيح لقوله تعالى من المقسم عليه: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ**﴾[1] هو القائل بأن المقصود بالآخرة هنا آخر عهد أمته حيث محو الكفر من على ظهر الأرض بعد مقتل الدجال في آخر الدنيا،كما قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾[3] فالآخرة هنا هي آخرة الدنيا.

وليس المقصود منها الدار الآخرة، وحيث آخرة عهد أمته ﷺ هي آخرة الدنيا،فالمعنى الصحيح هو أن آخرة عهد أمتك خير لك من أول عهدها، فأول عهدها فتح مكة والجزيرة العربية وما حولها بيد أن آخر عهدها هو فتح أوربا ودخول الكنيسة الشركية (الفاتيكان) ثم يكون قتل الدجال ويأجوج ومأجوج،وإسلام الناس جميعاً، وبالنسبة لهذا الفتح الشامل الأخير قد أشار الله تعالى إليه في سورة الفتح بقوله في الآية الثالثة من سورة الفتح:﴿**وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾[4] .

فالفتح في أول عهد أمته بالصحابة والتابعين وتابعي التابعين كان لبعض الأرض،أما الفتح في آخر عهد الأمة فهو للدنيا كلها،وبالفتح الأول غفر الله تعالى للنبي ﷺ ذنب أمته المتقدم،وبالفتح الأخير في آخر الدنيا سيغفر لأمته

---

(١) الآية رقم (٤) من سورة الضحى.

(٢) الآية رقم (٧) من سورة الإسراء.

(٣) الآية رقم (١٠٤) من سورة الإسراء.

(٤) الآية رقم (٣) من سورة الفتح.

الذنب المتأخر وهو ما فيه الأمة اليوم حيث لا جماعة ولا خلافة ولا حكم بالشريعة الغراء،هذا ما تأخر من ذنبه وهذا هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾(١) حيث سيتحقق محو الكفر من وجه الأرض حتى (لا يبقى مدر ولا وبر إلاّ وسيدخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل)، ومن ثم فإن من أسمائه ﷺ الماحي لقوله ﷺ " أنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر " .

ومن المقسم عليه أيضاً:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٢) وهذا العطاء له في الدنيا وفي الدار الآخرة، أما في الدنيا فهداية الناس جميعاً،ودخولهم في دين الله أفواجا بعد القضاء على الدجال واليهود ويأجوج ومأجوج،وأما عطاء الآخرة الذي سيرضيه الله تعالى به ﷺ فهو الشفاعة العظمى، وأن لا يدخل أو لا يبقى واحد من أمته في النار. لذا فإن تفسير قوله تعالى له ﷺ في سورة الشرح: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٣) ليس كما قال ابن كثير مثل قوله تعالى له ﷺ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٤) فيما أرى،والله تعالى أعلى وأعلم حيث لم يثبت له ذنب ﷺ، وحيث الوزر هو الحمل الثقيل قد وضعه الله تعالى عنه،كما أن الذي تقدم من ذنبه هو ذنب الأمة في أول عهده والذي تأخر هو ذنبها في آخرة عهد أمته،الأول لما بدأت أمته وقومه العرب بالإعراض عن دعوته ومحاربته،والمتأخر الذي في زماننا هذا حيث قد فرَّطت الأمة في دينها حتى انفرط عقدها وتكالبت عليها الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها فتنهش ما فيها ولا زالت،يدل هذا على أن قوله تعالى:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٥) جاء بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (٦) فلو كان الذنب

(١) الآية رقم (٤) من سورة الضحى.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة الضحى.

(٣) الآية رقم (٢) من سورة الشرح .

(٤) الآية رقم (٢) من سورة الفتح.

(٥) الآية رقم (٢) من سورة الفتح.

(٦) الآية رقم (١) من سورة الفتح.

المتقدم يخص النبي ﷺ وحده للزم أن يغفره له الله لكي ينعم الله عليه بالفتح لأن الطاعة من أسباب النصر، والمعاصي من أسباب الهزيمة، أما أن يغفر الله الـذنب بعد الفتح،فإنه يكون بسبب طاعة قومه له واستجابتهم لدعوته والـدخول في دين الله أفواجا ومن ثم قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١).

ولهذا تضمنت آيات الفتح الأولى من سورة الفتح الإعلام بنصريْن، الأول هو فتح مكة وبقية جزيرة العرب وما حولها ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (٢) فإتمام النعمة والنصر العزيز هو ما سيأتي في آخرة الدنيا التي هي آخرة عهد الأمة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾(٣).

ومن ثم يكون القسم بالضحى هو قسم بالنور المحمدي في عهد النبوة، وهو يتفق مع ما سبق ذكره من تفسير لقسمه تعالى (**بالشمس وضحاها**) بأنه ضحى السراج المنير ﷺ وليس ضحى الشمس أو السراج الوهاج.

فتفسير سورتي الشمس والضحى بشمس وضحى عالم الملك الوهاجة مجرد تفسير لفظي يجعل الآيات غير مترابطة ومواضيع كل سورة منهما غير متجانسة ولا يجمع هذه المواضيع سياق واحد كما هو الحال الذي نجده في تفسير الشمس والضحى بشمس عالم الملكوت الروحية ﷺ والضحى بأول زمن بعثه ﷺ.

وذلك لأن لكل سورة في القرآن الكريم موضوعها الرئيس المحوري الذي تدور حوله جميع موضوعاتها الفرعية، ولكل سياق من سياقات السورة

---

(١) الآية رقم (١، ٢، ٣) من سورة النصر.
(٢) الآية رقم (١، ٢، ٣) من سورة الفتح.
(٣) الآية رقم (٤) من سورة الضحى.

موضوع متفرع من هذا الموضوع الرئيسي تدور حوله الآيات، والرابط في الدلالات والمعاني قائم بين الآيات المتتاليات من ناحية، وبين المواضيع الفرعية التي تشكل في النهاية حقائق الموضوع الرئيسي، والترابط قائم حتى بين آخر السورة وأول السورة التي بعدها.. وحقيقة أن لكل سورة موضوع رئيسي أكثر وضوحا وجلاء في السور القصيرة منه في السور المطولة، وسورة الضحى لها موضوع رئيسي واضح جلي وهو المسارعة بطمأنة المصطفى ﷺ وتخليصه من الجزع الشديد الذي أنتابه بانقطاع الوحي، ومن ثم فبعد القسم الإلهي ﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [1] جاء المقسم عليه وهو﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2] ثم تلي هذا السياق الثاني السياق الثالث في السورة وهو لزيادة طمأنته أيضاً بتذكير الله تعالى له ﷺ أنه كان في رعايته وعنايته منذ مجيئه إلى هذه الحياة الدنيا يتيما ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [3] بلي يارب ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[4] نعم يارب ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [5] نعم يارب. فهل الذي رعاه ربه في هذه المراحل من حياته يودعه ويبغضه بعد أن منَّ عليه بالرسالة وبنزول القرآن عليه. ؟ !

والسياق الرابع هو في بيان أن الشكر لله تعالى على هذه النعم يكون بالعمل والسلوك ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ شكر الله تعالى على أنه آواك يتيما ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [6] شكر الله تعالى على أنه هداك بالرسالة فالسائل عن الهدى طالب الرشد والعلم يجب أن تصبر على تعليمه وإرشاده، وكما أنه ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ فلا ترد المسكين أو الفقير إذا سألك حاجة ولا تنهره، أما قوله تعالى

---

(١) الآية رقم (١، ٢) من سورة الضحى.

(٢) الآية رقم (٣: ٥) من سورة الضحى.

(٣) الآية رقم (٦) من سورة الضحى.

(٤) الآية رقم (٧) من سورة الضحى.

(٥) الآية رقم (٨) من سورة الضحى.

(٦) الآية رقم (١٠) من سورة الضحى.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١) أي بالإسلام لأنه أعظم ما أنعم الله تعالى به عليه وعلى أمته وعلى البشرية جمعاء فحدث به أو أشكر الله على نعمه بذكرها إقرارا من المُنعَمْ عليه بفضل المُنعِم سبحانه.

هذه السياقات الأربعة تدور حول طمأنة رسول الله ﷺ بعد الجزع الشديد من انقطاع الوحي عنه. وحيث أن جميع الآيات تدور حول المحور الرئيسي وتؤدى إليه، فإن تفسير القسم بالضحى والليل إذا سجى لفترة من النهار والليل الفلكيَّين خارج تماما عن الموضوع الرئيسي للسورة، ومن ثم يكون للراجح هو تفسير الضحى بأنه قسم بنوره ﷺ الذي جعل الدنيا منيرة كالضحى، بعد أن كانت قبل مجيئه مظلمة ظلمة الليل إذا سجى ، والله تعالى أعلى وأعلم.

لكن يبقي سؤال يفرضه الذهن وهو:-

إذا كان نور رسول الله ﷺ متلألئاً كالضحى ، فَلِمَ لَمْ يُصَدِّق الكافرون بنبوته، ولم يُسَلِّم فريق(٢) أو أكثر من المسلمين بأنه ﷺ نور. ؟ ! وإن كان هؤلاء المنكرون لنوره من الخوارج ، وليسوا من أهل السنة و الجماعة.

للإجابة على هذا السؤال أو هذين السؤالين لابد من تفصيل الكلام عن الظلمات والنور .

❀❀❀

---

(١) الآية رقم (١١) من سورة الضحى.

(٢) هم الوهابيون وكل أهل الظاهر في فهم العقيدة والنصوص .. أى القُشُوريُّون .

الفصل الرابع

الحقيقة الأحمدية المحمدية وأنوار القلوب المؤمنة

الظلمات والنور في حياة البشر:-

ورد لفظ النور في القرآن الكريم في ثمانية وأربعين موضعاً تحمل ثلاث دلالات:-

إحداهن: حسية وأخرى: روحية، وثالثة: حسية وروحية معاً.

الدلالة الأولى:-

خاصة بالنور الحسي البصري المدرك بالأعين ونَصيب هذا النور من الثمانية والأربعين موضعاً ثلاثة مواضع في كتاب الله تعالى فقط وهي:-

١ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (١) فضوء النهار ونور القمر يقابلان ظلمة الليل، وهاتان هما الدلالتان الحسيتان للفظيْ النور والظلمة اللذين تتعامل معهما الأعين.

٢ - وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (٢) .

٣ - وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (٣).

---

(١) الآية رقم (٥، ٦) من سورة يونس.

(٢) الآية رقم (١٥، ١٦) من سورة نوح.

(٣) الآية رقم (٦١) من سورة الفرقان .

الدلالة الثانية:-

للدلالة على هـذا النـور أو الضـوء الحسي كضـوء النهـار ونـور القمـر وللدلالة على النور الروحي الباطني القلبي أيضاً وهي في ثلاث آيات في كتـاب الله ﷻ ورد فيها لفظ النور صالحاً للدلالة على النور الحسي والنور الروحي معـاً وهذه المواضع الثلاث هي:-

١ – قولـه تعـالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ**﴾ (١) إذ يصـدق جعـل الظلـمات والنور في الكون على الدلالتين معا، (أخرج أبوالشيخ عن ابن عباس " وجعـل الظلمات والنور " قال: الكفر و الإيمان) .

٢ – قوله تعـالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾ (٢) فالإجابة على هذين السؤالين هي أنه لا تستوي الظلـمات والنور سواء أكانت الحسية أم القلبية الباطنية.

٣ – ومثلها قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۞ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ (٣) فلفـظ الأحيـاء والأمـوات والظلمات والنور والأعمى والبصير كلها تصدق على الجانـب الحسي الجسـدي للإنسان كما تصدق على الجانب الروحـي القلبـي، إذ لا يسـتوي الميـت والحـي جسدياً كما لا يستوي الميت والحي قلبياً، وكذلك الأعمى والبصير وهكذا.

---

(١) الآية رقم (١) من سورة الأنعام .

(٢) من الآية رقم (١٥) من سورة الرعد .

(٣) الآية رقم (١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) من سورة فاطر .

ومن ثم قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي بالنسبة لموتى القلوب وعُمْي الأفئدة الذين هم في الظلمات ليسوا بخارجين منها، فهو ﷺ نذير لهم فقط لأنهم لَمَّا لم يؤمنوا فلم يكن بالنسبة لهم بشيرا كما هو الحال بالنسبة للذين آمنوا به وصدقوه ولا معلما أو مرشدا كما هو بالنسبة للمؤمنين فهو ﷺ نذير فحسب للكافرين فقط ، ولكنه بشير ونذير ومعلم وسراج منير لغيرهم المؤمنين به.

الدلالة الثالثة:-

ورد لفظ النور للدلالة على نور البصيرة وليس البصر، ونور القلب وليس العين، فهو النور الذي لا تراه الأعين وإنما تدركه القلوب والأفئدة ويسير العبد المؤمن على هديه، وقد ورد لفظ النور بهذه الدلالة في اثنتين وأربعين موضعاً في كتاب الله تعالى نأخذ منها على سبيل المثال للبيان:-

١ - قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

٢ - وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) أي يخرجهم من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور الحق والتوحيد فالرسول نور روحي قلبي، فهو نور حقيقي وليس بالدلالة المجازية.

---

(١) الآية رقم (٢٥٧) من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم (١٥، ١٦) من سورة المائدة.

٣ – وقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

٤ – وقوله تعالى عن سلب النور القلبي الفطري من المنافقين وإطفاء مصابيح قلوبهم بعد إصرارهم على النفاق: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (٢) فالضوء الحسي الصادر من النار لا ينفع العبد، إذا فقد نوره القلبي، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ومن ثم صاروا صماً بكماً عمياً يروْن الضوء الحسي بأعينهم ولا يبصرون نور الحق بقلوبهم وهم بإزاء الآيات الكونية عُمْيُ، والآيات القرآنية المنزلة صُمٌّ،وبإزاء الإقرار بالحق بُكْمٌ. ومن ثم فالنور الذي ذهب به الله تعالى منهم وفقدوه هو النور القلبي لمصابيح الأفئدة، بدليل نسبة النور لهم في قوله تعالى: ﴿بِنُورِهِمْ﴾.

٥ – وقوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ (٣).

٦ – ومثلها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤) وهذا النور الإلهي الذي يريدونَ إطفائه بأفواههم هو في قلوب الناس بمقتضى الفطرة المؤمنة.

والجدير بالذكر أن عدد الآيات التي تناولت النور القلبي اثنتان وأربعون آية، وعدد التي تناولت النور الحسي ثلاث آيات فقط.

---

(١) الآية رقم (١) من سورة إبراهيم.

(٢) الآية رقم (١٧، ١٨) من سورة البقرة.

(٣) من الآية رقم (٨) من سورة التغابن.

(٤) الآية رقم (٨) من سورة الصف.

ومن ثم يكون عدد آيات النور القلبي أربع عشرة ضعفاً لعدد آيات النور الحسي البصري، أي أن ذكر النور الحسي في القرآن الكريم جزء من خمس عشرة جزء من ذكر النور القلبي، لذا فمن الخطأ اعتبار ذكر النور القلبي مجازاً وليس على سبيل الحقيقة فهو نور حقيقي، وإن كان غير مرئي بالأعين، ولذا فإنه يكون من الخطأ الجسيم تأويل لفظ النور في هذه الآيات بالهدى أو بالإيمان أو بالإسلام لأنه نور حقيقي في القلوب والهدى والإيمان والإسلام نتائجه وآثاره، وكذلك الحال بالنسبة لذكر الظلمات الباطنية في القرآن الكريم ، فهو ليس ذكراً على سبيل المجاز وإنما هي ظلمات حقيقية بل أحق من ظلمة الليل أو ظلمة أعمى البصر، ومن ثم فأعمى القلب والبصيرة في ظلمة أعظم وأخطر من ظلمة أعمى العين، ومن الخطأ الجسيم أيضاً تأويل لفظ الظلمات بالكفر أو الضلال، لأنها ظلمات حقيقية تحل محل النور في قلوب الكافرين والمنافقين، والكفر والضلال والنفاق من نتائج هذه الظلمات وآثارها في القلوب .

وقد ورد لفظ الظلمات في مقابلة لفظ النور في اثنتي عشرة آية كلها تخص الظلمات الباطنية في مقابلة النور القلبي منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)، وقوله تعالى أيضاً : ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ (٢) وكما سبق فإن هذه الآية تتحدث عن الظلمات والنور الحسيين والباطنيين معا ، وكما سبق فإن هذه الآية فى النور والظلمات الحسية لذكر خلق السماوات والأرض ثم لأنه ختم الآية سبحانه بذكر شرك الكافرين الذين يجعلون له عدلاً من خلقه سبحانه، وذكر الظلمات القلبية دائماً في مقابل النور القلبي لأنهما متناقضان إذا رحل النور عن القلب حلت الظلمات والعكس صحيح.

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحديد.

(٢) الآية رقم (١) من سورة الأنعام.

والسؤال الذي يجب طرحه بعد ذكر آيات النور وآيات الظلمات هو: ما هو مصدر الظلمات في الكون، وما هو مصدر النور فيه ؟

والإجابة أن الله جعلهما بعد خلقه للسموات والأرض لقوله: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ لأن كل ما سواه سبحانه وتعالى مخلوق، لقد جعل الله تعالى الظلمات والنور الحِسِّيَّيْن مع خلق السماوات والأرض، حسب ما جاء في الآية الأولى من سورة الأنعام، وحيث النور والظلمات في الآية يصدقان على النور والظلمات الحسيَّين، وكذلك على النور والظلمات القلبيَّين، فإن ظلمات ونور السماوات والأرض الحسيَّين جعلهما مع خلق السماوات والأرض.

ومن ثم فإن الله تعالى – كما هي عقيدة التوحيد – خالق كل شيء فهو خالق الظلمات والنور في السماوات والأرض، وكذلك هو جاعل الظلمات والنور في قلوب العباد، فما هو مصدر الظلمات القلبية أو من الذي جعله الله تعالى مصدراً لها ؟ وما هو مصدر النور القلبي أي من الذي جعله الله ﷻ مصدراً لأنوار القلوب والأفئدة ؟

الإجابة في قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٢) وليس الله سبحانه وتعالى مصدراً لأنه خالق وجاعل النور والظلمات، ومصدرا النور والظلمات مخلوقان، وتدل هذه الآية على أن الطاغوت هو مصدر الظلمات فَمَنْ مِنْ خلق الله تعالى هو مصدر النور في السماوات والأرض ؟

إنه عبد الله ورسوله ونبيه السراج المنير ، لأن النور المعني في الآية هو نور القلوب، وحيث أن النبي ﷺ هو الروح الأعظم الكلي الذي يمد الله تعالى

(١) الآية رقم (٢٥٧) من سورة البقرة.
(٢) الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

نفوس الآدميين بنفخات منه، وهو أيضاً السراج المنير، وهو النبي وقد كان نبياً وآدم بين الروح والجسد، فإن الروح تكون نوراً، ومصدراً للنور الذي في القلوب، لأن السراج هو الذي تُسْرَجُ منه المصابيح، كما أن الشمس هي التي تعطي النور للقمر والكواكب ومن ثم فهي سراج فكذلك النبي ﷺ هو السراج المنير الذي يعطي القلوب أنوارها.

وكما ناداه الله ﷻ قائلاً: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ (١) فجعل النُّبُوَّة الأحمدية سراجاً منيرا، وكذلك ثبتَ لنا أنه أبو الناس روحياً باعتبار أنه الروح الكلي الأعظم، فإنه لابد أن يكون هو ﷺ الأصل والمصدر لأنوار قلوب العباد.

وهذا لرسول الله ﷺ وحده لا يشاركه غيره من الرسل ولا من الخلق فيه فلقد نسب الله تعالى لنفسه إخراج المؤمنين أو بتعبير أدق الذين يختارون الإيمان ، من الظلمات إلى النور، كما هو واضح صريح من آية سورة البقرة، وكذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ (٢) وكما علمنا أن الله تعالى ينسب لنفسه أفعال الملائكة لأنهم يُتِمُّونها بأمره وحوله وقوته، كذلك نسب الله تعالى إخراج العباد المؤمنين من الظلمات إلى النور إلى نفسه مع نسبة إخراجهم منها إلى النبي ﷺ أيضاً، وهذا له وحده ﷺ .

قال تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (٣) فقوله تعالى للنبي ﷺ " لتخرج الناس " أي لكي تخرج الناس، وقوله " بإذن ربهم " يُفيد تحقق إخراج الناس من الظلمات إلى النور إذْ أذن الله تعالى بهذا، وهذا ما يتحقق وما سيتحقق بعد مقتل الدجال

---

(١) الآية رقم (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.

(٢) الآية رقم (٤٣) من سورة الأحزاب.

(٣) الآية رقم (١) من سورة إبراهيم.

والقضاء على الطاغوت الذي هو مصدر الظلمات في الأرض وإسلام البشرية كلها، هذا بالنسبة للواقع التاريخي للبشرية كلها، أما بالنسبة لأفراد البشر فإن كل من يؤمن من الناس إنما هو بسبب إمداد قلبه بالنور النبوي.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) وهذه الآية أيضاً تفيد أن النبي ﷺ هو الموكل بإخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور وأنه أمر متحقق بأمر الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا۝ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٢) فإخراج النبي ﷺ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور أمر متحقق بإذن الله تعالى وحوله وقوته بمقتضى هذه الآية أيضاً ولم يرد في كتاب الله تعالى ما يدل على أن رسولاً من الرسل أو نبياً من الأنبياء قد تحقق في حياته إخراج قومه من الظلمات إلى النور اللهم آية واحدة تخص موسى عليه السلام لكنها لا تفيد تحقق هذا الأمر، بل تفيد صدور الأمر من الله تعالى لموسى بأن أَخرِج قومك من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣) وهذا مجرد أمر من الله تعالى لموسى عليه السلام لإخراجهم من الظلمات إلى النور والآية لا تتضمن ما يفيد تحقق هذا الإخراج.

فإخراج الذين آمنوا بل الناس من الظلمات إلى النور متحقق بالنسبة للنبي ﷺ على مستوى الفرد ومستوى البشرية وليس هذا لغيره من الرسل.

---

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحديد.

(٢) من الآية رقم (١٠، ١١) من سورة الطلاق.

(٣) الآية رقم (٥) من سورة إبراهيم.

وعلى هذا كله فإن محل الظلمات والنور الحسيَّيْن الذين تتعامل معهما الأعين هو المكان أي السماوات والأرض والأجرام السماوية أي الكون المخلوق الدنيوي المحسوس، أي عالم الشهادة.

أما محل الظلمات والنور الباطنيَّيْن فهو قلوب العباد وأفئدتهم، ولهذا تتعامل معهما القلوب، ومعنى أن الكفار يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم أي بدعاياتهم ومناهج تعليمهم وإعلامهم بالتأثير على النشء والشباب ونقلهم من الإسلام الفطري إلى الكفر. وهذا هو معنى أن يخرج الطاغوت والشياطين الذين يستجيبون لهم من النور إلى الظلمات، لأن النفس البشرية نَزلت روحها في قلب العبد، وهي حقيقة الإنسان وجوهره فهي في نور، مادام القلب سليماً والفطرة لم تتغير، فإذا كفر العبد حلَّت الظلمات في القلب ومن ثم خرج الجوهر الإنساني من النور إلى الظلمات.

أما إخراج الله ﷻ ورسوله ﷺ العباد من الظلمات إلى النور فهو إعادة أنوار قلوبهم إليها، فردياً واجتماعيا ثم على مستوى الإنسانية يوم الفتح العزيز الأكبر وبعد مقتل المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج فقلوب الكفار هي محل الظلمات الباطنية وقلوب المؤمنين هي محل أنوارهم الباطنية.

❁ لماذا لم يصدق الذين كفروا بالنبوة المحمدية مع إشراق نوره وتلألئه كالضحى؟!:-

أما بالنسبة للسبب الذي من أجله لم يصدق الكافرون بالنبوة المحمدية رغم تلألؤ نوره ﷺ كالشمس في ضحاها فإن هذا السبب يتجلى لنا في إجابة هذين السؤالين الذين أمر الله تعالى رسوله ﷺ بطرحهما على المعاندين لدعوته قائلاً سبحانه له ﷺ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾(١)

(١) من الآية رقم (١٦) من سورة الرعد.

وهذان سؤالان بديهيان لا يختلف في الإجابة عليها عاقلان، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين مشركين، ويَنْبَنى على هذين السؤالين الذين إجابتهما بالنفي قطعاً سؤالٌ، ثالث هو﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١).

وتفسيرها أنه لو افترضنا جدلاً وجود أكثر من خالق فمن الحتمي أن يكون خَلْقُ كل خالق مختلفاً عن خَلْق الآخر لمغايرة كل خالق عن الآخر، ولكنا إذا نظرنا في الكون لوجدنا الخلق واحداً والسنن الحاكمة للمخلوقات جميعاً واحدة، ومن ثم فالنتيجة الحتمية هي أن الخالق واحد سبحانه، إذ من المحال عقلاً أن يكون أكثر من خالق ويأتي خلق كل منهم متشابهاً لخلق الآخر تماماً، فلو كان لله ﷻ شركاء لاختلف خلق كل واحد منهم عن خلقه سبحانه، وهذا غير كائن في واقع الخلق على مستوى العالمين، ومن ثم فالخالق واحد سبحانه هو الله ﷻ الذي لا خالق إلا هو، ومن ثم فلا إله إلا هو سبحانه، لكن هؤلاء الذين جعلوا له شركاء، لم ينسبوا لهم خلقاً كخلقه سبحانه، حتى وإن تبجح بعض الملاحدة وزعموا أن الاستنساخ خلق، لأن هذا الزعم باطل باطل حتى أن الذين يفعلونه من العلماء لا يزعمون أنهم خالقون للذي يستنسخونه، لأنهم يعلموا تماماً أنهم لم يخلقوا الخلية التي أعدوها ولم يخلقوا الرحم الذي وضعوا فيه الخلية لنموا الخلية الجنينية حسب خلق الله تعالى وسنن الله تعالى في خلق هذا النوع من الأحياء فالخالق في هذا الحال هو الله تعالى وحده فهذه الحقيقة الكونية والنتيجة اللازمة منها وهي أنه لا خالق إلا الله ﷻ لا تخفى إلا على من كان في الظلمات ولا تغيب إلا عن أعمى البصيرة، ومن ثم لا يستوي الكافرون والمؤمنون ولا الموحدون والذين جعلوا لله تعالى شركاء. وبناء عليه قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢).

---

(١) من الآية رقم (١٦) من سورة الرعد.

(٢) من الآية رقم (١٦) من سورة الرعد.

فلا أحد يقول: إن أعمى البصر يستوي مع حاد البصر، ومن ثم لا يستوي أعمى البصيرة والقلب الذي يجعل مع الله شركاء مع بصير القلب الذي يؤمن بالله الواحد القهار.

وكذلك لا تستوي الظلمات والنور الحسيَّيْن كما لا تستوي الظلمات والنور الباطنيَّين. فَظُلْمة أعمى القلب غير ظلمة أعمى العين وأيضا نور بصائر القلوب غير نور أبصار العيون قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(١) وسيدنا عبد الله بن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه رسوله ﷺ بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى۞ أَن جَاءهُ الْأَعْمَى﴾ (٢) كان بصير القلب لن يحشره الله تعالى أعمى كما سيحشر الكافر قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(٣).

فهو أي الكافر وإن كان مبصراً بعينه، لكنه لم يكن بصيراً بقلبه، والمؤمن مكفوف البصر، وإن يكن أعمى بعينيه، فإنه مبصر بقلبه.

ومن ثم فأمثال أعمى القلب هذا لا يمكنهم رؤية النور المحمدي إذا نظروا إليه ﷺ لأنهم فقدوا عيونهم الباطنية وبصيرتهم القلبية فكيف يشاهدون حقيقته النورانية ﷺ وهي حقيقة روحانية باطنية ؟!

إن رسول الله ﷺ هو في عالم الملكوت السراج المنير وأرواح المؤمنين من عالم الملكوت تضاء بنوره فلمّا جاء إلى هذه الحياة الدنيا، أي عالم الملك، جاء نوراً للقلوب والبصائر لكن لا يدرك هذا النور إلا ذووا الأفئدة الحية التي فيها مصابيحها تزهر، أما الكافرون العمى أصحاب القلوب الميتة، والمصابيح المعتمة، الصم الذين لا يعقلون، البكم الذين لا ينطقون بالحق، ولا يقولون إلا

---

(١) الآية رقم (٧٢) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (١،٢) من سورة عبس.

(٣) الآية رقم (١٢٤، ١٢٥، ١٢٦) من سورة طه.

باطلاً وضلالاً، أمثال هؤلاء إذا نظروا إلى النبي ﷺ لا يبصرون نوره وإنما يرون بشريته فحسب، وإذا سمعوا آيات الله تعالى لا يسمعونها ولا يعقلونها كأنما يسمعون وقراً وأصوات بلا دلالة أو معنى، وإذا نظروا إليه لا يبصرونه قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(١) فلو أبصروا نوره لاهتدوا، فإنكار الكافرين أنه ﷺ السراج المنير الذي تُسرج به قلوب المؤمنين هو بسبب عمى قلوبهم، فهم ينظرون إليه ولا يبصرون نوره ﷺ أي أن مجرد النظر إليه ﷺ بقلب حي فيه نوره الفطري ينتهي بالناظر حتماً إلى الهدى فيهتدي إلى الإسلام والإيمان،لأنه لما نظر إلى النبي ﷺ بعين قلبه الحي رأى حقيقته النورانية أو بعض نوره على قدر طاقة قلب الناظر آمن به وصدَّق ونطق بالشهادتين أما أبوجهل وأمثاله فلم يروْا فيه إلا صورته البشرية فقط، فنظروا إليه ولم يبصروه، (ومنهم من ينظر إليك...) فلا يراك.

وقال تعالى أيضاً عن هؤلاء المشركين موتى القلوب وعمي الأفئدة: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۞ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(٢).

---

(١) الآية رقم (٤٢، ٤٣) من سورة يونس.

(٢) الآية رقم (١٩٨:١٩١) من سورة الأعراف.

اختلف المفسرون في تفسير الفاعل في قوله تعالى: ﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ وهكذا إلى نهاية السياق حتى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ فقال بعضهم إن المقصود في السياق هي الأصنام التي يعبدها المشركون، وقال آخرون بأنهم الآلهة الأحياء كالحكام والملوك المتألهون من أمثال فرعون وكجبابرة قبيلة قريش الذين رفضوا دعوة الإسلام وحاربوها وآذوا النبي ﷺ.

إلا أن السياق يدل على أن هؤلاء الذين يتخذهم المشركون أولياء ونصراء من دون الله ﷻ أحياء مستكبرون رغم ضعفهم كبشر. وفي نفس الوقت يوجد في السياق ما يدل على أن المقصود بهؤلاء الشركاء الأصنام.

ومن أدلة أصحاب هذا الرأي الأخير: قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾(١) فالذين ليس لهم أرجل يمشون بها أو أيدي أو أعين أو آذان ليسوا أحياء ومن ثم يكون المقصود بهم الأصنام التي كان المشركون يؤلهونها.

أما أدلة أصحاب التفسير الآخر الذي يقول أن الآلهة التي يعبدها المشركون حسب السياق أحياء من المستكبرين ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ إذ ليس من المعقول أن يدعو أحد الأصنام آملا في أن يتبعوا الهدى الذي يدعوهم إليه، ومن ثم لا تكون الدعوة إلا إلى أحياء. وقوله تعالى كذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فقوله تعالى: ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ مخاطباً أحياء الجسد يدل على أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله تعالى أحياء الجسد مثل الداعين وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً لأن الأمر كله بيد الله ﷻ.

---

(١) الآية رقم (١٩٥) من سورة الأعراف.

ويتبيَّن لنا أنهم أحياء وليسوا الأصنام، إذا علمنا أن من دلالة لفظ الدعاء الطلب وليس بالضرورة دعاء الغائب، والمعنى أن الذين تطلبون منهم النصر أو تحقيق مطالبكم من رزق ونجاح وشفاء وغير ذلك لا يملكون هذا كله لأنه بيد الله ﷻ وحده ومعنى: (تدعونهم من دون الله) أي تطلبون النصر ومقومات حياتكم من أعداء الله تعالى فتذلون لهم وتخضعون لهم خضوع العبادة.

والمشركون لم يعبدوا الأصنام اعتقاداً منهم أنهم هم الذين يحققون لهم مطالبهم، ولكن لكي يتشفَّعوا لهم عند الله ﷻ بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [1] اعتقاداً منهم أنه هو سبحانه الخالق الرزاق المحيي المميت، ولكن الآلهة التي يعبدونها سواء أكانت أصناماً أم أحياءً كالحكام والباباوات والرهبان والأحبار والسحرة جعلوها لله تعالى شركاء واتخذوهم أرباباً من دونه، لما اعتقدوا أن شفاعتهم ملزمة لله ﷻ وهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[2] فليس من شافع عنده إلا بإذنه سبحانه وبرضائه إن شاء قبل شفاعته وإن شاء ردها كائناً من كان المتشفع.

ومن ثم فالسياق يتضمن الشركاء الأصنام والشركاء الأحياء معاً.

بل إن هذا السياق من سورة الأعراف الذي سبق ذكره والذي يبدأ من الآية (١٩١) إلى الآية (١٩٨) هو في الحقيقة سياقان اثنان:-

الأول: من قوله تعالى:﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [3] وينتهي هذا السياق بقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

(١) الآية رقم (٢) من سورة الزمر.
(٢) الآية رقم (٥٥) من سورة البقرة.
(٣) الآية رقم (١٩١) من سورة الأعراف.

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ (١) وهذا السياق الأول يصدق على آلهة المشركين الجامدة كالأصنام كما يصدق على آلهتهم الحية المتحركة كالحكام والطاغوت وشياطين الجن والإنس والباباوات والأحبار والرهبان معاً.

فليس لهم أرجل يمشون بها للخير أو أيدي يبطشون بها في الحق أو أعين يبصرون بها النور وآذان يسمعون بها الهدى ، وهكذا.

الثاني: أما السياق الثاني فمن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) وينتهي بقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(٣) وهو سياق مستقل حيث جاء على لسان المصطفى ﷺ وهو رد على الذين يتخذون من دون الله أي من أعداء الله أولياء،فالذين اتخذوا الشيطان ولياً عبدوه من دون الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٤) وتلك هي عبادة الشيطان كما جاء النص عليها بقوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٥) فعبادته اتخاذه ولياً وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ اعْبُدُونِي ﴾ أي اتخذوني ولياً ولا تتخذوا من عدوي ولياً.

ومن ثم قال النبي ﷺ (﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٦).

---

(١) الآية رقم (١٩٥) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (١٩٦) من سورة الأعراف.

(٣) الآية رقم (١٩٨) من سورة الأعراف.

(٤) الآية رقم (٥٠) من سورة الكهف.

(٥) الآية رقم (٦٠، ٦١) من سورة يس.

(٦) الآية رقم (١٩٦) من سورة الأعراف.

وحيث الولي هو النصير وهو المعين، فليس من المقبول عقلاً أن يتخذ المشرك ولياً من دون الله تعالى من غير الأحياء.

ومن ثم فقد جاءت الآية الأولى والثانية من هذا السياق على لسان النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾(١) أي أن الذين تطلبون منهم أن ينصروكم من أعداء الله ﷻ قد اتخذتموهم أولياء من دون الله وأشركتموهم بالله سبحانه وتعالى، هؤلاء لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم وهذه مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾(٢) ومعنى: (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) يطابق معنى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) فالأولياء من أعدائه سبحانه آلهة لمن والوهم ولا يستطيعون تحقيق النفع الذي اتخذوهم أولياء من أجله لهم أو منع الضر عنهم، فلا يستطيعون نصرهم، بل هؤلاء الأولياء أو الآلهة هم لهم جند محضرون، أي أتوْا من بلادهم، لا لكي ينصرونهم بل لكي يستعمرونهم ولينهبوا ثرواتهم.

والمعنى أن من يتخذ من أعداء الله نصراء هو في الحقيقة يتخذهم آلهة ويعبدهم من دون الله، وقد يبرر البعض اتخاذهم أولياء بأنهم ربما يهتدوا ويؤمنوا قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ في نهاية هذا السياق الثاني: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(٤).

فَتَدبَّر قوله تعالى مثبتاً رد فعل هؤلاء الأعداء إذا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الهدى وتلي عليهم آيات الله سبحانه، فإنها تكون في آذانهم وقراً ولا يسمعوا وكذلك ينظرون إليه ﷺ أي يسلطون عيونهم عليه ولكنهم لا يبصرونه نبيًّا

---

(١) الآية رقم (١٩٦، ١٩٧) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (٧٤،٧٥) من سورة يس.

(٣) الآية رقم (٩) من سورة الشورى.

(٤) الآية رقم (١٩٨) من سورة الأعراف.

سراجاً منيراً ولو كانت قلوبهم مبصرة لشاهدوا الرسول النبي ﷺ فيه، أي لشاهدوا بها نوره ﷺ وأسلموا، ولكنهم ينظرون إليه ولا يبصرونه، أي لا يرون الحقيقة المحمدية النورانية.

فمما لاشك فيه أن أبا جهل وأمية بن خلف وأبا لهب وغيرهم مِمَّن ماتوا أو قتلوا على الكفر نظروا كثيراً إلى رسول الله ﷺ ولكنهم لم يبصروه نبياً رسولاً وإنما رأوه بعيونهم ومن ثم أنشأ قوله ﷺ " من رآني دخل الجنة " عند بعض العلماء مشكلا إذ قالوا: كيف يصح هذا الحديث وقد رآه أبوجهل وأمية بن خلف وأبولهب وهم في النار؟ فرد عليهم أهل الحقيقة بأنهم نظروا إليه ﷺ ولكنهم لم يروْه، فلا ينظر إليه من كان في قلبه بقية من نور إلا وأسلم، لأنه هو وأمثاله الذين ينظرون إليه ويرون فيه الحقيقة الأحمدية المحمدية النورانية بقدر ما يطيق قلب كل منهم، ولا يطيق قلب كل منهم إدراك نوره ﷺ إلا بقدر ما فيه من حياة أي بقدر نور مصباح فؤاد الناظر، وهذا لا يكون إلا إذا كانت ذاته الشريفة ﷺ نوراً حقيقياً سراجاً تُضاء به ومنه مصابيح القلوب.

وكأني أسمع قائلاً: مستفسراً أو معترضاً يقول:

إذاً أنت تقول أن النبي محمد ﷺ كان في هذه الحياة الدنيا نوراً أيضاً كما أنه في السماء السراج المنير.

والرد عليه سواء أكان مستفسراً أو منكراً.

نعم، لقد جاءنا من الله تعالى نور قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾ (١).

وتفصيل هذا في الفصل التالي بفتح وعون وتوفيق من الله العليم الحكيم.

❁❁❁

---

(١) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة.

الفصل الخامس

الحقيقة الأحمدية المحمدية نور من الله ﷻ

نجد في القرآن الكريم أكثر من تفسير عن وصول النور الروحي القلبي من الله تعالى إلينا، فهو نور جاءنا من الله ونور أنزله الله على رسوله ونور أنزله الله معه ﷺ:-

١ – قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١).

٢ – وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢).

٣ – وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (٣).

٤ – وقال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

---

(١) من الآية رقم (١٥، ١٦) من سورة المائدة.

(٢) من الآية رقم (٨) من سورة التغابن.

(٣) من الآية رقم (١٧٤) من سورة النساء.

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(1).

ورد لفظ النور في هذه المواضع السابقة بأكثر من دلالة:-

الأولى: على القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (3).

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم نور، وقد جاء التصريح بأنه نور في قوله تعالى: لنبيه ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(4). فالقرآن الكريم نورٌ أنزله الله بدليل قوله تعالى: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ فهو نورٌ أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ومع أن النزول يكون بحرف (على) فإنه بالنسبة للناس تعدي في الآية بحرف (إلى)، إذ كان نزوله على النبى ﷺ ومنه إلى الناس لقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ..) فى آية الأعراف .

(1) الآية رقم (155 : 159) من سورة الأعراف.

(2) من الآية رقم (8) من سورة التغابن.

(3) من الآية رقم (174) من سورة النساء.

(4) الآية رقم (53،52) من سورة الشورى .

الثانية: لكن ورد خبر نزول النور مُتَعدِّياً بحرف الجر (مع) بدلاً من حرف الجر (على) في قوله تعالى:في سياق الأعراف السابق ذكره ﴿ **وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ** ﴾ والضمير في كلمة (معه) يعود على (الرسول النبي الأمي) ﷺ فما هو النور الذي معه ﷺ ولم ينزل عليه أو على قلبه كما نزل القرآن الكريم ؟!

إن أكثر المواضع التي تَضمَّنت خبر نزول القرآن الكريم جاء الفعل (أنزل) مُتَعَدِّياً بحرف (على) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾[1] ومثل قوله تعالى: ﴿**طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[2] ومثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا**﴾[3] وقوله تعالى أيضاً: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4].

وهذا كله يؤكد أن النور الذي أُنزل معه غير النور الذي أنزل على قلبه أو عليه ﷺ. ولكي تَتبيَّن لنا دلالة النور الذي أنزل معه يجب أن نرجع إلى السياق الوارد فيه، وهو الآيات الخمس من سياق سورة الأعراف السابق ذكره، والذي يتضمن إخبار رب العالمين موسى عليه السلام وقومه أن رحمته وسعت كل شيء، ومن ثم لما كان إبليس وأعوانه وجنوده وحزبه وكل الذين اتبعوه وعبدوه وأطاعوه وكفروا بالله تعالى أشياء،أي أن كل واحد منهم شيء أي موجود،فإن رحمة الله تعالى حسب دلالة هذه الآية تسعهم جميعاً، ومن ثم فلا يكون ثَمَّ وعيد أو عذاب جهنم والعياذ بالله عز وجل وحيث أن النار حق والعذاب للكافرين وللشياطين وعلى رأسهم إبليس حق،فإن الله عز وجل جعل لرحمته الذاتية التى ليس لها حَدٌّ حدودًا ، بحيث لا تسع إلاّ هؤلاء﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ الذي

(١) من الآية رقم (١) من سورة الكهف.

(٢) الآية رقم (٢،١) من سورة طه.

(٣) من الآية رقم (٢٣) من سورة الإنسان .

(٤) من الآية رقم (٩٧) من سورة البقرة.

أخبرهم عنه الله تعالى في التوراة وفي الإنجيل، وفي هذا تخصيص الذين سيدخلون في رحمة الله ويستحقونها بالذين يؤمنون به ﷺ[1]. ومن ثم أعاد الأمر بالإيمان بالله وبالرسول النبي الأمي ليس لأهل الكتاب هذه المرة ولكن للناس جميعا. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] ومن ثَم فمن لا يؤمن به ﷺ بعيد عن رحمة الله ﷻ لأن الله تعالى جعله ﷺ رحمته للعالمين.

فَوَصْفُه ﷺ بأنه (الرسول النبي الأمي) من أعظم الكمالات التي تحلَّى بها النبي ﷺ،وانفرد بها بين جميع الأنبياء والرسل،فلم ينل غيره هذا الكمال حتى صار خاصّاً به وعَلَماً عليه،حتى إذا قيل النبي الأمي يكون هو ﷺ وليس غيره، وذلك أنه ﷺ جاء إلى هذه الحياة الدنيا بِموْلِدَه ومعه نور، فكانت حياته قبل البعث معجزة له ومن أعجب عجائب الدنيا،لأنه عاش في بيئة جاهلية وثنية،ومع هذا لم يتأثر بشيء ، ولو بقدر أنملة ، من هذه الظلمات الجاهلية ، فلم ينقص من نوره بمقدار ضوء شمعة أو أقل وظل إلى أن بَعَثَهُ الله ﷻ كامل النور الذي أُنزل معه حتى نزل عليه القرآن، فكانت ذاته ﷺ نوراً على نور من الله ومن ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذا النص:(من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب) مع العلم بأن حد الرجم ورد بالسنة ولم يرد في القرآن،وذلك لأنه قد كفر بالنور الذي أنزل معه، ويكون مِمَّن لم يتبعوا الرسول النبي الأمي الذي قصر الله تعالى رحمته على الذين يتبعونه ويؤمنون به وبما جاء به من السنة فمن كفر بسنته كافر بالقرآن.

---

(١) وقصر الله رحمته التي ليس لها حدود على الذين يؤمنون به ﷺ جاء في قوله تعالى ﴿..فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ ..﴾.

(٢) من الآية رقم (١٥٨) من سورة الأعراف.

وإذا تدبرنا آيات الأعراف التي تكرر فيها ذكره ﷺ باسم (الرسول النبي الأمي) مرتين لتبيَّن لنا ما يلي:-

١ – اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاته سبحانه أي لحضور لقاء الله ﷻ موسى عليه السلام وتكليمه، والملاحظ أنه لم يقل (واختار موسى من قومه) ولكن قوله ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ يدل على أن هؤلاء السبعين يعدلون قومه جميعا وفيه إشارة على أن الوزن عند الله تعالى لعباده بالإيمان أي بقوة نور كل عبد من عباده، فكان هؤلاء السبعون يعدلون بإيمانهم إيمان بقية قومه الذين كانوا مئات الألوف.

٢ – وعد الله تعالى موسى وأخبره بأنه سيكتب رحمته التي وسعت كل شيء للمؤمنين الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﷺ، وهذا الإعلام الرباني منه تعالى لموسى عليه السلام لا يفيد أنه قاصر على إعلام موسى عليه السلام به وحده، بل الراجح أنه إعلام لكل الرسل والنبيِّين من قبل موسى عليه السلام ومن بعده، وهو تطبيق للميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيِّين أن يؤمنوا بالنبي الرسول الخاتم ﷺ وأن ينصروه،لكن الملاحظ ذكره ﷺ في هذا السياق بأخص خصائصه التي يتميز بها عن سائر الرسل والنبيِّين،وهي أنه هو الرسول وأنه هو النبي وأنه هو الأمي، وذلك مرتان:-

الأولى: إخباراً لموسى ولبني إسرائيل.

الثانية: جاءت في سياق أمر الله تعالى له ﷺ أن يعلن للناس أنه رسول الله إليهم جميعاً، وأن يأمرهم أن يؤمنوا بالله ويؤمنوا برسوله النبي الأمي ﷺ.

٣ – الأمية للنبي خاصية يتميز بها عن سائر النبيِّين كما أسلفتُ،لأنها ليست سوى النور الذاتي الذي أُنزل معه، فالأمية النبوية نور،لأن الأمي هو الذي نشأ وكبر وعاش مع الناس وخالطهم بما كانوا فيه من ظلمات الشرك والكفر والضلال والفسق والمعاصي والشرور ومع هذا كله لم يذنب ﷺ وظل كيوم ولدته أمه كامل النور الذي أنزل معه، فدلالة أميته ﷺ أن الله تعالى جعل

ذاته نوراً خالصاً ومن ثم فقد عَصَمَهُ الله تعالى من أي فكر وثني أو فلسفة إلحادية أو عقيدة دينية شركية كما عصمه من الذنوب كبيرها وصغيرها، فكانت أميته هي النور الرباني الخالص لأنه لو قبل أو رضى من هذه الظلمات شيئاً، ولو قل، لكان هذا انتقاصاً من نوره ﷺ الذي أُنزل معه يوم مولده، وكذلك لو أذنب ولو ذنباً صغيراً، لم يكن كيوم ولدته أمه، ومن ثم صار هذا النور الذي أنزل معه، أى خُلُقهُ وكل ما يهواه وكل ما يحبه فكان بعد بعثه أمراً تشريعياً وكل ما يكرهه ويبغضه نهياً تشريعياً حتى قالت له السيدة عائشة رضي الله عنها: " أرى أن ربك يسارع في هواك" وكذلك كان كلامه ﷺ من غير القرآن وكل أفعاله وكل أحواله وكل ما يسكت عليه ويرضى به سنة قولية وفعلية وتقريرية فهي تشريعات أيضاً.

وشهد له الله تعالى بهذا فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (١) وتفسيرها أنه ﷺ لم يضل ولم يغو ولن ينطق عن الهوى منذ مولده وإلى ما بعد مبعثه بطبيعة الحال حتى انتقاله من هذه الحياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى. وما هذا إلا للنور الذي أنزل معه، ثم بعد البعث: النور الذي أنزل عليه، ومن ثم قال تعالى في الآية الرابعة من سورة النجم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٢) فنور أنزل معه، ثم أوحى إليه القرآن وهو نور أنزل عليه، صارت بها الحقيقة المحمدية نوراً على نور، أي أحمدية محمدية معاً أى أن القرآن الذي أنزل عليه قد نزل على السنة التي مصدرها النور الذي أنزل معه.

ومن ثم قال تعالى (إن هو) أي النبي ﷺ (إلا وحي) أي ليست حقيقته إلا نور نزل عليه أي القرآن على النور الذي نزل معه أى السنة، والنوران وحى، فهو ﷺ ليس إلا وحيا يوحى.

---

(١) الآية رقم (١:٣) من سورة النجم.

(٢) الآية رقم (٤،٥) من سورة النجم.

٤ – أما قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) فيدل على أن الذين يتبعون النور الذي أنزل عليه وهو القرآن، وينكرون النور الذي أنزل معه، وهو مصدر السنة، أي الذين ينكرون السنة، ويقولون نكتفي بالقرآن الكريم مشككين في صحة السنة محتجين بحفظ الله تعالى للقرآن فقط ، هؤلاء ليسوا من المفلحين، فشرط الفلاح تصديق السنة، والعمل بها وفهم الكتاب بمفاتيحها.

فالسياق يدل على أن الذين سيتبعون سنته التي هي فعله وقوله وتقريره وأحواله الصادرة عن النور الذي أنزل معه وفهم القرآن وتطبيق تشريعاته بها، هم في الحقيقة يتبعون القرآن وأميته أي فطرته الربانية التامة الكاملة تلك التي وصفها الله تعالى بأنها النور الذي أنزل معه، لأن المسلمين الملتزمين بالسنة مع القرآن هم المفلحون، فشرط الفلاح هو إتباع النور الذي أنزل معه كإتباع النور الذي أنزل عليه سواء بسواء.

ومن ثم فإن نشأته الأمية من غير تعليم القراءة والكتابة كان عصمة له من انتقاص نوره بكتب الظلمات الجاهلية، فالإيمان الصحيح إذاً هو الإيمان بالله ورسوله وبالنور الذي أنزله الله تعالى مع رسوله والنور الذي أنزله على هذا النور الذي أُنزل معه في قلبه قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وهذا النور المذكور في هذه الآية يصدق على القرآن الذي أُنزل عليه وعلى نوره ﷺ الذي أنزل معه، ولهذا لم يقل هنا عليه ولم يقل معه ليشمل ذكر النورَيْن معا.

وهكذا لا يكون معني أميته ﷺ هو المعني الشائع عند الناس الذين يقصدون به عدم معرفة القراءة والكتابة، بل هو بالنسبة إليه بمعنى أنه ظل حتى

(١) من الآية رقم (١٥٧) من سورة الأعراف.

(٢) من الآية رقم (٨) من سورة التغابن.

البعث وبعده إلى أن التحق بالرفيق الأعلى كيوم ولدته أمه ﷺ فاجتمع له وحده من بين البشر جميعاً بل من بين الرسل والنَّبيِّين جميعاً أنه ﷺ رسول الله النبي الأمي، ألا ترى معي أن وصف النبي لصاحب الحج المبرور بأنه يعود كيوم ولدته أمة أي من غير ذنب واحد ولو صغر تؤكد أن الأمية تمام نور القلب له ﷺ ؟!

الحقيقة الأحمدية نور جاءنا من الله ﷻ:-

مما سبق تبين لنا أن الذات المحمدية نور حقيقي روحاني جاءنا بمولده ﷺ في هذه الحياة الدنيا، وكانت الدنيا مملوءة بالظلمات المطبقات بعضها فوق بعض فأضاءها وكانت الأرض كلها مغطاة بالنجاسات فطهرها نوره ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ في سياق مخاطبة أهل الكتاب، لأن هذا هو وصفه ﷺ في كتبهم فهو عندهم النور وهو الروح وهو ﷺ الرسول وهو النبي الأمي وهذا ما يؤكده قول كعب الأحبار لابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾(٢).

قال: يكاد حال محمد ينبئ أنه هو النبي حتى قبل أن يُبعث، لأن حاله قبل البعث يدل على أنه على نور من ربه مع شدة الظلمات حوله وفي الدنيا كلها.

---

(١) الآية رقم (١٥، ١٦) من سورة المائدة.

(٢) من الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

وهذا دليل على أن النور الذي أنزل معه كان مبيناً وكاشفاً لنبوته بل هو دليل على أن نفسه الزكية نورٌ، وإن كانت في الصورة البشرية أو في الهيئة الآدمية ونظراً لأن هذه الآية محورية بالنسبة لموضوعنا فَسنعرض أقوال بعض المفسرين واختلافهم في تفسيرها.

ونبدأ بذكر قول أهل اللغة لنجد أن صاحب القاموس المحيط كتب تحت مادة: نور ما يلي:

وقوله ﷻ ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ قيل هاهنا هو سيدنا محمد رسول الله، أي جاءكم منيَ نور وكتاب.)[1] هذا تفسير أهل اللغة، فمقتضى اللغة أن النور هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فليس بعد قول أهل اللغة هذا حجة لمنكر بل إن هذا التفسير يقصم ظهر المنكرين أنه نور ﷺ.

أما أقوال المفسرين فهي كما يلي:-

١ – الإمام الطبري:-

(القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: قدَ جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام ومحق الشرك، فهو نور لمن استنار به يُبيِّن الحق)[2].

ويمكن أن نفهم من تفسير الطبري أن النبي ﷺ نور حقيقي جاءنا من الله تعالى فالذي جاء نور، وليس بشراً موصوفاً مجازياً بالنور بمعنى الهادي مثلاً ولكنه نور في إنسانية.

---

(١) لسان العرب جـ٥ صـ٢٤١.

(٢) تفسير الطبري جـ٦ صـ١٦١.

٢ - **الإمام القرطبي:-**

(﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ وهذا لأن الكتاب يهدي ويبيِّن، وكذلك الرسول) [١].

وتفسير القرطبي رحمه الله تعالى لهذه الآية يدل على أنه يرى أن النور هو الرسول ﷺ وأنه نور الهداية والتبيِّن وهو يوافق الذي أورده الطبري رحمهما الله ﷻ، لأن قول الطبري (يعني بالنور محمداً) دليل على أنه نور حقيقي وأن الهداية والتبيين أثر لنوره ﷺ وليست الهداية معنى للنور وكذلك القرطبي .

٣ – الإمام ابن الجوزي:-

قال في كتابه زاد المسير في علم التفسير (قال قتادة: يعني بالنور محمد ﷺ، وقال غيره: هو الإسلام، أما الكتاب المبين فهو القرآن)[٢] وقتادة من أبرز المفسرين من التابعين.

٤ – الإمام النسفي:-

قال في تفسير الآية: (يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك لإبانته ما كان خافياً على الناس من الحق، أو لأنه ظاهر الإعجاز، أو النور محمد ﷺ لأنه يهدي كما سُمي سراجاً)[٣] .

فقوله وسمي سراجاً دليل على أن النبي ﷺ عنده نور حقيقي .

❊❊❊

(١) تفسير القرطبي جـ ١٢ صـ٢٥٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي جـ٢ صـ٣١٦ .

(٣) تفسير النسفي جـ١ صـ٢٧٥.

الفصل السادس

الحقيقة الأحمدية المحمدية نور وقرآن مبين

علمنا مما سبق أن مفسري السلف فسروا النور الذي جاءنا من الله بالنبي ﷺ وأن بعض المفسرين فسروه بالإسلام أو الهدى وقالوا إن الذي جاءنا من الله هو القرآن المتضمن للنور وأنه كتاب مبين، وكأن واو العطف التي من شأنها الجمع بين اثنين غير موجودة.

والقول الراجح بل القول الصحيح - فيما أعتقد - هو أن النور هو النبي ﷺ وأن الكتاب المبين هو القرآن الكريم، والأدلة على هذا متعددة وأهمها:-

١ - قوله تعالى لأهل الكتاب في سياق ذكر النبي الأمي أنه قد جاءهم من الله نور وكتاب مبين قول واضح وصريح في أن كلمة " نور " في الآية بدل من كلمة (رسولنا) في الآية السابقة، وحيث ليس من صارف يوجب صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى دلالة مجازية وحيث قد ذكره الله تعالى بأنه السراج المنير، وكان هذا معلوماً عنه لأهل الكتاب في كتبهم، فقد لزم أن يكون النور عائدا على (رسولنا) في الآية السابقة لقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ [1] ثم أكَّد سبحانه وفَصَّل بعد هذا بقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] فالنور هو رسول الله ﷺ والكتاب المبين هو القرآن الكريم.

٢ - غير صحيح تفسير عبارة: ﴿ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ بالقرآن الكريم فقط لأن الواو للعطف والجمع ولو كان النور وصفا للكتاب لصار هذا جمع للوصف والموصوف، كما لو قال قائل جاء زيد والطويل وهو يريد أن يقول جاءكم زيد الطويل، وهذا لا يصح في لغة العرب.

---

(١) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة .

(٢) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة .

كما أن الكتاب لا يجيء وحده، وإنما يأتي به الرسول، أي تنزل به الملائكة على الرسول وهو يجيء به لقومه.

٣ – قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (١) تضمن في الجزء الأول من الآية ذكر مجيء الرسول مبيناً لأهل الكتاب ما أخفوه من كتابهم وبيانه ﷺ لا يكون إلاَّ بالقرآن والسنة، ومن ثم فإن الجزء الثاني من الآية الذي هو تأكيد وتفصيل للجزء الأول تضمن أيضاً مجيء الرسول بالقرآن والسنة اللذين يبين بهما الرسول ﷺ الحق والعدل في كل شيء وحيث أنهما مذكوران في قوله تعالى: ﴿ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ فقد لزم أن تكون دلالة عبارة: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ ﴾ هو رسول الله ﷺ وهذا حتى تكون هذه الآية الثانية متضمنة لعناصر الآية الأولى باعتبار أنها جاءت مؤكدة ومفسرة لها.

٤ – بالرغم من أن الواو لا تفيد التعقيب أو الترتيب إلا أن الترتيب في الآيتين لازم عقلي، إذ لا يتصور عاقل أن الرسالة تصل بدون رسول، أو أنها تصل قبل الرسول،فإذا كان الخبر موضوع العبارة وصول الرسالة والرسول، فإن وصول الرسول يكون أولا والرسالة يكون ذكر وصولها تابعا لذكر الرسول وتالياً له وليس سابقاً له قال تعالى لأهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا ﴾ فتقدم ذكر الرسول﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ وتلك هي الرسالة تالية لذكر الرسول وفي الآية التالية قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ ﴾ أولا، فماذا يكون النور، الرسول أم الرسالة؟

حقا إن الرسالة نور مبين، لكن لما جاء بعد ذكر النور قوله: ﴿ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ ثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الكتاب المبين هو الرسالة. ومن ثم لزم عقلاً ونقلاً أن يكون المقصود بالنور هو الرسولﷺ وقد سبق ذكرُه ذكرَ الرسالة.

---

(١) الآية رقم (١٥) من سورة المائدة .

٥ – يؤكد هذا الذي أقول قوله تعالى عن الرسول والرسالة أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[1] فالبرهان من ربنا هو رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ جَاءَكُم ﴾ والنور المبين هو القرآن الكريم والسنة لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾ وكذلك يتقدم هنا ذكر الرسول على ذكر الرسالة، والبرهان هو الدليل فهو ﷺ دليل على الله ﷻ ودليل للحق والخير والسلام في الدنيا والبرهان أيضاً هو الحجة في الآخرة، وكما أن الرسول ﷺ نور جاءنا من الله فإن القرآن الكريم أيضاً نور مبين أنزله الله تعالى على رسوله إلينا والسنة نور مبين أيضاً أنزلها الله تعالى مع رسوله ﷺ إلينا أيضاً فالرسول يجيء أو يأتي، والكتب تُنزَّل .

٦ – وعلى هذا فقوله تعالى: بعد ذكر مجيء النور والكتاب المبين: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] مثبتا ثلاثة أفعال يتمها المولى ﷻ في الخلق وهذه الثلاثة هي:-

الأول: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ .

الثاني: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾.

الثالث: ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

يفعل الله هذه الثلاثة لِفئة من عباده حددتهم الآية بأنهم:

أ – الذين يتبعون رضوان الله تعالى فيهديهم سبل السلام هؤلاء هم الذين يهديهم الله .

ب– ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه .

---

(١) الآية رقم (١٧٤) من سورة النساء .

(٢) الآية رقم (١٦) من سورة المائدة .

ج- ويهديهم إلى صراط مستقيم.

والسؤال هو: بم يفعل الله تعالى هذا كله لهذه الفئة ؟

هل بكلمة " كن " الإلهية ؟ أي من غير سبب مخلوق لله ﷻ ؟ لا: بل بسبب حسب سنته العامة في الخلق، فما هو أو من هو الذي تنص الآية عليه في قوله تعالى ﴿بِهِ﴾ ؟ فهو سبحانه يهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم (به).

وللإجابة على السؤال ما أو من يفعل به الله تعالى هذا كله ؟

علينا أن نعرف على من أو ما يعود ضمير الهاء في عبارة (به).

الضمير يعود بلا شك على قوله تعالى: ﴿ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ فهما المذكوران الأقرب للضمير في الآية.

وأول ما يلفت النظر أنهما اثنان، النور والكتاب، فكان من المفترض أن يكون الجار والمجرور (بهما) أما وقد جاء ذكر الذي به يهدي الله تعالى ويخرج من الظلمات إلى النور بصيغة المفرد، فإن هذا يجعل أمامنا ثلاثة احتمالات:-

أولها: أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿ بِهِ﴾ عائدا على النور فقط

ثانيها: أن يكون عائدا على (الكتاب المبين) فقط.

ثالثها: أن يكون عائدا على النور والكتاب المبين، ليس باعتبار أن النور والكتاب المبين حقيقتان، بل باعتبار أن النور والكتاب المبين حقيقة واحدة، حتى يعود الضمير في الجار والمجرور (به) على هذه الحقيقة الواحدة.

فإذا أخذنا بهذا الاحتمال الثالث وهو الأرجح بحكم اللغة ، لأن ضمير الهاء المجرور بالباء مفرد ، فإننا مرة ثانية نكون بإزاء ثلاثة احتمالات علينا أن نحدد واحدا منها:-

أولها: أن النور والكتاب المبين هما القرآن الكريم فقط .

ثانيها: أن النور والكتاب المبين هما رسول الله ﷺ.

ثالثها: أن النور والكتاب المبين أي الرسول ﷺ والقرآن الكريم حقيقة روحانية نورانية واحدة .

أما الاحتمال الأول فيترتب عليه الاستغناء عن السنة النبوية الشريفة، وهي النور الذي أنزل معه، لأننا لو قلنا أن النور والكتاب المبين هما القرآن الكريم فقط ، فيكون النور هو القرآن فحسب،ولا تكون السنة الشريفة نوراً،ولا يكون ثمَّ ذكر في الآية الثانية للرسول النبي الأمي ﷺ، وقد جاءت الآية الثانية لتأكيد مجيئه ﷺ مبيِّناً لأهل الكتاب، وقد ذكر ابن عباس أن الآية نزلت في منكري حكم الرجم من أهل الكتاب وبالتالي كفَّرَ منكري الرجم الذي جاءت به السنة ولم يرد حكم الرجم في القرآن الكريم ومن ثم فليس القرآن الكريم وحده دون السنة الشريفة كافياً للهداية وللخروج من الظلمات إلى النور ولبيان الصراط المستقيم، هذا علاوة على أنه مخالف لإجماع علماء الأمة على أن السنة النبوية وحي كالقرآن، فهي نور أيضاً، وقد ثبت لنا أنه نور أنزله الله ﷻ معه.

قال رسول الله ﷺ " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " ومن إجماع الأمة أن منكر السنة مصدراً رئيسياً للإسلام عقيدة وشريعة مع القرآن الكريم كافر، ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ هو السنة التي بها بين لهم حكم الرجم للزانية والزاني المحصنين ونذكر قوله تعالى عن الرسول النبي الأمي: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1] فلا فلاح بدون إتباع النور الذي أنزل معه ﷺ، وهو نوره الذاتي وهو أصل السنة – كما تبين لنا من قبل – مع النور الذي أنزل عليه أي القرآن الكريم فلابد من القرآن والسنة الشريفة معاً.

(١) من الآية رقم (١٥٧) من سورة الأعراف.

وعلى هذا فإن الاحتمال الأول الذي يفسر قوله تعالى: ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ بالقرآن وحده غير صحيح.

فهل يصح الاحتمال الثاني وهو دلالة قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ (١) أي يهدي برسوله فحسب لقوله به وليس بهما.

وأن دلالة النور والكتاب المبين هي رسول الله ﷺ وحده من غير الكتاب؟ وهذا أيضاً غير صحيح، لذكر الكتاب تصريحا.

ومن ثم فلم يبق إلا الاحتمال الثالث أن يكون الضمير به عائداً على الرسول والكتاب معاً حقيقة نورانية روحية واحدة، وهذا أمر يصعب تصوره أيضاً، فلا يقبل أحد أن يكون رسول الله ﷺ كتاب مبين، فمن المقبول أن يكون النبي ﷺ هو النور في الآية بدليل قوله تعالى عنه: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ فإذا قلنا النور للدلالة على النبي ﷺ والكتاب للدلالة على القرآن الكريم، لأعادنا هذا إلى واحد من الاحتمالات الثلاثة الأولى التي يكون فيها النور غير الكتاب، ومن ثم يلزم أن يكون الضمير (بهما) بدلاً من (به) ولكن الضمير جاء مفرداً (به) ليعلن ويؤكد أنهما حقيقة روحانية نورانية واحدة.

ولعل الذي يوضح لنا الدلالة الراجحة أو حتى الصحيحة من الضمير (به) في الآية، هو أن نتذكر أن هذا الذى يعود عليه الضمير يُتم الله تعالى به ثلاثة أفعال في نفوس الناس:-

١ - الهداية لسبل السلام.

٢- الإخراج من الظلمات إلى النور.

٣- الهداية إلى الصراط المستقيم.

فهل يصح القول بأن الرسول هو الذي يتم به هذه الثلاثة بدون القرآن؟

---

(١) من الآية رقم (١٥،١٦) من سورة المائدة.

بمعنى هل يجوز عقدياً أن نقول: أن الرسول ﷺ يهدي إلى سبل السلام وأنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم وحده من غير القرآن الكريم ؟ لا يصح هذا بداهة.

ومن ناحية أخرى هل يصح أن ننسب هذه الثلاثة أيضاً إلى القرآن الكريم وحده بدون رسول الله ﷺ ؟ لا يصح هذا بداهة أيضاً لأنه لا رسالة بدون رسول.

وهذان السؤالان من الأصل باطلان، لأنه لا يتصور الحقيقة المحمدية من غير القرآن الكريم ولا يتصور القرآن بدونها فالإجابة قطعاً بالنفي بالنسبة للسؤالين.

فنحن نعلم أن رسول الله ﷺ ظل أربعين سنة في مكة المكرمة لم يحاول ذلك منتظراً أمر ربه، وإن كاد بحاله وبخلقه العظيم أن يكون معلماً وهادياً للخير بالتأسي للمقربين منه، لكن هذه الأفعال الثلاثة لم تتم منه بأمر ربه إلا بعد ومع نزول القرآن الكريم عليه وكذلك لا يصح القول أن القرآن الكريم يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهدي إلى سبل السلام وإلى الصراط المستقيم وحده، إذ ليس كل من يتلوه أو يقرأه وحده يحدث له ذلك، ولابد من سنة الرسول ﷺ مع القرآن ليتم هذا كله وعلى هذا فإن هذه التأثيرات الثلاثة في الذين يتبعون رضوان الله ﷻ لا تتم إلا بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم معاً قال تعالى: ﴿**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾(1) فتدبر قوله سبحانه له عن القرآن: ﴿ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ** ﴾ فهو ﷺ الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله ويهديهم إلى صراطه المستقيم بالقرآن الكريم، فنسب الهداية والإخراج من الظلمات إلى النور إليه ﷺ بعد نزول القرآن الكريم عليه ولم يقل (به) لأنه بعد نزول القرآن عليه صارا حقيقة روحية نورانية واحدة وقال تعالى أيضاً: ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ**

---

(1) الآية رقم (1) من سورة إبراهيم.

آيَاتِ اللهَّ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهَّ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهَّ لَهُ رِزْقًا﴾[1] فقوله تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهَّ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يدل على أن الرسول ﷺ والقرآن الذي يتلوه عليهم هما أو هو الذي يخرج الله بهما، عفواً، بل به الناس من الظلمات إلى النور فمن الواضح أن إخراج الناس من الظلمات إلى النور يتم بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم معاً، أي بالرسول ﷺ، وليس بطبيعة الحال بالقرآن الكريم وحده، كما أنه لم يتم بالرسول ﷺ وحده بدون القرآن الكريم وكذلك الهدى إلى الصراط المستقيم قد نسبه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، ليس وحده، ولكن مع القرآن أو بالقرآن الكريم أيضاً قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللهَّ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهَّ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[2] ففي هذا النص الهداية منسوبة إلى الكتاب الذي جعله الله تعالى نوراً وإلى رسوله ﷺ مؤكداً أنه يهدي إلى صراط الله تعالى المستقيم .كذلك نسب الله تعالى الهدى للقرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3]

ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء من عباده ويضل من يشاء، ومن ثم فمن شاء الله أن يكون هدى بعض العباد على يديه، إنما يكون هذا بإذن الله وحوله وقوته لكن القضية هنا هل يهدي ويخرج من الظلمات إلى النور بإذنه بكتابه فقط ؟ أم برسوله فقط ؟ أم بالاثنين معاً ؟

---

(١) الآية رقم (١١،١٠) من سورة الطلاق .

(٢) الآية رقم (٥٣،٥٢) من سورة الشورى .

(٣) الآية رقم (٩) من سورة الإسراء .

وعلمنا مما سبق أنه سبحانه وتعالى يهدي بهما معاً .

إذاً فلفظ النور يدل على رسوله ولفظ الكتاب المبين يدل على القرآن الكريم ومن ثم يكون الهدى والإخراج من الظلمات إلى النور بهما معاً.

وهذا يعيدنا إلى أصل القضية وهي أنه قال سبحانه: ﴿ يَهْدِي بِهِ ﴾ ولم يقل ﷻ يهدي بهما، ولو قلنا أن الضمير المفرد يعود على الأقرب في الآية وهو الكتاب المبين فقط لكان هذا دليلاً على أن النور غير القرآن ويثبت أنه رسول الله ﷺ، ولأدَّى هذا القول إلى أن القرآن يهدي وحده بدون الرسول ﷺ وهذا ما نقضه القرآن الكريم.

ومن ثم يلزمنا الاحتمال الأخير في القضية وهو أن النور للدلالة على النبي ﷺ والكتاب المبين على القرآن الكريم باعتبارهما حقيقة واحدة الرسول ﷺ نور جاءنا من الله تعالى بمولده ﷺ وهو المشار إليه في النص:﴿ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ والقرآن الكريم نور جاءنا من الله منزل عليه ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ إذاً هما نور على نور والنور المنزل على النور لا يصيرا نورين بل يصبحا نورا واحدا.

ومن ثم قال تعالى: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾ [1] ولم يقل لنوريْه سبحانه كما لم يقل (يهدي بهما) وإنما قال (يهدي به) بعد ذكر الاثنين.

فالقرآن الكريم وحده نور والرسول ﷺ وحده نور، فهما نوران عندما يذكر كل واحد منهما على حدة وهما معا نور واحد إذا اجتمعا وذكرا معا ومن ثم قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾ ولم يقل يهدي بهما تماما كما قال تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾ ولم يقل لنوريه فهما نور ونور قبل بعثه ﷺ ثم هما بعد بعثه نور على نور أي نور واحد.

---

(١) من الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

إذاً فالحقيقة المحمدية والحقيقة القرآنية كيان نوراني واحد، ألم تر أن الله تعالى قال:﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ ولم يقل نور مع نور ولم يقل نور ونور، لأن النور على النور يصبحا نورا واحدا، هو النور القرآني أو النور المحمدي أياً ما تدعو فهو حقيقة واحدة وكيان روحاني واحد فلم يكن قول أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله " كان خلقه القرآن " إلا بالمعنى الحقيقي وليس المجازي.

وصح قول القائل أنه ﷺ (كان قرآناً يمشي على الأرض)، ليس باعتبار أن هذيْن القولين من قبيل المجاز أو المبالغة بل بالدلالة الحقيقية لهذيْن القوليْن.

كما سنرى هذا في فصل لاحق بعون الله تعالى وفتحه وتوفيقه.

وقبل الانتقال للفصل التالي أضرب للنور على النور مثلاً بالمطر الغزير ينزل على البحيرة أو النهر فيزداد المنسوب فهو ماء على ماء فإذا ما شربتُ أو رويتُ الحقول منه، فإن الشرب والري يكون من ماء واحد وبماء واحد وليس بمائين،فالماء ينزله الله تعالى من السماء مطرًا على الماء في البحيرة أو النهر ليحي به (وليس بهما) النفوس والأجساد كما أنزل نورًا (القرآن الكريم) على نور (النبي ﷺ) ليحي به (وليس بهما) القلوب والأرواح.

والله تعالى أعلى وأعلم .

الفصل السابع

الحقيقة الأحمدية المحمدية ذكر وقرآن مبين

ثبت لنا في الباب الأول أن النبي ﷺ هو الروح الكلي الأقدس وتأكد لنا بمقتضى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة أنه لا ينبغي ولا يصح أن يكون الروح غير النبي ﷺ، وعلمنا أن النبي لما شَرُفَتْ به الدنيا وَطهَّرها، إنما طَهَّرها بالنور الذي أنزل معه، ثم لما أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم أصبح نورا على نور، وعلمنا أيضا أنه أصل الشجرة النورانية المباركة الزيتونية التي تمد مصابيح القلوب بالزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، ومن ثم فهو أيضا من هذا الوجه نور على نور.

ويقابل بل ويتطابق معه مطابقة تامة قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1] والسراج هو الذي تقتبس منه المصابيح نورها، فهو ليس نورا فحسب، بل هو مصدر للنور أرسله الله تعالى للخلق وعلى رأس الخلق جميعا الإنس والجن وهذا ما يطابق تماماً قوله تعالى:: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾.

ومن ثم فالنبي ﷺ والقرآن نور واحد، والنور القرآن نزل على النور النبي ﷺ فكانا في الأصل اثنين ثم صارا بالمآل حقيقة نورانية واحدة. هذا باعتبار أنه النبي الذي بدأ وجوده ﷺ في السماء نوراً أحمدياً أي السراج المنير، ثم لما جاء إلى هذه الحياة صار هذا النور المحمدي الذي جاءنا من الله نوراً وكتاباً مبينا.

وكذلك نجد هذه المطابقة بالنسبة للروح حيث نجد أن القرآن الكريم روح من أمر الله ﷻ نزل به جبريل قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] فهذا نص صريح محكم

---

(١) الآية رقم (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.

(٢) الآية رقم (٥٢) من سورة الشورى.

على أن القرآن الكريم روح من أمر الله ﷻ، وقد علمنا أن النبي ﷺ هو الـروح في عالم الملكوت، ومن ثم فنزول جبريل عليه السلام بـالقرآن كـان عـلى حقيقـة النُّبُـوة في سيدنا محمد أو على النور الذي نزل معه ولم يكن على الطبيعة البشرية فيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [١]أي أن الروح الأمـين جبريـل عليه السلام نزل بروح من أمر الله ﷻ وهو القرآن الكريم الذي هو روح من أمره تعالى عـلى الروح المحمدي رسول الله ﷺ. تماماً كما ثبت لنا أن جبريل الذي هو من نـور أو نور نزل بالقرآن الذي هو نور على النبي ﷺ الذي هو أيضاً نور [٢].

فالنبي ﷺنور وهو الروح والقرآن روح ونور ومن ثم يحق لنـا أن نقـول أن الروح نور، هذا القول استنباطا من المطابقة التامة السابقة، ومع هذا فقد نزلـت في كتاب الله هذه النتيجة صريحة في آية الشورى إذ جـاء وصـف مـا أوحـي بـه للنبي ﷺ أي ما نزل على قلبه بأنه روح من أمر الله جعله الله تعالى نورا يهـدي بـه من يشاء من عباده وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ وَلَكِـن جَعَلْنَـاهُ نُـورًا نَّهْـدِي بِهِ﴾ فالكتاب الذي هو روح من أمره نور أيضا، فأثبت أنه تعـالى جعـل الـروح وحيا وجعل الوحي نورا وجعل هذا النور هو الذي يهدي به من يشاء من عباده إلى الحق. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُـواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْـلِمِينَ﴾ [٣]، وقـال تعـالى أيضـاً: ﴿ رَفِيـعُ الـدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَـوْمَ الـتَّلَاقِ﴾ [٤]، وقال تعالى أيضاً: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِـنْ عِبَـادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ [٥].

---

(١) الآية رقم (١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥) من سورة الشعراء.

(٢) أهل مكة يطلقون على جبل حراء جبل النور وعلى الحي الذي بجوار الجبل حي النور.

(٣) الآية رقم (١٠٢) من سورة النحل .

(٤) الآية رقم (١٥) من سورة غافر .

(٥) الآية رقم (٢) من سورة النحل .

مما سبق تبين أن الوحي روح من أمر الله تعالى ثم هو الكتاب، وأيضا هو أصل الإيمان لقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ أي ما علم ما الكتاب ولا الإيمان إلا بعد أن أوحى الله تعالى إليه روحاً من أمره ثم قال: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ وقال تعالى أيضاً: ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (١) فالروح نور ومصدر للإيمان.

إذاً يمكننا أن نقول أيضاً أن الكتاب نور، ومن ثم فهو منير قال تعالى واصفاً كل كتاب نزل على رسول من قبله ﷺ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢) وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٣)، وقال تعالى عن التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٤) وقال تعالى عن التوراة أيضاً: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٥) فنص سبحانه وتعالى في آية الأنعام على أن التوراة نور وهدى، وفي آية المائدة أن فيها هدى ونور، وكذلك بالنسبة للإنجيل حيث قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ

---

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة.

(٢) الآية رقم (١٨٤) من سورة آل عمران.

(٣) الآية رقم (٢٥) من سورة فاطر.

(٤) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام.

(٥) الآية رقم (٤٤) من سورة المائدة.

هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١) فالتوراة والإنجيل فيهما هدى ونور والقرآن الكريم جعله الله نوراً : ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ أي كله ونزل على قلب السراج المنير فصار نورا على نور ومن ثم يمكن القول أن في كل كتاب من الكتب المنزلة على الرسل هدى ونور ولكن القرآن لا نقول أن فيه نوراً بل جعله الله نوراً وأنزل إلينا نوراً مبينا : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (٢) هذا النور المبين نزل على النور الذي جاءنا من ربنا: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ نور نزل على نور فصارا نوراً واحداً، إن شئت فقل حقيقة قرآنية واحدة، وإن شئت فقل حقيقة روحية واحدة، وإن شئت فقل حقيقة نبوية واحدة، وإن شئت فقل حقيقة نورانية واحدة.

أسماء متعددة لأحوال متعددة لحقيقة واحدة هي الحقيقة المحمدية حتى صار ﷺ هو الكتاب وهو القرآن وهو الذكر لأن الكتاب هو القرآن والذكر، والقرآن والذكر نور وروح والنبي نور وروح فهو إذاً القرآن والذكر هذه النتيجة الصحيحة عليها أدلة صريحة هي:-

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣) وتفسير هذا السياق بمحض الدلالة اللغوية وبحسب قواعد النحو فإننا لا نجد لضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ﴾ عائداً يعود عليه في السياق إلا إلى ضميرين غائبين أيضاً، الأول: هو في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ الهاء ضمير غائب مفعول به في محل نصب، والثاني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ وهو أيضاً الهاء في الجار

---

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة المائدة.

(٢) الآية رقم (١٧٤) من سورة النساء.

(٣) الآية رقم (٦٩،٦٨، ٧٠) من سورة يس.

والمجرور (له) في محل كسر، وكل منهما عائد حسب مفهوم السياق على الرسول ﷺ الذي نفى الله عنه أنه شاعر وهنا نَزَّهَه عن قول الشعر بقوله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ فعلى مَنْ يعود الضمير (هو) في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ إذاً ؟

ليس من عائد يعود عليه إلا الضميرين السابقين اللذين يعودان على رسول الله ﷺ، وبالتالي يكون المعنى الدقيق لهذا السياق القرآني المحكِم الصريح هو: ليس رسول الله ﷺ إلا ذكر وقرآن مبين يؤكد هذا قوله بعد هذا مباشرة: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ .

ومعلوم أنه هو ﷺ الذي ينذر وإن كان القرآن فهو نذير بالنبي ﷺ وليس وحده ولأنه هو ﷺ ليس سوى ذكر وقرآن والذكر هو النور الذي أنزل معه والقرآن هو النور الذي أنزل عليه فصارا نوراً واحداً وحقيقة واحدة كما أسلفنا، فما من شك أن الفاعل لفعل " لينذر " هو رسول الله ﷺ، الذي ما عَلَّمَهُ ربه الشعر ونَزَّهَه عنه لينذر من كان قلبه حيا ويحق العذاب على الكافرين ويقيم عليهم الحجة ويكون شهيداً عليهم، فلا يصح القول أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ يعود على غير رسول الله ﷺ بحسب مقتضيات قواعد اللغة والدلالة اللغوية الصريحة للنص، ولا يصح القول أن الضمير (هو) في الآية يعود على (كلامه) مثلاً كما حاول البعض تفسيره بهذه الدلالة، إذ لا يوجد في السياق أي ذكر لهذا اللفظ أو ما في معناه، ولو قلنا هذا لناقض أن يكون النص مبيناً وهو نص في الكتاب المبين، والإبانة هي الإيضاح مع الإيجاز بمقتضى قواعد اللغة ودلالات ألفاظها. وحاشا لله أن يكون في كتابه غموضاً أو لبساً .

أما الرافضون لعودة الضمير (هو) على رسول الله ﷺ فهؤلاء لا يرفضون إلا بسبب الحقيقة التي يثبتها النص القرآني عن النبي ﷺ أنه ليس إلا ذكر وقرآن مبين إذ تفاجئهم هذه الحقيقة فيرفضونها فيلجئوا إلى تفسير آخر ودلالة أخرى

لا ينطق بها النص ولو علموا ما علمناه عنه ﷺ انه نور نزل مع مولده هو أصل السنة و نبعها ونور نزل عليه هو القرآن بالتفصيل الذي ذكرناه وأنه ﷺ هو الروح والكتاب روح من أمر الله ﷻ لسلّموا بأنه ﷺ ليس إلا ذكر وقرآن مبين.

الدليل الثاني: قال تعالى عن الكافرين: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١) فبمحض قواعد اللغة ودلالات الألفاظ نجد أن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُو﴾ ذكرا مفعول به منصوب بالكسرة الظاهرة، فما هو إعراب لفظ (رسولا) هو منصوب أيضا لأنه بدل ذكرا والبدل يكون بدلالة الذي هو بدل له وبيان له فكأن لفظ رسول بيان لكلمة ذكر أي أن الذكر هو الرسول الذي يتلو عليكم آياته. والرسول أو الذكر كما علمنا هذا من نصوص أخرى هو النور الذي أ نزل معه والآيات البينات التي يتلوها هي النور الذي أُنزل عليه، وهذا كله يطابق في الدلالة ما سبق وأنه سراج منير.

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٢) قَسَمٌ إلهي مقدس من رب العالمين بالنجم إذا هوى والمُقسم عليه هو ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ أي أبداً لم يضل صاحبكم أي النبي ﷺ ولم يغو فيما مضى من حياته كلها ولم يضل فيما قاله لكم عن نبوته، وفيما يتلوه عليكم من آيات، ومن المقسم عليه أيضاً ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أما قوله تعالى: ﴿وَمَا غَوَى﴾ فالفاعل ضمير

(١) الآية رقم (١٠، ١١) من سورة الطلاق.

(٢) الآية رقم (١، ٢، ٣، ٤، ٥) من سورة النجم.

مستتر تقديره " هو " يعود على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ أي يعود على رسول الله ﷺ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ الفاعل لفعل ينطق ضمير مستتر تقديره "هو " يعود على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ في النص أي رسول الله ﷺ، أي أنه ﷺ ما نطق عن الهوى ولا ينطق عن الهوى ولن ينطق عن الهوى ثم قال تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ وهنا الضمير ظاهر وليس مستترا فعلى من يعود الضمير " هو " في الآية ؟

ليس من عائد يعود عليه جزماً إلا الذي سبق ذكره بأنه ما غوى وما ضل ومذكور في النص بلفظ ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ وهو جزماً رسول الله ﷺ والآية ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ﴾ حصر وقصر فإذاً الدلالة هي جزماً: إنه ﷺ ليس إلا وحي يوحى. فالنبي ﷺ هو قرآن وسنة كما ثبت لنا من قبل لأن القرآن وحي والسنة وحي. ولا يصح القول بتفسير الضمير "هو " على لفظ مقدر هو (قوله) لأن الضمير هو يعود على أقرب مذكور في الآية وهو الضمير المستتر لفاعل الفعل (وما ينطق) وتقديره هو العائد بدوره على رسول الله ﷺ حسب سياق النص يؤكد هذا قوله تعالى بعد هذا مباشرة: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ والمعلم فاعل فعل علَّم هو جبريل كما قال المفسرون والمفعول به الذي علمه جبريل مذكور في الضمير الظاهر وهو الهاء في آخر الفعل علَّم (علمه) وهو يعود على نفس الضمائر السابقة كلها الظاهر (هو) والمستترة وكلها تعود على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ وعلى هذا فلابد أن يكون الضمير (هو) عائداً على رسول الله ﷺ لزاماً.

ولو أعدناه على كلمة مُقدَّرة تقديرها قوله (أو نطقه) لما عاد الضمير الهاء في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ على رسول الله ﷺ وحيث لم يرد مثل هذا اللفظ أو ذاك أو ما في معناهما في النص،فإن هذا القول ينفي الوضوح والدقة عن الأسلوب القرآني وينسب إليه الغموض واللبس وما شاء الله ﷻ أن يكون في كتابه غموضاً أو لبساً لأنه الكتاب المبين وآياته بيِّنات.

وتعقيباً على هذه الأدلة الثلاثة وكلها متطابقة في المقدمات والنتائج وإن تباينت إلا إنها من ناحية أخرى متطابقة ومؤكدة لما توصلنا إليه عن الحقيقة المحمدية.

ولنسمع النبي ﷺ يحدث عن ذاته بأحاديث لا يجوز بأي حال من الأحوال صرف دلالتها من الحقيقة إلى المجاز كما يفعل بعض الخوارج المعاصرين الذين يحلو لهم الانتقاص من قدره ﷺ بحجة المحافظة على التوحيد.

الأول: روى الديلمي عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال " إن أمي رأت في المنام أن الذي في بطنها نور،قالت فجعلتُ أُتبع بصري النور فسبق بصري النور حتى أضاء لي مشارق الأرض ومغاربها "[1] وقد يقول قائل هذه رؤيا مناميه والنور يمكن تأويله بالرسالة والنبوة وليس دليلاً على أنه هو ﷺ نور حقيقي، ولكن الأحاديث التالية ترد على هذا القول وتبطله لتكون الرؤيا حقاً لا تحتاج إلى تأويل.

الثاني: روى الحاكم في المستدرك عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنَّهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال: " دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصري من أرض الشام " [2] هذا بالنسبة للرؤيا المنامية في وقت الحمل، أما حين وضعته ﷺ فقد ورد في الوضع الشريف أكثر من حديث أيضاً يُثبت رؤيتها لهذا النور في اليقظة والحقيقة وليس مناماً.

الثالث: روى ابن سعد عن أبي العجفاء أن النبي ﷺ قال: " رأت أمي حين وضعتني يسطع منها نورٌ أضاءت له قصور الشام " [3].

---

(١) الهنري/ كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٣٦) .

(٢) عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٣٠) .

(٣) عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٣١) .

الرابع: وروى ابن سعد أيضاً عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "رأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام "(١) وهذا أيضاً يتحدث عن خروج النور منها حين الوضع لقوله أنه خرج منها بصيغة الماضي فلا يحمل هذا الحديث على مرحلة الحمل.

الخامس: وروى ابن سعد أيضاً عن خالد بن معدان مرسلاً أن النبي ﷺ قال: " أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مريم، ورأت أمي حين وضعتني خرج منها نور أضاء له قصور الشام "(٢) إلى آخر الحديث.

هل يمكن أن يكون النور الذي أضاء قصور الشام حتى رأتها أمه ﷺ حين وضعته نوراً مجازياً ؟! ألا فليخسأ الذين ينكرون أنه ﷺ نور .

أو ليست هذه النصوص الصريحة الصحيحة تدل على أن النبي ﷺ نور حقيقي جاءنا من الله بمولده ؟! صدق الله وصدق رسوله ﷺ وهلك المتنطِّعون ! هلك المتنطِّعون.. هلك المتنطِّعون.

وحيث قد علمنا أن القرآن الكريم نور وذاته المحمدية الشريفة نور والقرآن نزل على قلبه ﷺ فصار هو ﷺ نوراً على نور.

فما العجب أن تكون حقيقته المحمدية ذكر وقرآن مبين ؟!

❁❁❁

(١) عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٣٢) .

(٢) عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٣٥) .

الفصل الثامن

الرد على المنكرين أنه ﷺ نور

بعد أن ثبت لنا أنه ﷺ نور جاءنا من الله ﷻ، يبقى الرد على اعتراض بعض المتنطِّعين الذين يرفضون هذه الحقيقة بحجة أن هذا يثبت له الأزلية بزعمهم.

ولا شك أن الأزلية والقدم لله ﷻ وحده، وكل ما سواه مخلوق كما أنه لا إله إلا الله وحده وكل ما سواه عبيد له. فالعبودية قرينة المخلوقية كما أن الأزلية خاصية الإلوهية لا ينفكان عن بعضهما.

أما الاعتراض بأن القول بأنه ﷺ نور يثبت له الأزلية، ومن ثم يجعله إلها، فإنه قول متهافت، لأن النور مخلوق، كما أن الظلمات مخلوقة قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾[1].

فالنور مجعول كالظلمات والمجعول مخلوق، لأن الجعل تحويل المخلوق من حال إلى حال مغاير، وحيث قد ثبت لنا من قبل أن الظلمات والنور في هذه الآية تصدق على النور الحسي والظلمات الحسية كما تصدق على النور الروحي والظلمات الضلالية معا، فإن النور مخلوق سواء أكان روحياً أم حسياً أي سواء أكان إدراكه بالبصيرة أم كان إدراكه بالبصر.

ومن ثم فإن القول بأن رسول الله ﷺ نور جاءنا من الله تعالى، أو القول بأنه ﷺ هو الروح لا يتعارض البتة مع القول بأنه مخلوق ، وأنه ﷻ عبد الله بل هو العبودية في أتم وأكمل وأجلى أحوالها.

وكما ثبت لنا أن كل مؤمن روح منفوخ في نفس كائنة في جسد حي يحيا بهذه النفس، كما ثبت لنا أن الروح هو الأمانة التي نزلت في جذر قلوب

---

(١) الآية رقم (١) من سورة الأنعام.

الرجال، وحيث ثبت لنا من قبل أن النور في آية النور في سورة النور هو نور مصابيح قلوب المؤمنين بعامة وقلب رسول الله ﷺ بخاصة، وحيث لا ينزل على قلب الإنسان إلا الروح الفردي الذي يخصه، هذا الذي ينفخه الملاك في نهاية الشهر الرابع من عمر الجنين، وهو سر نور مصباح الفؤاد، فإن الروح يكون في حقيقته التي لا نعرفها هو مصدر النور، ويكون لكل إنسان نوره المولود معه وبه يكون مسلماً، ثم هو إما أن يبقى مؤمنا فيظل مصباح فؤاده منيراً، أو يكفر فتنزع الروح أي الأمانة من قلبه فلا يعود إليه أبداً، أما مرتكب الكبيرة فيخرج الإيمان والنور منه فيظلم قلبه ويخرج نفسه من النور إلى الظلمات جزئياً، وليس كلياً كالذي يكفر، فإذا انتهى من فعل هذه الكبيرة يعود إليه الإيمان فيخرج من الظلمات مرة أخرى إلى النور بإذن الله تعالى وحوله وقوته، هذا في حالة ارتكاب الكبيرة لقوله ﷺ " لأن يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن....." وبعد الفراغ من الفاحشة تعود الروح إليه فيعود النور والإيمان.

إذاً النور والروح متلازمان في قلب المؤمن لأن النور صفة أو خاصية جوهرية للروح، فلكل مؤمن نوره الذي مصدره الروح الذي نفخه الله فيه، وهذا النور من الله ﷻ، قال تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (١) هذا لكل إنسان لكي يكون عبداً مؤمناً.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾(٢).

فكل مسلم أو مؤمن على نور من ربه، وقوة نوره على حسب درجة إيمانه ويقينه وعلى قدر طاعاته وبعده عن المعاصي وبخاصة الكبائر.

وقال تعالى عن الضال الذي اهتدى وأسلم لله ﷻ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(٣) ويمكن فهم هذه الآية بأن كل

(١) من الآية رقم (٤٠) من سورة النور.

(٢) من الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر.

(٣) من الآية رقم (١٢٢) من سورة الأنعام.

إنسان كان ميتاً قبل نفخ الروح فيه ثم أحيا الله قلبه بنفخها وبها جعل الله له نوراً يمشي به في في الناس فلكل مؤمن نوُر يمشي به في الناس، أي يتعامل من خلاله مع الناس، وهذا ليس كما يفسره البعض بالمجاز أنـه تعلـيمات الشريعـة والعلـم بالحلال والحرام، لأن مجرد العلم بالشريعـة وبـالحلال والحـرام لا يكفـي لكـي يلتزم بهما العبد، فكم من عالم فاسق أو منافق ولا يعمل بما علم،وأول من تُسَعَّر به النار هو الذي تعلم القرآن وعلَّمه لكي يقول عته الناس أنه عالم، فمثـل هـذا عنده العلم بالشريعة الذي به يقول ويتحدث بها ولـيس عنـده النـور الروحـي القلبي الذي به يعمل بمقتضاه ويـمشي بـه في النـاس، فهـو إذاً نـور حقيقـي في القلب به يفقه وبه يبصر وبه تتحقق عبودية العبد لله ﷻ عملاً وسلوكاً ومنهجاً لحياته، والنور القلبي هذا ليس هو الإيمان بل الإيمان أثره قال تعـالى: ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُـورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

أورد ابن كثير في تفسيره أن ابن عباس رضي الله عنهما جعل هذه الآية عـلى أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾.

كما روى عن سعيد ابن جبير أنها نزلت في حق هذه الأمة المحمدية، وسواء نزلت في مؤمني أهل الكتاب أو في هذه الأمة، فإن الآية كما هي القاعدة جـاءت نداءً بصـيغة العمـوم للمـؤمنين في كـل زمـان ومكـان إيمانـاً فطريـاً أن يؤمنـوا بالرسول ﷺ لينالوا تَصِيبيْن من رحمته ونوراً يمشون به، ثم مغفـرة مـن الله ﷻ، فَثَمَّ رباط وثيق بين الإيمان برسول الله ﷺ وبـين مضـاعفة الرحمـة ونـوال النـور الذي يمشون به، وهذا هو ما تثبته حقيقة أنه ﷺ هو الروح الكلي الاقدسي الذي ينفخ منه فينا وأنه هو السراج المنير الذي يضيء الله تعـالى بـه مصـابيح القلـوب بهذه النفخة القدسية ويمد هذه المصابيح بالطاقة التي تنير بها.

---

(١) الآية رقم (٢٨) من سورة الحديد.

وهذا لا يتم إلا بالإيمان به ﷺ سراجاً منيراً فهو الرحمة، فمن آمن به آتاه الله كفلين منها وهو الروح أو النور أو السراج المنير الذي جاءنا من ربنا فمن آمن به جعل الله له نوراً يمشي به في حياته أي ينير له منها في حياته ويهتدي به إلى الصراط المستقيم.

كل هذا يثبت أن للمؤمنين نوراً من الله تعالى في الحياة الدنيا وهذا النور يكون معهم فيضيء لهم قبورهم وكذلك يوم القيامة يضيء لهم ما حولهم في المحشر وعلى الصراط، في حين أن المنافقين والكافرين يبعثون من غير هذا النور الحقيقي فتكون نفوسهم مظلمة، وهم في ظلمات مطبقات حولهم، قال تعالى عن المؤمنين يوم القيامة وعن حال المنافقين أيضاً ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١).

هذا النص مع غيره من النصوص القرآنية والحديثية الأخرى لها جميعاً دلالة على أن لكل عبد من عباد الله تعالى يوم الدين أو على الأقل في مرحلة من مراحل هذا اليوم بيئته الخاصة به، أي أنه ليس في هذا اليوم بيئة عامة يقوم فيها البشر، إذ لكل منهم درجة حرارة خاصة ودرجة رطوبة خاصة ونور خاص أو ظلام خاص بكل فرد حسب عمل كل منهم.

ولنا أن نسأل لماذا (يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا إنظرونا نقتبس من نوركم ؟)، ولم ينص على قول الكافرين والكافرات ؟

(١) الآية رقم (١٢، ١٣) من سورة الحديد.

الإجابة: لان المنافقين والمنافقات يحشرون مع المؤمنين والمؤمنات لأنهم كانوا يعيشون معهم في الدنيا ودفنوا في مقابرهم باعتبار أنهم مسلمون ومسلمات ثم قاموا للحشر معهم، ووقفوا في الموقف العظيم في انتظار الحساب معهم بخلاف الكافرين والكافرات حيث كل أمة من أمم الكفر والشرك تدفن في مكان معيشتها ثم يُبعثون كأمة معاً ، ويقفون كأمة معاً ويحاسبون كأمة معاً ، أما أهل النفاق ، فلا يكونوا إلا في المجتمعات المؤمنة، ومن ثم فالذي يميز يوم القيامة بين المؤمن والمنافق هو النور المنبعث من المؤمن، والذي هو مُنعدم عند المنافقين والمنافقات حتى أنهم يطلبون من المؤمنين أن ينظروا إليهم ليقتبسوا من نورهم، فهل يجوز لعاقل بعد هذا البيان القول بأن النور هنا مجازي بَمَعْنَى الإيمان والهدي ؟

إنه نور حقيقي لا تدركه عيون الوجوه في الحياة الدنيا وتدركه عيون القلوب فالمؤمن يوم الدين يكون كأنه في وضح النهار بنوره المنبعث منه، والمنافق يكون في ظلمة الليل البهيم وهما يقفان جنباً إلى جنب فقوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١). هذا القول الكريم يدل على إخراجه من ظلمات حقيقية بعضها فوق بعض تلك التي تكون فيها الذات الضالة فتخرج منها إلى نور حقيقي تصير فيه هذه الذات، وتمشي وتعيش به بين الناس، فلا يقول العبد الذي في هذا النور إلا حقاً وصدقاً ولا يأتي من الأعمال إلاَّ بِرًّا وخيراً لأنه بهذا النور يكون مسلماً ويكون مؤمناً ويكون تقياً ويكون صالحاً وهكذا بقدر قوة هذا النور في قلبه.

فهذا النور ليس هو الهدي والإيمان بل الإيمان والهدي أثر له، وهذا النور لا يُرى بعيون الوجوه في الدنيا، ولكنه يكون مرئياً في الآخرة حتى للمنافقين والمنافقات.

---

(١) الآية رقم (٢٥٧) من سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم..﴾[1].

فالنور يسعى أمامهم أي يتحرك بحركتهم إذا ساروا إلى الإمام تقدم نورهم أمامهم لينير لهم الطريق أو الصراط حتى يضعوا أقدامهم على بَيِّنة وبصيرة توخياً للسلامة من السقوط من فوق الصراط إلى جهنم والعياذ بالله، فنورهم سبب نجاتهم على الصراط. أليس هذا نوراً حقيقياً ؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [2].

فقوله (لهم أجرهم ونورُهم) يدل على أن هذا النور ليس من الأجر أو الثواب على أعمالهم، لأنه في الحقيقة هو نورهم الذي كانوا يمشون به في الدنيا بين الناس وتعاملوا معهم من خلاله وعلى هديه فهو نور منسوب لهم أي نور منسوب لكل عبد لله ﷻ ومن ثم قال (لهم أجرهم ونورُهم) فليس لفظ النور بدلالة الإيمان أو الإسلام أو الشريعة أو العلم بالحلال والحرام وإن صح وصف هذا كله بأنه هدي، بل هو خاصية ذاتية لكل مؤمن موجودة في قلبه ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه عن مصابيح الأفئدة بنفخه الروح الخاص أو الفردي في جذر قلب العبد، فهي مصابيح روحية حقيقية وليست كناية أو مجازاً يؤكد هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

---

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الحديد.

(٢) الآية رقم (١٩) من سورة الحديد.

(٣) الآية رقم (٨) من سورة التحريم.

فهذا نور حقيقي يزيد وينقص في هذه الحياة الدنيا الإبتلائية، يزيد بالطاعات والطهر وبالصلاة التي وصفها الرسول ﷺ بأنها نور، أي تزيد نور المؤمن الملازم له منذ مولده. ومن ثم فإن دعاء المؤمنين يوم الدين هو بإتمام نورهم الذين سيعلمون يومئذ أنه غير تام بالنسبة للسابقين السابقين من الرسل والنَّبِيِّن والصديقين والشهداء والصالحين، وحيث إن الذنوب هى التي تَنْتقص من هذا النور فقد جاء الدعاء ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وليس أدل من أنه حقيقي أنه يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ويوم القيامة سيطلبون من الله ﷻ زيادة نورهم حتى يتم عندما يرون نور النبيين والصديقين تاماً، إن العبد يُبعث يوم الدين بنفس قوة النور الذي كان عليه لحظة وفاته، فالعبد يبعث على ما مات عليه، لذا يُعقّب المؤمنون بعد طلبهم إتمام النور من الله تعالى يوم الدين والمغفرة بقولهم ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأنهم يعلمون أن الآخرة ليست دار عمل وتحصيل، والصحف قد خُتمت بموت العبد، فقولهم أنك على كل شيء قدير يدل على هذا بمعنى أنه قدير على أن يزيد في أجورهم ونورهم حتى في الآخرة، وبقوة هذا النور تتحدَّد درجة المؤمن في الجنة، لذا فمرحلة الحياة الدنيا الإبتلائية مرحلة وجودية خطيرة في الوجود الآدمي، ومن أهم ما يزيد نور العبد القلبي هذا في الدنيا بعد الفرائض النوافل وبخاصة الحرص على ذكر الله تعالى والمداومة على تسبيحه صباح مساء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(١).

فعلة الإخراج من الظلمات إلى النور مستمرة في حياة العبد المؤمن لأن الذنوب والمعاصي التي يقع فيها العبد تدخل الظلمات على قلبه، ولا يكاد يمر

(١) الآية رقم (٤١، ٤٢، ٤٣) من سورة الأحزاب.

يوم لا يرتكب فيه المؤمن، مهما زكت نفسه، ذنبا أو ذنوبا، فكما جاء في الحديث الصحيح أن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت فيه نكتة سوداء، فكثرة الذنوب ودوامها تسود القلوب فكيف يكون الحال بكبائرها ؟ !

لذا فإن هذه الآية تفيد أن استمرار العبد ومداومته على ذكر الله تعالى والاستغفار بكرة وأصيلا، وفي كل وقت هو مما يغفر الله به هذه الذنوب ويدخل هذا العبد مع الذين يصلي الله تبارك وتعالى عليهم وملائكته لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتدبر معي قوله تعالى بصيغة المضارع الذي يفيد الدوام والاستمرار (هو الذي يصلي عليكم وملائكته...) فصلاة الله عز وجل وصلاة ملائكته على المؤمنين تتنزل على الدوام وباستمرار لإخراج المؤمنين بصفة دائمة مستمرة من ظلمات الذنوب والمعاصي والكبائر إلى النور وعلى قدر ذكر العبد لربه واستغفاره بكرة وأصيلا يكون نصيبهُ من صلاة ربنا سبحانه القدسية وصلاة الملائكة لصيانة النور في قلبه وإتمامه أو تعويض نقصانه يسبب الذنوب.

كل هذا يثبت أن النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين لهم نورهم.

وهم جميعاً عباد الرحمن، وفي هذا رد واضح على أن الذين ينفون أن رسول الله ﷺ نور خوفاً من الوقوع في الشرك متنطعون هالكون، مفرطون في حقه ﷺ ومنتقصون من قدره كما ثبت لنا أيضاً أن الله تعالى خلق الملائكة من نور العرش، فللعرش إذاً نوره، فهل جبريل وإخوانه من الملائكة العظام آلهة ؟ !

وهل العرش الذي خلق الله تعالى الملائكة من نوره إله ؟ !

حاشاً لله تعالى فكل هؤلاء وكل ما سواه عبيده وعباده وأول العباد وأفضلهم عبودية لله عز وجل هو رسول الله ﷺ فلماذا القول بأنه لا يجوز أن نعتقد أن رسول الله ﷺ نور خوفاً من الوقوع في الشرك ؟ !

حقاً أنه التَنَطُّع المهلك بعينه.

أما القول الأعجب لهؤلاء المتنطِّعين للذين يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم فهو تفسيرهم للسراج المنير بالدلالة المجازية بمعنى أنه هداية أي

تعليم للصراط المستقيم، فهو مجرد معلم له، في حين أنهم يقولون بل يصرون على أن قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ..... ﴾[1]. مثلاً تدل دلالة حقيقية على أن لله تعالى هذه الجارحة رَافضين رفضاً قطعياً أن يكون في القرآن كله مجاز أو كناية مخالفين بهذا جمهور علماء الأمة والمفسرين. بالرغم من أن نسبة الجوارح لله تعالى وعَجَلّ تجسيم وتشبيه وهو الشرك الذي كان ولا يزال عليه أكثر اليهود، أما القول بأن رسول الله ﷺ سراج منير حقيقي تُضاء منه قلوب النبيين والمؤمنين فلا يمكن أن يكون شركاً لان الله عَجَلّ هو الذي جعله سراجاً منيراً وهو سبحانه الذي أرسله للعالمين سراجاً منيراً، وهو ﷺ مخلوق والسراج المنير مخلوق، فهل من خطأ في وصف المخلوق بالمخلوق ؟

أما الخطأ كل الخطأ والشرك كل الشرك في الإصرار على إثبات يد لله عَجَلّ، وإن قالوا أنها يد ليس كمثلها يد، فهذا لا يمنع من كونها حسب عقيدتهم عضو وهو اليد بمعنى الجارحة لله عَجَلّ فهو ليس كائنا عضوياً له وجه ويدين ورجلين وعينين سبحانه الخالق الذي ليس كمثله شيء مثل الكائن العضوي البشري فهذا تشبيه وتجسيم وهو عين شرك اليهود.

مع العلم أن من معاني ودلالات لفظ اليد عند العرب التأييد والعطاء والقوة والتملك وكلها لا تثبيت جارحة لله تعالى فإذا فسرنا اليدين أو الوجه أو العين أو الأعين المنسوبة لله عَجَلّ في القرآن الكريم بهذه الدلالات التي اشتملتها معاجم اللغة العربية قالوا: لاكناية ولا مجاز في القرآن الكريم، واعتبروا هذا تعطيل للصفة، في حين أنهم يصرون على تأويل النور المنسوب للنبى ﷺ بأنه نور الهداية والعلم.

وللرد عليهم أقول لهم لقد أجمع علماء اللغة على أن بالقرآن الكريم جميع الأساليب البلاغية والصور البيانية المستخدمة عند العرب،أما قولهم أن في هذا تعطيل فأرد عليهم قائلا: هذا تعطيل لمعنى الجارحة في هذه الصفات عن رب العالمين سبحانه لأنه ليس كمثله شيء ولكنه في نفس الوقت إثبات للصفة بالدلالة اللغوية حسب معاجم اللغة والتي تتناسب مع كونه سبحانه ليس

---

(١) من الآية رقم (١٠) من سورة الفتح.

كمثله شيء، فهو تعطيل للدلالة التي لا تليق بجلاله وإثبات للآية أو للصفة بالدلالة التي تتفق مع قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.....﴾[1] فاليد بمعنى التأييد والقوة والعطاء واليدان بمعنى مضاعفة العطاء والأيادي بالجمع بمعنى الكثرة في العطاء وزيادة الفاعلية وقد وردت منسوبة لله تعالى بصيغة المفرد ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾[2] ووردت بصيغة المثنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾[3] ووردت بصيغة الجمع فى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾(٧١) سورة يس .

ووردت العين منسوبة له تعالى بصيغة المفرد في قوله تعالى لموسى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[4] أي برعايتي وعنايتي ووردت بصيغة الجمع بقوله تعالى عن سفينة نوح (... تجري بأعيننا...) أي بكامل الرعاية والعناية لحمايتها من عوامل الغرق الكثيرة، وليس هذا أو ذاك تأويلاً مخرجاً للكلمة عن مدلولها اللغوي لأن ما ذكرناه هو من مدلول هذه الكلمات التي تعج بها معاجم اللغة العربية وكما استخدمها العرب قبل نزول القرآن الكريم وبعده فعقيدة التشبيه والتجسيم الفاسدتين عند هؤلاء هي أساس رفضهم الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ نور جاءنا من الله مفسرين قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[5] بالدلالة المجازية وكذلك يفسرون السراج المنير مع أنهم يرفضون المجاز بالنسبة لآيات الصفات .

ولكن قولنا أن رسول الله ﷺ نور مع نسبة النور للنبيين أيضاً ولسائر المؤمنين، أليس معناه أنهم جميعاً متساوون في الفَضْل ؟

هذا موضوع الفصل القادم بعون وفتح من الله ﷻ .

❀❀❀

---

(١) من الآية رقم (١١) من سورة الشورى .

(٢) من الآية رقم (١٠) من سورة الفتح .

(٣) من الآية رقم (٧٥) من سورة ص .

(٤) من الآية رقم (٣٩) من سورة طه.

(٥) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة .

الفصل التاسع

الأدلة على تفرده ﷺ بأنه نور من الله ﷻ، وبأن أنوار غيره من الرسل والأنبياء والمؤمنين عطاء رباني لهم من نوره ﷺ.

وبيان هذا وبراهينه من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:-

١) هل رسول الله ﷺ رسول مثل سائر الرسل ؟ !

٢) هل هو ﷺ نبي مثل سائر النبيِّين ؟ !

٣) ألم يقل الله ﷻ في كتابه: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [١] ؟! أفلا يدل هذا على أنه لا تفاضل بين الرسل جميعاً، وبالأولى بين النبيين أيضاً.

٤) وأيضاً ألم يقل سبحانه في كتابه عنه ﷺ :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢] ؟ !

٥) ثم هذا السؤال الذي هو محور رئيسي في هذا الموضوع:

أليس القول بأن رسول الله ﷺ نور من الله وسراج منير هو هكذا لقومه وللناس الذين بعثه الله تعالى لهدايتهم بهذا النور، فآمنت به أمته وانتفعت بنوره أيضاً لهدايتهم تماماً مثل ما أوتي كل نبي ورسول الهدى من الله تعالى، وآمن به من آمن وانتفع بهدايته من انتفع ؟

فَلِمَ لا نقول بأن كل رسول وكل نبي نور جاءنا من الله تعالى، وكل منهم سراج منير مثله ﷺ ؟!

وللرد على هذه الأسئلة الخمسة أُجْمِلُ الإجابة على الأربعة الأولى وأُفَصِّل الإجابة على السؤال الخامس الذي هو محورها جميعا.

---

(١) من الآية رقم (٢٨٥) من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران.

أما قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾(١) فلا يتضمن بحال من الأحوال نفي فضله ﷺ على الرسل والنبيِّين جميعاً، ليس فقط باعتبار أنه يفضلهم بأنه خاتمهم ﷺ جميعا وليس باعتبار آية الميثاق الذي أخذه الله ﷻ على النبيين أن يؤمنوا به ﷺ وينصروه، والتي تثبت أنه أولهم كما أنه آخرهم أو بتعبير أدق أنه الفاتح كما أنه الخاتم لأنه لو كان الخاتم دون أن يكون هو أيضا الفاتح ربما كان الفاتح أفضل منه لأن الأول أفضل من الأخير. أما جمعه بين البدء والختام فكأنه أحاط بالنبيين جميعاً وبالرسل كلهم أيضاً. وهذا فضل له عليهم جميعا لم يدركه أحد منهم، وهم جميعا يعلمون له هذا الفضل ويقرون به وليس بهذا فقط فضلهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ بل أيضا باعتباره الأصل والحقيقة الأحمدية النورانية، وهو ما سنفصله بعد في الإجابة على السؤال الخامس بعون من الله تعالى ومدده وتوفيقه.

أما القول بأنه ﷺ ليس إلا رسولا قد سبقه الرسل فهو يثبت فعلا مثلية بينه وبينهم لا تفاضل ولا تغاير فيها، وهذه المثلية فرع من مثلية أعم وهي مثلية البشرية التي أثبتها له الله ﷻ بقوله تعالى له ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(٢) وأثبتها كذلك لجميع النبيين، وقد علمنا أن البشرية هي الخصائص الحيوية التي تحكم حياة الجسد البشرية منذ الولادة، بل منذ بدء تكون الجنين حتى الموت وما بينهما من طعام وشراب ونمو يبدأ بضعف ثم قوة من بعد ضعف ثم ضعف من بعد قوة ثم موت، وموضوع الآية هو إثبات حتمية الموت للرسل كما هو لكل حي على الأرض ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾(٣). أي أنهم ماتوا أو خلت منهم جميعاً الأرض أو هم خَلوْا ورحلوا عنها، ولعل الآية لم تتضمن لفظ (... قد مات من قبله الرسل)

---

(١) من الآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية رقم (١١٠) من سورة الكهف.

(٣) من الآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران.

إشارة إلى رفع المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام إلى السماء، وهذا من دقة القرآن الكريم وصدقه المطلق، لأن المسيح عليه السلام من الرسل الذين كانوا قبل سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعليهم أجمعين ولم يمت بل رفعه الله إليه أما قوله تعالى: (.... قد خلت...) فإنه يصدق على من ماتوا ومن قتلوا ومن رفعوا لأن الجميع خلت الأرض منهم أو هم الذين خَلَوا منها والموت صفة بشرية فقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾(1) توطئة لقوله تعالى: ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ....... ؟ ﴾(2) فيه دلالة على أن المثلية بينه ﷺ وبينهم صلى الله عليهم وسلم هي في الخصائص البشرية بعامة وفي قابلية الموت بخاصة، هذا ما تدل الآية عليه. ومن ثم لا يتعارض هذا مع إثبات فضله ﷺ عليهم جميعاً صلى الله عليهم وسلم.

أما الإجابة على السؤال الثالث فإن قوله تعالى: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾(3) على لسان الرسول والمؤمنين.

معناه: لا نجعل بعضهم في حزب والبعض في حزب آخر أو أحزاب أخرى مخالفة ومفترقة عنهم في الدين والعقيدة ولا في قواعد الإيمان ومبادئ التوحيد، بل نؤمن أنهم جميعاً رسل الله ﷻ جاءوا بعقيدة التوحيد، فليس معنى (لا نفرق بين أحد من رسله) لا نفاضل بين أحد منهم أو لا تمييز بينهم لأنه قد دل على التفاضل بينهم قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا

(1) من الآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران.

(2) من الآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران.

(3) من الآية رقم (٢٨٥) من سورة البقرة.

اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١) فهذه آية صريحة محكمة في تفضيل بعض الرسل على بعض، لأن التفاضل بينهم قائم بلا تفريق في دينهم، فدينهم واحد وهو دين الله تعالى الإسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (٢).

وكذلك الحال بالنسبة للنبيّين قد فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (٣).

هذا التفاضل بين النبيين وبين الرسل متوافق مع سنة الله العامة في الخلق التي تحدثنا عنها في الباب الأول ومؤداها أن تنتهي بتفضيل الرسل على النبيين لأن كل رسول نبي أي اجتمعت له الرسالة والنبوة بخلاف النبي بلا رسالة.

وعدة النبيِّين جميعاً مائة وأربعة وعشرون ألفاً وعدة الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وأفضلهم خمسة هم أولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأفضلهم محمد ﷺ، أخرج البزار عن أبي هريرة ﷺ قال " خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد ﷺ".

وروى الدارمي عن عمرو بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ " إن الله أدرك بي في الأجل المرجو واختارني اختيارا، فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وإني قائل قولاً غير فخر: إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإن الله وعدني أمتي وأجارهم من ثلاث: لا يفنيهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة " (٤).

---

(١) الآية رقم (٢٥٣) من سورة البقرة.
(٢) من الآية رقم (١٩) من سورة آل عمران.
(٣) الآية رقم (٥٣) من سورة الإسراء.
(٤) من كنز العمال رقم (٣٢٠٨٠) جـ١١ صـ٤٤٢.

ومعنى قوله أنه حبيب الله أي أنه أيضاً صفي الله وخليل الله ومعنى قوله (معي لواء الحمد يوم القيامة) أي الشهادة والإعلان بأنه أفضل من حمد الله وعبده، والحبيب هو الأقرب لله تعالى وهو الأفضل مطلقاً والثابت أنه ﷺ خير خلق الله ﷻ ومن ثم فلابد أن يكون خير المرسلين، وإذا كانت النبوة هي النور وهي الروح فلا يصح القول أن الأنبياء والمرسلين متساوون في النور، وأن كل واحد منهم قد أرسله الله تعالى سراجاً منيراً كما أرسله ﷺ سراجاً منيراً، وأن كل واحد منهم نور جاء قومه من الله ﷻ لأنه ﷺ هو النور الذي جاء من الله سبحانه وتعالى ليس لقومه وأمته فحسب، بل ولكل الناس كافة بمن فيهم الأنبياء والرسل جميعاً.

والدليل على هذا التميز للنبي ﷺ على غيره من الرسل والنبيين هو أننا لا نجد في كتاب الله تعالى قوله عن رسول من الرسل أو نبي من الأنبياء أنه أرسله سراجاً منيراً، ولا نجد أيضاً وصفا لأحدهم بأنه نور جاء لقومه من الله ﷻ وإن كنا نسلم أن لكل نبي ولكل رسول نوره الذي يتناسب مع فضله ودرجته، إلا أننا لا نجد ما يدل على أن ذات أحدهم نور، وفرق بين من له نور وبين من هو نور من الله ﷻ وهذا يتوافق مع ما سبق إثباته عن النبي ﷺ من أنه الروح الكلي الأعظم الأقدس الذي يمد الله تعالى منه أرواح النبيين وأرواح المؤمنين، وبالتالي أنوارهم، ومن ثم يكون نوره ﷺ هو الأصل وهذا يتوافق مع كونه السراج المنير[1] الذي يضيء المصابيح القلبية لسائر المؤمنين وهذا ثابت من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ بالنسبة لآدم ومن ثم لسائر النبيين والناس أجمعين المولودين من ذكر وأنثى بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ وقد ثبت لنا الاقتران بين الروح والنور وثابت أيضاً بكيفية خاصة بالنسبة للمسيح

---

(١) السراج هو الذي يشعلون به المصابيح، ووصفه بأنه منير اسم فاعل ليس بمعنى الذي ينير حوله فقط ولكن بمعنى أنه ينير ويشعل المصابيح الأخرى فهو ﷺ منير مصابيح قلوب المؤمنين جميعاً بما فيهم النبيين.

عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (١).

ومن ثم فإن قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) وفيه تأخير فاعل الفعل (جاء) وهو نور عن لفظ الجلالة وحرف الجر (من) وهذا يفيد التأكيد على أنه نور جاء من الله عز وجل وليس منه تعالى عن طريق غيره إذ لو كانت الآية جاءكم نور من الله لجاز أن يكون هذا النور من الله عن طريق وسيط وناقل لهذا النور فهو إذاً ليس بواسطة بين الله عز وجل وبين النور فهو منه ليس عن طريق مخلوق آخر.

كما أن الروح الكلي والمنفوخ منه أيضاً هو روح منه سبحانه وتعالى بلا طرف وسيط لقوله تعالى: ﴿ مِن رُّوحِي ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مِن رُّوحِهِ ﴾ ومن ثم فالروح الخاص لكل واحد من الناس بما في ذلك الأنبياء وأولهم آدم عليهم الصلاة و السلام ليس من الله عز وجل مباشرة بل هو من الروح الذي نَسَبَهُ الله تعالى لنفسه نسبة التشريف فروح النبي آدم من الروح الكلي الأقدس وكذا أرواح النبيين والمرسلين والصالحين وسائر المؤمنين والمسلمين بل والناس أجمعين حين ولادتهم، ولذا فإن أنوارهم جميعاً ليست مثل نور رسول الله عز وجل من الله وإنما هي من نور رسول الله عز وجل الذي أعطاه الله إياه، فأنوارهم فروع من نوره صلى الله عليه وسلم الذي هو نور الله بمعنى النور الذي هو من الله عز وجل عطاء لرسوله عز وجل على سبيل الصفة باسمه النور وأفضل مثل يُقَرِّب لنا هذه الحقيقة الشمس التي هي سراج وهاج خلقها الله سبحانه وتعالى نوراً ساطعاً وضياء في الأرض للناس، بيد أننا نجد غيرها من أجرام السماء كالقمر والكواكب وما يدور حول الكواكب من أقمار لها أنوارها اللامعة المستمدة من نور الشمس وليست النابعة من أجسامها لأن الله تعالى لم يخلقها مضيئة بذاتها كالشمس بل منيرة بغيرها كالقمر

---

(١) من الآية رقم (١٧١) من سورة النساء.

(٢) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة.

والكواكب. كذلك كل من هم سوى رسول الله ﷻ من الناس الذين لهم نور، رسلاً وأنبياء وصالحين ومؤمنين ومسلمين، نورهم مستمد من نوره ﷺ، أما نوره هو وحده فمن الله ﷻ.

ويكفينا في هذا المجال هذا الدليل عن موسى وهارون قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١) والفرقان هو التوراة وما صاحبه من بيان وتطبيقات وتفصيلات قدمها موسى وهارون لتيسير فهم التوراة والعمل بها.

إذاً فالضياء هو نصيب موسى وهارون من النور النبوي وحيث الضياء فرع والنور هو الأصل كما سبق تبيان هذا فإن الضياء التي أتى الله تعالى موسى وهارون لابد أن يكون له نور هو الأصل الذي جاءه منه، فهو إذاً ليس من الله ﷻ كما جاء في حق النبي أنه ﷺ نور جاءنا من الله سبحانه وتعالى، وإنما هذه الضياء من الله سبحانه أي بأمره لكن من النور الذي جاءنا من الله ﷻ ومن ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) فتدبر قوله (آتينا) بصيغة الجمع الأمر الذي يدل على أن هذه الضياء لموسى وهارون بأمر الله تعالى ومن رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٣) وحيث أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، فإن كل مؤمن إلى يوم القيامة يصدق عليه هذا الحكم ويصح القول منه: (سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ) ومن ثم يكون هذا خيراً له والله تعالى لا يخلف الوعد ورسوله ﷺ، وإن كان موضوع العطاء في الآية السابقة هو الصدقات إلا أن الآية رقم (٥٩) آية مستقلة عما قبلها وما بعدها ومن ثم يمكن

---

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية رقم (٤٨) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (٥٩) من سورة التوبة.

فهم النص بعمومه وليس بخصوص هذا العطاء، لأن فضل الله يسع كل خير وليس قاصراً على الصدقات المادية فقط .

والشاهد من هذه الآية هو أن الله تعالى نسب الفضل المُعْطَى للمؤمنين منه ومن رسوله بعطاء واحد بقوله (سيؤتينا) وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) هو إتيان واحد لموسى وهارون والمؤتي هو الله ﷻ ورسوله ﷺ لأنه إذا كان الفرقان من الله تعالى فإن الضياء التي هي فرع النور تكون ممَّن أرسله الله تعالى نوراً للمؤمنين من البشر بعامة وأخبر موسى وأهل الكتاب بهذا بقوله: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ ﴾(٢) فالضياء عطاء من الله لموسى وهارون بفرع من نور رسوله ﷺ ومن ثم صار هذا العطاء فرعاً من أصل، لذا لم يكن هذا العطاء نوراً من الله تعالى كالذي أعطاه لرسوله ﷺ ولكن كان إتيانا لموسى وهارون من النور الأحمدي فصار ضياء وهذا مصداق قوله ﷺ " إنما أنا قاسم والله معطي " فإذا علمنا أنه لم يرد في كتاب الله ﷻ إضافة النور أو الضياء لأي نبي أو رسول بعد ذلك كما لم يرد القول عن أي رسول أو نبي أنه سراج منير مرسل من الله تعالى هذا الإرسال المطلق الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٣) فإن هذا يكون دليلاً على أنه ﷺ منفرد وحده بهذا البيان لحقيقته الذاتية لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٤) فتدبر قوله أنه ﷺ سيكون يوم القيامة شهيداً على شهداء الأمم، أي رسلهم وأنبيائهم، وهذا المقام له وحده وليس

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية رقم (١٥٧) من سورة الأعراف.

(٣) الآية رقم (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.

(٤) الآية رقم (٨٩) من سورة النحل.

لغيره على الإطلاق، ثم قال تعالى في نفس الآية ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهل يكون تبياناً لكل شيء ثم يكون بعض الرسل في حقيقته سراجاً منيراً مثل رسول الله ﷺ ثم لا يرد في كتاب الله تعالى هذا، أما ذكر إتيان موسى وهارون عليهما السلام ضياءاً فهذا مثل لكل الرسل والنبيِّين جميعا لأن موسى رسول من أولي العزم وهو الكليم الصفي النجي وهارون نبي مفضل على كثير من الأنبياء فدَل هذا على الذي من قِبَلِه الضياء الذي هو مضاف إلى النور وفرع منه ودَلَّ بالتالي على أن نورهم جميعاً من نوره ﷺ، ومن ثم صار هو رسولهم ونبيهم الذي أخذ الله عليهم العهد أن يؤمنوا به وينصروه، ومن ثم كان كتابه كلياً وجامعاً (تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) ومصدقا لكل كتبهم وجامعاً لكل كتبهم السابقة ولذا فهو ﷺ رسول الله إلى جميع النبيين، وبالتالي فهو يوم القيامة شهيد عليهم جميعا كما أن كل رسول أو نبي شهيد على قومه وأمته.

ولا يتسنى له ﷺ هذا كله إلا إذا كانت أنوارهم فروعاً من أصل واحد هو نوره ﷺ، ومن ثم فليس ثم سراج منير في العالمين غيره ﷺ، وبالتالي لم يأتنا من الله نور سواه ﷺ وهكذا تَتَبَيَّن لنا الحكمة من كونه ﷺ سراجاً منيراً مع أنه سبحانه سَمَّى الشمس في القرآن أيضاً (سراجاً) و " سراجاً وهاجاً "، وقد سبق أن علمنا الفرق بينهما.

فالشمس في عالمنا المحسوس أو عالم الملك ليس لها نظير في هذا العالم فهي شمس واحدة، ولا يصح أن يكون في عالم الملك أي عالمنا المحسوس الدنيوي أكثر من شمس لأرضنا وللكواكب الأخرى التي تدور في فلكها حولها وبالتالي فللكواكب ومنها الأرض والقمر مصدر واحد للنور والحرارة هي هذه الشمس الوهَّاجة، وهذا أساسي في نظام هذا العالم، أي عالم الملك، ولو كانت معها شمس أخرى لفسد نظام السماوات والأرض ولما قامت حياة في عالم الملك. فكذلك عالم الملكوت السماوي الروحاني له أيضاً أصل واحد للنور الروحاني الذي يحتاجه هذا العالم الروحاني، ولابد أن يكون له مصدر واحد أيضاً ومن ثم سمَّاه الله تعالى (سراجاً منيرا) بنفس اسم السراج الوهاج الدنيوي

في عالم الملك، لندرك أن ثم تشابهاً بينهما وليس تماثلاً أو تجانساً، والتشابه قائم في أن كليهما مصدر لنور كل ما سواه في عالمه، وليس في عالمه مصدر آخر مخلوق لنوره وكما خلق الله تعالى الشمس وجعلها نورا لغيرها، خلق الله تعالى رسوله وجعله نوراً لما سِوَاه ومن ثم جاءنا ﷺ منه سبحانه وتعالى نوراً، وليس هذا لمخلوق غيره ﷺ فهو ﷺ نور وسراج عالم الملكوت الذي منه أرواحنا ﷺ. كما أن الشمس نور وسراج عالم الملك الذي منه أجسادنا، فهي نور لعيون رؤوسنا وهو ﷺ نور لعيون قلوبنا وسراج لسر أرواحنا.

ويقال أيضاً أن نفس آدم عليه السلام هي النفس البشرية الكلية التي خلقها الله تعالى من الطين فهي من الله عز وجل إذ خلقه تعالى بيديه وإذ سواه وقال له كن فكان. فهو من الله عز وجل من هذا الوجه فعل أما أبناؤه وذريته فكلهم خلقهم الله تعالى بكلمة واحدة بالتَّسوية في الرحم من ذكر وأنثى ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١)

فسائر الناس من الناحية البشرية لم يرد فيهم ما يدل على أنهم من الله عز وجل اللهم ما عدا عيسى بن مريم عليهما السلام وقد خلقه الله تعالى بكلمة خاصة كآدم عليه السلام ومن ثم فقد جاء فيه أنه كلمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(٢).

فقوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ أي الذي خلقه الله تعالى بكلمة خاصة وهذا بالنسبة للجانب الجسدي البشري في شخص المسيح أما الجانب الروحي فقال تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي بنفخة من الروح، ومن ثم يمكن القول أن المسيح من الله بمعنى أن الله خلقه بكلمة كن خاصة به فأوجده بالكلمة من أمه بدون أب فهو مفعول الكلمة: كن لهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٣) فكلاً من آدم وعيسى عليهما السلام

---

(١) الآية رقم (١٣،١٢) من سورة المؤمنون.

(٢) الآية رقم (١٧١) من سورة النساء.

(٣) الآية رقم (٥٩) من سورة آل عمران .

من الله تعالى لأنهما خلقا بكلمة من الله ﷻ (فتعبير من الله) يكون بهذه الدلالة بمعنى الخلق المباشر بكلمة منه هذا بالنسبة للنفس البشرية الكلية التي منها خلق الله البشر وهي نفس آدم التي هي أصل النفوس بشرياً،فقد خلق الله تعالى النفوس البشرية الجزئية سلالة من آدم وذرية بعضها من بعض.

وكذلك وبنفس الدلالة يقال عنه ﷺ باعتبار أنه الروح الكلي الأقدس الذي منه نفخت أرواح الناس في نفوسهم فصار نَبْعاً لنورهم، فنورهم منه ﷺ ونوره من الله فيصح القول أن نور قلب المؤمن من الله، أما بالنسبة للنبي ﷺ فهو من الله نور والتقديم هنا يؤكد أن النور الذي جاءنا هو مباشرة من الله أما نور كل رسول وكل نبي وكل مؤمن فهو من الله بمعنى أنه من النور الذي جاء من الله لرسوله ﷺ وفي تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾(١) أي نور الله في قلب العبد المؤمن، فهو وإن لم يكن من الله مباشرة لأنه بواسطة رسوله فهو من الله لهذا وجدنا أن آدم والد البشر لأن الله خلقه بكلمة كن وسائر النفوس البشرية الفردية المخلوقة من سلالة منه هم أولاده والجميع من خلق الله تعالى عطاء رباني، وكذلك أنوار القلوب عطاء رباني من نوره ﷺ كما وجدنا رسول الله ﷺ أبو المؤمنين لأن نوره من الله ونور الله تعالى في قلوب المؤمنين منه ﷺ وكما ينتهي أصل النفوس البشرية وأجسادها إلى مصدر واحد هو والدهم آدم عليه السلام ينتهي أيضاً أصل الأرواح إلى مصدر واحد هو أبوهم محمد ﷺ كما ثبت لنا من قبل، فوحدة المصدر للأرواح ثابتة كثبوت وحدة المصدر للأجساد، وهذا يفرده ﷺ بالأبوة الروحية للمؤمنين ومن ثم يثبت لنا أنه هو وحده ﷺ المنفرد بأنه نور من الله ﷻ وبأنه أصل ونبع أنوار قلوب المؤمنين – وهذا أو ذاك لا يتعارض مع كونه ﷺ مخلوقاً بل كل هذا لمَّا يؤكد مخلوقيته وعبوديته لله سبحانه وتعالى .

❁❁❁

(١) من الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

الفصل العاشر

بيان الدلالة الاعتقادية لعبارة «.. من الله..»

لتبديد أوهام المتنطعين ونقض زعمهم

إذا سلَّمْنَا أن كونه ﷺ نور لا يتنافى مع كونه مخلوق وعبد لله ﷻ ولا يثبت له الأزلية، فكيف لا يتنافى هذا مع كونه من الله ﷻ، أليس كونه (من الله) ﷻ يعني أنه من ذاته سبحانه وتعالى، وهذا يؤدي إلى قول النصارى في عيسى بن مريم عليهم جميعا الصلاة والسلام ؟!

والإجابة القطعية على هذا الاعتراض أيضاً هي النفي الصريح المؤكد لأن قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ليس معناه قد جاءكم من ذات الله تعالى نور وكتاب مبين، فالآية صريحة محكمة في النص على أنه ﷺ هو والكتاب المبين من الله ﷻ وليس من ذاته سبحانه وتعالى، والكتاب المبين هو القرآن الكريم،والقرآن قوله، وقوله كلامه سبحانه، والكلام صفته ﷻ وكذلك النور اسمه، وصفاته العليا وأسماؤه الحسنى سبحانه ليست جميعها ذاته، وإنما ذاته متصفة بها فذاته محتجبة بصفاته ، فهى في عماء العماء وظلمة الظلمة وغيب الغيب بالنسبة للخلق ، وذاته سبحانه متجلية بصفاته وصفاته متجلية بأسمائه الحسنى وأسماؤه الحسنى متجلية في آياته وآياته ظاهرة في مخلوقاته للمؤمنين محتجبة وخافية في مخلوقاته عن الكافرين.

ومن ثمَّ فليست عبارة (من الله) تعني من ذاته وهذا يتبين لنا إذا علمنا دلالة أو دلالات عبارة (من الله) في كتابه ﷻ بشيء من التفصيل.

وردت عبارة (من الله) ﷻ في كتاب الله في ثنتين وخمسين موضعاً بدلالات متعددة سنستعرضها أو أكثرها لنجد أنه ليس في واحد منها ما يدل على أن معنى (من الله) أي من ذات الله سبحانه وتعالى تقدست ذاته ﷻ فليس فيها دلالة واحدة شركية بل جميع الدلالات موافقة لمبادئ التوحيد الإسلامي الخالص كما سنرى هذا بإذن الله تعالى وبفتحه وعونه وتوفيقه بل أقول بإذن من الله وفتح من الله وعون من الله وتوفيق من الله ﷻ.

فالأمر المتفق عليه بين علماء التوحيد والعارفين، بل هو مجمع عليه بينهم أن الذات الإلهية العلية المقدسة في غيب الغيب، وعماء العماء إذ لما سأل وفد اليمن رسول الله ﷺ: أين كان الله قبل بدء الخلق ؟

قال ﷺ " كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء"(١) وهذا السؤال هو في الحقيقة سؤال عن الذات العلية المقدسة والعماء هو عماء بالنسبة للسّوى والأغيار وحيث لم يكن ثم غيره سبحانه فقد عبر رسول الله ﷺ عن إجابة السؤال بأين، بأنه كان في عماء، لأنه سبحانه كان وليس معه شيء ولم يكن قبله شيء، ومعنى أنه كان في عماء أي بالنسبة لغيره مع افتراض وجود غيره، وورد أيضاً تتمة الحديث قوله ﷺ (وخلق الخلق وهو الآن على ما عليه كان) أي أن ذاته سبحانه العلية المقدسة في عماء بالنسبة لكل ما ومن سواه، فذاته بالنسبة لخلقه حتى العارفين بالله منهم بل وكل المرسلين والنَّبيِّين في عماء أيضاً.

وقد بَيَّن لنا العارف بالله سيدي الإمام المجدد محمد ماضي أبوالعزائم عليه رضوان الله هذه الحقيقة بقوله (الذات الإلهية في عماء العماء وغيب الغيب وظلمة الظلمة ما تعلمه عنها ذرة تراب هو ما يعلمه أكمل مرسل).

فالذات الإلهية في عماء العماء بالنسبة لأبصار العيون وبصائر القلوب على حد سواء، وهي كذلك في غيب الغيب وظلمة الظلمة للأبصار والبصائر والعقول والألباب والقلوب والأرواح وكل ما سواها لعامة المؤمنين ولخاصة المرسلين على حد سواء.

إذن: كيف نعرف ربنا سبحانه إذا كان من المحال إدراك الذات الإلهية ؟

قال الإمام أبو العزائم رضوان الله عليه: (الله هو الاسم الأعظم لواجب الوجود لذاته...) إلى أن قال (الله سبحانه لا يُري في ذاته إلاَّ له، وكل ما عداه لا يراه إلا في غيره) (٢) لأن كل ما سواه من خلقه ومن فعله ومن جعله ومن

---

(١) الحديث : (عن أبي رزين العقيلي قال : قلت يارسول الله ﷺ أين كان ربنا ﷻ قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما تَحْتَهُ هواء وما فَوْقَهُ هواء ثم خلق عرشه على الماء) مسند الإمام أحمد رقم ١٥٥٩٩ .

(٢) الامام محمد ماضى أبوالعزائم .

تدبيره، وهذه الأغيار هي تجليات الأسماء الحسنى، أو العطاء الإلهي من كنوزه التي لا تنفذ ومفاتيح كنوزه الأسماء الحسنى، ومن ثم أمر سبحانه عبادة أن يدعوه بأسمائه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (١) وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ (٢) فمعرفة الله تعالى تكون بالعلم بأسمائه الحسنى ودعائه بها، وعبادته وذكره ومناجاته بها، وتعظيمه وتوقيره وتمجيده بها . لأنها أسماء لكمالاته وصفاته وأفعاله قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣) فقوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بصيغه المفرد هو اسم جنس يراد به الجمع، لأن قول تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ (٤) يدل على أن دعاءه سبحانه بقول الداعي يا الله أو قوله يا رحمن أو قوله يا غفور أو يا سميع هو دعاء لله عز وجل ما دام الدعاء باسم من أسمائه الحسنى.

وكذلك ذكره وتسبيحه وتمجيده يكون باسمه أي بأسمائه لأنها جميعاً إمَّا أسماء جلال وإما أسماء إكرام وإما أسماء جمال أو أسماء كمال لله ﷻ .

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٧) وقال

---

(١) من الآيه رقم (١٨٠) من سورة الأعراف .

(٢) الآيه رقم (١١٠) من سورة الأسراء .

(٣) الآيه رقم (٣٦، ٣٧) من سورة النور .

(٤) من الآيه رقم (١١٠) من سورة الأسراء .

(٥) الآيه رقم (٧٤) من سورة الواقعة .

(٦) الآيه رقم (٨) من سورة المزمل .

(٧) الآيه رقم (٢٥) من سورة الإنسان .

تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فالتسبيح هنا لاسمه الأعلى هو تسبيح له سبحانه وتعالى لأنه هو رب العالمين فهو الرب الأعلى.

وقال تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (٢) والذكر هنا بمعنى التمجيد والتوقير والتعظيم والتسبيح والتنزيه فالاسم في الآية يراد به الأسماء الحسنى التي لكل منها دلالة على كمال من كمالاته سبحانه وتعالى أو على فعل من أفعاله المجيدة، وكل كمال لله ﷻ هو صفة له، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٣) أي تباركت أسماء ربك ذي الجلال والإكرام لأن الجلال والإكرام صفتان له سبحانه، ولأن من أسمائه ما يدل على صفات الجلال، ومنها ما يدل على صفات الإكرام، وصفات الجلال صفات ألوهيته سبحانه وصفات الإكرام صفات أفعاله الحكيمة المجيدة أي صفات ربوبيته ﷻ، فصفات الجلال حضرة الإلوهيه وصفات الإكرام حضرة الربوبية قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٤) وأفعاله كلها مجيدة وهي كلها إكرام منه لغيره أي لخلقه، لأن خلقه كله عطاء وأفعاله عطاء على مسار الحكمة والبر والمجد والبركة أي الزيادة المتعاظمة المتنامية دوما حسب مشيئته، ووفق حكمته ﷻ فمن صفاته العليا سبحانه ما هو جلال ومنها ما هو جمال ومنها ما هو إكرام وكلها كمالات له ﷻ، ومنها ما هو جلال وجمال ومنها ما هو إكرام وجمال ومنها إكرام وجلال.

قال سيدي الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه (والإله من تأله له الخلق ذلاً وافتقارا واضطرارا وفقرا، الإله أحد لا يتركب من ناسوت ولا هوت، الإله هو الغنى عمن سواه، المفتقر إليه كل من عداه، الإله من يأله إليه الناس جميعاً، فلا

---

(١) الآيه رقم (١) من سورة الأعلى .
(٢) الآيه رقم (١٥) من سورة الأعلى .
(٣) الآيه رقم (٧٨) من سورة الرحمن .
(٤) الآيه رقم (١٥، ١٦) من سورة البروج .

ينكر إلوهيته أحد من الخلق، الإِلهُ من أَلِهَ إليه الناس جميعاً متحيرين متنسكين وهو من يلجأ إليه العالم، الإلوهية هي الصفة التي لا ينازع الله فيها أحد) فالجلال والجمال خصائص أو كمالات ذاته الأحدية سبحانه وهي حضرة الإلوهية، فهو ﷻ إله بذاته، وصفات الألوهية أو كمالات الجلال والجمال هي حضرة الإلوهية.

أما حضرة الربوبية ففي صفات أفعاله ﷻ الحكيمة المحكمة في كل ما عداه أي في خلقه، وخلقه عطاء وأفعاله في خلقه عطاء وعطاؤه بمقتضى أسمائه التي هي مفاتيح كنوز عطائه. وهذه المفاتيح هي أسماء الإكرام، قال الإمام ﷺ عن حضرة الربوبية (الله تعالى مع ما تفضل به علينا من هذا الفضل العظيم وعدنا على عبادته في جواره العلي بالنعيم المقيم، فوا عجبا لنا: كيف ننساه وهو أقرب إلينا منا ؟!

أو نلتفت عنه وهو غني عنا ؟!. الله سبحانه يحب أن يري منك صفاتك التي بها أنت عبد له، كما أنك تحب أن تري منه المعاني التي بها هو لك رب) [1]

فالربوبية هي مجموع أسماء أفعاله التي مفعولاتها كل ما يتفضل به رب العالمين على ما سواه من خلق ورزق وإحياء ونعم لا تعد ولا تحصي وكل ما هو مقتضي أسماء الإكرام.

الله ﷻ هو الظاهر في مخلوقاته التي هي مرائي له، فهو سبحانه لا يُري لغيره إلا فيها، إذ هي مجالي أسماء الإكرام الحسني وأسماء الإكرام الحسنى مجالي لأسماء الجلال الحسنى، وأسماؤه الحسنى مجالي لصفاته العليا، وصفاته العليا حجب لذاته الأحدية التي هي في عماء العماء وغيب الغيب، فهو سبحانه وتعالى الباطن في غيب الغيب وعماء العماء، فالذات العلية المقدسة محتجبة بالصفات المحتجبة هي ايضاً بالأسماء المحتجبة هي أيضا بالآيات المحتجبة هي الأخرى بالمظاهر أو

---

(١) المصدر السابق.

المرائي التي هي مخلوقاته سبحانه وتعالى. فلا سبيل للعلم به سبحانه الا بأسماء الجلال والإكرام التي نتعلمها من القرآن الكريم والسنة المطَّهرَة الشريفة ثم يشهد المؤمنون في خلقه الآيات الدالة على أسماء الجلال والإكرام ثم يشهدون في أسمائه صفاته العليا. فلا نشهد صفاته العليا إلا في أسمائه الحسني ولا نشهد أسماءه الحسني إلا في أفعاله ولا نشهد أفعاله إلاَّ في مفعولات الأفعال ولا نشهد هذه الأخيرة إلا في خلقه وهذا هو ظهوره في المظاهر التي هي مرائي لا يُري بغيره سبحانه إلا فيها أما الله ﷻ فلا يري في ذاته إلا له سبحانه وتعالى.

أما العلم بالذات العلية المقدسة فهيهات هيهات، قال سيدي الإمام أبوالعزائم ﷺ وأرضاه (ذات الله مجهولة لا تعرف، نكرة لا توصف، تنزهت الذات الأحدية أن تكون وسيلة لغيرها، والكل وسائل لها) وهذا معنى اسمه الباطن أما تجليات صفاته في أسمائه وتجليات أسمائه في آياته وتجليات آياته في المظاهر وظهوره سبحانه في هذه المظاهر فهذا معنى أسمه الظاهر فمعرفه الله تعالى والعلم به تكون بخلقه وآياته في الخلق وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

والآيات الثلاث الأخيرة من صورة الحشر تتضمن ما يدل على أنه سبحانه وتعالى أحد فرد واحد، واحد بأسمائه الحسنى فهو ﷻ ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ومتفرد بصفاته العليا ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١) وهو الله أحد بذاته المحتجبة عن خلقه في عماء العماء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢) بيد أن آيات سورة الحشر الثلاث تشير بوضوح إلى غياب الذات الأحدية في عماء العماء عن ما سواه سبحانه بذكرها في كل آيه بضمير الغائب "هو".

واسم الحق الأعظم " الله " يأتي موصوفا دائما بغيره من الأسماء الحسني فلا يسبقه أسم آخر ولا يأتي هذا الاسم الأعظم الله بعد أي اسم ليكون وصفا أو خبرا لغيره من الأسماء إلا بعد الاسم " هو" الذي يأتي ذكرا للذات الأحدية

(١) الآيه رقم (١٨٠) من سورة الصافات.

(٢) الآيه رقم (١) من سورة الإخلاص.

المقدسة الغائبة في غيب الغيب وعماء العماء وظلمة الظلمة هذا الضمير العائد على الذات " هو " هو وحده الذي يسبق اسم الحق الأعظم "الله" فلا يقال (الملك الله) مثلا أو (المؤمن الله) وإنما يقال (الله الملك) و (الله المؤمن) أو (الله المهيمن) وهكذا فلا يسبقه الا اسم الذات "هو" (هو الله) قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

وما يمكن تعلمه من تدبر هذه الآيات الثلاث المباركات ما يلي:ـ

١ – بدء الآيات الثلاث بال "هو" إشارة بضمير الغائب إلى الذات العلية التي تعزُّو تجلُّ وتتعالى وتتقدس عن إدراكها أو العلم بها أو معرفتها.

٢ – " الله " هو الاسم المعلوم للذات الأحدية الموصوفة بالصفات ولله ﷻ الأسماء الحسنى الدالة على هذه الصفات.

٣ – الـ "هو " مبتدأ في الجملة الاسمية في الآيات الثلاث وخبره لفظ الجلالة "الله".

٤ – في الآية الأولى والآية الثانية اسم الموصول " الذي " وصفا له سبحانه بشهادة التوحيد " لا إله إلا هو " التي تثبت تفرُّد الله ﷻ بالإلوهية نفيا عن غيره وإثباتها له بأداتي الحصر والقصر " لا وإلا " فهي تحصر الإلوهية فيه وله سبحانه وتقصرها عليه ﷻ، وتنفيها عن كل ما سواه.

فالآيتان إذاً في حضرة الإلوهية.

إلا أن الآية الأولى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ هي في الحقيقة في حضرة الإلوهية والربوبية معا حيث جاء

---

(١) الآيات رقم (٢٢: ٢٤) من سورة الحشر.

وصف الله ﷻ بعد ذكر إنفراده بالإلوهية بصفة من صفات الإلوهية أو صفة الجلال وهى قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فهي تشير إلى العلم الإلهي بالذات التي لا يعلمها غيره وهذا من غيب الغيب كما تتضمن ذكر علمه سبحانه بالغيب الذي إذا شاء أطلعه على بعض خلقه وعلم الغيب الذي إذا شاء حجبه عن كل خلقه. فهذه من صفات الإلوهية التي هي صفات الجلال أما قوله: ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ فهي علمه هو بالمشهود من خلقه فهي من صفات الربوبية أو إن شئت قلت علم ربوبية. ثم جاء قوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وَصْفاً للذات بصفة جلال ذاتية له ﷻ وهى الرحمة المطلقة فهي من صفات الإلوهية بل إن " الرحمن" هو الاسم الذي ندعوه به سبحانه ويكاد يصل إلي مرتبة اسمه عز وجل " الله " لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾(١).

فنحن في حضرة الآية الأولى في مقام الإلوهية في ظل اسمه الرحمن وعطاؤه الرحمة العامة لكل الخلق في الدنيا والآخرة الحي وغير الحي والطيب والخبيث أما اسمه الرحيم في هذه الآية أيضا فهو وصفه بالرحمة الخالصة الخاصة لعباده المؤمنين في الآخرة وبالرحمة العامة لكل الخلق في الدنيا. فهذه صفة ربوبية من صفات الإكرام.

إذاً الآية الأولى تجمع لله ﷻ صفات الجلال وصفات الإكرام، أى صفات الإلوهية والربوبية وفى هذا إشارة وإشعار للقلوب أن الله تعالى هو الإله رب العالمين ولا فصل ولا تفريق بين الجلال والإكرام ولا بين الإلوهية والربوبية، وإنما هو تمييز معرفي لا غير، فالتوحيد عقيدة واحدة وإيمان واحد وفعل قلبي واحد للموحد وليس ثلاثة كما قال، مخطئا ، ابن تيمية عفا الله عنه (٢).

---

(١) من الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٢) نظريه ابن تيميه عفا الله عنه القائلة بأن أنواع التوحيد ثلاثة توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات التي لم يسبقه بها أحد من السلف خطأ جسيم إذ كيف يُوَحِّد العبد ربه سبحانه بثلاثة أنواع ؟!.

والله ﷻ هو الذات الموصوفة بصفات الجلال والإكرام الذي لا اله إلّا هو ولا رب للعالمين غيره بعقيدة قلبية واحدة لا أقسام فيها.

٥ – أما الآية الثانية فقد بدأت كما علمنا بضمير الغائب "هو" ذكراً للذات الغائبة المحتجبة عن كل الخلق وتعريفها أيضا بالاسم الأعظم الله ثم الوصف بصفات الجلال أو بصفات الإلوهية فقط﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ وهي أسماء تحمل الصفات التي تنفى عنه الشريك ﷻ ومن ثم قال ﷻ ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وليس في هذه الأسماء اسما من أسماء الإكرام أو أسماء الأفعال أو ما يدل على خصائص الربوبية فكلها في حضرة الجلال والإلوهية

٦ – أما الآية الثالثة فقد بدأت بضمير الغائب (هو) ذكراً للذات الغائبة المحتجبة أيضاً وتعريفها بالاسم الأعظم (الله) مع وصفه بأسماء الأفعال أو أسماء الإكرام (الخالق الباري المصور) وحيث أنها أكثر من ذلك عدداً فقد قال (له الأسماء الحسنى) الدالة على خصائص وأفعال الربوبية وأيضاً التي سبقتها والدالة على خصائص الإلوهية﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وحيث أننا في رحاب هذه الآية في حضرة الربوبية التي مقتضاها المربوبون فقد قال :﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] بيد أنه سبحانه – إشعارا إلى أنه لا تفريق ولا فصل ولا تثليث فى التوحيد[2] بين صفات الإلوهية وصفات الربوبية ولا بين أسماء الجلال وأسماء الإكرام فقد ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] بصفتين ذاتيتيْن إحداهما صفة جلال وهي العزة والثانية وهى الحكمة صفة جلال وكمال، ومن الصفات الحاكمة لصفات الأفعال .

وهكذا كما بدأ بصفات وأسماء الجلال والإكرام معاً أو خصائص الإلوهية والربوبية معاً ختم أيضاً بالعزة والحكمة ، وهما أيضاً صفتان أو إسمان للإلوهية والربوبية معا وهذا ليس إلا إعلاماً بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين

(١) من الآية رقم (٢٤) من سورة الحشر.

(٢) كما فعل ابن تيمية في نظريته بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع متباينة.

(٣) من الآية رقم (٢٤) من سورة الحشر.

الذي لا رب غيره، فربُّ العالمين هو الله ﷻ الذي لا إله غيره، فلا فصل ولا تفريق بين الإلوهية والربوبية كما لا فصل ولا تفريق بين أسماء الجلال وأسماء الإكرام بل كل اسم من أسمائه الحسنى هو دال عليه سبحانه ذي الجلال والإكرام ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

وهكذا نجد أن صفاته العليا تدل عليها أسماؤه الحسنى، بمعنى أنه ، وإن كانت الذات غائبة في غيب الغيب وعماء العماء، إلا أنها محتجبة غيباً بالصفات العليا التي هي أيضاً بدورها محتجبة بالأسماء الحسنى المحتجبة أيضاً بآيات الله تعالى الكونية المحتجبة بدورها في الخلق والتي يمكن للمؤمنين بالتأمل في ظواهر الكائنات أن يشهدوها كل بقدر نور بصيرته، فأعين الرأس تبصر الكائنات وظواهرها والبصيرة هي التي تشهد الآيات ويرتقي السالك في الشهود من الآيات إلى معاني الأسماء الحسنى فإذا استمر في عروجه يشهد صفات أفعاله سبحانه في كل شيء فلا يرى فاعلاً في الكون غيره سبحانه وحينئذ يكون قد شهد حضرة الربوبية التي بعروجه منها وتجاوزه حجبها يمكن أن يرتقي إلى صفات الجلال التي هي مجلى الذات العلية ، ليس بمعنى معرفته لها، حاشا وكلا ، ولكن بمعنى أنه لم يعد يحجبه عن الذات العلية المقدسة إلا تجليات صفاته العليا وأنوارها.

فصفات الجلال صفات ذاتية لله ﷻ، ولا منتهى لصفاته الذاتية القائمة به سبحانه، فهو الرحمن: الرحمة صفته الذاتية الجلالية التي لا منتهى لها فتسع كل شيء، وهو رحيم بعباده بصفة فعل إكرامية يرحمهم بها فهذه صفة فعل له سبحانه بمشيئة ورسوله ﷺ رحمته المهداة لعباده المؤمنين فهو رحمته المخلوقة للمخلوقين المستحقين لها، والجنة أيضاً مفعُول هذه الرحمة ومجلى ومظهر لاسم الرحيم، والرحيم صفة من صفاته الفعلية كسائر أفعاله الإكرامية والجنة مخلوقة ومفعولة له سبحانه بمقتضى اسم الرحيم وأسماء أخرى وبموجب صفة الرحمة والكرم والبر والمغفرة والعفو.

قال سيدي الإمام أبو العزائم ﷺ (إن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه، ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه) يقصد الإمام أن هذا بموجب أسمائه التي هي له لقوله: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾(١) فهذه أضافها إلى نفسه ثم يقول في المقابل (وأما العذاب والعقوبة فإنما هي من مخلوقاته ولذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه، وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ ﴾ (٢) فلم يقل وأنا المعذِّب بالعذاب الأليم.

وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) ومثلها في آخر الأنعام، فما كان مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها أما ما كان بفعله وخلقه سبحانه فإنه كائن بإرادته سبحانه وإذا شاء سبحانه أبقاه بإرادته وإذا شاء أبقاه أي ما كان مقتضى صفاته الذاتية فهو دائم بدوامه سبحانه وما كان بصفات أفعاله فهو قائم بمقتضى مشيئته ، ومن ثم ، إذا شاء أبقاها وأدامها وإذا شاء أفناها.

وسواء الذي هو مقتضى صفات ذاته سبحانه كالرحمة والرأفة والرضوان أو مقتضى صفات أفعاله كالجنة في الآخرة والنعم الإيمانية التي لا تعد ولا تحصى في الدنيا وأولها النور الذي جاءنا منه سبحانه والروح الذي هو منه أيضاً سبحانه أو التقوى وكل ما يوصل العبد إلى نيل رضوانه ﷻ أم الذي هو بمقتضى أفعاله كعذاب النار في الآخرة للكافرين وابتلاءاته وفتنته التي يبتلى العباد بها وكالعذاب الدنيوي في الدنيا على الذنوب والمعاصي وكذلك ما يرزق

---

(١) من الآية رقم (١٨٠) من سورة الأعراف.
(٢) الآية رقم (٤٩ ، ٥٠) من سورة الحجر.
(٣) الآية رقم (٩٨) من سورة المائدة.
(٤) من الآية رقم (١٦٧) من سورة الأعراف .

به العباد والنصر الذي يحققه لهم على أعدائهم والصبر الذي يجدونه من أنفسهم على المكروه والطاعة والشكر الذي يؤدونه له سبحانه على نعمه وبكلمة واحدة الحسنة أو السيئة، وكل ما للعباد فهو منه سبحانه سواء هذا أو ذاك فهي جميعاً من الله قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) فكل ما ينفع الإنسان جميعا من الله إلا أن الحسنة من الله ﷻ والسيئة من العبد كذلك الخير من الله والشر من العبد، أذن الله تعالى بوقوعه، أي الشر، بين العباد منهم وعليهم ابتلاء لهم، فقط السيئة والشر من أنفسهم، فالشر في مفعولاته ومخلوقاته سبحانه، وليس من صفاته ولا من أفعاله ولا من أسمائه قال رسول الله ﷺ (والشر ليس إليك) قال سيدنا الإمام أبوالعزائم ﷺ في شرح هذا الحديث (ولم يقف على المعنى المقصود من قال: الشر لا يُتقرَّب به إليك. بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يُحمد عليها ويثنى عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليه ؟ بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله، وأما المفعول المخلوق ففيه الخير والشر، وإذا كان الشر مخلوقا منفصلا غير قائم بالرب فهو لا يضاف إليه، وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر، حتى يُطلب تأويل قوله، وإنما نفى إضافته إليه: وصفا وفعلا واسما، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها، وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها ، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه، ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبة، وهي ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبادته، وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها، وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق، فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب، وجعلت وسيلة إليه، فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت

---

(١) الآية رقم (١٣) من سورة الجاثية.

وتلاشت، وعاد الأمر إلى الخير المحض) [1] وهذه النتيجة دليل عند الإمام على بقاء الجنة وفناء النار، لأن الجنة متعلقة برضوانه ورحمته وكرمه وهي صفات ذاتية أي قائمة به سبحانه فلا منتهى لها. وما كان متعلقا بها لا نهاية له دام أيضا بلا نهاية له.

أما النار فهي حسب قول الإمام فمتعلقة بفعله سبحانه وفعله بإرادته، وهو فعَّال لما يريد إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها بعد أحقاب حسب مشيئته سبحانه، ومن ثم يرجح الإمام فناء النار، وبقاء الجنة خالدة أبداً وأهلها خالدون فيها أبداً، وساق على هذا أدلة كثيرة، وليس هذا موضوعنا، ولكن موضوعنا هو أن النور من الله والرحمة من الله والسلام من الله وكل ما هو من الله ﷻ هو بمقتضي صفاته الذاتية وكل ما يصل إلى العباد منها هي منه ﷻ أي بفعله وبخلقه، وخلقه وفعله يتم بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [2] وفعله أي قوله قائم بذاته وهو قوله تعالى "كن" لمقتضي إرادته وكذا بمقتضى علمه وقدرته سبحانه لما يكون عليه هذا الشيء أما مفعول قوله تعالى " كن" فهو المخلوق أو الشيء الذي يصل إلى المخلوق عطاءً وهو بهذا المعني من الله ﷻ فليس الخير أو النعمة أو البركة أو السلام أو العلم أو النور أو الروح المعطى من الله تعالى للعباد من ذات الله ﷻ لأنها جميعا بمقتضي الصفات والأفعال ، فتكون بهذا المعنى وهذه الدلالة من الله ﷻ أي من فعله وخلقه بموجب صفاته و عطاءات أسمائه سبحانه وليس من ذاته ﷻ وتعالى الله سبحانه وتقدست ذاته أن يخرج منها شيء أو يدخل فيها شيء، فكلمته سبحانه غير ما يتم بها إذ يتم بها المخلوق أو المفعول أو المجعول وفي الحديث القدسي "خلقي كلام وعطائي كلام " وعيسي كلمة الله أي مفعول الكلمة ومخلوق بالكلمة وليس هو الكلمة الإلهية فقول الله له " كن" هذا القول

(١) انظر كتاب الخلاف فى أبدية الجنة والنار لسيدي الإمام المجدد محمد ماضي أبو العزائم .
(٢) الآية رقم (٨٢) من سورة يسن.

فعل للخالق ﷻ، به يكون الكائن بعد أن لم يكن ، وكذا آدم وسائر خلقه سبحانه.

فعيسي عليه السلام مخلوق بالكلمة الإلهية وليس هو الكلمة فهو من الله على سبيل الخلق (قال العتابي لأبى قرة النصراني عند المأمون: ما تقول في المسيح ؟

قال: من الله،

قال: " أولاً " البعض من الكل على سبيل التَّجَزُّءْ، و "ثانياً " الولد من الوالد على طريق التناسل، و" ثالثاً " الخل من الخمر على وجه الاستحالة، و" رابعاً " الخلق من الخالق على جهة الصفة، فهل من معني خامس ؟

قال: لا، ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول ؟

قال: "أولاً " الباري لا يتجزأ ، و"ثانياً" لو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهَلُمَّ جرا ، و"ثالثا" لو إستحال فسد، والرابع مذهبنا وهو الحق) [1] أي أن عيسي من الله تعالى خلقا على سبيل الصفة ومن عطاءات أسمائه الحسنى.

وهو ما أقول أن رسول الله ﷺ نور من الله تعالى على سبيل الصفة لأن من أسمائه الحسنى النور، وأسماؤه الحسنى مفاتيح كنوزه فَمَنَّ الله تعالى باسمه النور على رسوله ﷺ فجعله نورا كما مَنَّ عليه باسميه الرحمن والرحيم فجعله رحمة للعالمين كل بمقتضي اسمي النور والرحمنّ ومَنَّ عليه ﷺ بعطايا أسمائه الحسنى كلها كما لم يعط مخلوقاً آخر، فهو نور من الله سبحانه وتعالى وليس من ذاته جل وعلا لأنه نور منه بموجب اسمه النور سبحانه وتعالى من الله خلقاً على سبيل الصفة، وليس من ذاته ﷻ على أي سبيل آخر من هذه السبل التي ذكرها ألعتابي وكلها سبل شركية إلحادية، ماعدا القول بأن الخلق من الخالق سبحانه على سبيل الصفة. وهذا جوهر التوحيد الإسلامي وما به ندَين ونقابل ربنا ﷻ.

---

(١) عن كتاب دستور أداب، السلوك إلى ملك الملوك للإمام أبى العزائم صـ١٠٨.

الفصل الحادي عشر

دلالات عبارة (من الله) في القرآن الكريم

حان أوان استعراض بعض هذه المواضع التي وردت فيها عبارة (من الله) لنتأكد أنه ولا واحد من هذه المواضع يدل على أن عبارة (من الله) تعني (من ذات الله ﷻ):-

وما يلى أهم المواضع التى وردت فيها عبارة (من الله) :-

١ – قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (١) الغضب من الله ﷻ متعلق بفعله سبحانه بالمغضوب عليهم وهو إرادته تعذيبهم، وليس متعلقاً بذاته ﷻ ،لأن الذي باء به بنوا إسرائيل هو المفعول المتمثل في ضرب الذلة والمسكنة عليهم وحرمانهم من رحمته ﷻ وتحريم الجنة عليهم ودخولهم النار في الآخرة، فغضب الله تعالى هو إرادته سبحانه إبعاد المغضوب عليهم عن رحمته وتعذيبهم في الآخرة.

٢ – قوله سبحانه للنبي ﷺ: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾(٢).

الولي والنَّصير من الله أي إرادته سبحانه العناية بهم ونصرهم على أعدائهم بتحقيق أسباب النصر لهم، أو نصرهم بدون أسباب إذا شاء، لأنه سبحانه فعَّال لما يريد بالكيفية التي يشاؤها ﷻ والآية تثبت سُنَّة الله ﷻ فيمن يتبع أهواء المشركين من المسلمين وهي حرمانهم من عنايته ونصره لهم سبحانه ، والخطاب موجه للنبي ﷺ بلاغاً للأمة وتأكيداً لهذا الحرمان لمن يتبع أهواء هم حتى ولو كان رسوله ﷺ، وحاشا له ﷺ من ذلك، فنصر الله عباده المؤمنين وتوليهم، ليس

(١) من الآية رقم (٦١) من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم (١٢٠) من سورة البقرة.

من متعلقات ذاته وإنما هو من متعلقات صفات الأفعال أي من أفعال الربوبية بأسماء الإكرام قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١) تدبيرا وإمداداً وخلقا، وكلها من معطيات أسماء الأفعال التي هي أسماء الإكرام، فالإمداد الإلهي بالنصر هو خلق الله تعالى لأسبابه على سبيل الصفة.

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢) هذه الآية الكريمة ترد على أهل الكتاب من يهود المدينة بصدق النبوة المحمدية، وأنه ﷺ سيأتي بالحنيفية التي كان عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام، والذين جاءوا من بعده من رسل وأنبياء بني إسرائيل، فمعنى قوله تعالى: ﴿شَهَادَةً عِندَهُ﴾ أي في الكتب التي عند أهل الكتاب ودلالة عبارة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي الشهادة التي جاءتهم من الله في كتبهم: التوراة وكتب الأنبياء من بعد سيدنا موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام، فكلها جاءت لأهل الكتاب من الله عز وجل وحْياً، وكلَّم الله تعالى موسى عليه السلام من وراء حجاب تكليماً قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٣)

فالكتب التي (من الله) وتحمل وتتضمن شهادة من الله تعالى بصدق الرسول ﷺ أوحى الله بها إلى الملائكة لينزلوها على النبيين والرسل فهي منه تعالى على سبيل صفة الفعل وهي قوله وكلامه سبحانه وأمره سبحانه وتعالى وحياً للملائكة ثم وحياً منهم للأنبياء.

والقرآن الكريم كلام الله تعالى وقوله سبحانه وهو من هذا الوجه غير مخلوق لأنه قوله عز وجل وهو له سبحانه وهو إيحاؤه لجبريل عليه السلام ليبلغه للنبي ﷺ

---

(١) الآية رقم (١٠) من سورة الانفال.

(٢) الآية رقم (١٤٠) من سورة البقره.

(٣) الآية رقم (٥١) من سورة الشورى.

فيوحيه إليه بإذن الله ﷻ فالقرآن من الله تعالى أيضاً لأنه كلام الله الذي قاله سبحانه قولاً،لأنه سبحانه يتكلم بما يشاء لمن يشاء كما يشاء، وقوله الحق عالم الغيب والشهادة وقد أنزل سبحانه القرآن بعلمه على رسوله ﷺ، وليس لأحد أن يسأل عن كيفية كلامه سبحانه لموسى أو كلامه بالقرآن وإيحائه به لجبريل أو لغيره من الملائكة،فهو سبحانه كما أخبرنا يوحي بكلامه ورسالاته روحاً من أمره عن طريق الملك لرسل البشر، فالقرآن وكل ما قاله الله ﷻ ويقوله هو من الله فعل له ليس مخلوقاً لأنه متعلق به سبحانه قولاً منه فهو من الله ليس بمعنى أنه من ذات الله،ولكن منه على سبيل صفة الفعل له سبحانه ،هذا من حيث تعلقه به سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[1].

أما من حيث تَعَلّق القرآن الكريم بالمتلقي له سواء جبريل أو النبي أو المؤمنين فهو من هذا الوجه مُتَلَقَّى بالسمع فهو مسموع، ومقروءٌ متعلق بالصوت، ومَتْلَوٌّ ومكتوب في المصاحف وهذه كلها من أفعال العباد وأفعال العباد من خلق الله ﷻ ومن ثم فهو من الله بعلمه وعلمه سبحانه غير مخلوق وقولاً منه سبحانه فعلاً ذاتياً غير مخلوق، وإنزالاً وبياناً وكتابة وقراءة وتلاوة من هذا الوجه مخلوق لله تعالى لأنه هو وحده خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد المخلوقة لله ﷻ، فهو من الله ﷻ بهذا كله، وقول الله تعالى أو كلامه سبحانه – وإن كان فعلاً له سبحانه، إلا أن نتيجة ومفعول الكلام الإلهي الذي يتكلم به ﷻ أي مفعول فعل القول ليس من ذاته سبحانه على سبيل الفيض،حاشا له ﷻ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإنما هو منه بمعنى أنه من أفعاله التي هي من حضرة الإلوهية وتجليات أسماء الجلال والكمال، والتي هي غير أفعاله فيما سواه التي – أي هذه الأخيرة – من حضرة الربوبية وعطاءاتها بأسماء الإكرام. وحيث المفعول غير الفعل والفعْل غير الفاعل فإن المفعول مخلوق فالقرآن المقروء والمسموع والمدون والمتلو من العباد مخلوق، أما القرآن

---

(١) من الآية رقم (١٦٤) من سورة النساء.

الكريم المتعلق به سبحانه والذي هو كلامه وقوله من حيث أنه سبحانه متكلم به فهو غير مخلوق.

ومن ثم فهو من الله تعالى والتوراة من الله تعالى وكل الكتب المنزلة من الله تعالى غير مخلوقة من وجه ومخلوقة من وجه لأن لها طرفين طرفها الأول بيد الله ﷻ وطرفها الثاني بأيدي المؤمنين. الأول غير مخلوق والثاني مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة لله ﷻ ومن ثم فالكتب الإلهية كلها من الله ﷻ وما تتضمنه من علوم ومنها الشهادة بصدق النبوة المحمدية من الله ﷻ بهذا المعنى ، ولا يدل قوله تعالى: ﴿شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] على أنها من ذاته ﷻ، بل هي من منه قولاً على سبيل الصفة وهي صفة الكلام وما قيل في هذا البند رقم (٣) يقال في البنود (٤)،(٥)،(٦)،(٧) والمتمثلة في الآيات التالية:-

٤ – وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[2] وسبق بيان أن قوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ لا يعني من ذات الله بل هذا هو الموضوع الرئيسي لهذا الفعل وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي (من الله كتاب مبين) فالكتاب هو القرآن الكريم ويقال فيه ما قيل في البند السابق من حيث أن القرآن كلام الله أو قوله وهو فعل له سبحانه فهو غير مخلوق وهو منه.

٥ – ومثلها قوله تعالى : ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3] فالكتاب من الله جاء فعلاً ذاتياً له من تجليات أسماء الجلال والكمال وحضرة الإلوهية ومن هذه الأسماء العزيز فجاء الكتاب عزيزاً لا يأتيه الباطل وعزيز على منتقديه أن يجدوا فيه اختلافاً أو خطأ أو تعارضاً لأنه نزل بعلم الله وهو الحق.

---

(١) من الآية رقم (١٤٠) من سورة البقرة .

(٢) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة.

(٣) الآية رقم (٢) من سورة غافر.

٦ – ومثلها قوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١] أي نزل بصفة العزة والحكمة بالإضافة إلى صفة العلم إذ الكلام يحمل صفات قائلة سبحانه.

٧ – وهي أيضاً قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢].

٨ – أما قوله ﷻ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣] أي سيخلقه الله تعالى بأمر منه سبحانه فيخص خلقه بأمره بالكلمة التكوينية (كن) ليولد من أب شيخ كبير وأم عجوز عاقر، فيحيى عليه السلام هو مفعول الكلمة، وليس هو الكلمة، وإنما هو بالكلمة فالكلمة الإلهية فعل له سبحانه بعلمه القديم وبإرادته وقدرته فهي غير مخلوقة أما منتوجها وهو يحيى فهو مخلوق بكلمة من الله أي أنه من الله تعالى خلقاً على سبيل الصفة.

٩ – أما قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٤] العاصم هو المانع ومعنى ﴿مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي ما لكم مانع يمنعكم من عذاب يوم التناد الذي ستولون مدبرين منه لأن الحماية والنجاة والإنقاذ والأمان من الله سبحانه، وكلها مفعولات لله ﷻ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٥] فالعاصم من الله للعباد من خلقه وفعله على سبيل صفة الفعل.

---

(١) الآية رقم (٢) من سورة الجاثية.

(٢) الآية رقم (٢) من سورة الأحقاف.

(٣) الآية رقم (٣٩) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٣٢،٣٣) من سورة غافر.

(٥) الآية رقم (٤) من سورة قريش.

١٠ – ومثلها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾ (١) والمعنى: مالك ما يقيك من عقاب الله ﷻ هذا بالطبع لو اتبع رسول الله ﷺ أهواء الكافرين وحاشا لله ولرسوله أن يفعل، والله هو الواقي من أي ضُرٍّ يتعرض له عباده، ولا يوجد واقي من عقاب الله ﷻ وعذابه إلا عفوه ﷻ وغفرانه، ويمكن القول أن الله ﷻ هو الواقي ومن ثم يمكن القول أن اسم الواقي يمنع الله به و يعصم الله ويقي الله عباده السوء بإذنه.

فالذي يُتوقَّى منه والذي يُعصَم منه في آيتيْ غافر والرعد هو عذاب الله ﷻ وعذابه هو مفعُول غضبه وسخطه وانتقامه وعدله وعزته ووقايته مفعول مغفرته ورحمته ورضاه.

١١ – قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وقال أيضاً سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

العلم الذي يتعلمه العبد هو من الله ﷻ لأن الله تعالى هو الذي علم الإنسان بالقلم على الحقيقة أما المعلم فتعليمه لتلاميذه بالقلم على المجاز لأن الله تعالى هو خالق العباد وأفعالهم قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾(٤) وقال تعالى عن رد الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(٥) ولا يُشتق من هذا الفعل المنسوب لله تعالى بتعليم خلقه اسماً فلا يقال إنه المعلم لعدم ورود الاسم والأسماء توقيفية أي لا

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة الرعد.

(٢) الآية رقم (٨٦) من سورة يوسف.

(٣) الآية رقم (٩٦) من سورة يوسف.

(٤) الآية رقم (٣، ٤) من سورة العلق.

(٥) الآية رقم (٣٢) من سورة البقرة.

تؤخذ إلا من الكتاب والسنة، فدلالة عبارة يعقوب عليه السلام (وأعلم من الله) أي بإخبار من الله عن طريق الوحي أو رؤيا صادقة وهي للأنبياء وحي، فهو تعليم من الله بالبلاغ عن طريق الوحي، فهذا من الله على سبيل الصفة.

١٢ - ومن قول يعقوب عليه السلام أيضاً في سورة يوسف: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(١) ودلالة (من روح الله) أي من فرج الله ورحمته واستجابة الدعاء ورفع الضر وهي بالنسبة ليعقوب إعادة ولديه إليه، وهذا من صفة الفعل ومن مقتضيات أسمائه سبحانه الرحيم الحنان الودود العزيز الحكيم اللطيف، فالروْح من الله عطاءات هذه الأسماء جميعاً.

١٣ - قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

١٤ - وقوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

١٥ - وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا﴾(٤).

١٦ - وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٥).

١٧ - وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾(٦).

---

(١) الآية رقم (٨٧) من سورة يوسف.

(٢) الآية رقم (١٧١) من سورة آل عمران.

(٣) الآية رقم (١٧٤) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٧٠) من سورة النساء.

(٥) الآية رقم (٧٣) من سورة النساء.

(٦) الآية رقم (٥٩) من سورة التوبة.

١٨ – وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (١).

١٩ – وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (٢).

الفضل من الله والنعمة من الله عطاء لعبيده الذين يحبهم والذين لا يحبهم إلا أن النعمة من الله لكل الخلق ولكل الناس مؤمنين وكافرين.

أما الفضل فهو للمؤمنين بخاصة. والنعمة مفعول أسمائه الحسنى: المنعم الرازق الرزاق الكريم النافع الغني المغني القدير، والنعمة والفضل من الله أي من خزائن رحمته التي مفاتيحها أسماء الأفعال السابق ذكرها وغيرها. والفضل نعمة زائدة عن الحاجة فهي من الله ليست من ذاته سبحانه و تعالى ولكنها منه سبحانه خلقاً وعطاء على سبيل الصفة.

٢٠ – وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣).

فالجنة التي هي رحمة الله وفضله للعباد أي هي عطاء من الله بأسمائه المنّان الرحيم الكريم الغني الخالق وغيرها من أسماء الإكرام هي من عند الله، أما الرضوان فهو من الله تعالى، بفعل ذاتي منه وصفة ذاتية له.

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (٤) فهو صفة فعل ذاتية لله ومن ثم فهو أكبر من الجنة، أي أن فوز العبد برضوانه تعالى أكبر وأعظم من فوزه بالجنة، لأن الرضوان صفة فعل للذات العلية المقدسة والجنة من صفات

---

(١) الآية رقم (٤٧) من سورة الأحزاب.

(٢) الآية رقم (٥٣) من سورة النحل.

(٣) الآية رقم (١٥) من سورة آل عمران.

(٤) من الآية رقم (١١٩) من سورة المائدة.

أفعال الربوبية فالجنة مخلوقة ومفعولة أما رضوان الله تعالى فصفة ذاتية له وما كان من صفته الذاتية فهو باق دائم ببقائه ودوامه سبحانه وما كان مخلوقاً بصفات الأفعال أو الإكرام، فهو دائم باقي بمشيئته ﷻ أو فاني هالك بمشيئته، أي إن شاء أبقاه أبداً، وإن شاء أهلكه، أما رضوانه سبحانه فهو باق ببقائه ﷻ .

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (١).

ويتمثل رضوان الله على عباده، ليس في إدخالهم وتوريثهم الجنة فحسب، بل وفي دوامها وخلودهم فيها أبداً، إذ ثمَّ فرق بين ما هو باق ببقائه سبحانه وما هو باق بمشيئته ﷻ.ومن ثمَّ كان الفوز برضوان الله تعالى أكبر من الفوز بالجنة قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

فتدبر قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ لتعلم أن رضوانه أكبر من الجنة بيد أن الفوز بالجنة والفوز بالرضوان معا هما الفوز العظيم.

٢١ – وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣).

فإذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿ رِضْوَانَ اللهِ ﴾ لوجدنا أنه سبحانه أضاف الرضوان إليه في حين قال تعالى عن السخط ﴿ بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ ﴾ فلم يضفه إليه سبحانه كالرضوان وإنما جعله من أفعاله في المغضوب عليهم. وذلك لأن

(١) الآية رقم (١٠٨) من سورة هود.

(٢) الآية رقم (٧٢) من سورة التوبة.

(٣) الآية رقم (١٦٢) من سورة آل عمران.

الرضوان فعل نفسي ذاتي له ﷻ والسخط من أفعاله في خلقه متمثلة في العذاب والنكال للذين يبوؤن بسخط منه سبحانه ولذا لا يصح منا القول (بسخط الله) بل الصحيح القول (بسخط من الله).

وعلى هذا فإن تفسير قوله تعالى:﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

هو من الله تعالى على سبيل التجلي باسمه تعالى (النور) وليس معناه أنه من نور ذاته سبحانه وتعالى وإنما هو ﷺ نور منه بمعنى أنه من عطاء الله تعالى النور له ﷺ فنوره ﷺ أو ذاته النورانية ليست فيضا من ذاته ﷻ كما يتوهم الخاطئون سبحانه تقدست ذاته وجلت صفاته وتباركت أسماؤه وتعالى سبحانه عما يتوهم المتوهمون وعما يقول الظالمون علوّاً كبيرا فهو سبحانه جل وعز وتقدس وتعالى عن أن يخرج من ذاته شيء أو يدخل فيها شيء من الأغيار والسِّوَي.

فالنبي ﷺ نور من الله تعالى، ليس بمعنى نور من فيض ذاته بل بمعنى نور من فيض اسمه النور واسمه العليم واسمه الرحمن واسمه الرحيم واسمه الأول واسمه الآخر واسمه الرءوف واسمه الودود وهكذا هو ﷺ الفرد الذي مَنَّ الله تعالى عليه بفيض سائر أسماء الجلال والجمال والإكرام ﷺ كما لم يفض سبحانه بها على مخلوق غيره ﷺ.

وبناء على كل ما سبق فإن تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ بأن النور هو رسول الله ﷺ لا يعني أنه جاء من ذاته سبحانه حاشا وكلا بل بمعنى أنه من الله تعالى عطاء من فيوضات أسمائه أي بعطاء أسماء الجلال والجمال والإكرام وأول هذه الأسماء اسمه تعالى النور، كما أن كتابه سبحانه المبين من فيوضات أسمائه العليم النور الهادي الرشيد البصير السميع العزيز الحكيم وسائر أسماء الجلال والإكرام والكمال وبصفته متكلما

---

(١) من الآية رقم (١٥) من سورة المائدة .

سبحانه بما يشاء جل الله وتعالى وعز وتقدس أن يخرج من ذاته شيء أو يكون من ذاته في أحد من خلقه شيء أو يكون في ذاته من خلقه شيء .

تقدست ذاته وجلت صفاته وتباركت أسماؤه وتعالى سبحانه عن الشريك وتَنَزَّه في كماله عن المثيل والشبيه والبديل والنظير والمشير وعن الحد والقد وعن الحصر والعد وعن الجوْز والفرد وعن المواصلة والمفاصلة والمماثلة والمشاكلة والمجالسة والملامسة والمباينة والممازجة وعن الند والضد والكفء وعن الحلول بسواه أو الإتحاد بغيره أو التوحد بأحد من خلقه أو بكل خلقه تعالى الذي أرسل حبيبه رحمة للعالمين وسراجاً منيرا لقلوب المؤمنين وسراجا سارياً في أرواح الصالحين ونورا أهداه للخلق رب العالمين فمن أصابه هذا النور اهتدى ومن أخطأه ضل ومن أنكره صار من الزائغين وصدق حبيبه ﷺ إذ قال: (هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون) [١].

❀❀❀

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٤٨٢٣ من الأحنف بن قيس عن عبدالله .

الباب الثامن
الحقيقة الأحمدية فى الأناجيل

الفصل الأول :-

الروح الأقدس فى الأناجيل النصرانية.

الفصل الثانى :-

النور الأحمدى أو الروح فى إنجيل يوحنا.

الفصل الثالث :-

روح الله أبو المؤمنين ﷺ الذى فى السماء فى أنجيل متى.

الفصل الرابع :-

الروح الساكن فى المؤمنين هو صاحب الشفاعة العظمى ﷺ فى رومية.

الفصل الخامس :-

الروح هو رسول الله ﷺ فى إنجيل المسيح عليه السلام برواية برنابا رضي الله عنه .

الفصل الأول

الروح الأقدس فى الأناجيل النصرَّانية

ما من نبى رسولا كان أم غير رسول، من أولى العزم أم من غيرهم، مهما كانت رسالته، ومهما كان كتاب النبى كبيرا أم صغيراً، إلا ولابد أن يُحدِّث كتابُه قومه وأمته عن سيدنا رسول الله ﷺ ، وهذا مصداق وتنفيذ للعهد الذى أخذه الله تعالى على النبيين أن يؤمنوا به وأن ينصروه لدى أقوامهم وأممهم وهو قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾.

ومن ثم فإنه مما لا شك فيه ورود ذكر أخبار الرسول النبى الأمى الخاتم فى التوراة وأسفار أنبياء بنى إسرائيل وإنجيل المسيح عيسى بن مريم عليهم جميعا الصلاة والسلام ، بل وفى كل كتاب نزل على رسول من الرسل أو نبيٍّ من الأنبياء.

وهذا ما ثبت بالنصوص الصريحة فى الكتب التى نزلت على بني إسرائيل وقد كُتِبَتْ فيه المجلدات قديما وحديثا. وهذا ليس هو موضوعنا،وإنما موضوع هذا الباب هو ذكره ﷺ فى هذه الإسفار وبالأحرى فى النصوص الصحيحة المتبقية من هذه الإسفار، ليس بوصفه رسول الله الخاتم فحسب، بل بوصفه النور الأحمدى الذى هو الموضوع الرئيسى لهذا الجزء من هذه الموسوعة.

وقد ثبت لنا بالكتاب والسنة أن النور الأحمدى هو الروح الكلى، وهو الروح القدس وهو النور الذى جاءنا من الله ﷻ باعتبار أن ذاته الأحمدية سراج منير لعالم الملكوت كما أن الشمس هى السراج الوهاج لعالم الملك، وعالم الملكوت هو العالم الروحانى الملائكى فى السماوات والأرض، لأن الأرض تنزل إليها الملائكة وتعرج منها إلى السماء كما تنزل الأرواح من السماء إلى جذور

قلوب الرجال، وهى ترفع منها إلى السماء وكذلك تعرج أرواح النائمين ثم تنزل عند اليقظة، وكذلك تعرج النفوس المتوفاة بأرواحها بعد الموت. فقولنا أن النبى ﷺ أو الروح أو السراج المنير هو شمس عالم الملكوت ليس معناه أن نوره لا يطول أحياء بنى آدم المؤمنين فى الأرض، بل أنه ليس لهم من نور يضىء قلوبهم ويمد أرواحهم إلا منه، وهو نور الله فى قلوبهم مُشْرِقاً على هذه القلوب من السماء إلى هياكلهم الجسدية فى الأرض ، والمُمِدُّ لمصابيح هذه القلوب أو لأفئدتهم بالزيت أو اللب الذى تضىء به ، وتستمر فى الإضاءة، فمصابيح القلوب من عالم الملكوت لأن الروح الكلى الأقدس نوره متصل بأفئدة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والمؤمنين والمسلمين بدرجات وقوى متفاوته ومتدرجة من القوة عند النَّبِيِّين إلى أقل قُوَّة عند من يلونهم حتى يصل إلى النور الأقل عند المسلمين، ومن ثم فإمداده مصابيح الأفئدة بالطاقة يعني أنه فيهم كما ثبت لنا هذا بصريح الكتاب وصحيح السنة، وهو فى نفس الوقت سراج عالم الملكوت فليس عالم الملكوت فى السماء فقط ، كما قد يظن البعض، بل هو فى السماء والأرض لأن الروح ومدده من عالم الملكوت وهو فى الجسد الآدمى للمؤمن فى الأرض قال تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ الأنعام / ٧٥ ومن ثم فملكوت الله فى السماوات والأرض وليس فى السماوات فقط وكذلك عالم الملك.

كذلك نُذَكِّر بأنه قد ثبت لنا أن الشفيع يوم الدين هو رسول الله ﷺ وحده دون سائر الخلائق فهو صاحب الشفاعة العظمى، وعلمنا أن الإشارة إلى أنه لن يتكلم يوم الدين أحد غيره من الخلائق ولن يستطيع سواه أن يتقدم لله تعالى للشفاعة حسب آيات سورة النبأ ﴿.. **الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾ النبأ/ ٣٧-٣٨.

فقوله تعالى ﴿.. **الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾ أى أهل الموقف يوم الحشر أى كل الآدميِّين مؤمنهم وكافرهم، وذلك اليوم سيكون الروح والملائكة صَفًّا لا يتكلم أحد منهم إلا واحد أى من (الروح والملائكة) هو الذى سيأذن الله تعالى له وحيث أن الآدميّين فى هذا اليوم قد سبق ذكرهم بأنهم جميعا لا يملكون

من الرحمن خطابا، فإن الذى سيأذن الله تعالى له بالكلام مُتَشَفِّعاً لا يكون فى هذا اليوم فى صفوف الآدميِّين لكن يكون فى الذين قال عنهم الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا..﴾ وجميعهم لا يتكلم باستثناء واحد منهم، أى من الروح والملائكة وحيث أنه من الثابت المتواتر المعلوم من الدين بالضرورة أن الشفيع هو سيدنا رسول الله ﷺ وأنه ليس من جنس الملائكة ﷺ، فإنه يكون هو الروح وقد أثبتنا هذا من قبل بيد أن هذه التذكرة هامة لإثبات الصلة الوثيقة بين الروح الكلى الأعظم والشفيع الأعظم وهما اسمان لرسول الله ﷺ أى أن الروح الكلى الأقدس هو الشفيع الأعظم يوم القيامة وهو هو رسول الله ﷺ المرسل من الله رحمةً للعالمين.

وهذه الحقيقة سنقرأها واضحة فى نصوص واردة فى إنجيل يوحنا بالرغم من أنه من الأناجيل المحرفة التى يعتمدها النصارى حتى اليوم إلا أن هذه النصوص الناجية من التحريف تثبت بصراحة وبوضوح أن الذى سيأتى بعد عيسى وسيكون خيرا منه هو الشفيع وهو الروح أيضا، ومن ثم فبشهادة نصوص إنجيل يوحنا هو ﷺ الشفيع والروح، كما سنرى هذا بعد.

كما تضمنت بعض الأناجيل الأخرى المحرفة بعض النصوص الدائرة فى فلك هذا الموضوع.

أما إنجيل برنابا الذى أوقن أنه الإنجيل الصحيح فقد تضمن من هذه النصوص الخاصة بالحقيقة الأحمدية المحمدية المحمودية نصوصا كثيرة تتحدث عن النبى ﷺ أحمديا ومحمديا كما سنرى هذا بعد بعون اللهو وفتحه وتوفيقه وتيسيره.

❁❁❁

الفصل الثانى

النور الأحمدى أو الروح فى أنجيل يوحنا

إن من أهم ما يخبر به الرسل والأنبياء السابقون أممهم هو يوم الدين لأنه الركن الخامس من أركان الإيمان ومن ثم لابد أن تتضمن رسالاتهم الحديث عن رسول الله ﷺ باعتباره صاحب الشفاعة العظمى، جاء فى أنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام لحوارييه والمؤمنين به (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعَزِّياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم / يوحنا ١٤ : ١٦ – ١٨).

وما يمكن أن نستنبطه من هذا النص مايلى :-

أولاً :-

فى هذا النص يصرح المسيح عليه السلام أنه يدعو الله عز وجل أن يرسل لهم مُعَزِّيًا آخر غيره سيكون هو الخاتم لأن ما سيأتى به من عند الله تعالى، سيستمر فى الدنيا إلى نهايتها بدليل قوله : (ليمكث فيكم إلى الأبد) ثم قوله (لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم) فهو معهم وفيهم فى نفس الوقت، فيلزم من هذا أن دلالة فيكم غير دلالة معكم، وهذا هو بالضبط وبالحرف ما نزل فى كتاب الله عز وجل بقوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ..** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ..** ﴾ وغيرهما، وكذلك قوله تعالى ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ..** ﴾.

ثانياً :-

فقد سماه روح الحق الذى لن تقبله الدنيا لأنها لا تعرفه، بعكس المؤمنين بالله أمثال الحواريين وهم قلة والذين آمنوا بما جاء به المسيح عليه السلام فهم يعرفونه، والمعنى أنهم لن يقبلونه على الفوز، وإنما سيقبله العالم كله فى آخر عهد أمته.

ثالثاً :-

فقوله ﷺ معللا قبول المؤمنين له وإيمانهم بهذا الذى سيرسله الله تعالى من بعده بأنه ماكث معكم، أى مع كل المؤمنين الذين سيكونون فى عصره طبعا وبعد عصره وإيمانهم كإيمان الحواريين، والأهم من هذا كله قوله ﷺ (ويكون فيكم) أى أن هذا الذى أطلق عليه مُعَزِّيا هو فى المؤمنين وهذا حق لأنه منفوخ منه فيهم كما علمنا، علاوة على كونه معهم.

وثمَّ مواضع أخرى ورد فيها اسم المعزى عند يوحنا يجب علينا الرجوع إليها منها قول المسيح ﷺ (لكنى أقول لكم أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزِّى / يوحنا : ١٦ : ٧) يقصد بالانطلاق الرحيل عن هذه الدنيا، لأن المعُزِّى لن يأتى الا بعد رحيله، ومن ثمَّ فإن هذا المعزى للمؤمنين ولسائر الناس الباحثين عن الحقيقة والحق هو خير من المسيح نفسه وأنفع لهم، ومن ثم فمقامه عند الله تعالى أعلى وأكرم. بدليل قول المسيح أنه من الأفضل لهم أن ينطلق هو من هذه الدنيا ليفسح المجال للمعزِّى إذ أننى (إن لم انطلق، لا يأتيكم المعزّى) وهذا تبشير بمن سيأتى من بعده، وحيث أن المعزى خير لهم وللمؤمنين من المسيح وما جاء به فسينطلق من هذه الدنيا حتى يأتى كما قال المسيح لأتباعه أيضاً عن المعزِّى (إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن / يوحنا ١٦ : ١٢) أى أننى أعرف من الحقائق ما لو قلته لكم فلن تحتملوه ثم يردف بقوله (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية / يوحنا ١٦ : ١٣) والمعنى أن المعزِّى الذى هو روح الحق سيقول للمؤمنين هذه الحقائق ولن يضركم هذا (فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به) حقا فهو ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (٤،٣) سورة النجم . ويخبركم بأمور آتية، أى بكل ما سيحدث من بعده حتى يصير الناس إلى أبد الآبدين فى جنة الخلد أو فى

الجحيم والعياذ بالله منه وهذا هو الذى ورد فى القرآن وفى السنة عن أحداث المستقبل وأشراط الساعة.

أما قوله عليه السلام (فهو يرشدكم إلى جميع [1] الحق) فبيانه أنه ما من نبى قبل رسول الله ﷺ إلاَّ وجاء ببعض الحق بقدر ما تستوعب أمته، أما رسول الله ﷺ فقد جاء بما نزل على جميع الرسل والأنبياء قبله وزاد عليه حتى كمل الدين وأشتمل على كل الحق، وتمت النعمة الربانية على الإنسانية.

فقوله تعالى ﴿.. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**.. ﴾ المائدة/ ٣ لم يكن لنبى قبله ﷺ وفى موضع آخر قال المسيح عليه السلام عن المُعزِّى (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى / يوحنا ١٥ : ٢٦) واشم من هذا النص رائحة الدس عليه، إذ كيف يشهد المسيح عليه السلام بأن المُعزِّى الذى سيأتى من بعده خير منه للمؤمنين، وأنه يفعل ما لا يستطيع هو فعله، ويأتى بكل الحق الذى لم يستطيع أن يأتى هو به، ثم يقول أنه هو الذى سيرسله من الآب.

كيف،.. ولم لا يكون الأب الذى يعنى به الرب سبحانه وتعالى هو الذى سيرسله مباشرة، وهل المسيح يرسل ؟ ! والاضطراب الثانى فى النص قوله عن الآب (الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى / يوحنا ١٥ : ٢٦) وهذا الاضطراب بسبب إثبات أكثر من أب وهو اضطراب ظاهرى فقط ويمكن ضبطه وسأوضح تفسيره فيما بعد بإذن الله تعالى. بيد أن الذى يهمنا فى موضوعنا الحالى عن " المُعزِّىَ أنه روح الحق، والحق – كما نعلم هو الله عز وجل فهو الذى فى القرآن (روحى) و (روحه) فَيُفْهَم من عبارة " روح الحقَ " بأنه روح

(١) الصواب أن تكون الترجمة لهذا النص (كل الحق) لأن كلمة جميع فى هذا الموضع تفيد أن الحق متعدد وكثير وهذا خطأ لأن الحق واحد ولكن قد يذكر جانب منه ويخفى جانب لكن المعزى سيقول للمؤمنين كل الحق. هذا هو الوحى الخاتم كتابا وسنة.

الله ﷻ والمعزى يشهد للمسيح وهى الشهادة بأنه أخبر بنى إسرائيل أنه عبد الله ورسوله إليهم وأنه برئ من إدعاء بنوته لله ﷻ.

ولكن قبل أن نتحدث عن معنى أو دلالة اسم المعزَّى نعرض النص الأخير المذكور فيه وهو قول المسيح عليه السلام (وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب بإسمى [١]، فهو يعلمكم كل شئ ويذكِّر بكل ما قلته لكم / يوحنا ١٤ : ٢٦) وأعتقد أن يد التحريف الآثمة أضافت (باسمى) إذ كيف يرسل الرب من هو أفضل وأكرم وأحب إليه سبحانه باسم من هو أدنى ؟ !

أما قوله أنه يعلمهم كل شئ فهذا حق، وأما قوله ويذكركم بكل ما قلته فهو حق، لأن فيه تبرئه للمسيح من ادعاء النبوة لله ﷻ، وهذا ما نصت عليه بعض سور القرآن الكريم.

وأهم ما فى هذا النص أنه عرَّف المعزى بأنه " الروح القدس " وفى نصين آخرين أنه الآب روح الحق الذى ينبثق من عند الآب ، فالمعزى هو : روح الحق، وهو الروح القدس، وهو الذى ينبثق من عند الآب أى من عند الله ﷻ فما دلالة اسم المعزَّى إذن ؟!

أورد الشيخ أحمد ديدات رحمه الله تعالى فى كتاب له بعنوان (محمد ﷺ الخليفة الطبيعى للمسيح) [٢] نصّاً منقولا عن ترجمة عبد الله يوسف لمعانى آيات القرآن الكريم جاء فيه (أحمد ومحمد تعنى موضع الثناء والحمد وهى تترجم فى اللغة اليونانية دائما بكلمة بيريكليتوس وانجيل يوحنا حاليا فى الآيات (١٤ : ١٥، ١٦ : ٢٦، ١٦ : ٧) يستخدم كلمة " ComBortes " " مُعَزِّى " فى النسخة الانجليزية كترجمة للكلمة اليونانية باراكليتوس والتى تعنى : شفيع أو

---

(١) هذه مدسوسة من محرفى الانجيل.

(٢) النبى ﷺ هو الخليفة الأعظم لله تعالى والرسل والأنبياء نوابه وليس هو خليفة "للمسيح عليه السلام".

مدافع، وهو الشخص الذى يُدْعى لمساعدة آخر أو صديق رحيم أكثر مما تعنى مُعزِّى.

والأساتذة المتخصصون فى اللاهوت يقولون : " إن بارا كليتوس هى تحريف فى القراءة للكلمة الأصلية " " بيريكليتوس ". وفى القول الأصلى ليسوع المسيح فيه تنبؤ لنبينا أحمد (ﷺ) بالاسم وحتى لو قرأناها " باراكليتوس " فإنها تدل على النبى الكريم الذى كان رحيما بكل الخلائق (القرآن / الأنبياء : ١٠٧، والذى هو ﴿..بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ القرآن / التوبة : ١٢٨) [١].

والشيخ : أحمد ديدات رحمه الله تعالى يترجم كلمة المعزى بكلمة المساعد مع أن الشيخ عبد الله يوسف ترجمها بكلمة الشفيع والأقرب والأدق : الشفيع لأن الذى يُعزِّى إنسان فى مصيبة تؤلمه يسعى إلى أن يرفع عنه هذا الألم ويرده إلى حاله الطبيعى قبل المصيبة، ومن ثم الذى يشفع لإنسان عند آخر ليرفع عنه العنف والضيق الذى يسببه له هذا الآخر هو شافع لديه. فالمعزى أقرب للشافع أو الشفيع، والشفيع مساعد ولكن ليس مساعدا مباشرا بل هو يساعد بالتدخل لدى طرف ثالث هو الذى يملك رفع الضر أو جلب النفع، وعلى هذا فكلمة الشافع أو الشفيع أقرب إلى كلمة المعزِّى وأدق.

قال أحمد ديدات رحمه الله (اسأل أى دارس للمسيحية من هو المقصود بكلمة كمفورتر (المساعد) ؟ وسوف تسمع الإجابة " المساعد هو الروح القدس " كما جاء فى انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦) [٢].

ثم يعود بنا الشيخ ديدات إلى أصل كلمة الروح فى اليونانية التى ترجم منها الإنجيل فيذكر أنها " بنيوما " ومعناها النفس أو الروح أو الغاز أو الهواء،

---

(١) تعليق رقم ٥٤٣٨ من ترجمة عبد الله يوسف لمعانى آيات القرآن الكريم عن كتاب محمد هو الخليفة الطبيعى للمسيح لأحمد ديدات صـ٣٨.

(٢) نفس المصدر صـ٢٦.

ولا توجـد كلمـة واحـدة منفصـلة للتعبـير عـن الـروح فى الكتـب المقدسـة باليونانية[1].

أما بالنسبة لشارحى نسـخة الملـك جـيمس وهـى النسـخة المرجـع وكـذا شارحى نسخة الرومان الكاثولوليك فيقول الشيخ ديدات رحمه الله بأنهم أَعْطَوْا أفضلية لكلمة: الشَّبح أو الطيف بدلا من كلمة الروح عند ما يترجمـون كلمـة " بنيوما " ثم عادوا فنقحوا النسخة القياسية فاستبدلوا بكلمـة holy ghost الطيف أو الشبح القدسى كلمة holy Spirit وهى الروح القدس ومن ثـم يقول الشيخ ديدات (ولذلك ومن الآن فسوف نقرأ فى كـل الترجمـات الحديثـة كمفورتر (المساعد) هو الروح القدس) ثـم يقـول الشـيخ رحمـه الله (وبالنسـبة للتعبير الحديث " لهذا النص " فإن الآية موضع البحث سوف تقرأ هكذا " وأما المعزى، الذى هو الروح القدس، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كـل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم"/ يوحنا ١٤ : ٢٦) ثم يعقب الشـيخ رحمـه الله بقوله (كحقيقة إنجيلية ففى هذه الحالة أيضا فإن النبوءة تنطبق عـلى " سـيدنا " محمد ﷺ كما ينطبق القفاز على راحة اليد دون أى جهد أو استفاضة فى التفسـير) وصحته فى هذا هى أن أى دارس للإنجيل يلاحظ وصف الأنبياء بـأنهم أرواح مقدسة أى طاهرة وبعضهم استخدم تعبير الروح الإلهى وصـفا للنبـى أى نبـى من هذا " أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى مـن الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العـالم / يوحنـا / ٤ : ١) فكلمـة الـروح جاءت فى هذا النص مرادفة لكلمة النبى.

والشيخ ديدات هنا يحاول أن يثبت أن " الروح القدس " فى نص يُوحنا هو رسول الله ﷺ وهذا الأمر عندى والحمد لله ثابت بما سبق أن ذكرناه وبرهنا عليه بالأدلة النقلية : قرآنية وحديثية بأن رسول الله ﷺ هو الروح الأقدس الأعلى أمـا

---

(١) المصدر السابق.

أى رسول أو نبى آخر فكل منهم روح قدس ، وثم فرق كبير بين الروح القدس وبين روح قدس.

بيد أن إضافة صفة القدس للروح تورث عندنا نحن أبناء الإسلام لبسا بأن الروح القدس هو جبريل لقوله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ.. ﴾ ١٠٢ / النحل ومن ثم فقد يفهم البعض من عبارة يوحنا " المعزى الروح القدس " بأنه جبريل وهذا غير صحيح لأن لفظ المعزى نفسه معناه الدقيق – فيما أرى والله أعلم - الشافع أو الشفيع إذ أنه من المؤكد أن كل نبى أخبر قومه أنه وغيره من الأنبياء والرسل سوف لن يستطيعوا نفع أممهم بالتشفع لدى الرحمن يوم الدين، وأنه لن يشفع لكل البشرية فى هذا اليوم إلا الشفيع الأوحد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ كما هو معلوم من الإسلام لكل مسلم بالضرورة.

ورسول الله ﷺ هو الروح ووصفه بالروح القدس لا يتعارض مطلقا مع وصف جبريل بأنه روح قدس، والذى يثبت أن عبارة يوحنا : " المعزى الروح القدس " ليس المقصود منها جبريل أن أحدا لم يذكر أن جبريل يعزى أو يشفع أو يساعد الإنسانية فى الموقف العظيم يوم الدين.

والدليل الثانى والأهم هو أن وصف المعزى بعبارة الروح القدس جاءت معرفة بالألف واللام الاستغراقية بينما جاء وصف جبريل بها منكرا فى الآية ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ.. ﴾ وهذا يعنى أن هذا الوصف ليس قاصرا عليه وأنها تسمية ليست قاصرة عليه عليه السلام، هذا، إذ صح أن روح القدس فى الآية جبريل عليه السلام لأن فى هذا التفسير خلاف أيضا، وحتى مع القول بأنه جبريل فإن دلالة " روح " ليست كدلالة " الروح " فقولنا "عمرو عالم " " وزيد عالمٌ أى أن كل واحد منهما عالم كغيره من العلماء ، أما قولنا العالم على " فيفيد حيازته العلم ، إذ يفيد التعبير المعرف بالألف واللام اكتمال كل خصائص العلم والعلماء فى على فى حين أنها فى عمرو وزيد ليست كذلك ، وقد علمنا

بالأدلة القرآنية والحديثية أن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ هو " الروح " وهو المعنى فى قوله " روحه " سبحانه وهو المعنى فى قوله تعالى " روحى " أيضا وفى قوله تعالى " روحنا " ﷺ ومن ثم فهو الذى كملت فيه معانى وخصائص الروحية القدسية، فهو ﷺ الروح القدس وجبريل هو روح القدس.

والخلاصة أن أنجيل يوحنا يثبت بوضوح وجلاء أن الذى سيأتى بعد المسيح عليه السلام ويعلم المؤمنين كل شئ ودينه سيبقى إلى الأبد فلا نبى بعده ولا دين بعده والذى لا يتكلم من نفسه أى من هواه بل بما يسمع ويتلقى اسمه المعزى أى الشفيع وهو روح الحق وهو حسب آخر ترجمة لاسم المعزى دَوَّنها علماء نسخة الملك جيمس القياسية لإنجيل يوحنا هو الروح القدس.

فالمعزى هو الروح القدس روح الحق أى روح الله وحيث أن المعزى هو حسب اللغة العربية الشفيع ولا شفيع يوم الدين إلا الذى أتى من بعد المسيح واسمه أحمد وهو فى المؤمنين إلى النهاية فإن إنجيل يوحنا يشهد بأن سيدنا رسول الله ﷺ الذى هو الشفيع هو روح الحق روح الله الروح القدس.

أما معنى قول المسيح (من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فقد آن الأوان لمناقشة دلالة عبارة (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى / يوحنا / ١٥ / ٢٦) حيث نريد أن نفهم دلالة تكرار اسم الآب مرتين.

فقوله أن المعزى سيأتى مرسلا من الآب روح الحق دليل على أن الحقيقة المحمدية المتمثلة فى رسول الله ﷺ فى الهيئة الآدمية هو من الحقيقة الأحمدية الروحية القدسية أى أن النفس المحمدية الزكية هى من الروح الكلى الأحمدى الأقدس، ومن ثم يكون لرسول الله ﷺ النبى الأمى روح جزئية تخص حاله الآدمى، هذا الروح الجزئى ممتد من الروح الكلى، فالحقيقة المحمدية امتداد من الحقيقة الأحمدية، حيث الحقيقة الأحمدية هى الشجرة الروحية النورانية المباركة والحقيقة المحمدية الفرع الرئيسى من هذه الشجرة ، وإن شئت فقل ثمرتها.

والشفيع هو رسول الله ﷺ المرسل من الله رحمة للعالمين، حالة كونـه روحـا كليا، والنبى الأمى هو رسول الله ﷺ حالة كونه روحا جزئيا مبعوثـا فى المـؤمنين فى هذه الحياة الدنيا ومرسل إليهم بالقرآن والسنة.

ورسول الله ﷺ حالة كونه روحا كليا هو المرسل من الله نـورا للنـاس كافـة من آدم إلى آخر من يولد من ذريته خليفة أعظم ورسولا نَبِيًّا للنَّبِيِّين الـذين هـم قبل تشريفه للحياة الدنيا بمثابة نواب له إلى أقوامهم ، ومن ثم إستحال أن يأتى أحدهم ولا يحدثهم عنه ﷺ فكل منهم يأتى بشهادة لا إله إلا الله تعريفاً بـالله ﷻ إلها واحدا وخالقاً واحدا لما سواه أى ربا للعالمين وكذلك أتى كل نبـى بشـهادة محمد رسول الله مرسل وحيد من الله تعالى بالرحمة لكل من وما سواه.

وفى ضوء هذه الحقيقة نقرأ مرة ثانية عبارة المسيح عليه السلام فى إنجيل متـى عـن المعزى أو الشفيع (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم مـن الأب الـروح القدس) أى الرسول النبى الأمى الذى سيأتى بعد أن ينطلق عيسى من الأرض هو من الآب روح الحق أى من الروح الكلى الذى هو أب لكل أرواح المؤمنين، وبالتالى فهو أيضاً فى هيئته الآدمية أب لكل المؤمنين مـن الآدميـين، فلأنـه روح الحق أى الروح الكلى الذى ينفح منه فى قلوب الأجنة فمن استمسـك بـالعروة الوثقى واستمر على إيمانه الفطرى فهو موثوق به متلقى النور عنه ، وروحه منـه ومن ثم يكون المؤمن أبنه ﷺ إيمانيا وروحيا هذا الروح الكلى أو روح الحـق هـو (الذى من عند الأب ينبثق) والأب فى هذه العبارة هـو الله ﷻ، وهـذا شـائع فى التوراة وفى الأناجيل الأربعة المحرفة، (والأب) لغويا عنـدهم تقابـل عنـدنا فى الكتاب والسنة (الرب سبحانه) والله ﷻ هو رب العالمين ورب كـل شـئ ورب السماوات والأرض ورب المشـارق والمغـارب ورب المشرقـين والمغـربيْن ورب الناس ورب العرش العظيم، وخصائص وعطاءات الأب داخلـة فى خصـائص وعطاءات الربوبية ولعل استخدام لفظ الأب عندهم بدلالة الرب قاصرة عـلى المؤمنين أى أنه سبحانه وتعالى بهذا الاسم يكون للمؤمنين دون الكافرين.

أما كونه سبحانه وتعالى ربا فهو رب كل شئ ومليكه ورب الناس مؤمنهم وكافرهم، ومن ثم يكون معنى قوله ﷺ (الأب روح القدس الذى من عند الأب [1] ينبثق) هو الدلالة المطابقة لقوله تعالى لأهل الكتاب فى القرآن ﴿..جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ .

وذلك لأننا وجدنا أن معنى (نور من الله) ليس نور من ذات الله، وإنما هو من الله خلقا على سبيل الصفة وكذلك لم يقل المسيح ﷺ (روح الحق الذى من الله ينبثق) وإنما قال (من عند الله ينبثق) فالانبثاق ليس من الله تعالى أى ليس من ذاته سبحانه ولكن الانبثاق من عنده سبحانه وتعالى. وعبارة (من عند الله) تعالى وردت كثيراً فى كتاب الله ﷻ، فالانبثاق من عند الله ليس تعبيرا شركيا ولا يفيد بأى حال من الأحوال أنه من ذات الله ﷻ، ولكن من عنده من خلق الله ومن تجليات صفاته العليا وعطاءات أسمائه الحسنى، وهذا معنى (ينبثق من عند الله ﷻ) وحيث وجدنا أن الروح والنور حالان لحقيقة واحدة هى حقيقة رسول الله ﷺ فإن قوله (روح الحق الذى من عند الأب ينبثق) أى النور الذى جاءنا من الله تعالى، ومن ثم يكون هو ﷺ الأب الذى جاءنا من الرب سبحانه وتعالى خلقا على سبيل الصفة وهذه هى دلالة ﴿.. جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ فالمطابقة بينهما كاملة، وإن اختلفت ألفاظ التعبيرين بسبب اختلاف الترجمة للأناجيل عن اليونانية المترجمة أيضاً عن العبرية لكن كمطابقة بين معنى العبارتين هى كمطابقة الكف على الكف، وإن كان إطلاق اسم الأب على الله ﷻ غير لائق وغير جائز إسلاميا.

---

(١) من المعلوم أن اليهود والنصارى قالوا بنص القرآن الكريم ﴿.. نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..﴾ والله ﷻ لم يشنع على هذا القول منهم كما شنع على قولهم (.. ولد الله..) لأنَ دلالة (أبناء الله واحباؤه..) هى التى تقابل عندنا فى القرآن حزب الله وأحباب الله..، وبالتالى جاء الرد عليهم بأنهم ليسوا أبناءه واحباءه لأنهم سيعذبون بذنوبهم والله تعالى يغفر لاحبابه ولا يعذبهم.

الفصل الثالث

روح الله أبو المؤمنين ﷺ الذى فى السماء فى إنجيل متى

وهو من الأناجيل المحرفة، ولكنه يِتَضَمَّن حتى اليوم نصوصا، إذا قرأناها بما توصلنا إليه عن الحقيقة الأحمدية فى عالم الملكوت، أى فى السماوات وفى القلوب المؤمنة الموحدة فى نفس الوقت ، علمنا أنها تصدق على الصادق الصدوق ﷺ أحمديا أو محمديا.

وقد علمنا من نصوص وردت فى إنجيل يوحنا، أن ما هو منسوب للمسيح عليه السلام من الحديث عن أبينا الذى فى السماوات، يصحبه فى نفس المواضع ذكر "للأب" " الذى ينبثق من عند الأب ، والأمر الذى انتهينا إلى تفسيره، باعتبار صحته ، أن الأب هو الله عز وجل رب كل شىء، ورب الأب الذى فى السماوات وهو الذى ينبثق من عند الله عز وجل، ومن ثم يلزم من هذا أن يكون اسم الأب الذى فى السماوات الوارد على لسان المسيح فى مواضع كثيرة من الإنجيل هو اسم لأبى المؤمنين وعلى رأسهم النبيِّن وهو رسول الله ﷺ النبى الذى قال عنه الله تعالى فى كتابه الخاتم (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم..) وهو فى السماوات حقا السراج المنير شمس عالم الملكوت، أما فى إنجيل متى فقد جاء فيه قول المسيح للحواريين (... لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن أطلبوا أولا ملكوت الله وبره / متى / ٦ : ٢٢ - ٢٣) فتأمل كيف ذكر الله تعالى باسمه " الله " إذ أمرهم أن يطلبوا ملكوته وبرَّه، الأمر الذى يفيد أن الذى يدعوه المسيح بقوله " أباكم السماوى"، ليس هو الله الخالق سبحانه، وإنما هو أب لهم وللمؤمنين ومن ثم فقراءة هذا النص من خلال ما توصلنا إليه من القرآن الكريم عن النبى ﷺ يثبت أن المقصود بقوله (أباكم السماوى) هو رسول الله ﷺ، فقوله عليه السلام للحواريين والمؤمنين به (أباكم السماوى) يطابق قوله تعالى فى القرآن الكريم (.. وهو أب

لهم) ، ومن ثمَّ فالنبى ﷺ هو الأب السماوى للمؤمنين وهو يقابل أدم عليه السلام الذى هو الأب الأرضى للناس أجمعين.

كذلك يقول المسيح عليه السلام للحواريين الذين أرسلهم إلى بلاد عديدة للدعوة إلى الدين الحق من بعده أنهم سيُضطهدون ويُقبض عليهم للمحاكمة، فإذا حدث هذا لهم فلا يهتموا بماذا يجيبون عندما يحاكمون أو يُسألون لأنهم سيُلهمون الإجابة الصحيحة الموفقة، قال المسيح عليه السلام فى إنجيل متى (فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تُعْطَوْن فى تلك الساعة ما تتكلمون به، لأنه لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم / متى/ ١٠ / ١٩ – ٢٠).

قولوا لنا يا من قرأتم الأبواب السابقة عن الحقيقة الأحمدية فى القرآن والسنة : من الذى فى المؤمنين ؟! أليس هو النبى ﷺ الذى قال لنا الله تعالى عنه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ.. ﴾ ! ؟ فقوله (روح أبيكم الذى يتكلم فيكم..) قول واضح صريح من المسيح يدل على أن أباهم الذى يتكلم فيهم ليس هو المسيح، لأن المسيح هو القائل لهذا القول والمسيح يقول لهم عن أبيهم الذى هو فيهم، ثم هو ينادى أباه وأباهم الذى فى السماوات أو الأب السماوى. فمما لا شك فيه أن المقصود من عبارة (روح أبيكم الذى يتكلم فيكم) هو رسول الله ﷺ، ولو آمن النصارى بما جاء فى القرآن والسنة لتيقَّنُوا بهذه الدلالة ، كذا يؤكد هذا التفسير قول المسيح عليه السلام أيضا (فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السماوات، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السماوات / متى ١٠ / ٢٢ – ٢٣).

فليس تفسير النصارى لعبارة (يا أبانا الذى فى السماوات) بأنها نداء أو دعاء لله عز وجل صحيحا، لأن هذا بلا شك من تحريفهم لعقيدة التوحيد التى أتى بها عيسى عليه السلام، وهو تلبيس على الناس، لأنه من المعلوم، ربما عند كل الأنبياء، كما جاء فى القرآن والسنة، أن النبى ﷺ هو أبو المؤمنين الروحى وهم جعلوا هذا

النداء لله تعالى حتى يبرروا فريتهم الكبرى بأن المسيح ابن الله ﷻ مع أنـه لم يقـل يا أبى إلا قليلا والأكثر قوله (يا أبانا) أو (أبونا السماوى) بـالجمع الأمـر الـذى يفيد أنه أبو المؤمنين جميعا، ومن ثم فهو رسول الله ﷺ، وليس الله ﷻ هـو أبانـا، حاشا لله ﷻ.

والنَّص التالى فى إنجيل متى أيضا يؤكد هذا الذى أقول وهو قول متى (ثـم دعا الجمع وقال لهم : اسمعوا وأفهموا : ليس ما يدخل الفم يـنجس الإنسـان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجِّس الإنسان، حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له : أتعلـم أن الفريسيّين لمَّا سمعوا القول نفروا فأجاب وقال : كـل غـرس لم يغرسـه أبـى السماوى يُقلع / متى / ١٥ / ١٠ - ١٣ /).

وهل كان للمسيح عليه السلام أبا أرضيا مثل سائر بنى آدم حتى يَلْزَمـه أن يقـول (أبى السماوى) ؟ ! أليس هذا دليلا واضـحا عـلى أن مـن يقصـده المسـيح عليه السلام بنداء ياأبى السماوى هو أبـوه الروحـى، حقـا إنـه لـيس لـه أب جسـدي وأمـه الجسدية مريم عليهما السلام، لكـن لابـد أن يكـون لـه أب روحـى مثـل جميـع الأنبياء والمرسلين والصديقين وسائر المؤمنين.

والذى يغرس هو الداعى الأول الأكبر إلى الله ﷻ الذى قـال لـه الله تعـالى ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ**..﴾ قولا مطلقا وقـال تعـالى عـن الـدعاة إليـه مـن النبيِّـين والعلماء والمجاهـدين وعـن غرسـهم الـذى غرسـوه بإرشـاده وتعليمـه ﷺ (.. يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار..) هذا هو الغرس الأحمـدى المحمـدى الـذى يُقلعُ ما سواه من الغرس أما غرسه فأصله ثابت وفرعه فى السماء يؤتى أكله كـل حين بإذن ربه.

فالمسيح بل وداود وسائر النبيّين مـن بنـى إسرائيـل قـد وردت فى كتـبهم كلمة " رب " بمعنى " سيد "، و " ربى " بمعنى " سيدى "، كـما قـال يوسـف لامرأة العزيز حين راودته عن نفسه ﴿ .. **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ..﴾ يوسـف/ ٢٣ يقصد العزيز زوجهـا وكـذلك ورد فى مـزامير داود ذكـر رسـول الله ﷺ باسـم

(ربى) وذكر الله ﷻ أيضا باسم (ربى) وهذا ما جاء أيضا فى إنجيل مَتَّى على لسان المسيح عليه السلام مستشهدا بقول داود عليه السلام دليلا على أن النبى الماحى للكفر من الأرض هو من نسل إسماعيل وليس من نسل داود ، جاء فى إنجيل متى (وفيما كان الفريسيُّون[1] يجتمعون سألهم يسوع ماذا تظنون فى المسيح) (أى المسيح الخاتم الرئيس الذى سيمحو الله به الكفر من الأرض ، وهو رسول الله ﷺ الذى من أسمائه الماحى الذى يمحو الله به الكفر، والمسيح هو الماحى لأن المسيح لغويا هو الذى يمحى به غير المرغوب فيه، ومسح الكفر محوه، فرسول الله ﷺ الخاتم هو المسيح وعيسى مسيح ، أو هو المسيح ورسول الله ﷺ هو المسيح الرئيس كما ورد ذكره ﷺ عند أهل الكتاب فى أكثر من موضع، فماذا كانت إجابة الفريسيِّين لسيدنا عيسى عليه السلام على سؤاله وقد فهموا من يقصد بالمسيح خاصة أن سؤاله عليه السلام عن النبى الخاتم كان (ماذا تظنون في المسيح إبن من هو ؟! قالوا له ابن داود. قال لهم ! فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى " إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك "، فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه، فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ومن ذلك اليوم لم يجرؤ أحد أن يسأله بتة / متى / ٢٢ : ٤١ – ٤٦) فقول داود عليه السلام : قال الرب لربى، أى قال الله ﷻ يوم القيامة لسيدى الروح الأقدس الأعلى : اجلس حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك) وهى التى قال النبى ﷺ (وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمى).

وقد استشهد المسيح عليه السلام بقول داود واصفا النبى ﷺ بأنه ربه فى قوله (لربى) على أن النبى الخاتم أو المسيح الرئيسى ليس من نسل داود كما يزعم الفريسيُّون كذبا إذ لو كان ابنه لما قال عنه " ربى" ولا حتى "سيدى".

ومن ثم فإنه إذا جاز قولهم عن الله تعالى ربى وعن النبى ﷺ ربى جاز عندهم قولهم عن الله تعالى الأب وعن الرسول ﷺ الأب.

---

(١) الفريسي عند بنى إسرائيل هو الذي يطلب الله فهو الذي يقابل الصوفي فى تاريخ الإسلام .

وهذا هو المعنى الذى صرح به سيدنا عيسى بقوله (لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل آثاره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه / متى / ٢١ / ٤٣ – ٤٤) أى أن الله سبحانه سينزع من بنى إسرائيل النبوة ويجعل عهده لإبراهيم فى بنى إسماعيل بعد أن أساء بنو إسرائيل للعهد .

والذى نخلص إليه من كل هذا أن الأناجيل وأسفار العهد القديم تسمى رسول الله ﷺ أحيانا الرب أو ربى أو الأب أو أبى الذى فى السماوات فبإعتبار أنه خليفة الله الأعظم فى الكون، يكون ذكره بأنه ربى ، الذى هو عندنا سيدى وسيد ولد آدم وسيد الخلق لأن نائب الملك القدوس وخليفته رب أو سيد على كل ما هو دونه ، وكل الخلق دونه، باعتباره خليفة الله الأعظم فى الكون وروحه الكلى، فلم يخطئ داود بقوله (قال الرب لربى) وحاشا أن يخطئ لأن الزبور كتابه المقدس.

وجاء فى متى أيضا ما يثبت أن رسول الله ﷺ الذى بشَّر به المسيح كثيرا هو الروح القدس إذ قال يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو يُعَمِّد تلاميذه والمؤمنين به (أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لستُ له أهلا أن أحمل جذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفسه فى يده وسينقى بيدره[1] ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ/ متى / ١٣ – ١٤) والنصارى الضالون يفسرون قول يحيى عليه السلام عن الذى سيأتى بعده وأنه لا يستحق أن يحمل حذاءه أنه هو المسيح عليه السلام، وهذا خطأ وتناقض بين النص والواقع بالأدلة التالية :-

١- أن يحيى عليه السلام قَبِلَ أن يُعمِّد عيسى عليه السلام، فكيف يكون هو الذى لا يستحق أن يحمل حذاءه ويُعَمّده، والتعميد هو الدعاء بالتوبة له والمغفرة مع تطهيره بالماء.

---

(١) البيدر : هو المكان الذي يدرس فيه المزارع قمحه ليفصل الحب عن التبن .

٢- أن هذا الذى سيأتى بعد يحيى عليه السلام سيعمد بالروح القدس وهذا لم يحدث من المسيح لحوارييه أو لغيرهم.

٣- لم يقل المسيح أن من لا يؤمن بى سيدخل النار، وظل نفر أو قوم ممن آمنوا وتتلمذوا على يدى سيدنا يحيى على عبادته لله عز وجل وطريقته ورفضوا الدخول فى طريقة المسيح عليه السلام والنبى الذى سيدخل كل من لا يصدقه النار هو رسول الله ﷺ، حيث قال (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (١).

٤- النبى ﷺ هو وحده الذى يعمد بالروح القدس لأنه هو الروح القدس أو الذات المحمدية الزكية امتداداً للروح الكلى الأقدس، وتعميده لكل المؤمنين من قبل مولده ومن بعد موته من خلال العروة الوثقى أى الوصلة الأحمدية التى تمر وتؤيد القلوب بروح منه.

٥- قول يحيى عليه السلام أن الذى سيأتى بعده ولا يستحق أن يحمل له جذاءه هو الذى.

أ- سينقى بيدره.
ب- سيجمع قمحه.
ت- يحرق تبنه بنار لا تُطفأ.

والبيدر هو المكان الذى يدرس فيه القمح ومعنى تنقيته أى تهيئته لدرس القمح فيه فتكون عمليه الدِّريس ناجحة ويجمع قمحه كاملا من غير تهدير شئ منه، ثم يحرق التبن غير الصالح بنار لا تطفأ أى حتى ينتهى كله فتطهر منه الأرض.

وهذا علامة على أن جهاد النبى ﷺ لنشر الحق وإقامة خلافة الله تعالى فى الأرض وإعداد الجيل الذى يقيمها وينشر دينه فى الأرض سيكون ناجحا مثمرا مستمرا حتى يمحو الله به الكفر، والنار التى تحرق التبن هو الجهاد بالسلاح إلى آخر الزمان حتى يفتح الله للمسلمين الكنيسة الرومية، ثم قتل الدجال ثم قتل يأجوج ومأجوج ثم يُمحى الكفر بأمر الله تعالى من الأرض وبغرس النبى الخاتم ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان / باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

كل هذا لم يحدثه المسيح بن مريم فى حياته، ومن ثم فقول يحيى هذا يصدق على النبى المصطفى الخاتم سيدنا محمد ﷺ لأن دلالة فيحرقه بنار لا تطفأ هو استمرار الجهاد حتى يمحوا الله تعالى الكفر .

ثم يكمل إنجيل متى النص كالتالى :-

(حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن أتعمد منك، وأنت تأتى إلىّ ؟!

فأجاب يسوع وقال له أسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات [1] قائلا هذا هو إبنى الحبيب الذى سُرَّت به نفسى / متى / ٣ / ١٤ – ١٧) وهذا النص أنا أعتبره صحيحا لأن فهمه الصحيح مخالف لفهم المثلثين من علماء النصارى – إن جاز تسميتهم علماء – لأن (روح الله) الذى نزل من السماء، مثل حمامة، هو رسول الله ﷺ كما أثبتنا هذا كثيرا فى أبواب هذا البحث وقوله ﷺ : (هذا هو إبنى الحبيب الذى سُرَّت به نفسى) لا غبار عليه، لأن المسيح بن مريم ومثل سائر النَّبِيِّين والصديقين والشَّهداء والصالحين مؤمنين ومسلمين كلهم أبناؤه ﷺ روحيا وهو ﷺ أبوهم الروحى وهو ﷺ الأولى بأبوته ليسوع الذى ليس له أبا جسديا وليس له إلا الأبوة الروحية فهو بحق ابنه الحبيب الذى سُرَّتْ به نفسه ﷺ خاصة وأن الله تعالى أعدَّه ليقتل المسيح الدجال، فالنبى ﷺ الأب الروحى لكل الأنبياء والمؤمنين إلا أنه أبوته الروحية ليسوع أقوى من غيره.

فهذا النص يثبت أن روح الله هو أبو المسيح كما أنه ﷺ أبو الأنبياء والمؤمنين جميعا وهذا ما سبق بيانه.

---

(١) القائل هو الروح الكلى روح الله النبى ﷺ والمشار إليه بأنه ابنه هو المسيح عليه السلام.

أما قول النص (وصوت من السماوات قائلا) لا يفهم منه أن القائل غير روح الله فلو صرفنا القول إلى غيره فهو مخالف لمنطق المشهد إذ النازل المقبل عليه هو بطبيعة الحال القائل لهذه العبارة وليس غيره، ولو قلنا غيره لصار مدسوسا على النص بغرض التحريف الذى يؤدي إلى الغلو فى شخص المسيح الذى هو عليه السلام ابن روحى للروح الكلى الأقدس ﷺ وليس لله ﷻ كما يزعم الضالون.

ويثبت ما ذكرناه عن أن الآتى بعده فى نص يوحنا هو رسول الله ﷺ ما جاء فى إنجيل يوحنا عن رسالة يحيى من السجن إلى عيسى : (أما يوحنا " أى يحيى " فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟

فأجاب يسوع وقال لهما : أذهبا وأخبرا بما تسمعان وتنظران : العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يمشون.. وطوبى لمن لا يعثر فىَّ / يوحنا / ١١ / ١ – ٦).

أى طوبى لمن لا يعثر فىَّ ويُفتن بى ويظن أنى هو الآتى أى النبى الخاتم المنتظر أو طوبى لمن لم يفتن بى ويقول أنى الله أو لبن الله ، أو رسول الله الخاتم ﷺ.

والسؤال هو : لماذا أرسل يحيى عليه السلام اثنين من تلاميذه إلى المسيح ويسألاه هذا السؤال : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟

الإجابة : لأن ما سمعه عن معجزات المسيح عليه السلام جعلته يظن أنه هو الآتى، فمن يقصد بالآتى ؟.

إنه كل الذى بشرت بمجيئه جميع الرسل والنبيِّين الذى سيكون على يديه خلاص البشرية وقتل الطاغوت ومحو الكفر بالتخلص من بؤرة الفساد وليس أحد يفعل ذلك إلا رسول الله ﷺ الخاتم.

لقد قال أشعياء عليه السلام وقد عاش قبل يحيى وعيسى عليهما السلام بأكثر من خمسة قرون ذاكرا يحيى عليه السلام بهذه العبارة (صوت صارخ فى البرية أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة) / / ٣ – ٣ فجاء فى انجيل متى ما يوضح هذا بقوله (وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان " أى يحيى عليه السلام " يكرز فى برية اليهودية قائلا :

" توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " فإن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية : أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة / ٣ / ١ – ٣ ".

ومن ثم فإن يحيى أرسل رسوليه إلى عيسى عليهما السلام يسأله : هل أنت الذى كنتُ أبشر بمجيئه عن اقتراب ملكوت السماوات ؟! أم لست أنت فننتظر آخر ؟! فماذا كان رد المسيح على الرسولَيْن ؟.

" فأجاب يسوع وقال لهما : أذهبا واخبرا بما تسمعان وتنظران " : العمى يبصرون، والعرج يمشون، وللبرص يطهرون، والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يمشون، وطوبى لمن لا يعثر فىَّ / يوحنا / ١١ / ١ – ٦.

أى طوبى لمن لا يعثر فىَّ ويفتن بى ويظن أنى هو الآتى أى النبى الخاتم المنتظر وطوبى أيضا لمن لا يغلو فى شخصي ويخرجنى من حدود العبودية وطبيعة البشرية ويفترى الفرية الكبرى بأنى ابن الله عز وجل.

الفصل الرابع

الروح الساكن فى المؤمنين هو صاحب الشفاعة العظمى ﷺ

جاء فى رسالة رومية إحدى رسائل الرسل.

(لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين، ليس حسب الجسد بل حسب الروح، فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون، ولكن الذين هم حسب الروح فيما للروح يهتمون، لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعا لناموس الله، لأنه أيضا لا يستطيع، فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله، أما أنتم فلستم فى الجسد، بل فى الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم/ رومية / ٨/ ٤ : ٩).

النص يوحى بالاهتمام بتزكية النفس للسمو بها لتقوية الروح وذلك بالتقليل من رغبات الجسد، وهذا كله فى قوله تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ الشمس/ ٩، ١٠.

فالذى يدسها هو الذى يهم بمتطلبات الجسد ويبالغ فيها ويلبيها سواء كانت حراما أم حلالا. والذى يزكيها هو الذى يعلو بنفسه فلا يطيعها فى المحرمات وفى كل ما ترغبه وتهواه مما هو حلال ابتغاء مرضاة الله تعالى، بالابتعاد عن الشبهات ، ثم يقول النص للمؤمنين (أما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح، إن كان روح الله ساكنا فيكم / رومية / ٨/ ٤ : ٩).

والمعنى إن كنتم مؤمنين، لقوله تعالى عن المؤمنين ﴿.. **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ..** ﴾ المجادلة/ ٢٢ ولقوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ..** ﴾ الحجرات / ٧ فالذى فى المؤمنين هو رسول الله ﷺ الذى هو روح الله الساكنَ فيهم، إذ أن النفخة الإلهية من الروح الكلى فى جذر قلوب الرجال نتيجتها أن يكون روح الله ساكنا فينا أى فى كل مؤمن محافظ على أمانته لم يضيعها ولم ترتفع عن قلبه بالكفر والعياذ بالله تعالى.

وقد علمنا أن رسول الله ﷺ هو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة من الكتاب والسنة وكذلك فى إنجيل متى بذكره باسم المعزِّى أى الشفيع وهو أيضا الروح القدس. وهذا ما نجده أيضا فى " رومية ناسبا الشفاعة للروح بقوله (لأننا بالرجاء خلصنا، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ننتظره فإننا نتوقعه بالصبر، وكذلك الروح نفسه يشفع فينا بأنَّاتٍ لا ينطق بها، لأن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين / رومية/ ٨:٢٤-٢٧).

وهذا نص صريح واضح بأن الله ﷻ قد أذن للروح بالشفاعة للمؤمنين ؛ أما قوله (الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها) فهذا حق لأن لغة الروح ليست حروفا وألفاظا تنطق بها ولكنها أنات أو أصوات تمد بأزمان متباينة لكل معنى [1] ولِمَ يُصَاغ المراد قوله فى لغة والقائل هو الروح والمخاطب سبحانه هو السميع العليم الخبير ؟ ! وقد عبر النص عن ذلك بقوله (لأن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح) وأول النص يؤكد أن نجاة المؤمنين فى الرجاء فى الشفاعة ، وروح الله الذى هو رسول الله ﷺ هو الهادى الذى يقود الأرواح إلى الصلاح والفلاح ومن ثم فإن الذين ينقادون به أى يطيعونه فأولئك هم حزب الله ﷻ.

جاء فى رومية (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا أيضا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به تصرخ يا أبا الأب.. / رومية / ٨ : ١٣).

قوله أنهم أبناء الله بمعنى أحباب الله كما ورد فى القرآن الكريم قول أهل الكتاب ﴿.. **نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ..** ﴾.

---

(١) هذا ما صرح به سيدنا عبد العزيز الدباغ فى كتاب الابريز عن لغة الروح.

فرد سبحانه وتعالى على قوله أنهم ﴿.. أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..﴾ بأنهم ليسوا كذلك بدليل أنه يعذبهم بذنوبهم أما أحباؤه فليسوا كذلك واثبت أنهم كسائر البشر ومن ثم يكون أحباؤه غيرهم والقرآن يثبت أن لله تعالى أحبَّاء يحبهم ويحبونه ولكن تنزه سبحانه عن أن يكون له ابن أو أبناء ومن ثم فنفى نسبة الولد له أولى.

ونص رومية السابق يثبت أن المؤمنين (أخذوا روح التَّبَنِّي الذى به تصرخ يا أبا الأب) فجعل الاستغاثة بأبي الأب، ويقصد بروح التبني علاقة المحبة وصلة الرحمة والحنان والله هو الحنَّان المنان، ومرة أخرى يثبت أهل الكتاب أبا للأب الأمر الذى يؤكد أن الأب هو الروح الكلى الذى هو أب لكل المؤمنين كما علمنا أما أبو الأب فهو رب العالمين ورب الروح سبحانه وأهل الكتاب يجيزون أطلاق لفظ الأب على الرب سبحانه وتعالى. لكن المهم هو أنهم يثبتون أبا ويثبتون أبا له وهذا كما جاء فى مزامير داود (قال الرب لربى) أى قال الله تعالى لسيدى رسول الله الروح الشفيع يوم القيامة لكن أهل الكتاب يرفضون التصديق والتسليم بأن أبانا الذى فى السماء أو الأب السماوى هو رسول الله ﷺ أو الروح مع أن كتابهم يثبت فى أكثر من موضع لهذا الأب أبا أعلى منه ، ويثبت أن أبانا الذى فى السماء ليس هو المسيح لأن المسيح كان يناديه بهذا النداء ، كما أن المسيح كان على الأرض ونزل عليه الروح قائلا : هذا هو ابنى الذى سرت به نفسى وإذا لم يأخذوا بقولنا فى تفسير هذه النصوص تكون كتبهم متخبطة متناقضة، ولو لا أننا نفهمها فى نور ما جاء فى الكتاب والسنة لما فهمناها حق الفهم.

بل الأعجب من هذا كله أن يطابق ما جاء فى بعض الأسفار والرسائل حتى التى لم تسلم من التحريف ما علمناه عن الروح الشفيع الذى هو أبو المؤمنين وكلها أسماء لرسول الله ﷺ وبتدبر قول نص رسالة رومية (لكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين / رومية / ٨ / ٢٧) أقول بتدبر هذا النص نجد بوضوح نسبة

الشفاعة للروح الـذى يشـفع فى المـؤمنين بحسـب مشـيئة الله تعـالى أى بأذنـه، وحيث أننا أمة الإسلام نؤمن أن الشفيع يـوم الـدين هـو رسـول الله ﷺ، فإننـا نكون أمام دليل نقلى جديد من الوحى القديم على أنـه ﷺ هـو الـروح صـاحب الشفاعة العظمى وهذا ما يطابق عندنا قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُـومُ الـرُّوحُ وَالْمَلَائِكَـةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ .

❁❁❁

الفصل الخامس

النبى ﷺ هو الروح الكلى فى الإنجيل برواية برنابا رضي الله عنه

برنابا أحد حواريى المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وإنجيل سيدنا عيسى بروايته – فيما أوقن – هو الرواية الصحيحة ، ولخروج هذا الإنجيل من مكتبة الفاتيكان قصة، وذلك بعد تحريم تداوله، وإخفائه أكثر من ثلاثة عشرة قرنا من الزمان وهذه القصة مُدوَّنة فى المقدمة التى كتبها السيد / **محمد رشيد رضا** رحمه الله الذى سعى لدى الدكتور / **خليل سعادة**، وكان لبنانيا مسيحياً لترجمته عن الانجليزية ونشره بالعربية فى مطلع القرن العشرين. ولا تدخل هذه القصة فى موضوعنا، ولكنّى أُنوِّه إلى أن سبب يقينى بصحته بعد فضل الله تعالى هو دراستى له أكثر من مرة، وتدريسه لأكثر من مجموعة من تلاميذي : قراءةً وتفسيراً وشرحاً وتعليقاً، بهدف نقد الدراية وذلك لانعدام السند عند أهل الكتاب، فلم أجد فيه من مبادئ عقيدته الرئيسية ما يخالف مبادئ التوحيد الإسلامى كما جاءت فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة حول حقائق الألوهية والنبوة بعامة والحقيقة المحمدية بخاصة وكذا بالنسبة لسائر أركان الإيمان(١).

ويثبت، بل ويؤكد، صحة رواية برنابا للإنجيل الأستاذ عبد الأحد داود، الذى كان من القساوسة الباحثين البارزين وهداه الله تعالى وأسلم، بعد محاورات عقدها مع بعض علماء الإسلام فى السلطنة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر، فكان مما كتبه عن رسول الله ﷺ كتابه القيمِّ (محمد كما ورد فى كتب اليهود والنصارى) الذى قال فيه (فإذا كانت روح المسيح بشهادة الحوارى

---

(١) ادعو الله ﷻ أن يعيننى ويوفقنى ويفتح علىّ بشرحه على الوجه الذى يرضيه بقصد زيادة إيمان المسلم بصدق النبوة المحمدية ومعرفة بعض جوانب الحقيقة المحمدية .

يوحنا " ١٧ / ٥ " قد وجدت قبل أن يُخلق رجلا، فإن روح محمد قد وجدت أيضا قبل خلقه رجلا بشهادة حوارى آخر هو برنابا) [(١)].

ويؤكد الأستاذ عبد الأحد داود فى كتابه هذا بطلان عقيدة التثليث، ويثبت، فى نفس الوقت أن رسول الله ﷺ هو الروح القدس الذى جعلته النصرانية الضَّالة إلها من ثلاثة فى الذات الإلهية ناقضين وخارقين لأحدية الذات الإلهية [(٢)]، والدليل على إيمانه، رحمه الله، بأن رسول الله هو الروح قوله (فإن الحقيقة تشهد أن عيسى عليه السلام خَلَّف بعده ديانة ناقصة من المفترض أن تكتمل بعده بواسطة مَنْ أطلق عليه يوحنا "أوبى سوبرا" ووصفه لوقا" بالروح / ٢٤ / ٤٩ " وهذا الروح ليس ولم يكن إلها ولا ثالث ثلاثة، لكنه روح أحمد الطاهر الذى وُجِدَ مع أرواح الأنبياء الآخرين فى الجنة / إنجيل برنابا) [(٣)].

ولا شك أنه قد أدرك جوهر الحقيقة المحمدية بقوله أن الروح القدس الذى جعله النصارى ثالث ثلاثة هو روح أحمد الطاهر، وهذا ما أثبتناه فى الأبواب السابقة كما أنه قد ثبت لنا بنصوص أخرى نجت من التحريف فى أناجيل أخرى فى الفصول السابقة من هذا الباب.

ولا شك أن استنباطه، رحمه الله، بأن روح أحمد الطاهر ﷺ كان موجوداً قبل أن يخلقه الله تعالى رجلا استنباط صحيح، لكن قوله رحمه الله فى معرض نقضه التَّثليث عن روح أحمد الطاهرة (التى وجدت مع أرواح الأنبياء الآخرين فى الجنة) غير دقيق ولا أوافقه عليه، إذ قد يفهم القارئ منه أنه ﷺ وآله روح كسائر أرواح الأنبياء، ومن ثم يكون ﷺ نبى كسائر الأنبياء ورسول كسائر الرسل لا يفضلهم بشئ، فلا يكون هو الروح القدس الكلى، والذى أرجحه أنه

---

(١) عبد الاحد داود / محمد كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى صـ ١٤٢ .

(٢) ويغلب على الظن أنه لما أسلم إختار اسم عبد الأحد لاعلان سخطه وكفره بعقيدة التثليث.

(٣) المصدر السابق صـ ١٤٢ .

رحمه الله ، أنه لم يقصد هذه النتيجة، بيد أن تعبيره قد يُفهم منه ذلك. لذا وجب التنويه بأن هذا الفهم غير صحيح، لأنه ﷺ هو الروح بألف ولام التعريف الإستغراقية، وليس مجرد روحا من الأرواح حتى ولو كانت أرواح الرسل أولى العزم، باعتبار أنه ﷺ هو الروح الأقدس الكلى الذى يمد جميع أرواح بنى آدم بالمدد الذى توقد منه مصابيح أفئدتهم بِمَنْ فيهم أرواح النبيين، وهذا ما علمناه من الكتاب والسنة، وبحسب ما وجدناه عند أهل الكتاب فيما مضى من فصول هذا الباب، وما سَنَعْلمه من إنجيل برنابا أيضا فى هذا الفصل بالقول الصريح لسيدنا عيسى عليه السلام.

ففى الفصل الثانى والأربعين من الإنجيل بشهادة برنابا رضي الله عنه ما يلى :-

(فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم لِيَتَسَقَّطُوه بكلامه [1]، لذلك أرسلوا اللاَّوِيِّين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال: "الحق أَنِّى لستُ مَسِيّاً " فقالوا : أأنت إيلياً أو إرميا أو أحد الأنبياء القدماء ؟

أجاب يسوع : " كلا ".

حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا ؟ فقال حينئذ يسوع : "أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أَعِدُّوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب فى أشعياء ".

قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيليا أو نَبِيًّا ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مَسِيًّا ؟.

أجاب يسوع : " إن الآيات التى يفعلها الله على يَدَىَّ تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه، لأنى لستُ أهلا أن أَحُلَّ رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمُّونه مَسِيًّاً، الذى خُلِقَ قبلى وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية ".

فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة، وقَصُّوا كل شئ على رؤساء الكهنة الذين قالوا : إن الشيطان على ظهره، وهو يتلو كل شئ عليه.

(١) أى ليوقعوه فى الخطأ.

ثم قال يسوع لتلاميذه : " الحقَّ أقول لكم : إن رؤساء وشيوخ شعبنا يتربصون بى الدوائر " (برنابا / فصل / ٤٢ / عدد من ٣ – ٢٠).

والملاحظة الجديرة بالتوقف عندها هى إجابة سيدنا عيسى عليه السلام على سؤالهم له : " من أنت " ؟ إذ لم يقل لهم أنا فلان إبتعثنى الله نبيّا لبنى إسرائيل، ونفى عن نفسه أنه هو الذى يسمونه مسيًّا، لماذا ؟ لأنهم ما أرادوا من سؤالهم إلا أن يتهموه بأنه يدَّعى بأنه المسىُّ، فأفحمهم بقوله عليه السلام (الحق أنى لستُ مَسِيًّا) كما نفى لهم بعد هذا أنه إيليا أو إرميا أو أى واحد من الأنبياء القدماء، ومن ثم أعادوا عليه السؤال (من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا ؟) أى لرؤسائهم الذى يخططون لإيقاعه فى الخطأ الاعتقادى الجسيم لتكذيبه وإخماد دعوته، فلم يجبهم عليه السلام إجابة مباشرة، وإنما قال لهم موضحا صلته بمن يسمونه مسياً (أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها) بماذا ينادى ويعلن ويصرخ فيهم ؟ !.

(يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب فى أشعياء) أى أبشروا واستعدوا ومَهِّدُوا لمجيء رسول الله ﷺ، كما أخبر عنى أشعياء عليه السلام من قبل واصفا إيَّاى بأنى (صوت صارخ فى البريَّة، أعدوا طريق رسول الرب، قوِّموا فى القفر سبيلا لإلاهنا / أشعياء / ٤٠ / ٣).

فعيسى عليه السلام هو الصوت الذى ذكره أشعياء بأنه الصوت الذى سيصرخ فى برية إسرائيل مبشرا برسول الله ﷺ، الذى يسمونه مسيّاً، وفى هذا نفى عن نفسه أنه هو الذى يسمونه مَسَيّاً.

ومعنى قوله (قوِّموا فى القفر) أى فى بادية الجزيرة العربية وصحراء الحجاز (سبيلا لإلاهنا) الأمر الذى ستكون لهذه السبيل نتائج وآثار عظيمة على حياة البشر ، لم يحدث مثلها على يد رسول من قبل، ولا حتى من أولى العزم، وهذا واضح من قول أشعياء (كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سهلا / أشعياء / ٤٠ / ٥).

ومعنى (كل وطاء يرتفع أى أن سبيل الله أى الشريعة التى سيأتى بها رسوله ﷺ سترفع العبيد والفقراء والمساكين وستأخذ الطبقات الدنيا من

الشعوب حقوقها الإنسانية فى الثروة والحرية والكرامة كاملة كالسادة وأصحاب الجاه والسلطان.

ومعنى (وكل جبل وأكمة ينخفض) أى كل الحكام والسلاطين المستكبرين الظالمين وأعوانهم يصيرون كعامة الناس ويتساوون معهم فى الحقوق الإنسانية وأمام القضاء وذلك بمقتضى الشريعة المحمدية ومعنى (ويصير المعوج مستقيما) دلالة على إصلاح القلوب والنفوس ومعنى (والعراقيب سهلا) أى تسير حياة الناس بسهولة ويسر، وتتحقق مصالحهم وتُرسل بلا عقبات كانت تضعها مطامع الطبقات المستكبرة المستأثرة بالسلطة والثروة معا.

ثم يقول نصَّ أشعياء المبشر بعيسى عليه السلام باعتباره المبشر الأخير برسول الله ﷺ (فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معا لأن فم الرب تكلم، أشعياء / ٤٠ / ٥).

ومعنى قوله (فيعلن مجد الرب) انتشار الإسلام وسيطرته على الأرض خلال عصور الخلافة الإسلامية بدءاً بالخلافة الراشدة وإنتهاءاً بالسلطنة العثمانية حتى سقوطها عام ١٩٢٥. ولكن هذا الإعلان لمجد الرب لم يعم الأرض كلها بل بلاد الإسلام فقط أما قوله (ويراه كل بشر معا لأن فم الرب تكلم) فهو خبر عن أحداث لم تتحقق بعد وستتحقق بانتشار الإسلام فلا يكون فى الأرض بيت مدر أو وبر إلا دخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ التوبة / ٣٢ وهذا أيضا بدلالة قول رسول الله ﷺ (لى خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب فلا نبى بعدى وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمه يوم القيامة).

فهو ﷺ الماحى الذى سيمحو الله تعالى به الكفر جزئيا أولا يوم أن يُتم الله تعالى نوره رغم أنف المشركين بهزيمة (الروم) أوربا فِى الملحمة العظمى ودخول المسلمين الفاتيكان على يد الخليفة الراشد المهدى، ثم ثانيا يُتم الله تعالى نوره كليا ويمحو الله تعالى الكفر كليا من على وجه الأرض بنزول سيدنا عيسى عليه السلام

وقيادة مجاهدى الإسلام لقتل الدجال واليهود ثم إهلاك الله ﷻ يأجوج ومأجوج وهكذا يتحقق قول أشعياء (ويراه) والضمير يعود على " مجد الرب " أى انتشار الإسلام (كل بشر معا لأن فم الرب تكلم) بمحو الكفر وإتمام النور ولو كره المشركون والكافرون معا فلا يبقى فى الأرض إلا دين واحد هو الإسلام إلى ما شاء الله تعالى فإذا عدنا إلى شرح بقية قول سيدنا عيسى عن رسول الله ﷺ وهو :

١- (إن الآيات التى يَفْعَلُها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله) فالمعجزات التى جرت على يديه تظهر أنه مرسل من الله تعالى إلى بنى إسرائيل، لكن إنجيله أى رسالته وكلامه المكلف بتبليغه لهم ليس من كلام الله، ولكنه من كلامه هو عليه السلام بما يريد الله ﷻ وهكذا رسالة كل نبى أو رسول، أما ما جاء به رسول الله ﷺ، فليس كلامه هو ﷺ، لأنه كلام الله تعالى نطق به رسوله، فهو لم ينطق عن الهوى، وفم رسول الله ﷺ الطاهر المطهر عندما ينطق به يكون قد وضع الله تعالى كلامه فيه كما يقول نص أشعياء عليه السلام (لأن فم الرب تكلم). ومعنى أن فم الرب تكلم أى أن فم رسوله لا ينطق إلا بما يقوله الله ﷻ.

وهذه من خصوصيات رسول الله ﷺ التى ينفرد بها عن سائر النَّبيِّين والرسل أيضاً.

٢- أما قوله عليه السلام (ولستُ أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه، لأنّى لستُ أهلا أن أحلَّ رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مَسِيّاً) فيدل على مكانة رسول الله ﷺ بين الرسل، حتى بين أولى العزم منهم، الذين منهم عيسى عليه السلام.

ومن ثم لم يكن هو قبل أن يكون بشرا روحا بين أرواح النَّبيِّين فى الجنة، كما قال الأستاذ عبد الأحد داود رحمه الله تعالى فهو ﷺ ليس فقط نبيًّا كالأنبياء عليهم السلام، وليس رسولا كسائر الرسل فحسْب، وإلا كما قال عيسى عليه السلام هذا القول، فهو ليس من قبيل التواضع، ولكنه لبيان مدى فضل رسول الله ﷺ على إخوانه من الرسل والأنبياء عليهم السلام جميعا.

٣- يؤكد هذا قوله ﷺ بعد هذا عن رسول الله ﷺ (الذى خُلق قبلى وسيأتى بعدى) يفيد بقول صريح محكم الدلالة وجوده ﷺ قبله، وإن كان سيبعث بعده، بل قبله وقبل سائر الرسل والنَّبِيِّين، وهذا ما ثبت لنا فى الفصول السابقة.

فإذا كان سائر النَّبِيِّين والرسل ومعهم المؤمنون هم الشجرة النورانية المباركة، فإنه بحكم أنه ﷺ أسبق منهم فى الخلق روحيا، مع أنه خاتمهم فى البعث بشريا، فإنه يكون - روحيا - هو أصل هذه الشجرة وجذورها التى تمدهم برحيق النبوة، كما أنه - بشريا - هو ثمرة هذه الشجرة المرجوة، والتى هى الغاية النهائية وجوديا.

فالأحمدية أصل الشجرة روحيًّا وإنسانيا، والمحمدية ثمرتها بشريا.

٤- ومن ثم فإن قول عيسى ﷺ فى آخر هذا النص عن رسول الله ﷺ (وسيأتى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية) معناه أنه ﷺ سيأتى بكلام الله وهو القرآن الكريم الذى لم يتفوه نبى بمثل كلامه من قبل، إذ كانوا يتكلمون (بما يريد الله) وفرق بين كلام الله ﷻ، وبين الكلام بما يريد الله، وأما رسالة موسى الكليم ﷺ، فقد تلقاها مكتوبة فى الألواح.

ومعنى قوله (ولا يكون لدينه نهاية) أى لن ينتهى هذا النور من الأرض وسيظل فى الناس إلى يوم القيامة، وهذه أيضا من خصوصيات رسول الله ﷺ التى لم تكن لنبى ولا رسول قبله، لأن كل كتاب نزل من السماء حرَّفه حزب الشيطان، وكل رسالة نزلت على نبىَّ أو رسول قبل رسول الله ﷺ طمس الكافرون معالمها وبدلوا أصولها وحرفوا عقيدتها من التوحيد إلى الشرك، إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فالإسلام محفوظ، عقيدة وشريعة وكتابا وسنة إلى يوم القيامة، فليس لدينه ﷺ نهاية.

ولا شك أن كون رسول الله ﷺ هو الروح الكلى الذى يمد الشجرة الطيبة برحيقها وبالتالى لذوات النبيّين بأرواحهم النبوية حسب ما ثبت لنا بالأدلة القرآنية والحديثية فى ثنايا هذا الجزء من الموسوعة، أقول: أنه لا شك أن هذا

يستلزم أن نجد فى الإنجيل الصحيح قولا صريحا لسيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام يدل دلالة واضحة على أن رسول الله ﷺ هو الروح الأقدس الكلى الذى يَتَلَقَّى منه الأنبياء مقومات نبوتهم أو تتلقى نفوسهم منه ﷺ أرواحهم النبوية التى يصيرون بها أنبياء.

فهل تَضَّمن الإنجيل برواية برنابا ﷺ ما يدل على هذه الحقيقة دلالة صريحة محكمة ؟!

نعم، إن الإنجيل برواية برنابا ﷺ يدل فى مواضع كثيرة على الحقيقة المحمدية بجوانبها النورانية المتعددة صراحة وضمنا وإشارة وتلميحا، نأخذ من هذه النصوص المتعددة نَصّاً صريحا محكم الدلالة فى الفصل الرابع والأربعين، قال عيسى عليه السلام : (لذلك أقول لكم :-

إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا :

لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة.

روح الحكمة والقوة.

روح الخوف والمحبة.

روح التبصُّر والاعتدال.

مزدان بروح المحبة والرحمة.

روح العدل والتقوى.

روح اللطف والصبر.

التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أَعْطى لسائر خلقه.

ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم ! صَدَّقونى، إنى رأيته، وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبى : لأن الله يعطيهم روحه نبوة.

ولما رأيته إمتلأت عزاءً قائلاً :

يا محمد ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك.

لأني – إذ قلتُ هذا صرتُ نبيا عظيما وقدوس الله ولما قال يسوع هذا شكر الله) [1].

ولْنَتَدَّبر سَوِيّاً قوله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه (بهاء) أليس هذا بيانا بأن ذاته ﷺ نور، وهو قول الله ﷻ ﴿.. **جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾ وقوله تعالى أيضاً ﴿.. **وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ وقوله ﷺ أنه (يسَر كل ما صنع الله تقريبا) أى أنه رحمة للعالمين ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ ١٠٧ / الأنبياء.

ثم بين عيسى ﷺ تفصيل هذا البهاء وهذه الرحمة بقوله ﷺ :-

١ – (لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة) ودلالة هذا النص هو أن ذاته النبوية النورانية بل والسراجية هى منبع التعقل والتواضع، لأن المشورة تنبع من التواضع مع احترام عقول الآخرين، وليس لقوله (روح الفهم) من دلالة إلا دلالة واحدة وهى أن ذاته ﷺ، باعتباره الروح الكلى، هى النبع الأول للأصول العقلية ومبادئ التفكير السديد والأسس المنطقية القويمة أو ما يسمونه عالم التصورات والأحكام العقلية أو العقلانيّات.

فالمعرفة والإدراك والعلم عند الإنسان تصور وتصديق، وأداة التصور هى الحواس وأداة التصديق هى العقل (الفؤاد) قال تعالى ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ ٧ – ٩ السجدة) فالإدراك والتصور بالسمع والبصر وبالإحساس، وأما التصديق الذى هو حكم مَعْرِفِّي بصحة التفسير لتصور ما فيكون بالفؤاد أى بالعقل، فالعقل أو الفؤاد أداة الفهم إن الإنسان ، وأفهام البشر تتفاوت حسب درجات ذكائهم، لذا فمن كان ذكاؤه ضعيفا، فكثيرا ما يكون حكمه الاستنباطى على الأمور المشاهدة غير صحيح، ومن ثم أحتاج إلى مشورة من كان عقله أرجح من عقله، وذكاؤه أعلى من ذكائه ، بهذا جمع النص بين الفهم والمشورة كما جمع قوله سبحانه وتعالى بينهما فى سورة ق ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن**

(١) إنجيل برنابا / الفصل ٤٤ / العدد من ١٩ – ٣٢ طبعة دار البشير / القاهرة .

﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧ / ق) فمن كان له قلب يفقه به فهم وتذكر وآمن واتقى، ومن لم يكن له قلب (ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع إلى من هو أعلم منه بذهن حاضر ففهم وآمن واتقى أيضاً، فللفهم وللمشورة من هذا الوجه، نبع واحد، ومن ثم قال عيسى عليه السلام أن رسول الله ﷺ (مزدان بروح الفهم والمشورة) أى أن روحه الأقدس الكلى هو النبع الذى يفيض منه على أرواح وقلوب الآدميِّين روح الفهم والمشورة، بل إن قوله فى أول النص (إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا) ليدل على أنه نبع الفهم والمشورة لكل أنواع الخلائق التى خلقها الله تعالى مزودة بمقومات المعرفة والعلم، كالملائكة والجن، فالفهم والمشورة سبيلا العلم والمعرفة.

٢- وكذلك هو ﷺ النبع المفيض (بروح الحكمة والقوة) ولجمع الحكمة والقوة دلالة هامة إذ هما معا مقوما العزة، فما حازهما معا أحد إلا صار عزيزا لا يُغلب ولا يُذل، لأن القوى الأحمق المفتقد للحكمة يضع القوة فى غير موضعها فتنقلب عليه ويغلبه عدوه بحكمته، والحكيم الضعيف المفتقر للقوة لا تكفى حكمته ليتجنب غلبة الحكيم القوى والنص يدل على أنه عليه الصلاة والسلام نبع العزة لكل عزيز قال تعالى ﴿.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨ / المنافقون) فالعَزة : حكمة وقوة لرسوله ﷺ من الله وهى للمؤمنين من رسوله ﷺ، فهى من الله تعالى : حكمةً وقوةً للمؤمنين ببرزخية رسوله ﷺ، كما أنه ﷺ رحمة الله تعالى للعالمين بمعنى أن الرحمة من الله تعالى لرسوله ﷺ، ومنه للعالمين، أى هى من الله تعالى للعالمين ببرزخية رسوله ﷺ.

٣- وكذلك معنى قول عيسى عليه السلام عن رسول الله أنه (روح الخوف والمحبة) والخوف هنا هو الخوف من الله عز وجل والمحبة هى حب الله عز وجل، وليس فى الخلق مخلوقا يخاف الله سبحانه وتعالى ويحبه عز وجل بمقدار خوفه ﷺ من الله تعالى وحبه ﷺ له سبحانه وتعالى حتى أن خوف الخلائق جميعا من الله عز وجل ومحبتهم له أخف فى الميزان من خوفه ﷺ منه ومحبته ﷺ له سبحانه ، وجماع الخوف والمحبة

الإيمان الذى هو خوف من الله ورجاء فيه، خوفهم من غضبه وعذابه ورجاؤهم في مغفرته وعفوه وثوابه ورضائه، ولا رجاء إلا فى المحبوب، لأن حب العباد لله تعالى هو لنعمه عليهم التى لا تعد ولا تحصى قال رسول الله ﷺ « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى» فالحب لا يكون إلا للذى نرجو نفعه ونعمه، والحب يتضمن الرجاء، ومن ثم فإن الإيمان بالله تعالى هو خوفه ومحبته معا وروح رسول الله ﷺ هو النبع الذى يفيض بالإيمان على قلوب المؤمنين قال تعالى ﴿.. **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ..**﴾ (٢٢ / المجادلة) فروح الخوف والمحبة هى الروح الذى يؤيد به الله تعالى المؤمنين ويكتب به الإيمان فى قلوبهم، والروح الذى منه سبحانه هو روح رسول الله ﷺ، فالإيمان، خوفاً ومحبة، عطاء من الله تعالى لقلوب عباده الصالحين ببرزخية رسوله ﷺ، إذ هو من الله تعالى لرسوله، ومنه ﷺ للصالحين، وهذا ما يطابق قوله تعالى ﴿.. **جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾ على النحو الذى تَبَيَّنَ لنا من قبل، فهو نور من الله تعالى لِرَسوله ﷺ ونور من رسوله ﷺ لنا نحن المؤمنين.

٤- كذلك قول عيسى عليه السلام عنه ﷺ إنه (روح التبصر والاعتدال) أى أن من كمالات الذات الأحمدية النابعة من كونه (بهاء يسر كل ما خلق الله تقريبا) هو أنه ﷺ، باعتبار أنه الروح الكلى الممد للنفوس الطيبة بأرواحها الخاصة، هو أيضا نبع التبصر والاعتدال، وهما معا يدلان على النظر فى عواقب الأمور والتوسط فى السلوك بالتزام السبل المشروعة المؤدية إلى الأهداف المشروعة المحققة للخير والبر، فلا انحراف عن الصراط المستقيم ناحية اليمين ولا ناحية اليسار، وهذا يطابق قوله تعالى عن الشجرة المباركة الزيتونة (لا شرقية ولا غربية)، فالتبصر والاعتدال هما نبعا التزام الصراط المستقيم قال تعالى ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ (٦ / الفاتحة) وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (١٠٨ / يوسف) فسبيله ﷺ هو الاعتدال وهو يدعو إلَيه مستبصرا هو ومن اتبعه من

المؤمنين بما يمده الله تعالى من الشرع الحنيف، والاعتدال هو الوسطية السلوكية المحققة لمكارم الأخلاق، أو الفضائل التى كل منها وسط بين إفراط وتفريط كلاهما رذيلة، كالكرم وسط أو هو سبيل الاعتدال بين الشح والإسراف الأول تفريط والثانى إفراط، والشجاعة وسط أو هى سبيل الاعتدال بين إفراط هو التهور والاندفاع بلا تبصر للعواقب وبين تفريط هو الجبن،والشجاعة هى الفضيلة.. وهكذا .

ورسول الله ﷺ مُحَمَّدِيّاً على خلق عظيم أى نبع مكارم الأخلاق لأنه، أحمديا، هو الروح المفيض للفضائل ومكارم الأخلاق على قلوب المؤمنين [1]، وهذا معنى قول عيسى عليه السلام أنه (روح التبصر والاعتدال) فهما إذاً الصراط المستقيم ومكارم الأخلاق.

٥- ثم قال عيسى عليه السلام (مزدان بروح المحبة والرحمة) ولا شك أنه ليس فى نصوص الوحى تكرار بلا فائدة، لذا فالمحبة هنا غير المحبة المذكورة آنفا مع الخوف، وحيث الرحمة إذا سكنت قلب العبد فإنه يرحم بها غيره من العباد، فإن المحبة مع الرحمة هما السبيل للأمن والتكافل بين الناس اللذين تتحقق بهما السعادة لهم، وسيدنا رسول الله ﷺ الروح الأقْدَس الكلى هو النبع الذى تفيض منه المحبة والرحمة على قلوب العباد فيتراحمون ويتحابون ويتكافلون فيما بينهم فيسعدون، وبهذا يكون هو رحمة الله تعالى للعالمين حيث هو الرحمة المهداة والمسداة من الله تعالى للعالمين، وحيث لا رحمة إلاَّ للأحباب أو للذين ليسوا بالأعداء الذين لا يرحمون المؤمنين وغيرهم من العباد، ومن لا يرحم لا يُرحم، فقد إقترنت الرحمة بالحب، وهما معا بالنسبة للناس سبيل السعادة لهم فى الدنيا والآخرة.

٦- ثم قال سيدنا عيسى عليه السلام مواصلا حديثه عن رسول الله ﷺ أنه (روح العدل والتقوى) والعدل قيمة عليا تعنى إعادة الحقوق المسلوبة من أصحابها

---

(١) لاحظ قوله تعالى (على خلق عظيم) وتدبر قوله ﷺ (إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) فلا يتمم الشئ إلا من كان يملك أصوله ومنابعه وجوهره .

إليهم، ليس هذا فقط، بل هى ما يضمن منع وقوع الظلم من البعض على البعض.

فليس للعدل موطن إلا حيث يكون الظلم أو حيث يكون التظالم بين الخلق ممكنا، فكلاهما نقيض الآخر، فلا يحتاج إلى العدل إلا فى المواطن التى يقع فيها الظلم، ومن ثم فإنه لا وجود لقيمة العدل بين الملائكة لأنه ليس للتظالم بينهم وجود.

أما التقوى فهى مقام للمؤمن إذا بلغه منعه قلبه من وقوع الظلم منه على غيره، فكلما إزداد عدد الأتقياء فى المجتمع المسلم قلَّ عدد التظالم بينهم، والعكس صحيح، فإذا كان العدل علاجا لآثار اعتداء البعض على حقوق البعض، فإن التقوى هى الوقاية من وقوع هذا التظالم بينهم ، لهذا كان السلام بين الناس هو جماع العدل الذى هو العلاج مع التقوى التى هى الوقاية ، وهما معا روح نابعة من الروح الكلى ﷺ فَيضاً على قلوب المؤمنين أى هى من الله ﷻ للمؤمنين ببرزخية رسوله ﷺ بدليل قول الله تعالى للنبى ﷺ (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) ثم هو من الله تعالى لعباده الصالحين عدلاً وتقوى ببرزخية رسوله ﷺ بدليل قوله ﷺ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فالسلام : عدل وتقوى من الله تعالى لرسوله ﷺ ومنه ﷺ لعباده الصالحين.

٧- ثم قال سيدنا عيسى عليه السلام متابعا كلامه عن النبى ﷺ لحوارييه أنه (روح اللطف والصبر) وهما معها فضيلة الحلم الذى هو من أرفع مكارم الأخلاق التى هى بالنسبة له ﷺ جميعا تامة كاملة لقوله ﷺ (إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)، فليس من أحد يستطيع الصبر إلا وصبره من الله ﷻ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ..** ﴾ (١٢٧) سورة النحل وهذا لرسوله ﷺ بخاصة، وسائر الصابرين صبرهم أيضاً بالله تعالى، ولكن ببرزخية رسوله ﷺ، بدليل أنه ﷺ مزدان بروح اللطف والصبر ، أى بالحلم الذى يمنع الحليم من أن يجهل على أحد كما يسعى الحليم دائما إلى تحقيق أهدافه

باللطف والصبر فالصبر قيمة خلقية سلوكية، واللطف سِمَة أو سَمْتٌ خلقى سلوكى قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿.. **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (١٠٠ / يوسف) فاللطف فى تحقيق المراد هو التسلسل فى الأسباب المؤدية إلى المراد النهائى بكيفية خفية تبدو فى ظاهرها ومراحلها كأنها لن تؤدى إلا إلى خلاف المراد النهائى، كما فى سيرة سيدنا يوسف عليه السلام، إذ بدأت الأحداث معه بطريقة توحى بأنها ستؤدى إلى هلاكه أو شقائه وتشريده، فأدت إلى عكس ذلك ، وتحقق له الملك والعزة والنصر، وكذلك فى سيرة سيدنا موسى عليه السلام إذ تحقق مراد الله تعالى الأخير باللطف وهو هلاك فرعون وجنده، مع أنه كان يعمل على هلاك موسى عليه السلام وإذلال بنى إسرائيل، وتحقيق المراد النهائى باللطف لا يقدر عليه إلا العليم الحكيم وهذه الكيفية اللطيفة فى تحقيق المراد لا تتم إلا بالصبر إذ يتحقق المراد خلال عشرات السنين وبحسب سنن الله تعالى فى الأسباب والله سبحانه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، أو بالأسباب ومن ثم قال سبحانه وتعالى فى تحقيق قدره بالأسباب بمنهج اللطف والصبر على لسان يوسف عليه السلام ﴿.. **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (١٠٠ / يوسف) .

ومن ثم جمع الله تعالى فى هذا النص بين قيمتى الرفق فى الأمور والصبر والتؤدة فى روح واحدة كَمَّل بها الذات المحمدية هى (روح اللطف والصبر) فهو من صفات الكمال الإلهية التى تجلى بها على رسوله ﷺ وعلى عباده الذين منَّ عليهم بالحلم ببرزخية رسوله ﷺ.

فإذا عدنا إلى قراءة ما سبق تفسيره من هذا النص قراءة إجمالية وجدنا أنه عَرَّف الذات المحمدية بأنها (بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا) هذا البهاء أو النور الذى جاءنا من الله بحسب التفسير لعبارة (من الله) فى الباب السابق – هو الروح الكلى المنعوت بكمالات هى :

١- (مزدان بروح الفهم والمشورة) وهما مقوما العلم تعلماً وتعليماً.
٢- (روح الحكمة والقوة) أى العزة: سُؤْدَداً ونصراً دائما.
٣- (روح الخوف والمحبة) أى الإيمانُ بالله ﷻ وباليوم الآخر.
٤- (روح التبصر والاعتدال) أى الصراط المستقيم ومكارم الأخلاق.
٥- (روح المحبة والرحمة) مقوما السعادة فى الدنيا والآخرة.
٦- (روح العدل والتقوى) وهما مقوما السلام النفسى والاجتماعى والدُّولى.
٧- (روح اللطف والصبر) فضيلة الحلم مع إحكام التدبير.

كل هذه العطاءات الربانية المغذية للعقول والقلوب والمقوِّمة للسلوك الإنسانى النفسى والفردى الجماعى والدُّولى هى من الله تعالى لرسوله ﷺ ومنه لسائر الناس.

والدليل على هذا قول سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذكر هذه العطاءات الروحية والعقلية والخلقية السبع مقارنا بين نصيب رسول الله ﷺ منها وبين نصيب كل من سواه وما سواه من سائر خلق الله ﷻ (التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعْطَىَ لسائر خلقه) وهذا لا يكون إلا إذا كانت ذاته ﷺ هى الروح الأقدس الكلى، الذى تستقى منه نفوس الناس أرواحها الخاصة إمداداً لنفوسهم بهذه العطاءات الروحية والعقلية السبع، وكذا إمدادا لسائر الخلق لجواهرها وحقائقها التى هى بعض هذه العطاءات السبع، كل حسب درجته الوجودية. وعطاء الله تعالى لرسوله ﷺ منها عظيم حتى أنه بعد إمداد سائر الخلق والناس بأنصبتهم منها يبقى هو مزدانا بثلاثة أضعاف ما أمدهم به، وهذا بيان لقوله تعالى له (... وبركاته...) وتدبر قوله عليه السلام (التى أخذ من الله منها...) فهو ﷺ الذى أخذ ويأخذ من الله ﷻ أما سائر خلقه فتدبر قوله عليه السلام (ما أَعْطَىَ لسائر خلقه) ولم يقل ما أعطاه الله مباشرة لسائر خلقه وهذا هو ما عبرنا عنه أنه أيضاً

عطاء من الله تعالى لسائر خلقه، لأنه لا عطاء ولا فضل لمخلوق إلا مـن الله ﷻ، لكنه من الله تعالى لرسوله ﷺ، ومن الله تعالى لسائر خلقه ببرزخية رسوله ﷺ.

ومن ثم قال سيدنا عيسى عليه السلام (ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم) وذلك لأن العالم سينعم بعطاءات الله تعالى الروحية غذاءً للعقول والقلـوب فى هذا الزمن أضْعَاف مضاعفة لأنصبة أهل الأزمان السابقة، فيتغير تغُـيّراً جـذريا ثم قال عيسى عليه السلام للحواريّين (صَدَّقونى، إنى رأيتُه وقدمتُ له الاحـترام، كـما رآه كل نبى) لماذا رآه سيدنا عيسى والنَّبيُّون صلى الله عليهم وسلم جميعا وقدموا له الاحترام؟

يجيب سيدنا عيسى عليه السلام :

(لأن الله يعطيهم روحه نُبَّوة).

أى روح هذا الذى أعطى الله تعالى منه النُّبُوَّة للنَّبِيِّين والرسل الـذين يزيـد عددهم على أربعة وعشرين ومائة ألف نبى ورسول على رأسـهم الأربعـة أولـو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام جميعا ؟!

أليس هـو الـروح الأقـدس الكـلى نبـع وأصـل الإيـمان والعلـم ومكـارم الأخلاق والرحمة والبركة والبر والخير والسـلام للعـالمين ؟! أى كـل مقومـات النبوة ؟

هؤلاء الأنبياء جميعا أمدهم الله تعالى بذواتهم النّبوية مـن روحـه، أمـدهم بنورهم من نوره ﷺ وعليهم جميعا..

هذا النور الذى فَصَّله سيدنا عيسى إلى سبع أطياف أو هـذا الـروح الكـلى الذى وضح سيدنا عيسى بأنه الذى يفيض منـه سـبع أرواح هـى منـابع العلـم والعزة والإيمان والصراط المستقيم ومكارم الأخلاق والسلام للإنسـانية جمعـاء

والحلم وإحكام التدبير : حكمةً وقوة وخوفا من الله تعالى ومحبة ورجاء فيه وتبصراً واعتدالا ومحبة بين الناس وتراحماً وعدلا وتقوى ولطفا وصبرا.

فهل يمارى أحدهم بعد هذا كله فى أنه ﷺ هو الروح الأقدس الكلى، إلاَّ أن يكون هذا الممارى مُتَنَطعاً ؟!

وهل يمارى أحدهم بعد هذا فى أنه هو النور الذى جاءنا من الله إلا أن يكون الممارى مُتَنَطِّعاً ؟!

وهل يمارى أحدهم فى أنه ﷺ هو نبع أنوار النَّبِيِّين ثم المؤمنين إلا أن يكون مُتنطِّعاً ؟!

أليس هذا النص عنوانا صريحا واضحا لكل ما سبق تفصيله عن الحقيقة المحمدية فى القرآن الكريم والسنة ؟

ولماذا قابله سيدنا عيسى كما قابله كل نبى ؟!

أليس هذا هو العهد أى الميثاق الغليظ الذى أخذه الله تعالى على النبيين أن يؤمنوا به وأن ينصروه، أى يشهدو له بأنه رسول الله للعالمين بالرحمة وإليهم هم بالنبوة ؟

أليس هذا دليلا صريحا واضحا على أنه هو ﷺ نبى الأنبياء ورسول الرسل.؟! ومن ثم شاء الله تعالى أن يقابله كل نبى ويبايعه ويشهد له بالنبوة والرسالة ؟! ماذا قال عيسى عليه السلام له لما قابله ﷺ ؟!

قال سيدنا عيسى عليه السلام عن هذه المقابلة وتشرفه بلقائه ورؤيته له (ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك) أى أنه عليه السلام دعى الله أن يجعله أهلا أن يكون خادما له أو أقل من خادم، ولماذا ؟! قال سيدنا عيسى مبررا قوله هذا لرسول الله ﷺ (لأنى إذ قلت هذا صرتُ نبياً عظيما وقدوس الله) ولأنه نال هذه المكانة حمد الله عز وجل وشكره .

قال برنابا رضي الله عنه مُعَلِّقاً (ولما قال يسوع هذا شكر الله).

فمن يجعل بعد هذا كله لرسول الله ﷺ ندا أو نظيرا فى العالمين، لم يعرفه، وشهادته بأنه رسول الله ناقصه أو شهادة بغير علم.

لقد صدق سيدى ومولاى واستاذى الشيخ محمد ماضى أبو العزائم ﷺ وأرضاه إذ قال فى كتابه القيم (من جوامع الكلم) (من جعل لرسول الله ﷺ نِدًّا فقد كفر) حقا لقد كفر ولو كره المتنطعون.

والحمد لله الذى علمنا هذا وما كنا لنعلمه لو لا أن علمنا الله، فالفتح منه، والعون والتوفيق على كتابته منه، والمنة والشكر له ابتداء وانتهاء.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم، وعلى صحابته وإخوانه وعترته وكل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم الفراغ من تأليفه فى صبيحة يوم الأربعاء
الرابع عشر من ذى القعدة من العام الهجرى ١٤٢٩
المصادف الثانى عشر من نوفمبر من العام الميلادى ٢٠٠٨.

وتمت المراجعة بعد عصر يوم الأحد
الثانى من ذى الحجة من العام الهجرى ١٤٢٩
المصادف الثلاثين من نوفمبر من العام الميلادى ٢٠٠٨.

انتهى القسم الأول من النور الأحمدى
ويليه القسم الثانى منه بعون من الله تعالى وإذنه وتوفيقه ومَنّه وكرمه.

فهرس

الموضـــــــوع	الصفحة

مُقَدِّمَة ....

الباب الأول
الروح سـر الإنسـانية

الفصل الأول : نفخة الروح في الجسد البشري هي سر التقويم الأحسن للإنسان	١٩
الفصل الثاني : الإنسان ومكوناته الثلاثة : الروح والنفس والجسد	٣١
الفصل الثالث : ما هي الأمانة التي حملها الإنسان وحده ...	٥٣
الفصل الرابع : النَّبي ﷺ هو أكرم الخلق وأحبُّهم إلى الله ﷻ، فأين هو من الروح الذي هو سر التقويم الأحسن للإنسان	٧٧

الباب الثاني
أُبُوَّةُ النَّبِيُّ ﷺ الروحية للمؤمنين في القرآن والسنة

الفصل الأول : آدم هو الأب البشري الجسدي للآدميِّين فمن هو الأب الروحي لهم ؟	٩٩
الفصل الثاني : الدليل قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾.....	١١٣
الفصل الثالث : مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أبا لواحد من المؤمنين فقط دون غيره ؛ لأنه أب لكل المؤمنين من الآدميِّين بمن فيهم آدم نفسه	١٢٧
الفصل الرابع : الأحاديث الصحيحة الدالة على نزول آية الأحزاب متضَمِّنة قوله تعالى : ﴿ وهو أب لهم ﴾	١٣٥

الموضـــــوع	الصفحة

الباب الثالث

الأدلة القرآنية على سبق الوجود النبوي لخلق آدم عليه السلام

الفصل الأول : ميثاق الله على النَّبِيِّين بالإيمان برسول الله ﷺ ونصرته	١٤٥
الفصل الثاني : الميثاق الذي أخذه الله تعالى على النَّبِيِّين حسب ترتيب وجودهم الدنيوي	١٥٣
الفصل الثالث : إستشهاد الله الناس على أنفسهم قبل خلقهم وبعد خلق آدم عليه السلام على أنه سبحانه ربهم الواحد	١٥٧
الفصل الرابع : الفطرة هى أثر الإستشهاد والعهد والميثاق على النفس الإنسانية	١٧١

الباب الرابع

الأدلة الحديثيَّة الصحيحة على سبق النبوة الأحمدية خلق آدم عليه السلام وشهادته ﷺ أخذ المواثيق

تمهيد :	١٨١
الفصل الأول : آدم بين الروح والجسد	١٨٣
الفصل الثاني : الحكمة الإلهية من جعل رسول الله ﷺ نبيا قبيل نفخ الروح فى آدم	١٩١
الفصل الثالث : الأدلة القرآنية بمحض دلالة اللغة العربية على إشهاد الله تعالى نبيه ﷺ المواثيق الثلاثة	١٩٥

الباب الخامس

مــن هــو الــروح ؟

الفصل الأول : دلالة النفس فى اللغة وفى القرآن الكريم	٢٠٣

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل الثاني : دلالة لفظ الروح فى اللغة العربية	٢٠٩
الفصل الثالث : الروح فى السنة ومغايرته للملائكة	٢١٥
الفصل الرابع : أقوال المفسرين فى الروح	٢٢٣
الفصل الخامس : عقيدتي فى الروح	٢٢٩
الفصل السادس : الروح هو رسول الله ﷺ	٢٣٩

الباب السادس

يُقَدَّرُ إيمان المؤمن بقدر ما في قلبه من النور النبوي

الفصل الأول : رسول الله ﷺ فينا نحن المؤمنين من حيث كونه الروح	٢٤٩
الفصل الثاني : كل رسول مرسل إلى قومه ورسول الله ﷺ مبعوث فينا نحن المؤمنين	٢٦٣
الفصل الثالث : الرسل والأنبياء مبعوثون إلى أقوامهم ورسول الله ﷺ مبعوث فى المؤمنين	٢٦٩

الباب السابع

هو ﷺ النور الذى جاء من الله تعالى

الفصل الأول : وحده النبي ﷺ هو " السراج المنير "	٢٨٥
الفصل الثاني : الحقيقة الأحمدية فى سورة الشمس	٢٩٧
الفصل الثالث : الحقيقة الأحمدية فى سورة الضحى.........	٣١١
الفصل الرابع : الحقيقة الأحمدية وأنوار القلوب المؤمنة	٣٢٣
الفصل الخامس : الحقيقة الأحمدية المحمدية نور من الله ﷻ	٣٤١
الفصل السادس : الحقيقة الأحمدية المحمدية نور وقرآن مبين	٣٥٣
الفصل السابع : الحقيقة الأحمدية المحمدية ذكر وقرآن مبين	٣٦٥
الفصل الثامن : الرد على المنكرين أنه ﷺ نور	٣٧٥

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل التاسع : الأدلة على تفـرده ﷺ بأنـه نـور مـن الله ﷻ وبـأن أنـوار غـيره مـن الرسـل والأنبيـاء والمؤمنين عطاء رباني لهم من نوره ﷺ	٣٨٧
الفصل العاشر : بيان الدلالة الاعتقادية لعبارة " .. مـن الله لتبديد أوهام المتنطعين ونقض زعمهم " .	٣٩٩
الفصـل الحـادي عشر : دلالـة عبـارة (مـن الله) فى القـرآن الكريم	٤١٥

الباب الثامن

الحقيقة الأحمدية فى الأناجيل

الفصل الأول : الروح الأقدس فى الأناجيل النصرانية	٤٢٩
الفصل الثاني : النُّور الأحمدي أو الروح فى إنجيل يوحنا......	٤٣٣
الفصل الثالث : روح الله أبو المؤمنين ﷺ الذى فى السماء فى إنجيل متى....	٤٤٥
الفصل الرابع : الـروح السـاكن فى المـؤمنين هـو صـاحب الشفاعة العظمى ﷺ فى " رومية "	٤٥٥
الفصل الخامس : النبـى ﷺ هـو الـروح الكـلى فى الإنجيـل برواية برنابا ﷺ	٤٦١
فهرس الموضوعات	٤٨١

للاتصال / دكتور فاروق الدسوقي
٠٠٢٠١٢٢٨٨٨٩٩٤
٠٠٢٠١١١٢٣١١٨٣